UNIVERSAL LIBRARY
OU_190470
UNIVERSAL LIBRARY

Osmania University Library

Call No. ۸۹۱۵۶۱ Accession No. ۱۷۸۳۶

Author

Title

This book should be returned on or before the date last marked below.



رسائل البلغاء

تحتوي على ماعرف لعبد الله بن المقفع من الأدب الصغير والأدب الكبير وغيرهما ومالعبد الحميد بن يحيي الكاتب من الرسائل والنتف والحكم وعلى الرسالة العذراء في موازين البلاغة وأدوات الكتابة لابي اليسر ابراهيم بن محمد بن المدبر ورسالة أبي حسن علي بن منصور الحلبي المعروف بابن القارح الى أبي العلاء المعري وملقى السبيل للمعري ورسائل الانتقاد لابن شرف القيرواني وكتاب العرب لابن قتيبة ورسالة رشيد الدين الوطواط فيما جرى بينه وبين الزمخشري ومنتخب من عهد ازدشير في السياسة وكتاب الادب والمروءة لصالح بن جناح الرامي

عني بجمعها محمد كرد علي

صاحب مجلة المقتبس

طبع بمطبعة

دار الكتب العربية الكبرى

على نفقة أصحابها

(مصطفى البابي الحلبي وأخويه بكري وعيسى بمصر)

سنة ١٣٣١ - ١٩١٣

حقوق اعادة الطبع محفوظة

١٤٨٣٦

مقدمة الطبعة الثانية

﴿ بسم الله وبه ثقتي ﴾

نشرت القسم الاول من رسائل البلغاء وفيه ما عرف لعبد الله بن المقفع وعبد الحميد بن يحيى الكاتب من الرسائل والحكم لاول مرة سنة ١٣٢٦ هجرية فوقعت موقع الاستحسان من رجال العلم والادب وجهابذة الذوق السليم في كلام العرب وأقبل المتأدبون عليها حتى نفد المطبوع منها في مدة وجيزة وها قد صحت العزيمة الآن على اعادة طبعها في هذا المظهر مضافا اليها ثماني رسائل نادرة جعلت القسم الثاني من الرسائل وكانت نشرت أيضا في سني مجلة المقتبس السبع الاولى ومنها ما نشره كاتب هذه السطور والآخر لبعض مؤازري هذه المجلة من الاعلام . وقد نظر الاستاذ سليم أفندي البخاري الدمشقي في رسالة الادب الصغير واليتيمة لابن المقفع وعلق عليها حواشي وفوائد فمعظم الحواشي التي عليها هي له وعارضت الادب الصغير على الطبعة التي نشرها منها في العام الماضي الاستاذ أحمد زكي باشا المصري معتمدا فيها على مخطوطين منها عثر عليهما في احدى مكاتب الاستانة وأثبت في الهامش الاختلاف بين النسخة البعلبكية والنسخة الاستانبولية أما الرسائل الاخرى فان الرسالة العذراء لابن المدبر ورسالة ابن القارح هما مما أسعدني الحظ بنشره ورسالة ملقى السبيل لابي العلاء المعري ورسائل الانتقاد لابن شرف القيرواني نشرهما الاستاذ السيد حسن حسني عبد الوهاب التونسي وكتاب العرب في الرد على الشعوبية لابن قتيبة نشره الاستاذ الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي ورسالة رشيد الدين الوطواط والمنتخب من عهد ازدشير في السياسة نشرهما الاستاذ أحمد بك تيمور المصري وكتاب الادب والمروءة لابن جناح الربعي نشره الاستاذ الشيخ طاهر الجزائري

الجزائري الدمشقي . ورجائي أن تحل هذه المجموعة من نفوس عشاق البلاغة محلها من القبول اللائق بها فهي خير مثال ينسج عليه من تسمو به الهمة الى الاخذ بمذاهب أئمة الانشاء . لاجرم انه من يلقي نظرة تدبر على رسائل البلغاء يحكم بانها أوراق قليلة تغني عن أسفار طويلة وكم من سطور أغنت عن كتب وان من يكتب له تدبر ما جاء فيها جد التدبر تكفيه في احكام الاسلوب العربي وتلقنه شطرا صالحا من الحكمة العالية التي لا يبلى جديدها ففيها مادة للدرس وأخرى لاصلاح النفس . نفع الله بها من يحرصون على تحسين ملكاتهم العربية والاحتفاظ بأخلاقهم القومية وييسر للباحثين المحققين احياء غيرها من آثار الماضين بحوله وطوله

القاهرة في ٩ شوال سنة ١٣٣٠ - ٢٠ سبتمبر سنة ١٩١٢

محمد كرد علي

مقدمة الطبعة الاولى

بسم الله الرحمن الرحيم

(كلمات للناشر)

خير ما يخرج لطلاب الآداب العربية فى هذا العهد كلام أئمة البلاغة من أهل القرون الاولى . وقد وقع الاجماع على ان عبد الله بن المقفع وعبد الحميد بن يحيى الكاتب كانا من زعماء هذا الشأن وان اسلوبهما أحسن اسلوب فى احكام ملكة البيان

كانت حكم ابن المقفع أول ما كتب لى الوقوف عليه من رسائل هذين الامامين عثرت عليها فى قسم المجاميع (عدد ١١٩) بدار الكتب المصرية فى مجموع كتب سنة ٨٤٤ فنشرتها فى مجلة المقتبس ثم نشر فيه استاذى العلامة العامل الشيخ طاهر الجزائرى كتاب الادب الصغير لابن المقفع أيضا ظفر به فى مجموع عند أحد أعيان بعلبك من بلاد الشام

و وقفت على الاثر فى كتاب المنثور والمنظوم لاحمد بن أبى طاهر طيفور المحفوظ فى قسم علم الادب بدار الكتب المصرية (عدد ٥٨٧) المنقول عن نسخة محفوظة فى احدى مكاتب المدينة الى العثور على رسالة لابن المقفع فى الصحابة ولعلها رسالته المشهورة فى السياسة وعلى رسالة له سماها اليتيمة وعلى رسالة لعبد الحميد الكاتب فى نصيحة ولى العهد وتعبية الجيش الى غير ذلك من الرسائل البديعة التى أوردها صاحب المنثور والمنظوم لهذين الكاتبين فنشرتها كلها وأضفت اليها الدرة اليتيمة لابن المقفع ورسالة عبد الحميد الى الكتاب وما أثر لهذا من رسائل صغيرة قليلة

واغلبة التحريف على كتاب المنثور والمنظوم اضطررت مرة الى حذف جمل برمتها والاشارة اليها أو أبقيتها على علاتها وأشرت اليها بعلامة استفهام اذا كان يفهم مع التحريف حاصل المعنى الاان الغلط وقع فى الاكثر فى رسالة الصحابة وولى العهد واليتيمة الثانية

وكنت أود لو قيض لى الرجوع الى الاصل الذى نقلت عنه نسخة المنثور والمنظوم لاعارض عليها ماأنشره اليوم فى هذا المجموع عسانى أسقط فيها على مافات الناسخ الثانى ولعل ماتعذر على اثبات صحته من عبارات ذينك الصدرين المقدمين يتيسر لغيرى من الباحثين العارفين فيرشدونى الى أصل آخر أو يهتدون الى وجه الصواب فى هذا الكلام الطيب

وانى لأرجو أن تكون هذه الاوراق خير مثال يحتذيه المتأدبون فى كتاباتهم وأن يقع فيه المشتغلون بتاريخ الشرق واجتماعه على مايتمم بعض الاحكام على الحضارة العربية وان يستخدمها الدعاة لاصلاح الاخلاق خير ذريعة يعالجون بها ادواء النفوس فيكون منها عموم النفع كلما كررتها ألسن الانام وكرت عليها الاعوام والايام

القاهرة فى ٢٨ ربيع الثانى سنة ١٣٢٦ وفى ٢٩ مايو سنة ١٩٠٨

محمد كردى على

منشئ المقتبس

عبد الله بن المقفع وعبد الحميد بن يحيي

﴿ نقلا عن المقتبس ﴾

نشأ للعربيــة فى أوائل القرن الثانى للهجرة كاتبان بليغان يصح أن يدعيا واضعى أساس الانشاء العربى وناهجى طريقة الكتابة المرسلة فكانا منارا يهتدى به الى يوم الناس هذا ونعنى بهما عبدالله بن المقفع وعبد الحميد بن يحيي الكاتب . ظهر هذان الامامان واللغة فى نضرتها الاولى فكان لهما من فطرتهما السليمة أعظم مساعد لهما على النبوغ و زادت شهرتهما لاتصالهما بالخلفاء والامراء ومرانهما على الكتابة فى الاغراض الكثيرة التى كانت تطلب اليهما فيخوضان عبابها مجليين مبرزين

نشأ ابن المقفع فى العراق على ماينشأ عليه أبناء اليسار وكان والده ينتحل نحلة مجوس الفرس وولى خراج فارس للحجاج بن يوسف الثقفى فى الدولة الاموية . ولقب بالمقفع لان الحجاج ضربه فتقفعت يده أى تشنجت لمدها لاخذ الاموال على مايقال . وربى ابنه عبد الله تربية اسلامية وأولع بالعلم وهو مكفى المؤنة فجاء منه فى سن العشرين مايندر ان يكون مثله لابناء الاربعين والخمسين . واتصل بعيسى بن على عم السفاح والمنصور الخليفتين الاولين من بنى العباس وكتب له واختص به وأراد أن يدين بالاسلام فجاء الى عيسى بن على وقال له : قد دخل الاسلام فى قلبى وأريد أن أسلم على يدك . فقال له عيسى : ليكن ذلك بمحضر من القواد ووجوه الناس فاذا كان الغد فاحضر . ثم حضر طعام عيسى عشية ذلك اليوم فجلس ابن المقفع يأكل ويزمزم على عادة المجوس فقال له عيسى : أتزمزم وأنت على عزم الاسلام فقال : أكره أن أبيت على غير دين . فلما أصبح أسلم على يده فسمى بعبدالله وكنى بابى محمد .

أهم كتب ابن المقفع التى طار ذكرها كتاب كليلة ودمنة الذى نقله عن الفارسية ورسالته المعروفة باليتيمة فى طاعة السلطان . قال القفطى وهو أول من اعتنى فى الملة الاسلامية بترجمة الكتب المنطقية لابى جعفر المنصور وترجم كتب ارسطوطاليس المنطقية

المنطقية الثلاثة وهى كتاب قاطيغورياس وكتاب بارى ارمينياس (اوبارميناس) وكتاب انالوطيقا وذكر انه ترجم ايساغوجى تأليف فرفوريوس الصورى • والارجح انه نقل هذه الكتب عن الفارسية أونقلها له ناقل عن اليونانية وصاغها هو فى قالب عربى فنسبت له اذلم يثبت انه كان يعرف غير الفارسية من اللغات • وعبارة ابن أبى أصيبعة فى تاريخ الاطباء تشبه قول القفطى فى تراجم الحكماء والغالب انهما نقلا عن مصدر واحد مع تغيير طفيف فى عبارتيهما

قال ابن النديم : واسمه بالفارسية روزبه وهو عبد الله بن المقفع ويكنى قبل اسلامه أباعمرو فلما أسلم اكتنى بابى محمد والمقفع بن المبارك انما تقفع لان الحجاج بن يوسف ضربه بالبصرة فى مال احتجنه من مال السلطان ضربا مبرحا فتقفعت يده وأصله من خوز مدينة من كور فارس وكان يكتب أولا لداود بن عمر بن هبيرة ثم كتب لعيسى بن على على كرمان وكان فى نهاية الفصاحة والبلاغة كاتبا شاعرا فصيحا وهو الذى عمل شرط عبد الله بن على على المنصور وتصعب فى احتياطه فيه فاحفظ ذلك أباجعفر فلما قتله سفيان بن معاوية حرقا بالنار وقع ذلك من المنصور بالموقع الحسن فلم يطالب بثاره وطل دمه وكان أحد النقلة من اللسان الفارسى الى العربى مضطلعا باللغتين فصيحا بهما وقد نقل عدة كتب من كتب الفرس منها كتاب خداينامه فى السير كتاب آيين نامه فى الإصر كتاب كليلة ودمنة كتاب مزدك كتاب التاج فى سيرة أنوشروان كتاب الآداب الكبير ويعرف بماقراحسيس كتاب الادب الصغير كتاب اليتيمة فى الرسائل •

وقال ان اباالجاموس ثور بن يزيد أعرابى كان يفد البصرة على آل سليمان بن على وعنه أخذ ابن المقفع الفصاحة ولا مصنف له وقال: بلغاء الناس عشرة عبد الله بن المقفع • عمارة بن حمزة • حجر بن محمد • محمد بن حجر • أنس بن أبى شيخ • وعليه اعتمد أحمد بن يوسف الكاتب • سالم، مسعدة الهرير • عبد الجبار بن عدى • أحمد بن يوسف • وذكره فى الشعراء الكتاب فقال انه مقل وقال : وقد كانت الفرس نقلت فى القديم شيأ من كتب المنطق والطب الى اللغة الفارسية فنقل ذلك الى العربى عبد الله بن المقفع

وغيره وقال فى الكتب المصنفة فى الاسماء والخرافات ان عبد الله بن المقفع من جملة من كان يعمل الاسمار والخرافات على ألسنة الناس والطير والبهائم .

والراجح ان الحسد غلت مراجله فى صدور بعض معاصريه والمعاصرة كما قيل حرمان فنسبوا اليه مانسبوا من الزندقة لقصورهم عن بلوغ شأوه أو لغرض فى أنفسهم قال ابن خلكان نقلا عن الجاحظ : ان ابن المقفع ومطيع بن اياس ويحيى بن زياد كانوا يتهمون فى دينهم قال بعضهم : كيف نسى الجاحظ نفسه . قلنا وعبارة الجاحظ فى بعض رسائله بشأن ابن المقفع تشير الى قصوره فى علم الكلام فقط فانه قال :

فصل ومن المعلمين ثم من البلغاء المتأدبين عبد الله بن المقفع ويكنى أبا عمرو وكان يتولى لآل الاهتم وكان مقدما فى بلاغة اللسان والقلم والترجمة واختراع المعانى وابتداع السير وكان جوادا فارسا جميلا وكان اذا شاء أن يقول الشعر قاله وكان يتعاطى الكلام ولا يحسن منه لا قليلا ولا كثيرا وكان ضابطا لحكايات المقالات ولا يعرف من أين غر المغتر ووثق الواثق واذا أردت أن تعتبر ذلك ان كنت من خلص المتكلمين ومن النظارين فاعتبر ذلك بان تنظر فى آخر رسالته الهاشمية فانك تجده جيد الحكاية لدعوى القوم ردىء المدخل فى مواضع الطعن عليهم . وقد يكون الرجل يحسن الصنف والصنفين من العلم فيظن بنفسه عند ذلك انه لا يحمل عقله على شىء الا بعد به اه

لا جرم ان اطلاق ابن المقفع لسانه فى المعتزلة دعا أحد أئمتها الى ان يصدر عليه هذا الحكم الغريب ولكن الجاحظ أيضا على ثبوت تدينه لم يسلم من هذا الطعن كما رأيت . وان مسألة التهمة فى الدين من الامور التى شاعت فى كل عصر ومصر ويكون المتهمون بها فى معظم الاحوال أبرياء والا فكيف تسجل الزندقة على ابن المقفع اذا جرينا مع الدليل . وليست الزندقة بحثا عما يضمره الانسان فى نفسه لان مثل هذا لا يطلع عليه الا الله تعالى ويكفى أن يقال هلا شققت عن قلبه . بل الزندقة التى تذكر فى الكتب وتترتب عليها الاحكام ويسوغ أن يقال عن فلان انه زنديق أمور تقوم عليها بينات ظاهرة من أقوال وأفعال وكلام ابن المقفع فى الدين يدل على شدة تمسكه وفرط ميله على ما يتجلى لك من رسائله

ولو

ولو كان ثم سبيل لما ينسب اليه لاسيما مع غضب المنصور عليه لكان الاقرب أن يتقرب مثل المنصور بمثل ذلك وفيه مافيه من ارضاء العامة وشفاء الغليل من العدو بحيث ينتقم منه مع اسقاطه ولا يعدم المنصور حينئذ حيلة فى قتله جهارا بهذه التهمة . اما اتهام ابن المقفع بمعارضة القرآن فيتصرف على القاعدة فى اتهامه بالزندقة ومانظن القاضى عياضا والباقلانى الاناقلين عن أناس من أهل السذاجة ومع ذلك فاهما قالا انه أناب .

التهمة بالزندقة أمر نشأت منه مضار كثيرة حتى لم يخل منها مثل الامام الغزالى الذى كان أعظم أنصار الدين فانظر الى كتاب فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة الذى ألفه فى الرد على أولئك الذين نسبوا اليه ما نسبوا فان فيه الغناء وأغرب من ذلك القيام على أبى حاتم (١) ابن حبان البستى امام المحدثين فى عصره وصاحب الصحيح المشهور به والكتب الممتعة الكثيرة واستحصال الامر بقتله لولم ينج من ذلك بعوارض لاتخطر فى البال

ومعارضة القرآن أكثر ما تنسب للزنادقة المشهورين بالادب والفضل يشيع ذلك اناس يقصدون اهلاك عدوهم بأى وسيلة كانت أو اناس هم أقرب الى الزندقة ممن ينسبونهم اليها حتى ان أبا العلاء المعرى على اضطراب الاقوال فى نهاية أمره مع ما علم به من أحواله قد عزى اليه كتاب كان معروفا فى بلاد المغرب يسمى بالفصول والغايات ولا يتوقف من كان قريب العهد من عصره فى انه عمله فى معارضة السور والآيات وكان كثير ممن يميلون الى أبى العلاء المعرى من أهل المغرب يحجبون مما وقع فيه من سخافة القول الذى ينحط عن جميع كلامه المعروف مع انه ليس له يد فى الكتابة كما علم من كتاب سر الفصاحة وكلامه فى رسالة الغفران ينادى بخلاف ذلك (٢)

---

(١) راجع ترجمته فى معجم البلدان لياقوت فى مادة بست

(٢) قال المعرى فى رسالة الغفران عند كلامه على ابن الراوندى الزنديق الذى صنف فى الرد على القرآن : بئس ما نسب الى راوند فهل قدح فى دباوند انما هتك قميصه وأبان للناظر خيصه وأجمع ملحد ومهتد وناكب عن الحجة ومقتد ان هذا الكتاب الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم كتاب بهر بالاعجاز ولقى عدوه بالأرجاز ماحذى على مثال ولا أشبه

وعلى الجملة فان نسبة الزندقة الى ابن المقفع لا تثبت بوجه من الوجوه التى تعقل فى اثباتها واذا نظرنا الى ما يتعلق بالغيب فالحكم الشرعى انه هو والناسبون اليه جميعا فى معرفة ما ينطوون عليه سواء لانه لم يذهب أحد الى ان الايمان يتيسر اثباته بالبرهان الا اذا ورد عن الشارع فى شخص معين اثبات الايمان أو لوازمه لرجل بعينه .

وتهمة الزندقة الشنعاء كثيرا ما يتهم بها المشتغلون بالفلسفة أمثال ابن رشد والفارابى وابن الصائغ وابن سينا . ونسب لهذا انه عارض القرآن وقد كتب رسالة فى رد افتراء من افترى عليه ذلك . ومن هنا تظهر لك حسن سياسة المأمون لان فتح باب البحث عن الزنادقة قد أوجب من المضار ما لا يحصى كما يعلم من التواريخ ور بما كان عصر المأمون أقرب الى قلة الزندقة فى الحقيقة من العصور التى كثر اتهام معظم المفكرين بها وغيرهم ممن يراد الانتقام منهم

عرفت بهذا ان كلام القائلين بزندقة ابن المقفع مع ما عرف من كلامه هو من ذاك الباب . قال المرتضى فى أماليه روى ابن شبة قال: حدثنى من سمع ابن المقفع وقد مر ببيت نار للمجوس بعد ان أسلم فلمحه وتمثل

يا بيت عاتكة الذى أتعزل * حذر العدى و بك الفؤاد موكل

انى لامنحك الصدود وانى * قسما اليك مع الصدود لأميل

وقال صاحب الاغانى نقلا عن الجاحظ : كان والبة بن الحباب ومطيع بن اياس ومنقذ بن عبد الرحمن الهلالى وحفص بن أبى وردة وابن المقفع ويونس بن أبى فروة وحماد عجرد وعلى

غريب الامثال ما هو من القصيد الموزون ولا الرجز من سهل وحزون ولا انشا كل خطابة العرب ولا سجع الكهنة ذوى الارب وجاء كالشمس اللائحة نورا للمسرة والبائحة لو فهمه الهضب الرا كد لتصدع أو الوعول المعصمة لراق الغادرة والصدع وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون وان الآية منه أو بعض الآية لتعترض فى أفصح كلم يقدر عليه المخلوقون فيكون فيه كالشهاب المتلالئ فى جنح غسق والزهرة البادية فى جدوب ذات نسق فتبارك الله أحسن الخالقين

ابن

ابن الخليل وحماد بن أبي ليلى الراوية وابن الزبرقان وعمارة بن حمزة ويزيد بن الفيض وجميل ابن محفوظ وبشار المرعث وابان اللاحقي ندماء يجتمعون على الشراب وقول الشعر ولا يكادون يفترقون ويهجو بعضهم بعضا هزلا وعمدا وكلهم متهم في دينه . قلنا واجتماع المتشاكلين قديم في الناس والغالب انهم يتحرجون من ادخال من ليس على شاكلتهم في زمرتهم فيتهمون بما هم منه براء كما اتهم جماعة أبي حيان التوحيدي الذي نقل بعض مجالسهم الفلسفية في مقابساته وكانوا من أهل النحل المختلفة تجمع بينهم جامعة العلم والفلسفة كما جمعت بين ابن المقفع وأصحابه جامعة الادب فقالوا انهم كانوا يجتمعون على شراب واتهموهم بالمروق . وفي كتاب البيان والتبيين للجاحظ ذكر اناس كانوا شديدي التصافي والالتحام مع شدة التباين في المذاهب .

اما كيفية مقتل ابن المقفع فقد أجمع مترجموه على انه كان بسبب كتابته أمانا لعبدالله ابن علي قال فيه : ومتى غدر أمير المؤمنين بعمه عبدالله فنساؤه طوالق ودوابه حبس وعبيده أحرار والمسلمون في حل من بيعته . فاشتد ذلك على المنصور جدا وخاصة أمر البيعة وكتب الى سفيان بن معاوية المهلبي وهو أمير البصرة من قبله فقتله . وكان سفيان هذا شديد الحنق عليه لان ابن المقفع على ما يقال كان ينال منه ويستخف به حتى عزم على أن يغتاله فجاءه كتاب المنصور بقتله فقتله سرا في داره ويقال انه عاش ستا وثلاثين سنة . وسأل سليمان وعيسى عنه فقيل انه دخل دار سفيان سليما ولم يخرج منها فخاصماه الى المنصور وأحضراه اليه مقيدا وحضر الشهود الذين شاهدوه وقد دخل داره ولم يخرج فاقاموا الشهادة عند المنصور فقال لهم المنصور : انا أنظر في هذا الامر . ثم قال لهم : أرأيتم ان قتلت سفيان به ثم خرج ابن المقفع من هذا البيت وأشار الى باب خلفه وخاطبكم ما تروني صانعا بكم أأقتلكم بسفيان . فرجعوا كلهم عن الشهادة وأضرب عيسى وسليمان عن ذكره وعلموا ان قتله كان برضا المنصور

ولابن المقفع شعر قليل ولكنه جيد نقل له صاحب الحماسة ثلاثة أبيات . يقال انه رثى بها يحيي بن زياد وقال الاخفش والصحيح انه رثى بها ابن أبي العوجاو هي

رزئنا أبا عمرو ولا حيّ مثله ❊ فلله ريب الحادثات بمن وقع

فان تك قد فارقتنا وتركتنا ❊ ذوي خلة ما في انسداد لها طمع

لقد جر نفعا فقدنا لك اننا ❊ أمنا على كل الرزايا من الجزع

قال ثعلب البيت الاخير يدل على مذهبهم في ان الخير ممزوج بالشر والشر ممزوج بالخير فتأمل .

ومما يذكر عن ابن المقفع ما رواه صاحب الاغاني وغيره قال حدثني اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله قال حدثني أحمد قال سمعت جدي أبا محمد يقول : كنت ألقى الخليل بن أحمد فيقول لي أحب أن يجمع بيني وبين عبد الله بن المقفع فجمعت بينهما فمر لنا أحسن مجالس وأكثره علما ثم افترقنا فلقيت الخليل فقلت له : يا أبا عبد الرحمن كيف رأيت صاحبك قال : ماشئت من علم وأدب الا أني رأيت علمه أكثر من عقله . ثم لقيت ابن المقفع فقلت له: كيف رأيت صاحبك قال: ماشئت من علم وأدب الا أن عقله أكثر من علمه . وقال المرتضى ان من جمعهما كان عباد بن عباد المهلبي فتحادثا ثلاثة أيام ولياليهن .

قال الاصمعي : قيل لابن المقفع من أدبك فقال: نفسي اذا رأيت من غيري حسنا أتيته وان رأيت قبيحا أبيته . ودعاه عيسى بن علي للغداء فقال :أعز الله الامير لست يومي للكرام أكيلا قال : ولم ؟ قال : لاني مزكوم والزكمة قبيحة الجوار مانعة من عشرة الاحرار .

ومن كلامه : شربت من الخطب ريا ولم أضبط لها رويا ففاضت ثم فاضت فلاهي نظاما وليس غيرها كلاما .

ومما يؤثر عنه وهو ما يدل على رأيه في الانشاء انه قال لبعض الكتاب : اياك والتتبع لوحشي الكلام طمعا في نيل البلاغة فان ذلك هو العي الاكبر . وقال لآخر: عليك بما سهل من الالفاظ مع التجنب لالفاظ السفلة . وقيل له ما البلاغة فقال : التي اذا سمعها الجاهل ظن انه يحسن مثلها .

وفي البيان والتبيين عن اسحق بن حسان بن فوهة انه قال : لم يفسر البلاغة تفسير ابن المقفع أحد قط . سئل ما البلاغة ؟ قال : البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه

كثيرة

كثيرة . فمنها مايكون فى السكوت . ومنهامايكون فى الاستماع . ومنهامايكون فى الاشارة . ومنها مايكون فى الحديث . ومنها ما يكون فى الاحتجاج . ومنهامايكون جوابا . ومنهامايكون ابتداء . ومنهامايكون شعرا . ومنهامايكون سجعا وخطبا . ومنهامايكون رسائل . فعامةمايكون من هذه الابواب الوحى فيها والاشارة الى المعنى والايجاز هو البلاغة .

فاما الخطب بين السماطين وفى اصلاح ذات البين فالا كثار فى غير خطل والاطالة فى غير املال . قال : وليكن فى صدر كلامك دليل على حاجتك كما ان خير أبيات الشعر البيت الذى اذا سمعت صدره عرفت قافيته . كانه يقول فرق بين صدر خطبة النكاح و بين صدر خطبة العيد وخطبة الصلح وخطبة المواكب حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على عجزه فانه لا خير فى كلام لا يدل على معناك ولا يشير الى مغزاك . والى العمود الذى اليه قصدت والغرض الذى اليه نزعت .

قال فقيل له : فان مل المستمع الاطالة التى ذكرت انها حق ذلك الموقف قال : اذا أعطيت كل مقام حقه وقمت بالذى يجب من سياسة ذلك المقام وأرضيت من يعرف حقوق الكلام فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو فانهما لا يرضيهما شئ واما الجاهل فلست منه وليس منك ورضا جميع الناس شئ لا تناله وقد كان يقال رضاء الناس شئ لا ينال

وقال عبد العظيم بن أبى الاصبع فى تحرير التحبير فى البديع فى باب التهذيب والتأديب: قد كان المتقدمون لا يحفلون بالسجع جملة ولا يقصدونه بتة الا ما أتت به الفصاحة فى أثناء الكلام واتفق من غير قصد ولا اكتساب وان كانت كلماتهم متوازنة وألفاظهم متناسبة ومعانيهم ناصعة وعباراتهم رائقة وفصولهم متقابلة وتلك طريقة الامام على عليه السلام ومن اقتفى أثره من فرسان الكلام كابن المقفع وسهل بن هرون وأبى عثمان الجاحظ وغير هؤلاء من الفصحاء والبلغاء

وقال الامين المحبى فيما يعوّل عليه فى المضاف والمضاف اليه : يتيمة ابن المقفع - يضرب بها المثل لبلاغتها وبراعة منشئها وهى رسالة فى نهاية الحسن تشتمل على محاسن من الادب

وقد ذكرها أبو تمام وأجراها مثلا فى قوله للحسن بن وهب

واقد شهدتك والكلام لآلئ ✽ تؤم فبكر فى الكلام وثيب

فكأن قسا فى عكاظ يخطب ✽ وكأن ليلى الأخيلية تندب

وكثير عزة يوم بين ينسب ✽ وابن المقفع فى اليتيمة يسهب

وقال جلال الدين فى المزهر نقلا عن أبى الطيب عبد الواحد اللغوى فى مراتب النحويين قال محمد بن سلام : سمعت مشايخنا يقولون لم يكن للعرب بعد الصحابة أذكى من الخليل ابن أحمد ولا أجمع ولا كان فى العجم أذكى من ابن المقفع ولا أجمع

وقال المعرى فى عبث الوليد : كان المتقدمون من أهل العلم ينكرون ادخال الالف واللام على كل و بعض وروى الاصمعى انه قال كلاما معناه قرأت آداب ابن المقفع فلم أر فيها لحنا الا فى موضع واحد وهو قوله : العلم أكبر من أن يحاط بكله فخذوا البعض

وروى ان بعضهم ذكر ابن المقفع فقال : ألفاظه معان ومعانيه حكم فصل خطابه شفاء وخصل بيانه كفاء . وسمع أبو العيناء بعض كلام ابن المقفع فقال : كلامه صريح ولسانه فصيح وطبعه صحيح كأن بيانه لؤلؤ منثور وروض ممطور . وقال جعفر بن يحيى : عبد الحميد أصل وسهل بن هرون فرع وابن المقفع ثمر وأحمد بن يوسف زهر .

وعبد الحميد هذا هو الذى يضرب به المثل فى البلاغة حتى قيل فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد . وكان أحمد بن يوسف يقول فى رسائل عبد الحميد ألفاظ محككة وتجارب محنكة . قال صاحب الوفيات وكان فى الكتابة وفى كل فن من العلم والادب اماما وهو من أهل الشام وكان أولا معلم صبية يتنقل فى البلدان وعنه أخذ المترسلون ولطريقته لزموا ولآثاره اقتفوا وهو الذى سهل سبيل البلاغة فى الترسل ومجموع رسائله مقدار ألف ورقة

وقال ابن نباتة : انه البالغ الى أعلى المراتب فى الكتابة البليغة يقال انه كان فى أول عمره معلم صبيان بالكوفة ثم اتصل بمروان الجعدى قبل أن يصل الى الخلافة وصحبه وانقطع اليه فلما جاء الامر بالخلافة سجد مروان وسجد أصحابه الا عبد الحميد فقال له مروان : لم لا

سجدت

سجدت فقال : ولم أسجد على ان كنت معنا فطرت عنا يعني بالخلافة فقال : اذا تطير معي قال : الآن طاب السجود وسجد وكان كاتب مروان طول خلافته

وهو أول من أخذ التحميدات من فصول الكتب واستعمل في بعض كتبه الايجاز البليغ وفي بعضها الاسهاب المفرط على ما اقتضاه الحال . فمن الايجاز ان بعض عمال مروان أهدى اليه عبدا أسود فأمره بالاجابة ذاما مختصرا فكتب : (لو وجدت لونا شرا من السواد وعددا أقل من الواحد لاهديته) . واما الاسهاب فانه لما ظهر أبو مسلم الخراساني بدعوة بني العباس كتب اليه عن مروان كتابا يستميله ويضمنه مالو قرئ لاوقع الاختلاف بين أصحاب أبي مسلم وكان من كبر حجمه يحمل على جمل ثم قال لمروان : قد كتبت كتابا متى قرأه بطل تدبيره فان يك ذلك والا فالهلاك فلما ورد الكتاب على أبي مسلم لم يقرأه وأمر بنار فأحرقه وكتب على جزازة منه الى مروان

محا السيف أسطار البلاغة وانتحى * عليك ليوث الغاب من كل جانب

ولما اشتد الطلب على مروان وتتابعت هزائمه المشهورة قال لعبد الحميد : القوم محتاجون اليك لادبك وان اعجابهم بك يدعوهم الى حسن الظن بك فاستأمن اليهم وأظهر الغدر بي فلعلك تنفعني في حياتي أو بعد مماتي فقال عبد الحميد

أسر وفاء ثم أظهر غدرة * فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهره

ثم قال يا أمير المؤمنين ان الذي أمرتني به أنفع الامرين اليك وأقبحهما بي ولكني أصبر حتى يفتح الله عليك أو أقتل معك فلما قتل مروان استخفى عبد الحميد فغمز عليه بالجزيرة عند ابن المقفع وكان صديقه وفاجأهما الطلب وهما في بيت فقال الذين دخلوا : أيكما عبد الحميد فقال كل واحد منهما : انا خوفا على صاحبه الى ان عرف عبد الحميد فاخذ وسلمه السفاح الى عبد الجبار صاحب شرطته فكان يحمي له طشتا ويضعه على رأسه الى ان مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة . وقيل انه قتل مع مروان في مصر قال المسعودي انه رأى له عقبا بفسطاط مصر يعرفون ببني مهاجر وقد كان منهم عدة يكتبون لآل طولون . وكان أبو جعفر المنصور يقول : غلبنا بنو أمية بثلاثة أشياء بالحجاج وعبد الحميد والمؤذن البعلبكي .

وقيل لعبد الحميد : ماالذى مكنك من البلاغة قال : حفظ كلام الاصلع يعنى أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه • وقيل له أيما أحب اليك أخوك أم صديقك قال : انما أحب أخى اذا كان صديقى : وقالا كرموا الكتاب فان الله تعالى أجرى الارزاق على أيديهم • وقال : القلم شجرة ثمرتها الالفاظ والفكر بحر لؤلؤه الحكمة • ومن كلامه خير الكلام ما كان لفظه فحلا ومعناه بكرا

قال صاحب وفيات الاعيان وكان كثيرا ماينشد :

اذا خرج الكتاب كانت دويهم * قسيا وأقلام الدوى لها نبلا

ومما نقله عنه انه ساير يوما مروان بن محمد على دابة قد طالت مدتها فى ملكه فقال له مروان : قد طالت صحبة هذه الدابة لك فقال : ياأمير المؤمنين ان من بركة الدابة طول صحبتها وقلة علفها فقال له : فكيف سيرها فقال : همها أمامها وسوطها عنانها وماضربت قط الا ظلما

ولعبد الحميد كصديقه وضريعه عبد الله بن المقفع شعر نادر فمنه

كفى حزنا انى أرى من أحبه * قريبا ولا غير العيون تترجم

فاقسم لو أبصرتنا حين نلتقى * ونحن سكوت خلتنا نتكلم

هذا ما وصلنا من أخبار هذين الامامين ونحن نعلم ان ترجمتهما على ما أثبتناها هنا ليست مستوفاة من عامة وجوهها ولكن تلاوة كلامهما أحسن مترجم عنهما اذ كلام المرء قطعة من عقله •

القسم الاول

الادب الصغير

لابن المقفع

نشرهُ الأستاذ الشيخ طاهر الجزائري

(توطئة للناشر)

من أعظم ماتدعوالحاجة اليه علم تهذيب الاخلاق لتوقف نجاح الامم عليه وهوفن ذو أفنان تحتاج اليه الافراد على اختلاف طبقاتها ، ومع قلة ماانتشر من كتبه ففي جلها من عدم التنقيح وانسجام العبارات مايصد كثيرا من الطالبين عن الاقبال عليها ، ومن ثم كثر بحثنا عن كتب تفي بهذا المطلب مع رشاقة مبانيها لتكون الفائدة منه مزدوجة وهوأقصى آمال الذين يسعون فى احياء اللغة العربية واعادتها الى ما كانت عليه فى عهدها الاول .

ولما ذهبت الى مدينة بعلبك سنة ١٣٢٣ رأيت عند بعض الافاضل الواردين عليها مجموعا استعاره من بعض أعيانها فرأيت فيه الضالة المنشودة وهى رسالة الادب الصغير لعبد الله بن المقفع الكاتب الذى يضرب ببلاغته المثل فكتبتها بخطى فى نحو يوم وأرجوأن ييسر لنشرها من عرف بحسن الطبع ليعم بها النفع والله اوفق

وهذا بيان الرسائل التى فى المجموع المذكور (١) كتاب عجائب أمير المؤمنين على ابن أبى طالب رضى الله عنه وهوفى نحو ثلاث كراسات يشتمل على مانقل عنه من بدائع الاحكام (٢) ذكر الخلائف وعنوان المعارف تأليف الصاحب أبى القاسم اسماعيل بن عباد

أوله (الحمد لله الواحد العدل وصلى الله على النبي وخيرة الاهل قد أسمعتك بالمجموع الذى التمسته فى نسب النبي عليه السلام وبنيه وبناته وأعمامه وعماته وجمل من عز وآله وسائر مايتصل بذلك) وهو اثنتا عشرة ورقة وفى آخره وكتب فى رجب سنة عشرين وأربعمائة (٣) رسالة الى أحمد بن أبى دؤاد فى فضل العلم وهى ٣ أوراق وفى آخرها وكتب فى شهر ربيع الاول سنة عشرين وأربعمائة (٤) ويتلوها كتاب الادب الصغير الذى نقلناه وهو فى الصفحة اليسرى من آخر ورقة من الرسالة السابقة بخط كاتب واحد فتكون كتابتها فى التاريخ المذكور ولم يذكر فى آخرها تاريخ (٥) ويتلوه كتاب ذخائر الحكمة تأليف أبى بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدى وهو فى نحو ثلاث وعشرين ورقة (٦) مختصر من كتاب جاويدان خرد فى حكم الفرس والهند والروم والعرب تأليف أحمد بن مسكويه وهو فى أكثر من كراس .



بسم

بسم الله الرحمن الرحيم

أمَّا بَعْدُ فإنَّ لِكلِّ مخلوقٍ حاجةً [١] ولِكلِّ حاجةٍ غايةً ولِكلِّ غايةٍ سَبيلاً والله وَقَّتَ لِلأمُورِ أقدارها وهَيَّأَ الى الغاياتِ سُبُلَها وسَبَّبَ الحاجاتِ بِبلاغِها فغايةُ النَّاسِ وحاجاتُهم صَلاحُ المَعاشِ والمَعادِ . والسَّبيلُ الى دَرَكِها [٢] العَقلُ الصَّحيحُ . وأمارَةُ [٣] صِحَّةِ العَقلِ اختيارُ الأُمُورِ بالبَصَر . وتَنفيذ [٤] البَصَرِ بالعَزمِ . ولِلعقول سَجِيَّاتٌ [٥] وغَرائِز بِها تَقبَل الأدَبَ [٦] وبالأدب

(١) الحاجة المأربة والحاجة الاحتياج، والغاية مدى الشيء ونهايته وجمعها غايات وغاي، والسبيل الطريق يذكر و يؤنث ويجمع على سبل بضمتين ، والتوقيت تحديد الاوقات وكل شيء قدرت له حينا فقدوقته توقيتا وكذلك ماقدرت له غاية ، والوقت مقدار من الزمان مفروض لأمر ما، والامور جمع أمر بمعنى الحال والشأن، وهيأ بمعنى أصلح وأعد، والاقدار جمع قدر بفتح الدال وسكونها وقدر الشيء مبلغه والقدر أيضا مايقدره الله تعالى من القضاء ويحكم به من الامور ذكره ابن سيده ، وفي الاساس: والامور تجري بقدر الله ومقداره وتقديره واقداره ومقاديره اهـ فقوله وقت للامور اقدارها معناه انه تعالى جعل لهذه الحاجات أوقاتا محدودة لا تتعداها بمعنى انه خصص لكل حاجة وقتا معينا محدودا وحالا مخصوصا لا يكاد يجاوزه كما قال تعالى: انا كل شيء خلقناه بقدر (٢) الدرك بفتح الراء وسكونها الادراك (٣) الامارة بالفتح العلامة (٤) أي امراره وامضاؤه ، والعزم عقد الضمير على فعل الشيء (٥) جمع سجية، والغرائز جمع غريزة ، والسجية والغريزة والسليقة بمعنى الطبيعة (٦) في اللسان الادب الذي يتأدب به الاديب من الناس، سمي أدبا لانه يأدب الناس الى المحامد و ينهاهم عن القبائح ، وأصل الادب الدعاء ، والادب الظرف وحسن التناول . وفي المصباح أدبته أدبا من باب ضرب علمته رياضة النفس ومحاسن الاخلاق ، قال أبو زيد الادب يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الانسان

تَنمي [١] العقولُ وتَزكو فكما أنَّ الحبَّةَ المدفونةَ في الأرض لا تقدِرُ (ا) على أن تخلَعَ يُبْسَها وتظهرَ قوَّتَها وتَطلعَ فوقَ الأرض بزهرتِها ونَضرتِها [٢] وريعِها ونمائِها إلّا بمعونَةِ الماءِ الذي يغورُ إليها في مُستَودَعِها فيذهبُ عنها أذى اليُبْسِ والموْتِ ويحدثُ لها بإذْنِ الله القوَّةَ والحياةَ فكذلكَ سَليقةُ العَقلِ مكنونَةٌ في مغرزِها [٣] مِنَ القلبِ لا قوَّةَ لها ولا حياةَ بها ولا منفعةَ عِندَها حتَّى يعتملَها [٤] الأدبُ الذي هُوَ نَماؤها (ب) وحياتُها ولِقاحُها وجُلُّ الأدبِ بالمَنطقِ [٥] وكل (ج) المَنطق بالتَّعلُّمِ لَيْسَ حرْفٌ مِن حُرُوفِ مُعْجَمِهِ ولا اسْمٌ مِنْ أنْواعِ أسْمائِهِ الّا وهوَ مَرْوِيٌّ متعَلَّمٌ مَأخوذٌ عَنْ إمامٍ سابِقٍ مِنْ كلامٍ أوْ كِتابٍ وذلكَ دَليلٌ علي أنَّ النَّاسَ لَمْ يَبتَدِعُوا [٦] أُصُولَها ولَمْ يَأْتِهِمْ عِلمُها الّا مِنْ قِبَلِ العَليمِ الحَكيمِ

فإذْ (د) خرَجَ النّاسُ مِنْ أنْ يَكونَ لَهُمْ عَمَلٌ أصيلٌ وأنْ يقولُوا قَوْلاً بَدِيعاً فَلْيَعْلَمِ الواصِفُونَ المُخبِرُونَ أنَّ أحَدَهُمْ وإنْ أحْسَنَ وأبْلَغَ لَيْسَ زائِدًا على

في فضيلة من الفضائل، فالادب اسم لذلك والجمع آداب ،وذكر القرطبي في تفسيره ان الخلق في اللغة هو ما يأخذ الانسان به نفسه من الادب لانه يصير كالخلقة فيه فاما ما طبع عليه من الادب فهو الخيم وهو بالكسر السجية والطبيعة لا واحد له من لفظه فيكون الخلق الطبع المتكلف والخيم الطبع الغريزي اه (١) أي تكثر من باب رمى يرمى، وتزكو بمعناه أيضا (٢) النضرة الحسن والرونق، والريع النماء والزيادة ، والمستودع المكان الذي وضعت الحبة فيه (٣) المغرز بالكسر المكان الذي غرزت وأنبتت فيه (٤) الاعتمال افتعال من العمل يفيد معنى الاضطراب والحركة فيه (٥) مصدر ميمي و يراد به هنا الحاصل بالمصدر وهو الكلام (٦) البديع المخترع الذي لم يسبق له مثال

(ا) نسخة أحمد زكي باشا :لا تقدر أن تخلع (ب) خ نمارها (ج) خ وجل (د) خ فاذا ان

أنْ يَكُونَ كَصاحِبِ فُصُوصٍ (١) وَجَدَ ياقُوتاً وزَبَرْجَداً ومَرْجاناً فَنَظَمَهُ قَلائِدَ وَسُمُوطاً وأكالِيلَ ووَضَعَ كلَّ فصٍّ مَوْضِعَهُ وجَمَعَ الى كلِّ لَوْنٍ شَبَهَهُ مِمَّا يَزِيدُهُ بِذَلِكَ حُسْناً فَسُمِّيَ بذَلِكَ صائِغاً (ا) رَفِيقاً (٢) ـ وكَصاغَةِ (٣) الذَّهَبِ والفِضَّةِ صَنَعُوا منها ما يُعْجِبُ النّاسَ مِنَ الحُلِيِّ (٤) والآنِيَةِ ـ وكالنَّحْلِ وَجدَتْ ثَمَراتٍ أخْرَجَها اللهُ طَيِّبَةً وسَلَكَتْ سُبُلاً جَعَلَها اللهُ ذُلُلاً (٥) فَصارَ ذلكَ شِفاءً وطَعاماً وشَراباً مَنْسُوباً اليها مَذْكُوراً بِهِ أمْرُها وصَنْعَتُها فَمَنْ جرَى على لِسانِهِ كَلامٌ يَسْتَحْسِنُهُ أوْ يُسْتَحسَنُ منهُ فلا يُعْجَبَنَّ (٦) بِهِ إعْجابَ المُخْتَرِعِ المبتَدِعِ فإنَّهُ إنَّما (ب) اجْتَباهُ (٧) كما وَصَفْنا

ومَنْ أخَذَ كلاماً حسَناً عنْ غَيْرِهِ فتَكَلَّمَ بهِ في مَوْضِعِهِ (ج) على وَجْهِهِ فلا يُرَيَنَّ (د) عليهِ في ذَلكَ ضُؤُولَةٌ (٨) فإنَّهُ مَنْ أُعِينَ على حِفْظِ قَوْلِ (ه) المصيبينَ وهُدِيَ لِلاقْتِداءِ بالصّالِحِينَ ووُفِّقَ لِلأخْذِ عَنِ الحُكَماءِ فلا عليهِ أنْ

(١) جمع فص وهو حجر الخاتم ، والقلائد جمع قلادة بالكسر وهو الطوق الذى يعلق فى العنق ، والسموط جمع سمط بالكسر وهو القلادة، والاكاليل جمع اكليل بالكسر وهو شبه عصابة تزين بالجواهر والاكليل أيضا التاج (٢) الرفيق ضد الاخرق والاخرق هو الذى لا يحسن العمل (٣) جمع صائغ وزان كملة وكامل وهو الذى يهيئ الذهب والفضة على مثال مستقيم وحرفته الصياغة (٤) الحلى ما تتزين به المرأة من مصوغ المعدنيات أو الحجارة واحده حلى، والآنية جمع اناء كوعاء وزنا ومعنى (٥) جمع ذلول وهو السهل اللين الذى ليس بصعب (٦) بالبناء للمجهول يقال أعجب زيد بنفسه بالبناء للمجهول أيضا اذا ترفع وتكبر (٧) اصطفاه واختاره (٨) الضؤولة مصدر ضؤل رأيه يضؤل من باب كرم يكرم اذا صغر والضؤولة الهزال والنحافة

(ا) خ صانعا (ب) خ اجتناه (ج) خ موضعه وعلى وجهه (د) خ فلا ترين (ه) خ كلام

لا يَزدَادَ فَقَدْ بَلَغَ الغايَةَ ولَيْسَ بِناقِصِهِ في رَأيِهِ ولا (ا) بِغائِضِهِ [١] مِنْ حَقِّهِ أنْ لا يَكُونَ هُوَ استَحْدَثَ ذلكَ وسَبَقَ اليهِ وإنّما حَياةُ (ب) العَقْلِ الذي يَتِمُّ بِهِ ويَستَحْكِمُ خِصالٌ سِتٌّ: الإيثارُ [٢] بالمَحَبَّةِ. والمبالَغَةُ في الطَّلَبِ. والتَّثَبُّتُ في الاختيارِ. والاعتِقادُ لِلْخَيْرِ. وحُسْنُ (ج) الوَعْيِ [٣]. والتَّعَهُّدُ لِما اختِيرَ واعتُمِدَ. ووَضْعُ ذلكَ مَوْضِعَهُ قَوْلاً وعَمَلاً.

أمّا المَحَبَّةُ فإنّما يَبلُغُ (د) المَرْءُ مَبلَغَ الفَضْلِ فى كلِّ شَيْءٍ مِنْ أمْرِ الدُّنْيا والآخِرَةِ حِينَ يُؤْثِرُ بِمَحَبَّتِهِ فلا يَكُونُ شَيْءٌ أمْرَأَ [٤] ولا أحْلَى عندَهُ منهُ. وأمّا الطَّلَبُ فإنَّ الناسَ لا يُغنيهِمْ حُبُّهُمْ [٥] ما يُحِبُّونَ وهَواهُمْ ما يَهْوَوْنَ عَنْ طَلَبِهِ وابتِغائِهِ ولا يُدْرِكُ لَهُمْ بُغْيَتَهُمْ نَفاسَتُها في أنْفُسِهِمْ دُونَ الجِدِّ والعَمَلِ.

(١) عطف تفسير لناقصه اسم فاعل من غاض الشيء يغيض أى نقص يستعمل لازما ومتعديا (٢) مصدر آثر بمعنى أكرم وفضل واختار (٣) الوعى الحفظ، والتعهد التحفظ (٤) اسم تفضيل من مرؤ الطعام يمرؤ مراءة صار مريئا أى هنيئا حميد المغبة لا يثقل على المعدة بل ينحدر عنها طيبا (٥) حبهم مصدر مضاف الى فاعله، وما اسم موصول بمعنى الذى محله النصب مفعول المصدر ومثله وهواهم مايهوون، والضمير فى طلبه راجع الى ما فى الموضعين، وقوله وابتغائه هو بمعنى الطلب أيضا، والادراك اللحاق، والبغية بضم الباء وكسرها الحاجة والضمير فى نفاستها راجع للبغية، ونفاستها فاعل لايدرك قدم المفعول عليه لاتصال ضميره به، وقوله دون الجد والعمل حال من فاعل يدرك أو استثناء منقطع، والمعنى لايدرك لهم بغيتهم نفاستها حال كونها مجاوزة الجد والعمل أو لايدرك لهم ذلك غير الجد والعمل لكن الجد والعمل هو الذى يدرك لهم بغيتهم، قال أبو البقاء دون ظرف مكان مثل عند لكنه ينبئ عن دنو أى قرب كثير وانحطاط قليل يوجد كلاهما فى قولهم أدنى مكان من الشيء ثم اتسع فيه واستعمل فى انحطاط محسوس لا يكون فى المكان كقصر

(ا) خ بفارطه (ب) خ احياء (ج) خ الرعى (د) خ فانها تبلغ

واما

وأمَّا التَّثَبُّتُ والتَّخَيرُ فإنَّ الطَّلَبَ لا يَنفَعُ إلّا معَهُ وبهِ فَكَمْ مِنْ طالِبِ رشْدٍ[١] وَجَدَهُ والغيَّ معاً فاصطَفَى منهُما الذي منهُ هَرَبَ وأَلْغَى الذي اليهِ سَعَى . فاذا كانَ الطالِبُ يحْوي غيْرَ ما يُريدُ وهوَ لا يَشُكُّ بالظَّفَرِ فما أحقَّهُ بشِدَّةِ التَّبَيُّنِ وحُسْنِ الابتِغاء . وأمَّا اعتِقادُ الشَّيْءِ بعدَ استِبانَتِهِ فهُوَ ما يُطْلَبُ مِنْ إحْرازِ الفضْلِ بعدَ معْرِفَتِهِ . وأمَّا الحِفْظ والتَّعَهُّدُ فهُوَ تَمامُ الدَّرْكِ لِأنَّ الإنسانَ مُوَكَّلٌ بهِ النِّسْيانُ والغَفْلَةُ فلا بُدَّ لَهُ اذا اجْتَبَي[٢] صَوابَ قَوْلٍ أوْ فِعْلٍ مِنْ أنْ يحفَظَهُ عليهِ ذِهنُهُ لِأوانِ حاجَتِهِ . وأمَّا البَصَرُ بالمَوْضعِ فإنَّما تَصيرُ المَنافِعُ كلها الى وَضْعِ الأشياء مَواضِعَها وبِنا الى هذا كلّه حاجَةٌ شَديدَةٌ فإنَّنا لَمْ نُوضَعْ في الدُّنيا مَوْضِعَ (١) غَناء[٣] وخَفْضٍ ولكِنْ مَوْضِعَ فاقةٍ وكَدٍّ ولَسْنا الى ما يُمسِكُ بأرْماقِنا مِنَ المَطعَمِ والمَشْرَبِ بأحْوَجَ مِنَّا الى ما يُثَبِّتُ عقولَنا مِنَ الأدَبِ الذي بهِ تفاوُتُ العقُولِ . ولَيْسَ غِذاءُ الطَّعامِ بأسْرَعَ في نَباتِ الجَسَدِ مِنْ غِذاءِ الأدَبِ

القامة مثلا ثم استعير منه للتفاوت فى المراتب المعنوية تشبيها لها بالمراتب المحسوسة وشاع استعماله فيها أكثر من استعماله فى الاصل فقيل زيد دون عمرو فى الشرف ثم اتسع فى هذا المستعار فاستعمل فى كل تجاوز حد وتخطى حكم لى حكم وان لم يكن هنالك تفاوت وانحطاط وهو فى هذا المعنى مجاز فى المرتبة الثالثة وبهذا المعنى قريب من أن يكون بمعنى غير كأنه أداة الاستثناء نحو لا تتخذوا من دونه أولياء (١) الرشد الصلاح وهو اصابة الصواب ضد الغي وهو الضلال والخيبة والغي منصوب معطوف على ضمير وجده البارز ، واصطفى بمعنى اختار أى اختار من الرشد والغي الذى منه هرب لا من غيره وهو الغي ، وألغى أى ألقى وأبطل الذى اليه لا الى غيره سعى وهو الرشد وسبب ذلك عدم التثبت (٢) أى اصطفى (٣) الغناء بالمد والفتح النفع ، والخفض السعة فى العيش والفاقة الفقر والكد الشدة فى العمل وطلب الكسب ، والارماق جمع رمق محركتين بقية الحياة

---

(١) خ غنى

في نَباتِ العقلِ . ولَسنا بالكدِّ في طلبِ المتاعِ (١) الذي يُلتمَسُ بهِ دفعُ الضُّرِّ والعيلةِ (ا) بأحقَّ منّا بالكدِّ في طلبِ العلمِ الذي يُلتمَسُ بهِ صلاحُ الدِّينِ والدُّنيا

وقدْ وضعتُ في هذا الكتابِ منْ كلامِ الناسِ المحفوظِ حروفاً (٢) فيها عونٌ على عمارةِ القلوبِ وصقالها وتجليةِ أبصارِها وإحياءٌ للتفكيرِ وإقامةٌ للتدبيرِ ودليلٌ على محامدِ الأمورِ ومكارمِ الأخلاقِ إنْ شاء اللهُ

الواصفونَ أكثرُ منَ العارفينَ . والعارفونَ أكثرُ منَ الفاعلينَ . فلينظرِ امرؤٌ أينَ يضعُ نفسَهُ فإنَّ لكلِّ امرئٍ لمْ تدخلْ عليهِ آفةٌ نصيباً منَ اللبِّ (٣) يعيشُ بهِ لا يحبُّ أنَّ لهُ بهِ منَ الدُّنيا ثمنًا . وليسَ كلُّ ذي نصيبٍ منَ اللبِّ بمستوجبٍ أنْ يُسمّى في ذوي الألبابِ ولا أنْ يُوصفَ بصفاتِهمْ . فمنْ رامَ أنْ يجعلَ نفسَهُ لذلكَ الاسمِ والوصفِ أهلاً فليأخذْ لهُ عتادَهُ (٤) وليُعِدَّ لهُ طولَ أيّامِهِ وليؤثرْهُ على أهوائِهِ فإنَّهُ قدْ رامَ أمرًا جسيمًا لا يَصلحُ على الغفلةِ ولا يُدركُ بالمعجزةِ (٥) ولا يَصبرُ على الأثرةِ وليسَ كسائرِ أمورِ الدُّنيا وسلطانِها ومالِها وزينتِها التي قدْ يُدركُ منها المتواني (٦) ما يفوتُ المثابرَ ويصيبُ منها العاجزُ ما يُخطئُ الحازمَ

(١) ما يتمتع به من الحوائج ، والعيلة الفقر (٢) للحرف عدة معان منها الطرف وحروف الهجاء والناقة الضامرة ويستعمل فى معنى الكلمة وهو المراد هنا (٣) اللب بالضم العقل وجمعه الباب ولم يذكر فى القرآن الا جمعه (٤) العتاد كسحاب العدة بالضم يقال أخذ للأمر عتاده وهو ما أعده من السلاح والدواب وآلة الحرب (٥) أى العجز (٦) أى المقصر والمثابر المواظب والحازم الضابط لامره الآخذ بالثقة والمعنى ان العاجز الضعيف

(ا) خ دفع الضرر والغلبة

وليعلم أنّ على العاملِ (ا) أُمورًا اذا ضيّعها حكمَ عليه عقلُه بمقارنةِ الجهّالِ فعلى العاملِ أنْ يعلمَ أن النّاسَ مشتركون مستوون في الحبِّ لما يُوافِقُ والبُغضِ لما يُؤذِي وأنَّ هذهِ منزلةٌ اتّفقَ عليها الحمقى (١) والاكياسُ ثمّ اختلفوا بعدها في ثلاثِ خِصالٍ هُنَّ جماعُ (٢) الصّوابِ وجماعُ الخطأِ وعندهُنَّ تفرّقتِ العلماء والجهّالُ والحزمةُ والعجزةُ

الباب الأولُ من ذلك

أنَّ العاقلَ ينظرُ فيما يؤذيهِ وفيما يسرُّهُ فيعلمُ أنَّ أحقَّ ذلكَ بالطّلبِ إنْ كانَ ممّا يُحبُّ وأحقَّهُ بالاتّقاءِ إنْ كانَ ممّا يُكرَهُ أطولُهُ (٣) وأدومُهُ وأبقاه فاذا (٤) هوَ قدْ أبصرَ فضلَ الآخرةِ على الدُّنيا وفضلَ سُرُورِ المُرُوءةِ على لذةِ الهوى وفضلَ الرَّأيِ الجامعِ العامّ الذي تصلحُ بهِ الأنفسُ والأعقابُ على حاضرِ الرَّأيِ الذي يُستمتَعُ بهِ قليلاً ثمَّ يضمحلُّ وفضلَ الأكلاتِ على الأكلةِ والسّاعاتِ على السّاعةِ

﴿ والبابُ الثاني ﴾ أنْ ينظرَ فيما يُؤثَرُ منْ ذلكَ فيضعَ الرَّجاءَ والخوفَ فيهِ موضعهُ فلا يجعلُ اتّقاءهُ لغيرِ المخوفِ ولا رجاءهُ في غيرِ المُدرَكِ فيتركَ (ب) عاجلَ اللَّذّاتِ طلبًا لآجلِها ويحتملَ قريبَ الأذى توقّيًا لبعيدِه فاذا صارَ الى

قد يدرك من الدنيا مالا يدركه الحازم (١) جمع أحمق وهو فاسد العقل والاكياس جمع كيس اسم فاعل وزان جيد وأجياد وهو ضد الاحمق (٢) جماع الشيء بالكسر جمعه والحزمة جمع حازم والعجزة جمع عاجز (٣) خبران فى قوله ان أحق ذلك بالطلب (٤) اذاهنا للمفاجأة فتختص بالجملة الاسمية ولاتحتاج لجواب ولاتقع

(ا) خ العاقل (ب) خ فيتوقى

العاقبة بَدَا لَهُ أنَّ فِرارَه كانَ تَوَرُّطًا [١] وأنَّ طَلَبَهُ كانَ تَنَكُّبًا [٢]

﴿ والبابُ الثالثُ مِنْ ذلكَ ﴾ هوَ تنفيذُ البصَرِ بالعَزْمِ بعدَ المَعرِفَةِ بفَضْلِ الذي هُوَ أدْوَمُ وبَعْدَ التَّثَبُّتِ في مَوَاضِعِ الرَّجاءِ والخَوْفِ فانَّ طالبَ الفَضْلِ بغَيْرِ بَصَرٍ تائهٌ حَيْرانُ ومُبْصِرَ الفَضْلِ بغَيْرِ عَزْمٍ ذُو زَمانَةٍ [٣] محْرُومٌ . وعلى العاقِلِ مُخاصَمَةُ نفسِهِ ومُحاسَبَتُها والقَضاءُ عليها (ا) والإبانَةُ [٤] لها والتنْكيلُ بها

أمَّا المُحاسَبَةُ فَحاسِبُها بمالِها فإنَّهُ لا مالَ لَها إلّا أيّامُها المَعْدُودَةُ الّتي ماذهَبَ منها لَمْ يُستَخْلَفْ كما تُستَخْلَفُ النَّفَقَةُ وما جُعِلَ منها في الباطِلِ لَمْ يَرْجِعْ الى الحَقِّ فيَتَنَبَّهُ لِهذِهِ المُحاسَبَةِ عندَ الحَوْلِ اذا حالَ والشَّهْرِ اذا انقَضَى واليَوْمِ اذا وَلَّى فينظُرُ فيما أفْنَى مِنْ ذَلِكَ وما كَسَبَ لنَفْسِهِ فيهِ وما اكْتَسَبَ [٥] عليها في أمْرِ الدِّينِ وأمْرِ الدُّنْيا فيَجْمَعُ ذلكَ في كِتابٍ فيه إحْصاءٌ وجِدٌّ وتَذْكيرٌ (ب) وتَبْكِيتٌ لِلنَّفْسِ وتَذْليلٌ لهَا حَتّى تَعْتَرِفَ وتُذْعِنَ

في ابتداء الكلام ومعناها الحال كذا فى القاموس (١) أى وقوعا فى أمر شاق يعسر التخلص منه (٢) أى تجنبا وعدولا عن منهج الصواب (٣) الزمانة الكساحة ورجل زمن أى كسيح مقعد (٤) الابانة الاظهار والكشف أى أن يظهر ويكشف لها ماسلف منها من خير أو شر ثم يسرها أو يعاقبها ويوبخها (٥) الكسب والاكتساب الجمع والربح كلاهما مستعمل فى الخير والشر وقد يخص الكسب فى عمل الخير والاكتساب فى عمل الشر وذلك عند تقارنهما فتستعمل اللام فى الأول وعلى فى الثانى لأن اللام للخير وعلى للمضرة فى الاكثر وانما خص الاكتساب بالشر لان فيه اعتمالا والنفس تشتهى الشر وتنجذب اليه فكانت أجد فى تحصيله

(ا) خ الانابة (ب) خ وتذكير للأمور

واما

وأمَّا الخُصُومَةُ فإنّ مِنْ طِباعِ النَّفْسِ الأَمَّارَةِ بالسُّوءِ أنْ تدَّعِيَ المَعاذِيرَ [١] فِيما مَضَى والأَمانِيَّ [٢] فِيما بَقِيَ فَيرُدُّ عليها مَعاذِيرَها وعِلَلَها وشُبُهاتِها

وأما القَضاءُ فانَّهُ يحْكُمُ فِيما أرادتْ مِنْ ذَلِك على السَّيِّئَةِ بانَّها فاضِحَةٌ مُرْدِيَةٌ [٣] مُوبِقَةٌ ولِلْحَسَنَةِ بأنَّها زائِنَةٌ مُنْجِيَةٌ مُرْبِحَةٌ . وأمَّا الإبانَةُ والتَّنْكِيلُ فإنهُ يَسُرُّ نَفْسَهُ بتَذَكُّرِ تِلْكَ الحَسَناتِ ويَرْجُو (ا) عَوَاقِبَها وتأمِيلَ فَضْلِها ويُعاقِبُ نَفْسَهُ بالتَّذَكُّرِ لِلسَّيِّئاتِ (ب) والبَشَعِ [٤] بِها والِاقْشِعْرارِ مِنْها والحُزْنِ لَها فَأَفْضَلُ ذَوِي الأَلْبابِ أشَدُّهُمْ لِنَفْسِهِ بِهذا أخْذًا وأقَلُّهُمْ عَنْها فَتْرَةً . وعلى العاقِلِ أنْ يَذْكُرَ المَوْتَ في كلِّ يَوْمٍ ولَيْلَةٍ مِرارًا ذِكْرًا يُباشِرُ القُلوبَ ويَقْدَعُ [٥] الطِّماحَ فإنَّ في كَثْرَةِ ذِكْرِ المَوْتِ عِصْمَةً مِنَ الأَشَرِ [٦] وأمانًا بإذْنِ اللهِ مِنَ الهَلَعِ

(١) أى ماتعتذر به جمع معذرة على غير قياس وقيل ليست جمع معذرة بل اسم جمع لها ونحوه المناكير فى المنكر ، وفى القاموس المعاذير جمع معذار بكسر الميم وهى الستور والحجج (٢) جمع أمنية بضم الهمزة مايتمناه الانسان ويشتهيه وتأتى لمعنى الكذب ولمعنى القراءة وليسا بمرادين هنا والياء فيهما مشددة ومخففة والجمع تابع لها فى التشديد والتخفيف (٣) أى مهلكة من أرداه ، وموبقة أى مهلكة أيضا (٤) البشع والبشاعة مصدر بشع كفرح يقال طعام بشع فيه كراهة ومرارة ، ورجل بشع اذا تغيرت ريح فمه ويقال بشع بالأمر كفرح اذا ضاق به ذرعا (٥) فى القاموس قذعه كمنعه رماه بالفحش وسوء القول كأقذعه وبالعصا ضربه ، والطماح ككتاب النشوز والجماح ولا يناسب الطماح من معانى القدع الا الاخير على بعد والاقرب أن يكون يقدع بالدال المهملة يقال قدعه منعه وكفه ، وقدع فرسه كبحه فتأمل (٦) الاشر البطر ، أو الهلع أفحش الجزع الذى هو ضد الصبر

(ا) خ رجاء (ب) خ التبشع بها

وعلى العاقِلِ أنْ يُحْصِيَ على نفْسِهِ مَساوِيَها في الدِّينِ وفي الرَّأْيِ وفي الأخلاقِ وفي الآدابِ فيَجمعَ ذلِكَ كُلَّهُ في صَدْرٍ أوْ في كِتابٍ ثُمَّ يُكْثِرَ عَرْضَهُ على نفْسِهِ ويُكَلِّفَها إصْلاحَهُ ويُوَظِّفَ ذَلِكَ عَلَيْها تَوْظِيفاً مِنْ إِصْلاحِ الخَلَّةِ (١) أو الخَلَّتَيْنِ والخِلالِ في اليَوْمِ أو الجُمْعَةِ أوْ الشَّهْرِ فَكُلَّما أصْلَحَ شَيْئاً مَحاهُ وَكُلَّما نَظَرَ إِلى (ا) ثابِتٍ اكْتَأَبَ (٢)

وعلى العاقِلِ أنْ يَتفَقَّدَ مَحاسِنَ (٣) النَّاسِ ويَحْفَظَها ويُحْصِيَها ويَصْنَعَ في تَوْظِيفِها على نَفْسِهِ وتَعَهُّدِها بِذلِكَ مِثْلَ الذي وَصَفْنا في إِصْلاحِ المَساوِي

وعلى العاقِلِ أنْ لا يُخادِنَ (٤) ولا يُصاحِبَ ولا يُجاوِرَ مِنَ النَّاسِ ما اسْتَطاعَ إِلَّا ذا فَضْلٍ في الدِّينِ والعِلْمِ والأَخلاقِ فيَأْخُذَ عنهُ أوْ مُوافِقاً لهُ على صَلاحِ ذَلِكَ فيُؤَيِّدَ ما عِنْدَهُ وإِنْ لمْ يَكُنْ لهُ عليهِ فَضْلٌ فإِنَّ الخِصالَ الصَّالِحَةَ مِنَ البِرِّ (٥) لا تَحْيا ولا تَنْمِي إِلَّا بالمُوافِقِينَ والمُهَذِّبِينَ والمُؤَيِّدِينَ ولَيْسَ لِذي الفَضْلِ قَرِيبٌ ولا حَمِيمٌ (٦) هُوَ أقْرَبُ إِلَيْهِ وأحَبُّ مِمَّنْ وافَقَهُ على صالِحِ الخِصالِ فَزادَهُ وثَبَّتَهُ ولِذلِكَ زَعَمَ بَعْضُ الأَوَّلِينَ أنَّ صُحْبَةَ بَلِيدٍ نَشَأَ مَعَ العُلَماءِ أحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ صُحْبَةِ لَبِيبٍ نَشَأَ مَعَ الجُهَّالِ

وعلى العاقِلِ أنْ لا يَحْزَنَ على شَيْءٍ فاتَهُ مِنَ الدُّنْيا أوْ تَوَلَّى وأنْ يُنْزِلَ ما أصابَ (ب)

---

(١) الخصلة (٢) حزن واغتم (٣) جمع حسن بالضم على غير قياس ، والمساوى النقائص والعيوب جمع مساءة (٤) أى يصادق والخدن الصديق (٥) البر بالكسر الخير والطاعة والصدق والاتساع فى الاحسان (٦) حميمك قريبك الذى تهتم لأمره ، والحميم الماء الحار والماء البارد

(ا) خ نظر الى محو استبشر وكلما نظر الى (ب) خ ما أصابه

من

مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ انقطع عَنهُ مَنزِلَةَ مالمْ يُصِبْ ويُنزِلَ ماطَلَبَ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ لَمْ يَدرِ كْهُ مَنزِلَةَ مالمْ يَطلُبْ ولاَ يَدَعْ حَظَّهُ مِنَ السُّرُور بِمَا أقبَلَ مِنها ولاَ يَبلُغَنَّ (ا) سُكرًا ولاَ طُغياناً فإِنَّ مَعَ السُّكرِ النِّسيانَ ومَعَ الطُّغيانِ التَّهاوُنَ ومَنْ نَسِيَ وتهاوَنَ خَسِرَ

وعلى العاقِلِ أنْ يُؤنِسَ ذَوِي الألبابِ بِنفْسِهِ ويُجرِّئَهُمْ عليها حَتَّى يَصِيرُوا حَرَساً على سَمْعِهِ وبَصَرِهِ ورَأْيِهِ فيَستَنِيمُ إلى ذَلِكَ ويُرِيحُ لَهُ قَلبَهُ ويَعْلَمُ أنَّهُمْ لا يَغفُلُونَ عنهُ اذا هُوَ غَفَلَ عَنْ نَفْسِهِ

وعلى العاقِلِ مالمْ يَكنْ مَغلُوباً على نَفْسِهِ أنْ لا يَشغَلَهُ شُغْلٌ عَنْ أربَعِ ساعاتٍ ساعَةٍ يَرْفَعُ فِيها حاجَتَهُ إلى رَبِّهِ وساعَةٍ يُحاسِبُ فِيها نَفْسَهُ وساعَةٍ يُفضِي فِيها إلى إخوَانِهِ وثِقاتِهِ الّذِينَ يَصْدُقُونَهُ عَنْ عُيُوبِهِ ويَنْصَحُونَهُ في أمْرِهِ وساعَةٍ يُخَلِّي فِيها بَيْنَ نَفْسِهِ وبَيْنَ لَذَّتِها مِمَّا يَحِلُّ ويَجمُلُ فإِنَّ هذِهِ (ب) السَّاعاتِ عَوْنٌ على السَّاعاتِ الأُخَرِ وإِنَّ استِجمامَ القلوبِ [1] وتَوْدِيعَها زِيادَةُ قُوَّةٍ لَها وفَضلُ بُلْغَةٍ . وعلى العاقِلِ أنْ لا يَكونَ رَاغِباً إلّا في إحْدَى ثَلاثِ خِصالٍ تَزَوُّدٍ لِمَعادٍ أوْ مَرَمَّةٍ [2] لِمَعاشٍ أوْ لَذَّةٍ في غَيرِ مُحَرَّمٍ

وعلى العاقِلِ أنْ يَجعَلَ النَّاسَ طَبقَتَيْنِ مُتَبايِنَتَيْنِ ويَلْبَسَ لهمْ لِباسَيْنِ مُختَلِفَيْنِ فَطَبَقَةٌ مِن العامَّةِ يَلْبَسُ لهُمْ لِباسَ انقِباضٍ وانحِجازٍ وتَحَرُّزٍ وتَحَفُّظٍ

(١) أى اراحتها يقال أجمّ نفسك يوماً أو يومين أرحها ، وأجم نفسك و يقال انى لأستجم قلبى بشئ من اللهو لأقوى به على الحق ، والجمام بالفتح الراحة ويقال أجم الماء وجمه تركه يجتمع ، والتوديع الترك (٢) ما يكفى فى المعاش

(ا) خ ولا يبلغن ذلك سكرا (ب) خ الساعة

في كلِّ كلمةٍ وخطوةٍ وطبقةٌ من الخاصةِ يخلعُ عندهم لباسَ التشدُّدِ ويلبسُ لباسَ الأنسةِ واللطفِ والبذلةِ والمفاوضةِ ولا يدخلُ في هذه الطبقةِ إلّا واحدٌ من ألفٍ كلُّهم ذو فضلٍ في الرأي وثقةٍ في المودّةِ وأمانةٍ في السرِّ ووفاءٍ بالإخاء

وعلى العاقلِ أن لا يستصغرَ شيئاً من الخطإِ في الرأي والزللِ في العلمِ والإغفالِ في الأمورِ فإنَّ من استصغرَ الصغيرَ أوشكَ أنْ يجمعَ إليه صغيراً وصغيراً فإذا الصغيرُ كبيرٌ وإنَّما هي ثُلَمٌ (١) يثلمها العجزُ والتضييعُ فإذا لم تُسدّ أوشكت أنْ تنفجرَ بما لا يُطاقُ ولم نرَ شيئاً قطُّ قد أُتيَ إلّا من قِبَلِ الصغيرِ المتهاوَنِ به

قد رأينا الملكَ يُؤتى من قِبَلِ العدوِّ المُحتقَرِ ورأينا الصحّةَ تؤتى من الداء الذي لا يُحفَلُ به (٢) ورأينا الأنهارَ تنبثقُ (٣) من الجدولِ الذي يُستخفُّ به وأقلُّ الأمورِ احتمالاً للضياعِ المُلكُ لأنَّهُ ليسَ منهُ شيءٌ يَضيعُ وإنْ كانَ صغيراً إلّا اتّصلَ بآخرَ يكونُ عظيماً

وعلى العاقلِ أنْ يجبُنَ (١) عن الرأي الذي لا يجدُ عليه موافقاً وإنْ ظنَّ أنّه على اليقين

وعلى العاقلِ أنْ يعرفَ أنَّ الرأيَ والهوى متعاديانِ وأنَّ من شأنِ الناسِ تسويفَ (٤) الرأي وإسعافَ (٥) الهوى فيُخالِفَ ذلكَ ويلتمسَ أن لا يزالَ هواهُ مُسوَّفاً ورأيُه مُسعَفاً

---

(١) جمع ثلمة كغرف وغرفة وهي الخلل في الحائط وغيره (٢) أي لا يبالي به (٣) أي تنفجر (٤) أي المطل (٥) أي مساعدته يقال أسعفه بحاجته اذا قضاها له

---

(١) خ يجبن عن المضيّ على الرأي

وعلى

وعلى العاقل إذا اشتبه عليه أمران فلم يدر في أيهما الصواب أن ينظر أهواهما عنده فيحذره. من نصب نفسه للناس اماماً في الدين فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه وتقويمها في السيرة والطعمة [١] والرأى واللفظ والأخدان فيكون تعليمه بسيرته أبلغ من تعليمه بلسانه فإنه كما أن كلام الحكمة يؤنق [٢] الأسماع فكذلك عمل الحكمة يروق العيون والقلوب ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال والتفضيل من معلم الناس ومؤدبهم

ولاية الناس بلاء عظيم

وعلى الوالي أربع خصال هي أعمدة السلطان [٣] وأركانه التي بها يقوم وعليها يثبت — الإجتهاد في التخير — والمبالغة في التقدم — والتعهد [٤] الشديد — والجزاء العتيد [٥]

أما التخير للعمال والوزراء فإنه نظام الأمر ووضع مؤنة البعيد المنتشر فإنه عسى أن يكون بتخيره رجلا واحدا قد اختار ألفا لأنه من كان من العمال خيارا فسيختار كما اختير ولعل عمل (ا) العامل وعمل عماله يبلغون عددا كثيرا فمن تبين التخير فقد أخذ بسبب وثيق [٦] ومن

---

(١) أي المأكلة (٢) أي يعجب والتأنيق التعجيب ، ويروق أي يعجب من الروق وهو الاعجاب بالشئ (٣) الولاية والسلطنة والسلطان أيضا الوالى مشتق من السلاطة التي هي القهر والغلبة وهو بهذا المعنى مذكر لانه أريد به الشخص ، وقيل انه جمع سليط مثل رغيف ورغفان ، والسليط الدهن واشتقاقه منه لاضاءته فكأنه نور يضيء به الملك لانه يرفع عن الخلق ظلام الظلم وينيرهم بنور العدل (٤) أي التفقد والتحفظ بالشئ وتجديد العهد به (٥) أي الحاضر المهيأ (٦) أي محكم

(ا) خ عمال العامل وعمل عماله

أسَّسَ أمْرَهُ على غَيْرِ ذلِكَ لمْ تَجِدْ لِبُنْيانِهِ (ا) قِوَاماً [١] وأمَّا التَّقْدِيمُ والتَّوْكيلُ (ب) فإنَّهُ ليْسَ كلُّ ذِي أبٍ أوْ ذِي أمانَةٍ يَعْرِفُ وُجُوهَ الأُمُورِ والأَعْمالِ ولوْ كانَ بِذَلِكَ عارِفاً لمْ يَكُنْ صاحِبُهُ حَقِيقاً أنْ يَكِلَ ذلِكَ إلي عِلْمِهِ دُونَ تَوْقِيفِهِ عَلَيْهِ وتَنْبِيهِهِ لهُ والاحْتِجاجِ بِهِ عَلَيْهِ وأمَّا التَّعَهُّدُ فإنَّ الوَالِيَ اذا فعَلَ ذَلِكَ كانَ سَمِيعاً بَصِيرًا وَان العامِلَ اذا فعلَ ذَلِكَ بِهِ كانَ مُتَحَصِّنًا حَرِيزًا وأمَّا الجَزَاءُ فإنَّهُ تَثْبِيتُ المُحْسِنِ والرَّاحَةُ مِنَ المُسِيءِ

لاَ يُسْتَطاعُ السُّلْطانُ الّا بالوُزَرَاءِ والأَعْوَانِ ولا تَنْفَعُ الوُزَرَاءُ الّا بالمَوَدَّةِ والنَّصِيحَةِ ولا المَوَدَّةُ إلّا مَعَ الرَّأْيِ والعَفافِ وأعْمالُ السُّلْطانِ كَثِيرَةٌ وقلَّما تُسْتَجمَعُ الخِصالُ المَحْمُودَةُ عِنْدَ أحَدٍ وإنَّما الوَجْهُ في ذلِكَ والسَّبِيلُ الَيْهِ الَّذِي يَسْتَقِيمُ بِهِ العَمَلُ (ج) أنْ يَكُونَ صاحِبُ السُّلْطانِ عالِماً بأُمُورِ مَنْ يُرِيدُ الاسْتِعانَةَ بِهِ وما [٢] عِنْدَ كُلِّ رَجلٍ مِنَ الرَّأْيِ والغَناءِ وما فِيهِ مِنَ العُيُوبِ فإذا اسْتَقَرَّ ذلِكَ عِنْدَهُ عَنْ عِلْمِهِ وعِلْمِ مَنْ يأمَنُ وَجَّهَ لِكُلِّ عَملٍ مَنْ قَدْ عَرَفَ أنَّ عِنْدَهُ مِنَ الرَّأْيِ والنَّجْدَةِ [٣] والأمانَةِ مايَحْتاجُ اليْهِ فِيهِ وأنَّ ما فِيهِ مِنَ العُيُوبِ لا يَضُرُّ بِذَلِكَ وَيَتَحفَّظُ مِنْ أنْ يُوَجِّهَ أحَدًا وَجْهاً لايَحْتاجُ فِيهِ الي مُرُوءةٍ انْ كانَتْ عِنْدَهُ ولا يَأمَنُ عُيُوبَهُ وما يُكْرَهُ مِنْهُ

---

(١) قوام الامر عماده وانتظامه (٢) اسم موصول محله الجر عطفا على أمور رأى وعالما بالذى عنده كل رجل ، وقوله من الرأى والغناء بيان لما ، والغناء بالفتح النفع وما الثانية عطف على الاولى (٣) الشجاعة

(ا) خ لم يجد لبنائه (ب) خ والتوكيد (ج) خ الذى به يستقيم العمل

ثمَّ على المُلوكِ بَعْدَ ذلِكَ تَعَهُّدُ عُمَّالِهِمْ وتَفَقُّدُ امُورِهِمْ حتّى لا يَخْفَى عَلَيْهِمْ اِحْسانُ مُحْسِنٍ ولا إساءةُ مُسِيءٍ

ثمَّ عَلَيْهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ أنْ لا يَتْرُكُوا مُحْسِناً بِغَيْرِ جَزاءٍ ولا يقِرُّوا مُسِيئاً ولا عاجِزاً على الإِساءةِ والعجز فإنَّهُمْ إنْ تَرَكُوا ذلِكَ تهاوَنَ المحْسِنُ واجْتَرأَ المُسِيءُ وفَسَدَ الأَمْرُ وضاعَ العَمَلُ .

اِقتِصادُ السَّعْيِ أبْقَى لِلجَمامِ (١) وفي بُعْدِ الهِمَّةِ (٢) يكُونُ النَّصَبُ وَمَنْ سأَلَ فوْقَ قَدْرِهِ اِستَحقَّ الحِرْمانَ .

سُوءُ حَمْلِ الغِنَى أنْ يَكُونَ عِنْدَ الفَرَحِ مَرَحاً . وسُوءُ حَمْلِ الفاقَةِ أنْ يَكُونَ عِنْدَ الطَّلَبِ شَرَهاً . وَعارُ الفَقْرِ أهْوَنُ مِنْ عارِ الغِنَى . وَالحاجَةُ مَعَ المَحَبَّةِ خَيْرٌ مِنَ الغِنَى مَعَ البِغْضَةِ (٣) . وَالدُّنْيا دُوَلٌ فَما كانَ مِنْها لَكَ أتاكَ على ضَعْفِكَ وما كانَ عَلَيْكَ لم تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ . اذا جُعِلَ الكَلامُ مَثَلاً كانَ أوْضَحَ لِلْمَنْطِقِ وَأبْيَنَ في المَعْنَى وَآنَقَ (٤) لِلسَّمْعِ وَأوْسَعَ لِشُعُوبِ (٥) الحَدِيثِ

أشَدُّ الفاقَةِ (٦) عَدَمُ العَقْلِ . وَأشَدُّ الوَحْدَةِ وَحْدَةُ اللَّجُوجِ (٧) . ولاَ مالَ أفضَلُ مِنَ العَقْلِ . ولا أُنْسَ آنَسُ مِنَ الاسْتِشارَةِ

---

(١) الاقتصاد والقصد التوسط وطلب الاسدّ وعدم مجاوزة الحد وهو ضد الافراط والتفريط والجمام كسحاب الراحة (٢) الهمة بالكسر والفتح القصد والعزم على فعل الشيء وجمعها هِمم ، وهم بالشيء أراد أن يفعله وقصد له ، ويقال فلان بعيد الهمة ، و بعد الهمة مجاوزة الحد في القصد (٣) البغضة بالكسر شدة البغض كالبغضاء (٤) أى أحسن وأعجب (٥) أى لشجونه وفنونه (٦) الفقر والحاجة ، وافتاق افتياقا احتاج (٧) أى المخاصم المتمادى فى الخصومة

مِمَّا يُعْتَبَرُ بِهِ صَلَاحُ الصَّالِحِ وَحُسْنُ نَظَرِهِ لِلنَّاسِ أَنْ يَكُونَ إِذَا اسْتَعْتَبَ(١) الْمُذْنِبُ سَتُورًا لَا يُشِيعُ (ا) وَإِذَا اسْتُشِيرَ سَمْحًا بِالنَّصِيحَةِ مُجْتَهِدًا لِلرَّأْيِ وَإِذَا اسْتَشَارَ مُطَّرِحًا لِلْحَيَاءِ (ب) وَمُعْتَرِفًا لِلْحَقِّ

(٢) الْقِسْمُ الَّذِي يُقْسَمُ لِلنَّاسِ وَيُمَتَّعُونَ بِهِ نَحْوَانِ (٣) فَمِنْهُ حَارِسٌ وَمِنْهُ مَحْرُوسٌ فَالْحَارِسُ الْعَقْلُ وَالْمَحْرُوسُ الْمَالُ

وَالْعَقْلُ بِإِذْنِ اللهِ هُوَ الَّذِي يُحْرِزُ الْحَظَّ وَيُؤْنِسُ الْغُرْبَةَ وَيَنْفِي الْفَاقَةَ وَيُعَرِّفُ النَّكِرَةَ وَيُثَمِّرُ الْمَكْسَبَةَ وَيُطَيِّبُ الثَّمَرَةَ وَيُوَجِّهُ السُّوقَةَ (٤) عِنْدَ السُّلْطَانِ وَيَسْتَنْزِلُ لِلسُّلْطَانِ نَصِيحَةَ السُّوقَةِ وَيُكْسِبُ الصَّدِيقَ وَيَنْفِي الْعَدُوَّ

كَلَامُ اللَّبِيبِ وَإِنْ كَانَ نَزْرًا (٥) أَدَبٌ عَظِيمٌ وَمُقَارَفَةُ (٦) الْمَأْثَمِ وَإِنْ كَانَ مُحْتَقَرًا مُصِيبَةٌ جَلِيلَةٌ وَلِقَاءُ الْإِخْوَانِ وَإِنْ كَانَ يَسِيرًا غُنْمٌ حَسَنٌ .

قَدْ يَسْعَى إِلَى أَبْوَابِ السُّلْطَانِ أَجْنَاسٌ مِنَ النَّاسِ كَثِيرًا أَمَّا الصَّالِحُ فَمَدْعُوٌّ وَأَمَّا الطَّالِحُ فَمُقْتَحِمٌ (٧) وَأَمَّا ذُو الْأَدَبِ فَطَالِبٌ وَأَمَّا مَنْ لَا أَدَبَ لَهُ (ج) فَمُحْتَبَسٌ(٨) وَأَمَّا الْقَوِيُّ فَمُدَافِعٌ وَأَمَّا الضَّعِيفُ فَمَدْفُوعٌ وَأَمَّا الْمُحْسِنُ فَمُسْتَثِيبٌ (٩) وَأَمَّا الْمُسِيءُ فَمُسْتَجِيرٌ فَهُوَ مَجْمَعُ الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ وَالْعَالِمِ وَالْجَاهِلِ

(١) أي طلب الاعتاب واستقال من الذنب (٢) أي النصيب (٣) النحو الطريق والجهة والقصد (٤) السوقة عند العرب خلاف الملك يطلق على الواحد والمثنى والمجموع وربما جمع على سوق كغرفة وغرف كذا في المصباح (٥) أي قليلا (٦) أي مخالطة الذنب وان كان أي الذنب محتقرا مصيبة عظيمة (٧) أي داخل أبواب السلطان ورام بنفسه اليها من غير روية (٨) أي ممنوع من الدخول (٩) أي طالب الاثابة منهم

(ا) خ لا يشيع ولا يذيع (ب) خ مطرحا للحياء منفذا للحزم معترفا (ج) خ فمختلس والشريف

وَالشَّرِيفِ وَالوَضِيعِ

النَّاسُ الَّا قَلِيلاً مِمَّنْ عَصَمَ اللّهُ مَدْخولونَ في أُمُورِهِمْ[١] فَقائِلُهُمْ باغٍ[٢] — وَسامِعُهُمْ عَيَّابٌ[٣] — وسائِلُهُمْ مُتعَنِّتٌ — وَمُجِيبُهُمْ مُتَكَلِّفٌ — وَوَاعِظُهُمْ غَيْرُ مُحَقِّقٍ لِقَوْلِهِ بِالفِعْلِ — وَمَوْعُوظُهُمْ غَيْرُ سَلِيمٍ مِنَ الاِسْتِخْفافِ — والأَمِينُ مِنْهُمْ غَيْرُ مُتَحَفِّظٍ مِنْ إِتْيانِ الخِيانَةِ — وَذُو الصِّدْقِ (ا) غَيْرُ مُحْتَرِسٍ مِنْ حَدِيثِ الكَذَبَةِ — وَذُو الدِّينِ غَيْرُ مُتَوَرِّعٍ عَنْ تَفْرِيطِ الفَجَرَةِ — والحازِمُ[٤] مِنْهُمْ غَيْرُ تارِكٍ لِتَوَقُّعِ الدَّوَائِرِ — يَتَنَاقَضُونَ[٥] البُنَى — ويَتَرَقَّبُونَ[٦] الدُّوَلَ — ويَتَعاطَوْنَ القَبِيحَ — وَيَتَعايَنُونَ[٧] بالغَمْزِ (ب) — وَيَرْعَوْنَ[٨] في الرَّخاءِ بالتَّحاسُدِ — وفي الشِّدَّةِ بالتَّجاذُبِ (ج)

---

(١) أي في أمورهم غش وفساد وعيب اذ المدخول من دخله عيب وفساد اسم مفعول دخل كعنى أي في عقله دخل وهو الفساد والمكر والخديعة (٢) اسم فاعل بغى بمعنى اعتدى وتجاوز وظلم (٣) مبالغة عائب أي كثير العيب للناس (٤) الضابط لامره والآخذ بالثقة (٥) التناقض تفاعل من النقض في البناء والحبل والعهد وغيره ضد الابرام يقال نقض البناء هدمه ونقض العهد بمعنى أبطله وحله وهذا من المجاز ، والبنى بكسر الباء وضمها جمع بنية بالكسر والضم أيضا الهيئة التي بنى عليها البنيان (٦) الترقب الانتظار ، والدول جمع دولة وهي انقلاب الزمان (٧) التعاين تفاعل من المعاينة وهي النظر بالباصرة ، والغمز الاشارة الى آخر بعين أو بحاجب (٨) رعاه يرعاه لاحظه وحفظه ، والرخاء سعة العيش والخصب ، والتجاذب تفاعل من الجذب وهو المد والجر ، يعني ان رعاية بعضهم لبعض انما تكون في زمن الخصب بالتحاسد وفي زمن الشدة والقحط بالتجاذب أي ايقاع بعضهم بعضا فيها

(ا) والصدوق (ب) خ يتعايبون بالهمز (ج) خ مولعون في الرخاء بالتحاسد

ثُمَّ قَدِ انتُزِعَتِ الدُّنيا مِمَّنْ قَدِ استَمْكَنَ منها واعتَكَفَتْ لهُ فأصبَحَتِ الأعمالُ أعمالَهُمْ والدُّنْيا دُنيا غَيرِهِمْ وأخَذَ متاعَهُمْ مَنْ لَمْ يَحْمَدْهُمْ وخَرَجوا إلى مَنْ لا يَعذِرُهُمْ فأصبَحنا خَلَفًا مِنْ بَعْدِهِمْ نَتوقَّعُ مِثلَ الَّذِي نَزَلَ بِهِمْ فَنَحنُ إذَا تَدَبَّرْنا أُمُورَهُمْ أحقَّاءُ أنْ نَنْتَظِرَ ما نَغبِطُهُمْ بِهِ فَنَتَّبِعَهُ وما نَخافُ عَلَيهِمْ مِنهُ فَنَجتَنِبَهُ

كانَ يقالُ إنَّ اللهَ تَعالى قَدْ يَأْمُرُ بالشَّيْءِ وَيَبتَلِي بِثِقَلِهِ وَيَنْهى عَنِ الشيْءِ وَيَبتَلِي بِشَهْوَتِهِ فإذا كُنتَ لا تَعمَلُ مِنَ الخَيرِ إلَّا ما اشتَهَيتَ ولا تَتْرُكُ مِنَ الشرِّ إلَّا ما كَرِهتَ فَقَدْ أطلَعتَ الشَّيطانَ على عَوْرَتِكَ وأمكَنتَهُ مِنْ أزِمَّتِكَ فأوشَكَ أنْ يَقتَحِمَ عليكَ فِيما تُحِبُّ مِنَ الخَيرِ فَيُكَرِّهَهُ إليكَ وفيما تَكرَهُهُ مِنَ الشَّرِّ فَيُحَبِّبَهُ إليكَ . وَلَكِنْ يَنبَغي لَكَ في حُبِّ ما تُحِبُّ مِنَ الخَيرِ التَّحامُلُ على ما يُستَثقَلُ مِنهُ وَيَنبَغي لَكَ في كَرَاهَةِ ما تَكرَهُ مِنَ الشَّرِّ التَّجَنُّبُ لِما تُحِبُّ مِنهُ

لِلدُّنيا زُخْرُفٌ يَغلِبُ الجَوارِحَ ما لَمْ تَغلِبْهُ الألبابُ والحَكِيمُ مَنْ لَمْ يَغُضَّ عَلَيهِ طَرْفَهُ وَلَمْ يَشغَلْ بِهِ قَلبَهُ إطَّلَعَ مِنْ أدْناهُ فِيما وَراءَهُ وَذَكَرَ في بَدْئِهِ لَوَاحِقَ شَرِّهِ فَأُكُلُ مُرَّةٌ وَشَربُ كَدَرِهِ لِيَحلَوْلِيَ لَهُ وَيَصفُوَ في طُولِ مِنْ إقامَةِ العَيْشِ الَّذِي يَبقَى وَيَدُومُ غَيرَ عائِفٍ لِلرُّشْدِ إنْ لَمْ يَلْقَهُ بِرِضاهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ طَرِيقِ هَوَاهُ

لا تَأْلَفِ المُستَوخَمَ ولا تَقُمْ على غَيرِ الثِّقَةِ . قَدْ بَلَغَ فَضْلُ اللهِ على النَّاسِ

وفي الشدة بالتخاذل

مِنَ السَّعَةِ وَبلَغَتْ نِعْمَتهُ عَلَيْهِمْ مِنَ السُّبُوغِ مالَوْ أنّ أخَسَّهُمْ حَظًّا وأقَلَّهُمْ منه نَصيبًا وَأضعَفَهُمْ عِلْمًا وَأعْجَزَهُمْ عَملاً وَأعْيَاهُمْ لِسانًا بَلَغَ مِنَ الشُّكرِ لهُ وَالثَّناءِ عَلَيْهِ بِمَا خلَصَ اَليْهِ مِنْ فَضْلِهِ وَوَصَلَ إِلَيْهِ مِنْ نِعْمَتِهِ مابَلَغَ لهُ مِنهُ أعظَمُهُمْ حَظًّا وَأوْفَرُهُمْ نَصيبًا وأفضَلُهُمْ عِلْمًا وَأقوَاهُمْ عملاً وَأبسَطهمْ لِسانًا لَكانَ عمَّا اَستَوْجَبَ اللهُ عَلَيْهِ مُقَصّرًا وَعَنْ بُلُوغِ غايَةِ الشُّكرِ بَعيدًا وَمَنْ أخَذَ بحظّهِ مِنْ شُكرِ اللهِ وَحَمْدِهِ ومَعْرفَةِ نِعَمِهِ والثَّناءِ عَلَيْهِ والتَّحْميدِ لهُ فَقَدِ اَستَوْجَبَ بذَلِكَ مِنْ أدائِهِ إلي اللهِ والقُرْبَةِ عِنْدَهُ والوَسيلَةِ اليْهِ والمَزِيدِ فِيما شَكَرَهُ عَلَيْهِ خَيْرَ الدُّنْيا وَحُسْنَ ثَوابِ الآخِرَةِ

أفْضَلُ مايُعْلَمُ بهِ عِلْمُ ذِي العِلْمِ وَصَلاحُ ذِي الصَّلاحِ أنْ يَستَصْلِحَ بِمَا اوتِيَ مِنْ ذلِكَ مَنِ استَطاعَ مِنَ النّاسِ وَيُرَغِّبَهُمْ فِيما رَغِبَ فِيهِ لِنَفْسِهِ مِنْ حُبّ اللهِ وَحُبّ حِكْمَتِهِ والعَمَلِ بِطاعَتِهِ والرَّجاءِ لِحُسْنِ ثَوابِهِ في المَعادِ اليْهِ وَأنْ يُبَيّنَ الّذي لهُمْ مِنَ الأخْذِ بذلكَ والّذي عَلَيْهِمْ في تركِهِ وأنْ يُورِثَ ذَلِكَ أهْلَهُ وَمَعارِفَهُ لِيَلحقَهُ أجرُهُ مِنْ بَعْدِ المَوْتِ

الدّين أفضَلُ المَواهِبِ الَّتي وَصَلَتْ مِنَ اللهِ تَعالى إلي خلقِهِ وأعظَمُها مَنفَعَةً وأحْمَدُها في كُلّ حِكْمَةٍ فَقَدْ بَلَغَ فَضْلُ الدّينِ والحِكْمَةِ أنْ مُدِحا على ألسِنَةِ الجُهّالِ على جَهالَتِهِمْ بِهِما وَعَماهُمْ عَنْهُما

أحَقُّ النّاسِ بالسُّلْطانِ أهلُ الرَّأفَةِ (ا) وَأحقُّهُمْ بالتدْبيرِ العُلَماءُ (وَأحقُّهُمْ بالفَضْلِ أعْوَدهُمْ على النّاسِ بِفَضْلِهِ (ب)) وَأحقُّهُمْ بالعِلمِ أحْسَنُهُمْ تأديبًا

(ا) خ أهل المعرفة (ب) هذه الجملة سقطت من النسخة البعلبكية

وَأَحقُّهُمْ بالغِنَى أهلُ الجُودِ وَأقرَبُهُمْ مِنَ اللهِ أنفَذُهُمْ في الحَقِّ عِلْمًا وأَكمَلُهُمْ بِهِ عَمَلاً وَأحكَمُهُمْ أبعَدُهُمْ مِنَ الشكِّ في اللهِ تَعالى وَأَصوَبُهُمْ رَجاءً أوثَقُهُمْ باللهِ وَأشَدُّهُمْ انتِفاعاً بِعِلْمِهِ أبعدُهُمْ مِنَ الأَذَى وأرضاهُمْ في النَّاسِ أفشاهُمْ مَعرُوفاً وأقوَاهُمْ أحسَنُهُمْ مَعُونَةً وأشجَعُهُمْ أشَدُّهُمْ على الشَّيطانِ وأفلَجُهُمْ بالحجَّةِ أغلَبُهُمْ لِلشَّهوَةِ والحِرص وآخَذُهُمْ بالرَّأيِ أترَكُهُمْ لِلهَوَى وأحَقُّهُمْ بالمَوَدَّةِ أشَدُّهُمْ لِنَفْسِهِ حَياءً وأجوَدُهُمْ أصوَبُهُمْ بالعطِيَّةِ مَوْضعاً وأطوَلُهُمْ رَاحةً أحسَنُهُمْ لِلأُمُورِ احتِمالاً وأقلُّهُمْ دَهَشاً أرحَبُهُمْ ذَرعاً . وأوسَعُهُمْ غِنًى أقنَعُهُمْ بِمَا أُوتِيَ . وأخفَضُهُمْ عَيشاً أبعَدُهُمْ مِنَ الإفرَاطِ وَأظهَرُهُمْ جمالاً أظهَرُهُمْ حَصافةً

وآمَنُهُمْ في النَّاسِ أكَلُّهُمْ ناباً وَمِخْلباً

وأثبَتُهُمْ شَهادَةً عَلَيهِمْ أنطَقُهُمْ عنهُمْ

وأعدَلُهُمْ فِيهِمْ أدوَمُهُمْ مُسالَمَةً لَهُمْ

وأحقُّهُمْ بالنِّعَمِ أشكَرُهُمْ لِمَا أُوتِيَ مِنها

أفْضَلُ مايُورِثُ الآباءُ الأَبناءَ الثَّناءُ الحَسَنُ والأدَبُ النّافِعُ والإِخْوَانُ الصّالِحُون

فَصلُ ما بَينَ الدِّين والرَّأي أنَّ الدِّينَ يَسلَمُ بالإيمانِ وأنَّ الرَّأيَ يَثْبُتُ بالخُصُومةِ فمَنْ جعَلَ الدِّينَ خُصُومَةً فقدْ جعَلَ الدِّينَ رَأياً ومَنْ جعَلَ الدِّينَ رَأيًا (١) فقدْ صارَ شارِعاً ومَنْ كانَ هُوَ يَشرَعُ لِنَفْسِهِ الدِّينَ فلا دِينَ لهُ

قَدْ يَشْتَبِهُ الدِّينُ والرَّأيُ في أماكِنَ لَوْلاَ تَشابُهُما لمْ يَحتاجا الى الفَصلِ

(١) خ ومن جعل الرأي دينا

العجب

العجبُ آفةُ العقلِ واللَّجاجةُ قعودُ الهوى

والبُخلُ لقاحُ الحِرصِ والمِراء فسادُ اللِّسانِ والحميَّةُ[١] سببُ الجهلِ والأنفُ توأمُ السفهِ والمنافسةُ أختُ العداوة

إذا هممتَ بالخيرِ فبادرْ هواكَ لايغلبكَ واذا هممتَ بشرٍّ فسوِّفْ هواكَ لعلَّكَ تظفرُ فإنّ مامضى منَ الأيامِ والسَّاعاتِ على ذلكَ هوَ الغُنمُ

لا يمنعنَّكَ صغرُ شأنِ امرئٍ منَ اجتباءِ مارأيتَ منْ رأيهِ صواباً واصطفاء مارأيتَ منْ أخلاقهِ كريماً فإنّ اللؤلؤةَ الفائقةَ لاتُهانُ لهوانِ غائصِها الّذي استخرجها

منْ أبوابِ التّرفُّقِ والتّوفيقِ في التّعليمِ أنْ يكونَ وجهُ الرّجلِ الّذي يتوجّهُ فيهِ منَ العلمِ والأدبِ فيما يوافقُ طاعةً ويكونُ لهُ عندهُ محتملٌ وقبولٌ فلا يذهبُ عناؤهُ في غيرِ غناء ولا تفني أيّامهُ في غيرِ دركٍ ولا يستفرغُ نصيبهُ فيما لا ينجعُ فيهِ ولا يكونُ كرجلٍ أرادَ أنْ يعمرَ أرضاً تهمةً فغرسها جوزاً ولوزاً وأرضاً جلساً فغرسها نخلاً وموزاً

العلمُ زينٌ لصاحبهِ في الرّخاءِ ومنجاةٌ لهُ في الشّدّةِ

بالأدبِ تعمرُ القلوبُ وبالعلمِ تستحكمُ الأحلامُ فالعقلُ الزّاكي غيرُ الصنيعِ كالأرضِ الطّيّبةِ الخرابِ

ممّا يدلُّ على معرفةِ اللهِ (وهوَ) سببُ الإيمانِ أنْ وكلَ بالغيبِ لكلِّ ظاهرٍ منَ الدُّنيا صغيرٍ أوْ كبيرٍ عيناً فهوَ يصرِّفهُ ويحرِّكهُ فمنْ كانَ معتبراً بالجليلِ منْ ذلكَ فلينظرْ إلى السّماءِ فيعلمَ أنّ لها ربّاً يجري فلكها ويدبّرُ

(١) الانفة والغضب

أمرَها . ومَنْ اعتَبَرَ بالصغير فلينظرْ الى حبَّةِ الخرْدلِ فيعرفَ أنّ لها مُدبّرًا يُنبتها ويزكيها ويُقدّرُ لها أقواتَها مِنَ الأرضِ والماءِ يُوقّتُ لها زمانَ نباتِها وزمانَ تهشّمِها . وأمرُ النبوّةِ والأحلامِ وما يحدثُ في أنفسِ النّاسِ مِنْ حيثُ لايَعلمونَ ثمّ يظهرُ منهُمْ بالقولِ والفعلِ ثمّ اجتماعُ العلماءِ والجُهّالِ والمُهتدينَ والضُّلّالِ على ذكرِ اللهِ تعالى وتعظيمِهِ واجتماعُ مَنْ شكَّ في اللهِ تعالى وكذّبَ بهِ على الإقرارِ بأنّهمْ أُنشئوا حديثًا ومعرفتهمْ أنّهمْ لمْ يُحدثوا أنفسَهُمْ فكلُّ ذلكَ يهدي إلى اللهِ ويدلُّ على الذي كانتْ منهُ هذهِ الامورُ معَ مايزيدُ ذلكَ يقينًا عندَ المؤمنينَ بأنَّ اللهَ حقٌّ كبيرٌ ولا يُقدّرُ أحدٌ أنّهُ باطلٌ

إنّ للسُّلطانِ المُقسطِ حقًّا لا يَصلُحُ لخاصّةٍ ولا عامّةٍ أمرٌ الّا بإرادتِهِ فذو اللّبِّ حقيقٌ أنْ يُخلصَ لهمُ النّصيحةَ ويبذلَ لهمُ الطّاعةَ ويكتمَ سِرَّهمْ ويُزيّنَ سيرتَهمْ ويذبَّ بلسانهِ ويدِهِ عنهُمْ ويتوخّى مرضاتَهم ويكونَ مِنْ أمرهِ المُواتاةُ لهمْ والإيثارُ لأهوائهمْ ورأيهمْ علي هواهُ (١) ويُقدّرَ الأمورَ على مُوافقتِهمْ وإنْ كانَ ذلكَ لهُ مُخالفًا . وأنْ يكونَ مِنهُ الجدُّ في المُخالفةِ لِمَنْ جانبَهمْ وجهلَ حقّهمْ ولا يُواصلَ مِنَ النّاسِ الّا مَنْ لا تُباعدُ مُواصلتُهُ إيّاهُ منهُمْ ولا تحملُهُ عداوةُ أحدٍ لهُ ولا إضرارٌ بهِ على الإضطغانِ عليهمْ ولا مُواتاةُ أحدٍ على الاستخفافِ بشيءٍ مِنْ أُمورِهمْ والانتقاصِ لشيءٍ مِنْ حقّهمْ ولا يكتمُهمْ شيئًا مِنْ نصيحتِهمْ ولا يتثاقلَ عنْ شيءٍ مِنْ طاعتِهمْ ولا يبطرَ اذا أكرموهُ ولا يجترئَ عليهمْ اذا قرّبوهُ ولا يطغى اذا سلّطوهُ ولا يُلحفَ اذا سألَهمْ ولا

(١) خ على هداه ورأيه

يدخل

يُدْخِلَ عَلَيْهِمْ الْمُؤْنَةَ ولا يَسْتَثْقِلَ ما حَمَّلُوهُ ولا يَغْـتَرَّ (١) بِهِمْ اذا رَضُوا عَنْهُ ولا يتغَـيَّرَ لهمْ اذا سَخِطُوا عليهِ وَأنْ يَحْمَدَهُمْ على ما أصابَ مِنْ خَـيْرٍ مِنْهُمْ أوْ مِنْ غَـيْرِهِمْ فإنَّهُ لا يَقْدِرُ أحدٌ على أنْ يُصيبَهُ بِخَـيْرٍ الا بِدِفاعِ اللهِ عَنْهُ بِهِمْ

مِمَّـا يَدُلُّ علي عِلْمِ الْعالِمِ مَعْرِفَتُهُ بِمَـا يُدْرِكُ مِنَ الأُمُورِ وإِمساكُهُ عمَّا لا يُدْرِكُ وتَزْيِينُهُ نَفْسَهُ بالمَـكارِمِ وظُهُورُ عِلْمِهِ لِلنَّاسِ مِنْ غَـيْرِ أنْ يَظْهَرَ مِنْهُ فَخْرٌ ولا عُجْبٌ ومَعْرِفَتُهُ بِزَمانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ وَبَصَرُهُ بالنَّاس وَأخْذُهُ بالقِسْطِ وَإِرْشادُهُ المسْـتَرْشِدَ وحُسْنُ مُخالَفَتِهِ خُلَطاءَه وَتَسْوِيَتُهُ بيْنَ قَلْبِهِ وَلِسانِهِ وتَحَرِّيهِ العَـدْلَ في كُلِّ أمْرٍ وَرَحْبُ ذَرْعِهِ فِيما نابَهُ واحْتِجاجُهُ بالحِجَجِ فِيما عَمِـلَ وَحُسْنُ تَبْصِـيرِهِ

مَنْ أرادَ أن يُبْصِرَ شَيْئًا مِنْ عِـلْمِ الآخِرَةِ فَبِالعِـلْمِ الذي بِهِ يُعْرَفُ ذلكَ ومَنْ أرادَ أنْ يُبْصِرَ شَيْئًا مِنْ عِـلْمِ الدُّنْيا فَبِالأَشْياءِ الَّـتِي هِيَ تَدُلُّ عليهِ

لِيَـكُنِ المَرْءُ سَؤُلاً ولِيَـكُنْ فَصُولاً بَـيْنَ الحَقِّ والباطِلِ ولِيَـكُنْ صَدُوقاً لِيُؤْمَنَ على ما قالَ ولْيَـكُنْ ذا عَهْدٍ لِيُوفَى لهُ بِعَهْدِهِ ولِيَـكُنْ شَـكُورًا لِيَسْتَوْجِبَ الزِّيادَةَ ولْيَـكُنْ جَوَادًا لِيَـكُونَ لِلْخَـيْرِ أهْلاً ولْيَـكُنْ رَحِيماً بالمَضْرُورِينَ لِئَلاَّ يُبْتَـلَى بالضُّرِّ ولْيَـكُنْ وَدوداً لِئَلاَّ يَـكُونَ مَعْدِناً لِأخْلاقِ الشَّيْطانِ

وَلْيَـكُنْ حافِظاً لِلِسانِهِ مُقْبِلاً على شأنِهِ لِئَلاَّ يُؤْخَذَ بِمَـا لَمْ يَجْـتَرِمْ ولْيَـكُنْ مُتَواضِعاً لِيُفْرَحَ لهُ بالخَـيْرِ ولا يُحْسَدَ عليهِ ولْيَـكُنْ قَنِعًا لِتَقَرَّ عَيْنُهُ بِمَـا أُوتِيَ ولْيُسَرَّ لِلنَّاسِ بالخَـيْرِ لِئَلاَّ يُؤْذِيَهُ الحَسَدُ

---

(١) خ يمتنّ عليهم

وَلْيَكُنْ حَذِرًا لِئَلَّا تَطُولَ مَخَافَتُهُ

ولا يَكُنْ (ا) حَقُودًا لِئَلَّا يُضِرَّ بِنَفْسِهِ إِضْرَارًا بَاقِيًا

وليَكُنْ ذَا حَيَاءٍ لِئَلَّا يُسْتَذَمَّ لِلْعُلَمَاءِ فَإِنَّ مَخَافَةَ العَالِمِ مَذَمَّةَ العُلَمَاءِ أَشَدُّ مِنْ مَخَافَتِهِ عُقُوبَةَ السُّلْطَانِ

حَيَاةُ الشَّيْطَانِ تَرْكُ العِلْمِ ورُوحُهُ وجَسَدُهُ الجَهْلُ ومَعْدِنُهُ في أَهْلِ الحِقْدِ والقَسَاوَةِ ومَثْوَاهُ في أَهْلِ الغَضَبِ وعَيْشُهُ في المُصَارَمَةِ ورَجَاؤُهُ في الإِصْرَارِ على الذُّنُوبِ

وقال : لا يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ يَعْتَدَّ بِعِلْمِهِ ورَأْيِهِ ما لَمْ يُذَاكِرْهُ ذَوِي الأَلْبَابِ ولم يُجَامِعُوهُ عليه فإِنَّهُ لا يُسْتَكْمَلُ عِلْمُ الأَشْيَاءِ بالعَقْلِ الفَرْدِ

أَعْدَلُ السِّيَرِ أَنْ تَقِيسَ النَّاسَ بِنَفْسِكَ فلا تَأْتِي إِلَيْهِمْ إِلَّا ما تَرْضَى أَنْ يُؤْتَى إِلَيْكَ

وأَنْفَعُ العَقْلِ أَنْ تُحْسِنَ المَعِيشَةَ فِيمَا أُوتِيتَ مِنْ خَيْرٍ وأَلَّا تَكْتَرِثَ مِنَ الشَّرِّ بِمَا لم يُصِبْكَ

ومِنَ العِلْمِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّكَ لا تَعْلَمُ ما لا (ب) تَعَلَّمُ

ومِنْ أَحْسَنِ ذَوِي العُقُولِ عَقْلًا مَنْ أَحْسَنَ تَقْدِيرَ أَمْرِ مَعَاشِهِ ومَعَادِهِ تَقْدِيرًا لا يُفْسِدُ عليه واحِدٌ مِنْهُمَا (ج) الآخَرَ فانْ أَعْيَاهُ ذلكَ رَفَضَ الأَدْنَى وآثَرَ عليه الأَعْظَمَ

(ا) خ ولا يكونن (ب) خ بما لا (ج) خ منهما نفاد الآخر

وقال

وقالَ : المُؤمنُ بِشَيْءٍ مِنَ الأشْياءِ وإنْ كانَ سِحرًا خَيْرٌ مِمَّنْ لا يُؤمِن بِشَيْءٍ ولا يَرْجُو مَعادًا

لا تُؤَدِّي التَّوْبَةُ أحدًا الى النارِ ولا الإصْرَارُ على الذُّنوبِ أحدًا الى الجَنَّة

مِنْ أفضلِ أعمَالِ البِرِّ ثلاثُ خِصالٍ الصِّدْقُ في الغضَبِ والجُودُ في العُسْرَةِ والعفْوُ عندَ القُدْرَةِ

رَأسُ الذُّنوبِ الكَذِبُ هُوَ يُؤَسِّسُها وهوَ يتفقَّدُها ويُثبِّتُها ويتَلَوَّنُ ثلاثةَ ألوَانٍ بالامْنِيَّةِ والجُحُودِ والجَدَلِ يَبْدَأُ صاحِبَهُ (١) بالأُمْنِيَّةِ الكاذِبَةِ فِيما يُزَيِّنُ لهُ مِنَ السَّوْآتِ فيُشَجِّعَهُ عليها بأنَّ ذلكَ سيَخْفَى فاذا ظَهَرَ عليهِ قابَلَهُ بالجُحُودِ والمُكابَرَةِ فإنْ أعْياهُ ذلكَ خَتَمَ بالجَدَلِ فَخاصَمَ عَنِ الباطِلِ وَوَضَعَ لهُ الحُجَجَ والتَمَسَ بهِ التَّثَبُّتَ وكابَرَ الحَقَّ حَتَّى يَكُونَ مُسارِعاً لِلضَّلالَة ومُكابِرًا بالفَواحِشِ

لا يَثْبُتُ دِينُ المَرْءِ على حالَةٍ واحِدَةٍ أبَدًا ولَكِنَّهُ لا يَزالُ إمَّا زائِدًا وإمَّا ناقِصاً

مِنْ عَلاماتِ اللَّئِيمِ المُخادِعِ أنْ يَكُونَ حَسَنَ القَوْلِ سَيِّئَ الفِعْلِ بَعِيدَ الغَضَبِ قَرِيبَ الحَسَدِ حَمُولاً لِلْفُحْشِ مُجازِياً بالحِقْدِ مُتَكَلِّفًا لِلْجُودِ صَغِيرَ الخَطَرِ مُتَوَسِّعاً فِيما ليسَ لهُ ضَيِّقًا فِيما يَمْلِكُ

وكانَ يُقالُ اذا تَخالَجَتْكَ الأُمُورُ فاستَقِلَّ (ب) أعظَمَها خطَرًا فإنْ لم يَسْتَبِنْ ذلكَ فأرْجاها دَرَكًا فإنِ اشْتَبَهَ ذلكَ فأجْدَرُها أنْ لا يَكُونَ لهُ مَرْجُوعٌ حِينَ (ج) تُوَلِّي فُرْصَتُهُ

---

(١) خ يبدو لصاحبه (ب) خ فاشتغل باعظمها خطرا (ج) خ حتى

وكانَ يُقالُ الرّجالُ أربعةٌ إثنانِ تختبرُ ما عندَهُما بالتَّجربةِ واثنانِ قد كُفيتَ تجربتَهُما فأمّا اللّذانِ تحتاجُ الى تجربتِهما فإنَّ أحدَهُما برٌّ كانَ مع أبرارٍ والآخرَ فاجرٌ كانَ مع فجّارٍ فإنّكَ لا تدري لعلَّ البرَّ منهُما اذا خالطَ الفجّارَ أنْ يتبدَّلَ فيصيرَ فاجراً ولعلَّ الفاجرَ منهما اذا خالطَ الأبرارَ أنْ يتبدَّلَ فيصيرَ برّاً فيتبدَّلُ البرُّ فاجراً والفاجرُ برّاً

وأمّا اللّذانِ قد كُفيتَ تجربتَهُما وتبيّنَ لكَ ضوءُ أمرِهما فإنَّ أحدَهُما فاجرٌ كانَ في أبرارٍ والآخرَ برٌّ كان في فجّارٍ

حقٌّ على العاقلِ أنْ يتّخذَ مرآتينِ فينظرَ منْ إحداهما في مساوئ نفسهِ فيتصاغرَ بها ويُصلحَ ما استطاعَ منها وينظرَ منَ الأخرى في محاسنِ النّاسِ فيُحلّيَهُمْ بها ويأخُذَ ما استطاعَ منها

احذرْ خصومةَ الأهلِ والولدِ والصّديقِ والضعيفِ واحتججْ عليهمْ بالحُججِ

لا يُوقِعنّكَ بلاءٌ تخلّصتَ منهُ في آخرَ لعلّكَ أنْ لا تخلُصَ منهُ

الورَعُ لا يَخدَعُ والأريبُ لا يُخدَعُ

ومنْ ورَعِ الرّجلِ أنْ لا يقولَ ما لا يعلَمُ ومنَ الأربِ أنْ يتثبّتَ فيما يعلَمُ

وكانَ يُقالُ عملُ الرّجلِ فيما يعلَمُ أنّهُ خطأٌ هوًى والهوى آفةُ العفافِ وتركُهُ العملَ بما يعلَمُ أنّهُ صوابٌ تهاوُنٌ والتّهاونُ آفةُ الدّينِ

وإقدامُهُ على ما لا يدري أصوابٌ هُوَ أمْ خطأٌ جماحٌ . والجِماحُ آفةُ العقلِ

وكانَ يُقالُ وقّرْ منْ فوقَكَ ولِنْ لِمَنْ دُونَكَ وأحسِنْ مُواتاةَ أكفائكَ وليكُنْ آثرَ ذلكَ عندكَ مُواتاةُ الأكفاءِ فإنَّ ذلكَ هوَ الذي يَشهَدُ لكَ أنْ

إِجْلالَكَ مَنْ فوقَكَ ليسَ بِخُضُوعٍ منكَ لهُمْ وأنّ لِينَكَ لِمَنْ دُونَكَ ليسَ لالتِماسِ خِدْمَتِهِمْ

خَمْسَةٌ مُفَرِّطُونَ في خَمْسَةِ أشياءَ مُنْدَمُونَ عليها (١) الوَاهِنُ المفَرِّطُ اذا فاتَهُ العَمَلُ والمُنْقَطِعُ مِنْ إِخْوَانِهِ وصَدِيقِهِ اذا نابَتْهُ النَّوَائِبُ والمستَمْكِنُ منهُ عَدُوُّهُ لِسُوءِ رَأْيِهِ اذا تذَكَّرَ عَجزَهُ والمفارِقُ الزَّوْجَةِ الصَّالِحَةِ اذا ابتُلِيَ بالطَّالِحَةِ والجَرِيءُ على الذُّنُوبِ اذا حَضَرَهُ المَوْتُ

أُمُورٌ لا تَصْلُحُ إِلّا بِقَرَائِنِها لا يَنْفَعُ العَقْلُ بغَيْرِ وَرَعٍ ولا الحِفْظُ بِغَيْرِ عَقْلٍ ولا شِدَّةُ البطْشِ بِغَيْرِ شِدَّةِ القَلْبِ ولا الجَمالُ بِغَيْرِ حلاوَةٍ ولا الحَسَبُ بِغَيْرِ أَدَبٍ ولا السُّرُورُ بغَيْرِ أمنٍ ولا الغِنَى بِغَيْرِ جُودٍ ولا المُرُوءَةُ بِغَيْرِ تَوَاضُعٍ ولا الخفضُ بِغَيْرِ كِفايَةٍ ولا الاِجْتِهادُ بِغَيْرِ تَوْفِيقٍ

أُمورٌ هُنَّ تبعٌ لِأمُورٍ فالمُرُوآتُ كُلُّها تبعٌ لِلعَقْلِ والرَّأْيُ تبعٌ لِلتجرِبَةِ والغِبطَةُ تبعٌ لِحُسْنِ الثَّناءِ والسُّرُورُ تبعٌ لِلأَمْنِ والقَرَابَةُ تبعٌ لِلمَوَدَّةِ والعَمَلُ تبعٌ لِلقَدَرِ والجِدَةُ تبعٌ لِلإِنفاقِ

أصلُ العقلِ التَّثَبُّتُ وثَمَرَتُهُ السَّلَامَةُ
وأصلُ الوَرَعِ القَناعَةُ وثَمَرَتُهُ الظَّفَرُ
وأصلُ التَّوْفيقِ العَمَلُ وثَمَرَتُهُ النُّجْحُ

لا يُذْكَرُ الفاجِرُ في العُقَلاءِ ولا الكَذُوبُ في الأَعِفَّاءِ ولا الخذول في الكُرَماءِ ولا الكَفُورُ بِشَيْءٍ مِنَ الخَيْرِ

---

(١) خ خمسة غير مغتبطين بخمسة أشياء يتندمون عليها

لا تُؤاخِيَنَّ خِبًّا ولا تَستَنصِرَنَّ عاجزًا ولاَ تَستَعينَنَّ كَسِلاً

إنَّ مِنْ أعظَمِ ما يُرَوّحُ بِهِ المَرْءُ نَفسَهُ أنْ لا يجْرِيَ لِمَا يَهْوى ولَيْسَ كائِناً إلّا لِمَا لا يَهْوَى وَهُوَ لا مَحالَةَ كائِنٌ

إغتَنِمْ مِنَ الخَيرِ ماتَعَجَّلْتَ . ومِنَ الأهْواءِ ماسَوَّفتَ . ومِنَ النَّصَبِ ماعادَ عَلَيْكَ . ولا تَفْرَحْ بالبَطالَةِ ولا تَجْبُنْ عنِ العمَلِ

مَنِ استَعظَمَ مِنَ الدنيا شيئًا فَبَطِرَ واستَصغَرَ مِنَ البِرِّ (ا) شَيئًا فتَهاوَنَ واحتَقَرَ مِنَ الإِثمِ شَيئًا فاجْتَرَأَ علَيهِ واغْتَرَّ بعَدُوٍّ وإنْ قَلَّ فلَمْ يَحذَرْهُ فذَلِكَ مِنْ ضَياعِ العقلِ

لا يَستَخِفَّنَّ ذُو العقلِ بأحَدٍ وَأحَقُّ مَنْ لمْ يُستَخَفَّ بهِ ثَلاثَةٌ الأتقياءُ والوُلاةُ والإخْوانُ فإنّهُ مَنِ استَخَفَّ بالأتقياءِ أهلَكَ دينَهُ ومَنِ استَخَفَّ بالوُلاةِ أهلَكَ دُنياهُ ومَن استَخَفَّ بالإخوانِ أفسَدَ مُرُوءَتَهُ

مَنْ حاوَلَ الأُمُورَ احتاجَ فِيها الى سِتٍّ الرَّأيُ (ب) والتَّوْفيقُ والفُرْصَةُ والأعْوانُ والأدَبُ والإجتِهادُ وَهُنَّ أزْواجٌ فالرَّأيُ والأدَبُ زَوْجٌ لا يَكمُلُ الأدَبُ الّا بالرَّأيِ ولا يَكمُلُ الرَّأيُ بِغَيرِ الأدَب

والأعْوانُ والفُرْصَةُ زَوْجٌ لا تَنفَعُ الأعْوان الا عِنْدَ الفُرْصَةِ ولا تَنْفَعُ الفُرْصَةُ الّا بحُضُورِ الأعْوانِ والتَّوْفيقُ والاجتِهادُ زَوْجٌ فالاجتِهادُ سَبَبُ التَّوْفيقِ وبالتَّوْفيقِ يَنْجَحُ الاجتِهادُ

يَسلَمُ العاقِلُ مِنْ عِظامِ الذُنوبِ والعيُوبِ بالقَناعَةِ ومُحاسَبَةِ النَّفسِ

(ا) خ من الدنيا (ب) خ العلم « بدل الرأى »

لا يَجِدُ العاقِلَ يُحَدِّثُ مَنْ يَخافُ تَكْذِيبَهُ ولا يَسأَلُ مَنْ يَخافُ مَنعَهُ ولا يَعِدُ مالا يَجِدُ إِنجازَهُ ولا يَرْجُو مايُعَنَّفُ بِرَجائِهِ ولا يُقدِمُ على مايَخافُ العَجزَ عنهُ وَهُوَ يُسَخِّي نَفْسَهُ عَمَّا يُغبَطُ بِهِ القَوَّالونَ خُرُوجًا مِنْ عَيبِ التَّكذِيبِ

ويُسَخِّي نَفْسَهُ عَمَّا يُنالُ بِهِ السَّائِلُونَ سَلامَتَهُ مِنْ مَذَلَّةِ المَسْأَلَةِ

ويُسَخِّي نَفْسَهُ عَنْ فَرَحِ الرَّجاءِ خَوفُ الإِكْداءِ

ويُسَخِّي نَفْسَهُ عَنْ مَحْمَدَةِ المَوَاعِيدِ بَرَاءَةٌ مِنْ مَذَمَّةِ الخُلْفِ

ويُسَخِّي نَفْسَهُ عَنْ مَرَاتِبِ المُقْدِمِينَ مايَرَى مِنْ فَضائِحِ المُقَصِّرِينَ

لاعَقْلَ لِمَنْ أَغفَلَهُ عَنْ آخِرَتِهِ مايَجِدُهُ مِنْ لَذَّةِ دُنياهُ ولَيسَ مِنَ العَقْلِ أَنْ يَحْرِمَهُ حَظَّهُ مِنَ الدُّنْيا بَصَرُهُ بِزَوالِها

حازَ الخَيرَ رَجُلانِ سَعِيدٌ ومَرْجُوٌّ فالسَعِيدُ الفالِجُ (١) والمَرْجُوُّ مَنْ لَمْ يَخْصَمْ والفالِجُ الصَّالِحُ مادَامَ في قَيدِ الحَياةِ وتَعرِضُ الفِتَنُ في مُخاصَمَةِ الخُصَماءِ مِنَ الأَهْوَاءِ والأَعْداءِ

السَّعِيدُ يُرَغِّبُهُ اللهُ في الآخِرَةِ حَتَّى يَقُولَ لاشَيْءَ غَيرُها فإِذا هَضَمَ دُنياهُ وَزَهِدَ فِيها لِآخِرَتِهِ لَمْ يَحْرِمْهُ اللهُ بِذلِكَ نَصِيبَهُ مِنَ الدُّنيا ولَمْ يَنقُصْهُ مِنْ سُرُورِهِ فِيها والشَّقِيُّ يُرَغِّبُهُ الشَّيطانُ في الدُّنْيا حَتَّى يَقُولَ لاشَيْءَ غَيرُها فَيُعَجِّلُ اللهُ لهُ التَّنغِيصَ في الدُّنيا الَّتي آثَرَ مَعَ الخِزْيِ الَّذي يَلْقَى بَعدَها

الرِّجالُ أَرْبَعَةٌ جَوَادٌ وبَخِيلٌ ومُسْرِفٌ ومُقْتَصِدٌ فالجَوَادُ الذي يُوَجِّهُ نَصِيبَ آخِرَتِهِ وَنَصِيبَ دُنْياهُ جَمِيعاً في أَمْرِ آخِرَتِهِ

---

(١) أي الظافر والفائز

والبَخيلُ الّذِى لا يُعْطِي واحِدةً منهُما نَصيبهَا

والمُسْرِفُ الّذِى يجْمَعهُما لِدُنْياهُ

والمُقْتَصِدُ الّذِى يُلحِقُ بكُلِّ واحِدَةٍ مِنهُما نَصيبهَا

أغنَي النّاسِ أكْثَرُهُمْ إحْساناً

قالَ رَجلٌ لِحَكيمٍ : ماخَيرُ مايُؤتَي المَرْء قالَ : غَريزَةُ عقْلٍ قالَ : فإنْ لم تكُنْ قالَ : فتعَلُّمُ عِلمٍ قالَ : فإنْ حُرِمَهُ قالَ : صِدْقُ اللِّسان قالَ : فإنْ حُرِمَهُ قالَ : سَكْتٌ (١) طَويلٌ قالَ : فإنْ حُرِمَهُ قالَ : مَيتَةٌ عاجِلَةٌ

مِنْ أشدّ عيُوبِ الإنْسانِ خَفاءُ عيُوبهِ عليهِ فإنَّهُ مَنْ خَفِيَ عليهِ عَيْبُهُ خفيَت عليهِ مَحاسِنُ غَيْرِهِ ومَنْ خَفِيَ عليهِ عَيْبُ نَفْسِهِ ومَحاسِنُ غَيْرِه لمْ يُقْلِعْ عَنْ عَيْبِهِ الذِى لا يَعرِفُ ولنْ ينالَ محاسِنَ غَيْرِهِ الّتِي لا يُبْصِرُها أبَدًا

« (٢) خُمُولُ الذِّكْرِ أجمَلُ مِنَ الذِّكْرِ الذَّمِيمِ

لا يُوجَدُ الفَخُورُ مَحْمُودًا ولا الغَضُوبُ مَسْرُورًا ولا الحُرُّ حَرِيصاً ولا الكَرِيمُ حَسُودًا ولا الشَّرِهُ غَنيًّا ولا المَلُولُ ذَا إخْوَانٍ »

خِصالٌ يُسَرُّ بِها الجاهِلُ كُلُّها كائِنٌ عليْهِ وبَالاً . مِنْها أنْ يَفْخَرَ مِنَ العِلْمِ والمُروءَةِ بِما لَيْسَ عِنْدَهُ ومِنها أنْ يَرَى بالأخْيارِ مِنَ الاسْتِهانَةِ والجَفْوَةِ ما يشْمِتُهُ بِهِمْ

---

(١) السكت السكوت (٢) هذه الجملة والتالية لها زائدتان فى نسخة الاستانة التى أحياها أحمد زكى باشا

ومنها

ومنها أن يناقل عالماً وديعاً منصفاً له في القول فيشتد صوت ذلك الجاهل عليه ثم يفلجه (١) نظراؤه من الجهال حوله بشدة الصوت وكثرة الضحك

ومنها أن تفرط منه الكلمة أو الفعلة المعجبة للقوم فيذكر بها

ومنها أن يكون مجلسه في المحفل أو عند السلطان فوق مجالس أهل الفضل عليه

من الدليل على سخافة المتكلم أن يكون ما يرى من ضحكه ليس على حسب ما عنده من القول أو يجاذب الرجل الكلام وهو يكلم صاحبه (ا) ليكون هو المتكلم أو يتمنى أن يكون صاحبه قد فرغ وأنصت له فاذا أنصت له لم يحسن الكلام

فضل العلم في غير الدين مهلكة وكثرة الأدب في غير رضوان الله ومنفعة الأخيار قائد إلى النار

والحفظ لذكي (ب) لواعي بغير لعلم لنافع مضر بالعمل الصالح والعقل غير الوازع عن الذنوب خازن للشيطان

لا يؤمننك شر الجاهل قرابة ولا جوار ولا إلف فإن أخوف ما يكون الإنسان لحريق النار أقرب ما يكون منها وكذلك الجاهل إن جاورك أنصبك وإن ناسبك جنى عليك وإن ألفك حمل عليك ما لا تطيق وإن عاشرك آذاك وأخافك مع أنه عند الجوع سبع ضار وعند الشبع ملك فظ وعند الموافقة في الدين قائد إلى جهنم فأنت بالهرب منه أحق منك بالهرب من

---

(١) أي يظفره يقال أفلجه اذا أظفره وأظهره

(ا) خ أو الرجل يكلم صاحبه فيجاذبه الكلام ليكون هو المتكلم (ب) خ الذاكي

سم الأساودِ والحريقِ المخوفِ والدَّينِ الفادحِ والدَّاءِ العياءِ

كانَ يقالُ قاربْ عدوَّكَ بعضَ المقاربةِ تنلْ حاجتَكَ ولا تقاربْهُ كلَّ المقاربةِ فيجترئَ عليكَ عدوُّكَ وتذلَّ نفسُكَ ويرغبَ عنكَ ناصرُكَ ومثلُ ذلكَ مثلُ العودِ المنصوبِ في الشمسِ إن أملتَهُ قليلاً زادَ ظلُّهُ وإنْ جاوزتَ الحدَّ في إمالتِهِ نقصَ الظلُّ

الحازمُ لا يأمنُ عدوَّهُ على كلِّ حالٍ (ا) إنْ كانَ بعيدًا لمْ يأمنْ مِنْ معاودتِهِ (ب) وانْ كانَ قريباً لمْ يأمنْ مواثبتَهُ فإنْ رآهُ متكشِّفًا لمْ يأمنِ استطرادَهُ وكمينَهُ وإنْ رآهُ وحيدًا لمْ يأمنْ مكرَهُ

الملكُ الحازمُ يزدادُ برأي الوزراءِ الحزمةِ كما يزدادُ البحرُ بموادِّهِ منَ الأنهارِ الظفرُ بالحزمِ والحزمُ بإجالةِ الرَّأي والرَّأيُ بتكرارِ النظرِ وبتحصينِ الأسرارِ

إنِ المستشيرَ وإنْ كانَ أفضلَ منَ المستشارِ رأياً فهوَ يزدادُ برأيِهِ رأياً كما تزدادُ النارُ بالودكِ ضوءاً وعلى المستشارِ موافقةُ المستشيرِ على صوابِ ما يرى والرفقُ بهِ في تبصيرِ خطأٍ إنْ أتى بهِ وتقليبُ الرأيِ فيما شكَّا فيهِ حتَّى تستقيمَ لهما مشاورتُهما

لا يطمعنَّ ذو الكبرِ في حسنِ الثناءِ ولا الخبُّ في كثرةِ الصديقِ ولا السيِّئُ الأدبِ في الشرفِ ولا الشحيحُ في المحمدةِ ولا الحريصُ في الإخوانِ ولا الملكُ المعجبُ بثباتِ الملكِ

صرعةُ اللينِ أشدُّ استئصالاً مِنْ صرعةِ المكابرةِ

(ا) خ على حال (ب) خ مغاورته

أربعةٌ أشياء لا يُستقلُّ منها قليلٌ النّارُ والمرضُ والعدوُّ والدَّيْنُ

أحقُّ النّاس بالتّوقير الملِكُ الحليمُ العالِمُ بالامُورِ وفُرَصِ الأعمالِ ومواضعِ الشّدَّةِ واللّينِ والغضبِ والرّضا والمعاجلَةِ والأناةِ النّاظرِ في الأمرِ يومَهُ وغدَهُ وعواقبِ أعمالِهِ

السَّبَبُ الّذي يُدرِكُ بهِ العاجزُ حاجتَهُ هُوَ الّذي يحُولُ بينَ الحازمِ وبينَ طَلِبتهِ

إنَّ أهلَ العقلِ والكرَمِ يبتغُونَ إلى كلّ معرُوفٍ وُصلَةً وسبيلاً والمودَّة بينَ الأخيارِ سريعٌ اتّصالُها بطيءٌ انقطاعُها ومثَلُ ذلكَ مثلُ كُوبِ الذّهَبِ الذي هُوَ بطيءُ الانكسارِ هيّنُ الإصلاحِ والمودَّةُ بينَ الأشرارِ سريعٌ انقطاعُها بطيءٌ اتّصالُها كالكوزِ منَ الفخّارِ يكسِرُهُ أدنى عبثٍ ثمَّ لا يُوصلُ لهُ أبدًا

والكريمُ يمنحُ الرّجلَ مودَّتَهُ عن لقاءةٍ واحدةٍ أو معرفةِ يومٍ واللّئيمُ لا يصِلُ أحدًا إلّا عن رغبةٍ أو رهبةٍ وانَّ أهلَ الدُّنيا يتعاطَوْنَ فيما بينَهُم أمرَينِ ويتَواصلُونَ (ا) عليهما ذاتُ النَّفسِ وذاتُ اليدِ فأمَّا المتبادِلُونَ ذاتَ اليدِ فهُمُ المُتعاوِنونَ المُستمتِعونَ الذين يلتمسُ بعضُهُمُ الانتفاعَ ببعضٍ مُتاجرَةٍ (ب) ومُكايلةٍ

ما التّبَعُ والأعوانُ والصَّديقُ والحشَمُ إلّا للمالِ ولا يظهرُ المرُوءةَ إلّا المالُ ولا الرَّأيُ والقُوَّةُ إلّا بالمالِ ومَنْ لا اخوانَ لهُ فلا أهلَ لهُ ومَنْ لا أولادَ لهُ فلا ذِكرَ لهُ ومَنْ لا عقلَ لهُ فلا دُنيا لهُ ولا آخرَةَ ومَنْ لا مالَ لهُ فلا شيءَ لهُ والفقرُ داعيةٌ إلى صاحبِهِ مقتَ النّاسِ وهُوَ مسلَبةٌ للعقلِ والمرُوءةِ ومذهبةٌ للعِلمِ والأدبِ ومعدِنٌ للتُّهمَةِ ومجمَعةٌ للبلايا ومَنْ نزلَ بهِ الفقرُ والفاقةُ لم يجِدْ

(ا) خ ويتواطؤن عليهما (ب) خ مناجزة

بُدًّا مِنْ تَرْكِ الحَياءِ ومنْ ذَهَبَ حياؤُهُ ذَهَبَ سُرُورُهُ ومَنْ ذَهَبَ سُرُورُهُ مقِتَ ومَنْ مُقِتَ اوذِيَ ومَنْ أُوذِيَ حزِنَ ومَنْ حَزِنَ ذَهَبَ عَقْلُهُ واسْتَنْكَرَ حِفْظُهُ وفَهْمُهُ ومَنْ أُصِيبَ في عقْلِهِ وفَهْمِهِ وحِفْظِهِ كانَ أكْثَرُ قولِهِ وعَمَلِهِ فيما يَكونُ عليهِ لا لهُ فإِذا افتقَرَ الرَّجُلُ اتَّهمَهُ مَنْ كانَ لهُ مُؤْتَمِناً وأساءَ بهِ الظَنَّ مَنْ كانَ يظُنُّ بهِ حَسَنًا فإِنْ أذنبَ غَيْرُهُ أظَنُّوهُ وإنْ كانَ لِلتُّهْمَةِ وسُوءِ الظَّنِّ مَوْضِعاً وليسَ خَلَّةٌ هِيَ لِلغَنِيّ مَدْحٌ الّا هي لِلفَقِيرِ عَيْبٌ

فإِنْ كانَ شُجاعاً سُمِّيَ أهوَجَ

وإِنْ كانَ جوَادًا سُمِّيَ مُفْسِدًا

وإِنْ كانَ حَليماً سُمِّيَ ضَعِيفًا

وإِنْ كانَ وَقُورًا سُمِّيَ بَليدًا

وإِنْ كانَ لَسِنًا سُمِّيَ مِهذَارًا

وإِنْ كانَ صَمُوتاً سُمِّيَ عَيِيًّا

وكانَ يُقالُ مَنِ ابْتُلِيَ بِمَرَضٍ في جَسَدِهِ لا يفارِقه أوْ بِفِرَاقِ الأحِبَّةِ والإِخوَانِ أوْ بالغُرْبَةِ حَيْثُ لا يَعرِفُ مَبِيتاً ولا مَقِيلاً ولا يرْجو إِياباً أوْ بِفاقَةٍ تَضطَرُهُ الى المَسْأَلَةِ فالحَياةُ لهُ مَوْتٌ والمَوْتُ لهُ رَاحَةٌ

وَجَدْنا البَلاَيا في الدُنيا إِنَّما يَسُوقُها الى أهلِها الحِرْصُ والشَّرَه فلا يَزَالُ صاحِبُ الدُنيا يَتَقَلَّبُ في بَلِيَّةٍ وتَعَبٍ لِأَنَّهُ لا يَزالُ بِخَلَّةِ الحِرْصِ والشَّرَهِ

وسَمِعْتُ العُلَماءَ قالوا : لا عقْلَ كالتدْبيرِ ولا وَرَعَ كالكَفِّ ولا حَسَبَ كحُسْنِ الخُلُقِ ولا غِنَى كالرِّضا وأحَقُّ ما صُبِرَ عليهِ ما لا سَبيلَ الى تَغْيِيرِهِ

وأفضل

وأفضلُ البرّ الرَّحمةُ ورأسُ المَوَدَّةِ الاسترسالُ ورأسُ العقلِ المعرفة بما يكونُ وما لا يكونُ وطيبُ النَّفسِ حُسْنُ الانصرافِ عمَّا لا سبيلَ اليهِ وليسَ في الدُّنيا سُرُورٌ يَعدِلُ صُحبَةَ الإخْوانِ ولا فيها غَمٌّ يَعدِلُ غَمَّ فَقدِهِمْ

لا يَتِمُّ حُسْنُ الكلامِ إلَّا بحُسْنِ العَمَلِ كالمريضِ الذي قد عَلِمَ دَواءَ نَفسِهِ فاذا هوَ لم يتَداوَ بهِ لم يُغْنِهِ عِلْمُهُ والرَّجلُ ذو المُرُوءةِ قد يُكرَمُ على غيرِ مالٍ كالأسدِ الذي يُهابُ وإنْ كانَ عقيرًا والرَّجلُ الذي لا مُرُوءةَ لهُ يُهانُ وإنْ كَثُرَ مالُهُ كالكلبِ الذي يَهُونُ على النّاسِ وإنْ طُوِّقَ وخُلخِلَ

لِيَحسُنْ تَعاهُدُكَ نفسَكَ بما تكُونُ بهِ للخيرِ أهلاً فإنَّكَ اذا فعلتَ ذلكَ أتاكَ الخيرُ يَطلُبُكَ كما يَطلُبُ الماءُ السَّيلَ الى الحُدُورِ

« (١) وقيلَ في أشياءَ ليسَ لها ثَباتٌ ولا بَقاءٌ ظِلُّ الغَمامِ وخُلَّةُ الأشرارِ وعِشقُ النِّساءِ والنَّبأُ الكاذِبُ والمالُ الكثيرُ

وليسَ يَفرَحُ العاقِلُ بالمالِ الكثيرِ ولا يُحزِنُهُ قِلَّتُهُ ولكنْ مالُهُ عقلُهُ وما قدَّمَ مِنْ صالِحِ عَمَلِهِ »

إنَّ أولى النّاسِ بفَضلِ السُّرُورِ وكَرَمِ العَيشِ وحُسْنِ الثَّناءِ مَنْ لا يَبرَحُ رَحلُهُ مِنْ إخوانِهِ وأصدقائِهِ مِنَ الصّالحينَ مَوطُوءاً ولا يَزالُ عندَهُ منهُمْ زِحامٌ يَسُرُّهُمْ ويَسُرُّونَهُ ويكُونُ مِنْ وَراءِ حاجاتِهِمْ وأُمُورِهِمْ فانَّ الكريمَ اذا عَثَرَ لم يَستَقِلْ إلّا بالكِرامِ كالفيلِ اذا وَحِلَ لم تَستَخرِجْهُ إلّا الفِيَلَةُ

لا يَرَى العاقِلُ مَعرُوفاً صَنَعَهُ وإنْ كَثُرَ كثيرًا ولَوْ خاطَرَ بنفسِهِ وعَرَّضَها

---

(١) هذه الجملة والتي بعدها زائدتان في نسخة الاستانة التي اعتمد عليها أحمد زكي باشا

في وُجُوهِ المَعْرُوفِ لم يرَ ذلكَ عَيْباً بَلْ يَعْلَمُ أنهُ إنّما أخْطرَ الفانيَ بالباقي واشترَى العظيمَ بالصَّغيرِ

وأغبَطُ النّاسِ عندَ ذَوي العقولِ أكثرُهمْ سائلاً مُنْجحاً ومُستجيرًا آمنًا

لا تَعُدَّ غَنيًّا مَنْ لم يُشارِكْ في مالِهِ ولا تَعُدَّ نَعيماً ما كانَ فيهِ تَنغيص وسوءُ ثناء ولا تَعُدَّ الغُنْمَ غُنْمًا اذا ساقَ غُرْماً ولا الغُرْمَ غُرْماً اذا ساقَ غُنْمًا ولا تَعتَدَّ مِنَ الحياةِ ما كانَ في فِراقِ الأحبَّةِ

ومِنَ المَعُونةِ على تَسْليةِ الهُمومِ وسُكُونِ النَّفْسِ لِقاءُ الأخِ أخاهُ وإفضاءُ كلِّ واحدٍ منهُما الى صاحبِهِ ببَثِّهِ واذا فُرِّقَ بَينَ الأليفِ وإلفِهِ فَقدْ سُلِبَ قَرارُهُ وحُرِمَ سُرُورُهُ

وقالَ : ما نَرانا (١) نُخلِّفُ عَقَبةً مِنَ البَلاءِ إلّا صِرْنا في أُخرَى لَقَدْ صَدَقَ القائلُ الذي يَقولُ : لا يَزالُ الرَّجلُ مُستَمِرًّا حتّى يَعْثُرَ فاذا عَثَرَ مَرَّةً واحدَةً في أرضِ الخَبارِ لَجَّ بهِ العِثارُ وإنْ مَشى في جَدَدٍ لأنّ هذَا الإنسانَ مُوَكَّلٌ به البَلاءُ فلا يزَالُ في تَصرُّفٍ وتَقلُّبٍ لا يَدُومُ لهُ شَيءٌ ولا يَثْبُتُ معهُ كما لا يَدُومُ لِطالعِ النُّجُومِ طُلُوعُهُ ولا لِآفِلِها أُفُولُهُ ولكنَّها في تقلُّبٍ وتَعاقُبٍ فلا يَزَالُ الطّالعُ يكُونُ آفِلاً والآفِلُ طالِعاً انتهى

(١) خ وقلما ترانا نخلف

الدرة اليتيمة

لابن المقفع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ وصلواته على نبيّنا محمّدٍ وآلهِ الطاهرين . قالَ عبدُ اللهِ بنُ المقفّعِ وَجدْنا النّاسَ قَبلَنا كانوا أعظمَ أجساداً وأوْفَرَ[١] معَ أجسادِهِمْ أحلاماً وأشدَّ قُوّةً وأحسَنَ بقوّتِهمْ للأُمورِ إتقاناً وأطوَلَ أعماراً وأفضلَ بأعمارِهمْ للأشياءِ اختباراً فكانَ صاحبُ الدّينِ منهُمْ أبلَغَ في أمْرِ الدّينِ عِلماً وعَملاً مِنْ صاحبِ الدّينِ منّا وكانَ صاحبُ الدُّنيا على مِثلِ ذلكَ مِنَ البَلاغَةِ والفَضلِ ووَجدْناهُمْ لم يرْضَوْا بِما فازُوا به مِنَ الفَضْلِ لأَنفسِهِمْ حَتّى أشرَكُونا معَهُمْ فِيما أدركُوا مِنْ عِلمِ الاولى والآخرةِ فكَتبُوا بهِ الكُتُبَ الباقيةَ وكَفَوْنا بهِ مؤُنَةَ التّجارِبِ[٢] والفُطَنِ وبلَغَ مِنَ اهتِمامِهِمْ بذلِكَ أنَّ الرَّجلَ منهُمْ كانَ يُفتَحُ لهُ البابُ مِنَ العِلْمِ والكَلِمَةُ مِنَ الصَّوابِ وهوَ بالبَلَدِ

(١) أى أكثر اسم تفضيل من وفر المال ككرم ووعد أى كثر وتم ، ومصدره الوفر والوفور ، والاحلام جمع حلم بكسر فسكون العقل (٢) المؤونة المشقة ، والتجارب بكسر الراء جمع التجربة وهى اختبار الشئ مرة بعد أخرى ، والفطن بضمتين وبضم

١٢٨٣٦

غَيْرِ المَأْهُولِ فَيَكْتُبُهُ على الصُّخُورِ مُبادَرَةً منهُ لِلأَجَلِ وكَرَاهِيَةً لأن يَسْقُطَ (١) ذلكَ على مَنْ بَعْدَهُ فكانَ صَنيعُهُمْ في ذلكَ صَنِيعَ الوَالِدِ الشَّفِيقِ علي وَلَدِهِ الرَّحِيمِ بِهِمْ الذي يَجْمَعُ لَهُمُ الأَمْوَالَ والعُقَدَ (٢) إِرَادَةَ أَنْ لا تَكُونَ عليهِمْ مَؤُنَةٌ في الطَّلَبِ وخَشْيَةَ عَجْزِهِمْ إِنْ هُمْ طَلَبُوا فَمُنْتَهَى عِلْمِ عالِمِنا في هذا الزَّمانِ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ عِلْمِهِمْ وغايَةُ إِحْسانِ مُحْسِنِنا أَنْ يَقْتَدِيَ بِسِيرَتِهِمْ وأَحْسَنُ ما يُصِيبُ مِنَ الحَدِيثِ مُحَدِّثُنا أَنْ يَنْظُرَ في كُتُبِهِمْ فَيَكُونَ كأَنَّهُ إِيَّاهُمْ يُحاوِرُ (٣) ومنهُمْ يَسْتَمِعُ غَيْرَ أَنَّ الذي نَجِدُ في كُتُبِهِمْ هوَ المُنْتَخَلُ في آرَائِهِمْ (٤) والمُنْتَقَى مِنْ أَحادِيثِهِمْ ولم نَجِدْهُمْ غادَرُوا (٥) شَيْئًا يَجِدُ وَاصِفٌ بَلِيغٌ في صِفَةٍ لهُ مَقالًا لم يَسْبِقُوهُ اليه لا في تعظِيمٍ لِلّهِ عَزَّ وجَلَّ وتَرْغِيبٍ فيما عندَهُ ولا في تَصْغِيرٍ لِلدُّنيا وتَزْهِيدٍ فيها ولا في تَحْرِيرِ (٦) صُنُوفِ العِلْمِ وتَقْسِيمِ أَقْسامِها وتَجْزِئَةِ أَجْزَائِها وتَوْضِيحِ سُبُلِها وتَبْيِينِ مَآخِذِها ولا في وُجُوهِ الأَدَبِ وضُرُوبِ (٧) الأَخْلاقِ فلَمْ يَبْقَ في جَلِيلٍ مِنَ الأَمْرِ لِقائِلٍ بَعْدَهُمْ مَقالٌ وقدْ بَقِيَتْ أَشياءُ مِنْ لطائِفِ الأُمُورِ فيها مَوَاضِعُ لِصِغارِ الفِطَنِ مُشْتَقَّةٌ مِنْ جِسامِ حِكَمِ الأَوَّلِينَ وقَوْلِهِمْ ومِنْ ذلكَ بَعْضُ ما أنا كاتِبٌ في كِتابِي هذا مِنْ أَبْوابِ الأَدَبِ الَّتِي يَحْتاجُ اليها الناسُ

---

(١) أى يضيع عليه (٢) العقد جمع عقدة وهى العقار ونحوه ، يقال اعتقد فلان عقدة اذا اشترى ضيعة أو اتخذ مالا من عقار وغيره (٣) المحاورة المراجعة والمجادلة ، واياهم مفعول يحاور قدم عليه للحصر (٤) المنتخل المختار وكذا المنتقى بمعناه أيضا (٥) غادره وأغدره تركه (٦) أى تقويمها (٧) جمع ضرب بفتح فسكون الصنف ، والجليل العظيم ، واللطائف جمع لطيفة وهى من فسكون جمع فطنة بالكسر وهى الحذق

يا طالِبَ الأَدَبِ اعرِفِ الأُصُولَ والفُصُولَ [1] فإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النّاسِ يَطْلُبُونَ الفُصُولَ مَعَ إِضاعَةِ الأُصُولِ فلا يَكُونُ دَرْكُهُمْ [2] دَرْكاً ومَنْ أَحْرَزَ الأُصُولَ اكْتَفَى بِها عَنِ الفُصُولِ وإِنْ أَصابَ الفَصْلَ بعدَ إِحْرازِ الأَصْلِ فهُوَ أَفْضَلُ

فأَصْلُ الأَمْرِ في الدِّينِ أَنْ تَعْتَقِدَ الإِيمانَ على الصَّوابِ وتَجْتَنِبَ الكَبائِرَ وتُؤَدِّيَ الفَرِيضَةَ فالْزَمْ ذلكَ لُزُومَ مَنْ لا غَناءَ بِهِ عنهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ ومَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ [3] إِنْ حُرِمَهُ هلَكَ ثُمَّ إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُجاوِزَ ذلكَ الى التَّفَقُّهِ في الدِّينِ والعِبادةِ فهُوَ أَفْضَلُ وأَكْمَلُ

وأَصْلُ الأَمْرِ في إِصلاحِ الجَسَدِ أَلَّا تَحْمِلَ عليهِ مِنَ المَآكِلِ والمَشارِبِ والباهِ الّا خِفافاً [4] وإِنْ قدرْتَ على أَنْ تَعْلَمَ جَمِيعَ مَنافِعِ الجَسَدِ ومَضارِّهِ والانْتِفاعَ بذلكَ فهوَ أَفْضَلُ

وأَصْلُ الأَمْرِ في البَأْسِ [5] أَلّا تُحَدِّثَ نفسَكَ بالإِدْبارِ وأَصْحابُكَ مقبِلونَ على عَدُوِّهِمْ ثُمَّ إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ حامِلٍ وآخِرَ مُنْصَرِفٍ مِنْ غَيْرِ

---

(١) الاصول جمع أصل وهو فى اللغة عبارة عما يفتقر اليه ولا يفتقر هو الى غيره ، وفى الشرع عبارة عما يبنى عليه غيره ولا يبنى هو على غيره ، والاصل ما يثبت حكمه بنفسه ويبنى عليه غيره (سيد) ، والفصول جمع فصل وهو خلاف الاصل فالفصول فروع للأصول (٢) الدرك بفتحتين وسكون الراء لغة اسم من أدركت الشئ ، يقال أدركت الشئ اذا طلبته فلحقته وأدرك الغلام اذا بلغ الحلم فهو لحاق معنوى كما فى المصباح ولم يستعمل منه فعل ثلاثى (٣) قوله ومن يعلم أنه الخ معطوف على من الاولى فى قوله لزوم من الخ (٤) جمع خفيف ضد الثقيل (٥) البأس الكلام ما غمض معناه وخفى

تَضييع لِلحَذَرِ فهوَ أفضَلُ

وأصلُ الأَمرِ في الجودِ ألّا تَضِنَّ بالحُقوقِ عَنْ أهلِها ثمَّ إنْ قَدَرتَ أنْ تَزيد ذَا الحَقِّ على حقِّهِ وتَطُولَ (١) على مَنْ لا حقَّ لهُ فافعَلْ فهوَ أفضَلُ

وأصلُ الأمرِ في الكلامِ أنْ تَسلَمَ مِنَ السَّقَطِ بالتَّحفُّظِ (٢) ثمَّ إنْ قَدَرتَ على بارِعِ الصَّوَابِ (٣) فهوَ أفضَلُ

وأصلُ الأَمرِ في المَعيشَةِ أنْ لا تَنِيَ (٤) عَنْ طَلَبِ الحَلالِ وأنْ تُحسِنَ التَّقديرَ لِمَا تُفيدُ وما تُنفِقُ ولا يَغُرَّنَّكَ مِنْ ذلِكَ سَعَةٌ تَكُونُ فِيها فإنَّ أعظَمَ النَّاسِ في الدُّنيا خَطَرًا أحوَجُهُمْ الي التَّقديرِ والمُلوكُ أحوَجُ الى التَّقديرِ مِنَ السُّوقَةِ لِأَنَّ السُّوقَةَ قَدْ يَعيشُ بغَيرِ مالٍ والمُلوكُ لا قِوَامَ لهمْ إلاَّ بالمَالِ ثمَّ إنْ قَدَرتَ على الرِّفقِ واللُّطفِ في الطَّلَبِ والعِلمِ بالمَطالِبِ فهُوَ أفضَلُ

وأنا وَاعِظُكَ في أشياءَ مِنَ الأَخلاقِ اللَّطيفَةِ والأُمورِ الغامِضَةِ الَّتي لو حَنَّكَتكَ (٥) سِنٌّ كُنتَ خَليقًا أنْ تَعلَمَها وانْ لمْ تُخبَرْ عنها ولكِن

---

(١) تطول أي تمتن من الطول بفتح فسكون وهو المن والافضال (٢) السقط بفتحتين الخطأ من القول والفعل وردىء المتاع (٣) البارع الفائق من برع يبرع من باب خضع ، وبرع براعة من باب كرم كرامة اذا فضل في علم أو شجاعة أوغير ذلك ، واضافته الى الصواب من اضافة الصفة الى الموصوف أى الصواب البارع على طريقة الاسناد المجازى (٤) أى لا تقصر من ونى يني من باب تعب ووعد اذا ضعف وفتر (٥) أى أحكمتك التجارب لان الرجل كلما تقدم في السن تكثر تجاربه واختباره للأمور فيصير كأنه محنك من حنك الرجل الفرس يحنكه اذا جعل في فيه الرسن كي يذلل ، ويقال حنكه تحنيكا اذا دلك حنكه فقولهم حنكته السن وحنكته الامور معناه فعلت به مايفعل بالفرس اذا حنك حتى عاد مجربا

أحمد

أحبَبْتُ أنْ أُقَدِّمَ إِليكَ فيها قَوْلاً لِتَرُوضَ (١) نَفْسَكَ على مَحاسِنِها قَبلَ أنْ تَجْرِيَ على عادَةِ مَساوِيها فانَّ الإِنسانَ قدْ تَبْتَدِرُ اليهِ في شَبِيبَتِهِ المَساوِي وقدْ يَغلِبُ عليهِ ما يَبْدُرُ اليهِ منها

إِنِ ابْتُلِيتَ بالإِمارَةِ فتَعَوَّذْ بالعُلَماءِ واعلَمْ أنَّ مِنَ العُجْبِ أنْ يُبْتَلَى الرَّجُلُ بها فَيُرِيدَ أنْ يَنْتَقِصَ مِنْ ساعاتِ نَصَبِهِ وعَمَلِهِ فَيَزِيدَها في ساعاتِ دَعَتِهِ وشَهْوَتِهِ وإِنَّما الرَّأْيُ لهُ والحَقُّ عليهِ أنْ يأْخُذَ لِعَمَلِهِ مِنْ جَمِيعِ شُغْلِهِ فيأْخُذَ مِنْ طَعامِهِ وشَرَابِهِ ونَوْمِهِ وحَدِيثِهِ ولَهْوِهِ ونِسائِهِ فإِذا تَقَلَّدْتَ شَيْئًا مِنَ الأَعْمالِ فَكُنْ فِيهِ أحَدَ رَجُلَيْنِ إِمَّا رَجُلاً مُغْتَبِطًا (٢) بهِ فَحافِظًا عليهِ مَخافَةَ أنْ يَزُولَ عنهُ وإِمَّا رَجُلاً كارِهًا فالكارِهُ عامِلٌ في سُخْرَةٍ (٣) امَّا لِلْمُلوكِ انْ كانُوا هُمْ سلَّطُوهُ وامَّا لِلّهِ انْ كانَ لَيسَ فَوْقَهُ غيرُهُ

ايَّاكَ اذا كُنْتَ والِياً أنْ يكُونَ مِنْ شأْنِكَ حُبُّ المَدْحِ والتَّزْكِيَةِ وأنْ يَعرِفَ النّاسُ ذلِكَ مِنكَ فتَكُونَ ثُلْمَةً مِنَ الثُّلَمِ (٤) يَتَقَحَّمُونَ عليكَ (٥)

---

(١) راض نفسه على الشيء أكثر من استعمالها فيه مذللا ، وهذا استعمال مجازى وهو من قولهم راض المهر رياضة (٢) المغتبط المغبوط ، يقال فلان مغتبط أى فى غبطة ، والغبطة بالكسر حسن الحال والمسرة ، والغبطة بالكسر أيضا أن تمنى مثل حال المغبوط من غير أن تريد زوالها عنه وليس بحسد ، يقال غبطه بما نال من باب ضرب وغبطه أيضا فاغتبط هو ، والاغتباط التبجح بالحال الحسنة (٣) ماسخرته من خادم أو دابة بلا أجرة (٤) الثلمة فى الحائط وغيره الخلل وجمعها ثلم مثل غرفة وغرف (٥) يتقحمون أى يدخلون و يهجمون عليك من هذه الثلمة من قحم فى الامر رمى بنفسه فيه من غير روية و بابه خضع ، واقتحم الفرس النهر اذا دخل فيه وتقحم مثله

مِنها وَباباً يفتتحونَكَ منهُ وغيبةً (١) يغتابونَكَ بها ويَضحَكونَ منها . اعلَمْ أنَّ قابلَ المَدْحِ كمادحِ نفسِهِ والمرءُ جديرٌ (٢) أنْ يكونَ حبُّهُ المَدحَ هُوَ الذي يَحمِلُه على رَدِّهِ فإنَّ الرّادَّ لهُ محمودٌ والقابلَ لهُ معيبٌ

لتَكُنْ حاجتُكَ في الولايةِ الى ثلاثِ خصالٍ رِضَى رَبِّكَ ورِضَى سلطانٍ انْ كانَ فوقَكَ ورضَى صالحِ مَنْ تَلِي عليهِ . وما عليكَ أنْ تلهى (٣) عَنِ المالِ والذِّكْرِ فسيأتيكَ منهما ما يكفي ويَطيبُ واجعَلِ الخصالَ الثّلاثَ بِمَكانِ مالا بُدَّ لكَ منهُ والمالَ والذِّكْرَ بِمَكانِ ما أنتَ واجدٌ منهُ بُدًّا (٤)

اعرِفْ أهلَ الدِّينِ والمُروءةِ في كلِّ كُورةٍ (٥) وقريةٍ وقبيلةٍ فيَكونوا هُمْ اخوانَكَ وأعوانَكَ (٦) وبطانَتَكَ وثِقاتِكَ ولا يقذفنَّ في رُوعِكَ (٧) أنَّكَ ان استَشَرْتَ الرِّجالَ ظهرَ لِلنّاسِ منكَ الحاجةُ الى رأي غيرِكَ فانَّكَ لستَ تُريدُ الرَّأيَ لِلافتخارِ بهِ ولكنْ تُريدُهُ لِلانتفاعِ بهِ ولَوْ أنَّكَ مَعَ ذلكَ أردتَ الذِّكْرَ كانَ أحسَنَ الذِّكْرَيْنِ (٨) وأفضَلَها عندَ أهلِ الفضلِ أنْ يقالَ لا يتفرَّد

---

(١) الغيبة بالكسر اسم من الاغتياب وهو أن يتكلم خلف انسان مستور بكلام هو فيه فان لم يكن ذلك الكلام فيه فهو بهتان ، واغتابه اغتيابا اذا ذكره بما يكره من العيوب (٢) أي حقيق (٣) لهى عن الشيء سلا عنه وترك ذكره (٤) قد استعمل بدا هنا في الاثبات وقد قال بعضهم انه لا يعرف استعماله الا مقرونا بالنفي يقال لا بد من كذا أي لا محيد عنه أو لا عوض منه (٥) الصقع والمدينة (٦) جمع عون وهو الظهير والناصر ، و بطانة الرجل أهل سره وأصحابه ممن يسكن اليه و يثق بموده ، والثقات جمع ثقة وهو الذي يأتمنه الرجل و يعتمد على صدقه (٧) الروع بالضم القلب والعقل ، والقذف الرمي والالقاء (٨) قوله الذكرين وأفضلها في العبارة تحريف اما في كلمة الذكرين أو في ضمير وأفضلها فان كان في كلمة الذكرين فيكون صوابها الذكرى مصدرا بمعنى الذكر و يراد برأيه

بِرَأْيِهِ دُونَ اسْتِشارَةِ ذَوِي الرَّأْيِ

انكَ انْ تَلْتَمِسْ رِضَى جَمِيعِ النّاسِ تَلْتَمِسْ مالا يُدْرَكُ وَكَيْفَ يَتَّفِقُ لَكَ رَأْيُ المُخْتَلِفِينَ وما (١) حاجَتُكَ الى رِضَى مَنْ رِضاهُ الجَوْرُ والى مُوافَقَةِ مَنْ مُوافَقَتَه الضَّلالة والجَهالةُ فعَلَيكَ بالتِماسِ رِضَى الأَخْيارِ مِنهُمْ وَذَوِي العَقْلِ فانَّكَ مَتَى تُصِبْ ذلِكَ تَضَعْ عنكَ مَؤُنَةَ ماسواهُ.

لا تُمَكِّنْ أهلَ البلاءِ (٢) من التَذَلُّل ولا تُمَكِّنْ مَنْ سِواهُمْ مِنَ الإجْتِراءِ عَلَيهِمْ والعَيْبِ لهُمْ

لِتَعْرِفْ رَعِيَّتُكَ أبْوابَكَ الّتِي لا يُنالُ ماعِنْدَكَ من الخَيْرِ إلاّ بها والأبْوابَ الّتِي لا يَخافُكَ خائِفٌ الاّ مِنْ قِبَلِها . احْرِصِ الحِرْصَ (٣) كلَّهُ على أنْ تَكُونَ خَبِيرًا بأُمُورِ عُمّالِكَ (٤) فانّ المُسِيءَ يَفْرَقُ (٥) مِنْ خِبْرَتِكَ قَبْلَ أن تُصِيبَهُ عُقُوبَتُكَ وانّ المُحْسِنَ يَسْتَبْشِرُ بِعِلْمِكَ قَبْلَ أنْ يأْتِيَهُ مَعْرُوفُكَ

لِيَعْرِفِ النّاسُ فِيما يَعْرِفُونَ مِنْ أخْلاقِكَ أنّكَ لا تُعاجِلُ بالثَّوابِ ولا بالعِقابِ فانَّ ذلِكَ أدْوَمُ لِخَوْفِ الخائِفِ ورَجاءِ الرَّاجي

بالذكرى بمعنى الذكر الصيت والشرف ولم يجيء مصدر على فعلى غير هذه الكلمة وان كان التحريف فى ضمير وأفضلها فيلزم أن يكون ضمير تثنية يرجع الى الذكرين ويراد بالذكرين الذكر الحسن والذكر القبيح هذا ماظهر لى فى تصحيح العبارة (١) ما استفهامية تتضمن معنى النفى (٢) من الابتلاء أى الامتحان والمراد هنا الصنع (٣) المراد بالحرص كله الجشع اذ هو أشد الحرص (٤) جمع عامل وهو من يتقلد عملا من أعمال الدولة (٥) أى يخاف والخبرة العلم بالشيء والخبير العالم به

عَوِّدْ نَفْسَكَ الصَّبْرَ على مَنْ خالَفَكَ مِنْ ذَوي النَّصيحَةِ والتَّجَرُّعَ[١] لِمَرارَةِ قَوْلِهِمْ وعَذْلِهِمْ ولا تُسَهِّلَنَّ سَبيلَ ذلِكَ إلّا لِأَهْلِ العَقْلِ والسِّنِّ[٢] والمُرُوءَةِ لِئَلّا يَنْتَشِرَ مِنْ ذلِكَ ما يَجْتَرِئُ بِهِ سَفيهٌ أَوْ يُسْتَخَفُّ لَهُ شَأْنٌ

لا تَتْرُكَنَّ مُباشَرَةَ جَميعِ أَمْرِكَ فَيَعُودَ شَأْنُكَ صَغيرًا ولا تُلْزِمْ نَفْسَكَ مُباشَرَةَ الصَّغيرِ فَيَصيرَ الكَبيرُ ضائِعاً

إعْلَمْ أَنَّ رَأْيَكَ لا يَتَّسِعُ لِكُلِّ شَيْءٍ فَفَرِّغْهُ لِلْمُهِمِّ وأَنَّ مالَكَ لا يُغْني النّاسَ كُلَّهُمْ فاخْتَصَّ بِهِ ذَوي الحُقُوقِ وأَنَّ كَرامَتَكَ[٣] لا تُطيقُ العامَّةَ فَتَوَخَّ بِها أَهْلَ الفَضائِلِ[٤] وأَنَّ لَيْلَكَ ونَهارَكَ لا يَسْتَوْعِبانِ حاجاتِكَ وإِنْ دَأَبْتَ[٥] فيهِما وأَنَّهُ لَيْسَ لَكَ الى أَدائِها سَبيلٌ مَعَ حاجَةِ جَسَدِكَ الى نَصيبِهِ مِنَ الدَّعَةِ[٦] فَأَحْسِنْ قِسْمَتَهُما[٧] بَيْنَ دَعَتِكَ وعَمَلِكَ

واعْلَمْ أَنَّكَ ما شَغَلْتَ مِنْ رَأْيِكَ بِغَيْرِ المُهِمِّ أَزْرَى بِالمُهِمِّ[٨] وما صَرَفْتَ مِنْ مالِكَ بالباطِلِ فَقَدْتَهُ حينَ تُريدُهُ لِلْحَقِّ وما عَدَلْتَ[٩] بِهِ مِنْ كَرامَتِكَ

---

(١) التجرع تفعل يفيد معنى التكلف أى تكلف الجرع لمرارة قولهم وعذلهم أى لومهم والجرع البلع يقال جرع الماء يجرعه من باب منع جرعا اذا بلعه والجرعة من الماء كاللقمة من الطعام وفى الكلام استعارة بالكناية وتخييل حيث شبه مرارة قولهم وعذلهم بشراب مر والتجرع تخييل وهو معطوف على الصبر أى عود نفسك التجرع الخ ويصح عطفه على من خالفك أى عود نفسك الصبر على التجرع الخ (٢) أى العمر والمراد الذين تقدموا فى السن (٣) الكرامة اسم يوضع موضع الاكرام ، والتكريم أى التعظيم ، والطاقة الوسع والقدرة (٤) توخيت الشئ تحريته وقصدته (٥) دأب فى عمله كمنع جد وتعب (٦) الدعة بالفتح الراحة والسكون ، والوديع الساكن (٧) ضمير التثنية راجع الى الليل والنهار (٨) أزريت به قصرت به وحقرته (٩) قوله عدلت به عدل

الى

الى أهل النقص أضرُّ بك في العجز عن أهل الفضل وما شغلت من ليلك ونهارك في غير الحاجة أزرى بك في الحاجة

اعلم أنَّ من النّاس ناساً كثيرًا يبلغ من أحدهم الغضب اذا غضب أن يحمله ذلك على الكلوح (١) والتقطيب في وجه غير من أغضبه وسوء اللفظ لمن لا ذنب له والعقوبة لمن لم يكن يهمّ بعقوبته وسوء المعاقبة باليد واللّسان لمن لم يكن يريد به الّا دون ذلك ثمَّ يبلغ به الرّضى اذا رضى أن يتبرَّع بالأمر ذي الخطر (٢) لمن ليس بمنزلة ذلك عنده ويعطي من لم يكن أعطاه ويكرم من لا حقّ له ولا مودّة فاحذر هذا الباب كلّه فإنّه ليس أحدٌ أسوأ حالاً من أهل القدرة الذين يفرطون باقتدارهم في غضبهم وسرعة رضاهم فإنّه لو وصف بصفة من يتلبَّس (٣) بعقله أو يتخبّطه المسُّ من يعاقب في غضبه غير من أغضبه ويحبو (٤) عند رضاه غير من أرضاه لكان جائزًا في صفته

اعلم أنَّ الملك ثلاثة ملكُ دين وملكُ حزم وملكُ هوًى . فأمَّا ملكُ الدّين فإنه اذا أُقيم لأهله دينهم وكان دينهم هو الذي يعطيهم مالهم ويلحق بهم الذي عليهم أرضاهم ذلك ونزل السّاخط منهم منزلة الرّاضي في الإقرار

---

(١) الكلوح تكشر في عبوس (٢) الخطر هنا الشرف ورفعة المنزلة (٣) بالبناء للمجهول من التلبس وهو هنا بمعنى مال ، ومن كرامتك بيان لما فى قوله وما عداك الاختلاط أى يختلط بعقله ويتخبطه أى يفسده ، والمس الجنون (٤) حباه يحبوه حبوة أعطاه ، والحباء العطاء

والتَّسليمِ . وأمَّا مُلكُ الحَزمِ فإنَّهُ يَقُومُ بِهِ الأَمرُ ولا يَسلَمُ مِنَ الطعْنِ والتَّسخُّطِ . ولَن يَضُرَّ طَعْنُ الذَّليلِ مَعَ حَزمِ القويِّ . وأمَّا ملكُ الهوى فلَعِبُ ساعةٍ ودَمارُ دَهرٍ .

اذا كانَ سلطانُكَ (١) عندَ جِدَّةِ دَولَةٍ فَرأيتَ أمرًا استقامَ بغيرِ رأيٍ وأعوانًا جزَوا بغيرِ نيلٍ وعَمَلاً أنجَحَ (٢) بِغيرِ حَزمٍ فلا يَغُرَّنَّكَ ذلِكَ فلا تَستَنِمْ (٣) إليهِ فإنَّ الأمرَ الجَديدَ مِمَّا تَكُونُ لهُ مَهابَةٌ في أنفسِ أقوامٍ وحَلاوَةٌ في أنفسِ آخرينَ فيُعينُ قَومٌ بأنفُسِهِم ويُعِينُ قَومٌ بما قِبَلَهُم (٤) ويَستَتِبُّ (٥) بذلِكَ الأمرُ غيرَ طويلٍ ثمَّ تَصيرُ الشُّؤُونُ (٦) الى حقائقِها وأُصولِها فما كانَ مِنَ الأمرِ بُنِيَ على غيرِ أركانٍ (٧) وثيقةٍ ولا عِمادٍ مُحكَمٍ أوشَكَ أنْ يَتَداعَى ويَتَصدَّعَ

لا تكُونَنَّ نَزِرَ (٨) الكَلامِ والسَّلامِ ولا تُفرِطَنَّ بالهَشاشَةِ والبَشاشَةِ فإنَّ احداهُما (٩) مِنَ الكِبرِ والأُخرَى (١٠) مِنَ السُّخفِ (١١)

---

(١) أي تسلطك وولايتك (٢) أنجح أي صار ذا نجح ، والنجح الظفر بالشيء ، والحزم ضبط الامر والأخذ بالثقة (٣) من استنام الى الشيء اذا سكن واطمأن اليه (٤) أي عندهم (٥) أي يتهيأ ويستقيم (٦) جمع شأن وهو الامر والحال (٧) جمع ركن وركن الشيء جانبه الاقوى ، والوثيق المحكم ، والعماد ما يعمد أي يسند به وجمعه عمد بفتحتين ، والمحكم المتقن ، يقال أحكمت الشيء اذا أتقنته ، وأوشك أي دنا وقرب ويتداعى أي ينهدم ، ويتصدع أي يتشقق (٨) النزر القليل والافراط في الشيء مجاوزة الحد فيه ، والبشاشة طلاقة الوجه والهشاشة الارتياح والخفة (٩) وهي قلة الكلام والسلام (١٠) وهي مجاوزة الحد في الهشاشة والبشاشة (١١) أي نقص العقل

اذا كنتَ لا تَضبطُ (١) أمرَكَ ولا تَصُولُ على عَـدُوّكَ إلّا بقومٍ لستَ منهُمْ على ثقةٍ مِنْ رأيٍ ولا حفاظٍ (٢) مِنْ نيةٍ فلا تنفعُكَ نافعةٌ حتّى تحوّلَهُمْ ان استطعتَ الى الرّأيِ والأدبِ الذي بمثلهِ تكونُ الثقةُ أوْ تستبدلَ بهمْ ان لمْ تستطعْ نقلَهُمْ الى ما تُريدُ ولا تغرّنّكَ قوّتُكَ بهمْ وإنّما أنتَ في ذلكَ كراكبِ الأسدِ الذي يهابُهُ مَنْ نظرَ اليهِ وهوَ لمرْكبهِ أهيبُ

ليسَ للمَلِكِ أنْ يغضبَ لأنَّ القُدرةَ مِنْ وراءِ حاجتهِ . وليسَ لهُ أنْ يكذبَ لأنهُ لا يقدرُ أحدٌ على استكراهه على غيرِ ما يُريدُ . وليسَ لهُ أنْ يبخلَ لأنهُ أقلُّ النّاسِ عذرًا في تخوّفِ الفقرِ . وليسَ لهُ أنْ يكونَ حقودًا لأنَّ خطرَهُ قدْ عظُمَ عنْ مُجازاةِ كلِّ النّاس . وليتّقِ أنْ يكونَ حلّافًا فأحقُّ النّاسِ باتّقاءِ الأيمانِ الملُوكُ فإنّما يحملُ الرّجلَ على الحلفِ إحدَى هذهِ الخلالِ : إمّا مهانةٌ (٣) يجدُها في نفسهِ وضرعٌ (٤) وحاجةٌ الى تصديقِ النّاسِ إيّاهُ . وإمّا عيٌّ (٥) بالكلامِ حتّى يجعلَ الأيمانَ لهُ حشوًا ووصلًا . وإمّا تهمةٌ قدْ عرفَها منَ النّاسِ لحديثهِ فهوَ يُنزّلُ نفسَهُ منزلةَ مَنْ لا يُقبَلُ منهُ قولُهُ الّا بعدَ جهْدِ (٦) اليمينِ . وإمّا عبثٌ في القولِ أوْ إرسالُ اللّسانِ على غيرِ رويةٍ (٧) ولا تقديرٍ

---

(١) أى لاتحفظه حفظا بليغا ، ولاتصول أى لا تسطو (٢) ذب عن المحارم (٣) المهانة الحقارة مصدر مهن يمهن بالضم (٤) خضوع واستكانة (٥) أى عجز وحصر وهو مصدر عيي يعيا بوزن رضي يرضى (٦) بفتح الجيم وضمها الوسع والطاقة أى بعد بذل وسعه وطاقته فى الحلف (٧) الروية الفكر والتدبر فى الامر جرت على ألسنتهم بغير همز تخفيفا من روّأت فى الامر بالهمز اذا نظرت فيه كما فى المصباح

لا عَيْبَ على المَلِكِ في تعيُّشِهِ وتنعُّمِهِ اذا تعهَّدَ الجَسِيمَ مِنْ أمْرِهِ وفوَّضَ ما دُونَ ذلكَ الى الكُفاةِ (١)

كلُّ الناسِ حَقِيقٌ (٢) حِينَ يَنظُرُ في أمرِ الناسِ أنْ يَتَّهِمَ نَظَرَهُ بِعَينِ الرِّيبةِ (٣) وقلبَهُ بِعَينِ المَقْتِ (٤) فإنَّهما يُرِيانِ الجَوْرَ ويَحْمِلانِ على الباطِلِ ويُقَبِّحانِ الحَسَنَ ويُحَسِّنانِ القَبِيحَ وأحَقُّ الناسِ باتِّهامِ عَينِ الرِّيبةِ وعَينِ المَقْتِ المَلِكُ الذي ما وقعَ في قلبِهِ رَبا (٥) معَ ما يُقيِّضُ (٦) لهُ مِنْ تزيينِ القُرَناءِ والوُزَراءِ . وأحَقُّ الناسِ بإجْبارِ نفسِهِ على العَدْلِ في النَّظَرِ والقَوْلِ والفِعْلِ الوَالِي الذي ما قالَ أوْ فعلَ كانَ أمرًا نافذًا غيرَ مَرْدُودٍ

لِيعْلَمِ الوَالِي أنَّ الناسَ يَصِفُونَ الوُلاةَ بسُوءِ العَهْدِ (٧) ونِسْيانِ الوُدِّ (٨) فَلْيُكابِدْ (٩) نَقْضَ قَوْلِهِمْ ولْيُبْطِلْ عنْ نفسِهِ وعَنِ الوُلاةِ صِفاتِ السُّوءِ التي يُوصَفُونَ بِها

لِيتفقَّدِ الوَالِي فِيما يتفقَّدُ مِنْ أُمُورِ الرَّعِيَّةِ فاقةَ (١٠) الأحْرارِ منهُمْ فَلْيَعْمَلْ في سَدِّها وطُغْيانَ (١١) السَّفِلَةِ منهُمْ فَلْيَقْمَعْهُ (١٢) ولْيَسْتَوْحِشْ مِنَ الكَرِيمِ

(١) الخدم الذين يقومون بالخدمة جمع كاف من كفى الرجل يكفى كفاية اذا قام بالامر فهو كاف (٢) خليق وجدير (٣) الشك (٤) أشد البغض (٥) قوله ربا لا مناسبة لكلمة الربا هنا ، فالظاهر أنها محرفة عن رياء بمعنى ترك الاخلاص فى العمل أو عن رباء كسماء بمعنى المنة والطول فتأمل (٦) أى يسبب ويقدر (٧) الامان والموثق (٨) المحبة والمودة (٩) المكابدة للشئ تحمل المشاق فى فعله ، والكبد بفتحتين المشقة (١٠) الفقر والحاجة (١١) مجاوزة الحد فى العصيان ، والسفلة الاراذل والسقاط من الناس (١٢) أمر من قمعه يقمعه من باب منع قهره وأذله وردعه وكفه

الجائع

الجائعِ واللئيمِ الشبعانِ فإنما يَصُولُ (١) الكريمُ اذا جاعَ واللئيمُ اذا شبعَ

لا يَحسُدَنَّ الوالي مَنْ دُونهُ فانّهُ في ذلكَ أقلُّ عذرًا من السُّوقةِ (٢) التي انما تحسُدُ مَنْ فوقَها وكلٌّ لا عذرَ لهُ

لا يَلُومنَّ الوالي على الزَّلَّةِ مَنْ ليسَ بمتّهمٍ على الحِرْصِ على رضاهُ الّا لَوْمَ أدبٍ وتقويمٍ ولا يَعدِلَنَّ (٣) بالمُجتهِدِ في رضاهُ البصيرِ بما يأتي أحدًا فانّهما (٤) اذا اجتمعا في الوزيرِ أو الصاحبِ نامَ الوالي واستراحَ وجُلِبَتْ اليهِ حاجاتُهُ وإنْ هدأَ عنها وعملَ فيما يهمهُ وإنْ غفَلَ

لا يُولَعَنَّ (٥) الوالي بسوءِ الظنِّ لقولِ الناسِ وليَجعلْ لحُسنِ الظنِّ مِنْ نفسهِ نصيبًا موفورًا (٦) يُرَوِّحُ بهِ عنْ قلبِهِ ويُصدِرُ بهِ أعمالَهُ

لا يُضيعَنَّ الوالي التَّثبُّتَ عندَ ما يقولُ وعندَ ما يُعطي وعندَ ما يفعلُ فان الرجُوعَ عَنِ الصَّمتِ أحسنُ مِنَ الرُّجُوعِ عَنِ الكلام وإنَّ العطيَّةَ بعدَ المَنعِ أجملُ مِنَ المنعِ بعدَ الإعطاءِ وإنَّ الاقدامَ على العملِ بعدَ التأنّي فيهِ أحسنُ منَ الإمساكِ عنهُ بعدَ الاقدامِ عليهِ وكلُّ الناس مُحتاجٌ الى التثبُّتِ وأحوجُهُمْ اليهِ مُلوكُهُمْ الذينَ ليسَ لقولِهمْ وفعلِهمْ دافعٌ وليسَ عليهمْ مُستحِثٌّ (٧)

لِيَعلَمِ الوالي أن الناسَ على رأيهِ الّا مَنْ لا بالَ (٨) لهُ منهُمْ فليَكُنْ للبِرِّ

---

(١) أي يثب (٢) السوقة عند العرب خلاف الملك وليس المراد منها أنه من كان من أهل الاسواق كما تظنه العامة كذا في المصباح (٣) أي لا يسوّين الوالي عن يجتهد في تحصيل رضاه أحدا من عدل الرجل فلانا بفلان اذا سوّى بينهما (٤) قوله فانهما أي المجتهد في رضاه والبصير بما يأتي (٥) مبني للمجهول من ولع يولع كوجل يوجل وأولع به بالبناء للمجهول اذا كان مغرى به (٦) أي تاما كثيرا (٧) من حثه على الشيء حضه عليه (٨) أي لا شأن له يهتم به

والمُرُوءَةِ عندَهُ نفاقٌ (١) فيَكسُدُ بذلكَ الجَوْرُ والدَّناءَةُ في آفاقِ الأرضِ (٢)

جِماعُ (٣) مايحتاجُ اليهِ الوالي رأيانِ رأيٌ يُقوّي سُلطانَهُ ورأيٌ يُزَيِّنُهُ في الناسِ ورأيُ القُوَّةِ أحقُّهما بالبُداءةِ (٤) وأولاهُما بالأثَرَةِ (٥) ورأيُ التَّزيينِ أحضَرُهُما حلاوَةً وأكثرُهُما أعواناً مع أنَّ القُوَّةَ منَ الزِّينَةِ والزِّينةَ منَ القُوَّةِ لكنِ الأمرُ يُنسَبُ الى أعظَمِهِ

إنْ شُغِلتَ بِصُحبَةِ المُلوكِ فعليكَ بِطولِ الرَّابطَةِ (٦) في غيرِ معاتَبَةٍ ولا يُحدِثنَّ لكَ الاستئناسُ غفلَةً ولا تَهاوُناً

اذا رأيتَ أحدَهُمْ يجعَلُكَ أخاً فاجعَلْهُ أباً ثمَّ إنْ زادكَ فَزِدْهُ

اذا نَزَلتَ مِنْ ذي مَنزِلَةٍ أوْ سُلطانٍ فلا تَرَيَنَّ أنَّ سُلطانَهُ زادكَ لهُ تَوْقيرًا وإجلالاً مِنْ غيرِ أنْ يَزيدَكَ وُدًّا ولا نُصحاً وأنَّكَ تَرى حقًّا لهُ التَّوقيرَ والاجلالَ وكُنْ في مُداراتِهِ والرِّفْقِ بهِ كالمُؤتَنِفِ (٧) ماقِبَلَهُ ولا تقدِّرِ الأمرَ بينَكَ وبينَهُ على ما كُنتَ تَعرِفُ مِنْ أخلاقِهِ فانَّ الأخلاقَ مُستحيلَةٌ (٨) معَ المُلكِ ورُبَّما رأينا الرَّجُلَ المُدِلَّ (٩) على ذي السلطانِ بِقِدَمِهِ قد أضرَّ بهِ قِدَمُهُ

---

(١) رواج من نفق ينفق بالضم نفاقا راج وضده الكساد (٢) كسد الشيء لم ينفق لقلة الرغبات فيه ويعدى بالهمزة فيقال أكسده الله (٣) جماع الشيء بالكسر مايجمعه ومنه الخمر جماع الاثم (٤) البداءة اسم من بدأ وأما البداية بالياء فهو عامي (٥) الاثرة الاختيار والتفضيل (٦) الرابطة العلاقة والوصلة وهذا المعنى غير مناسب لهذا الموضع فلعلها محرفة من الرياضة (٧) ائتنف الشيء واستأنفه أخذ فيه وابتدأه (٨) أي متحولة (٩) اسم فاعل من أدل عليه انبسط كتدلل ووثق بمحبته

لا

لا تَعْتَذِرَنَّ إلاّ إلى مَنْ يُحِبُّ أنْ يَجِدَ لكَ عُذْرًا لا تَسْتَعِينَنَّ إلّا بِمَنْ يُحبّ أنْ يَظفَرَ لكَ بحاجتكَ

لا تُحَدِّثَنَّ إلاّ مَنْ يرى حديثكَ مَغْنَمًا (١) مالم يَغلبكَ الاضطرارُ

اذا غَرَسْتَ مِنَ المعرُوف غرساً وأنفقتَ عليهِ نَفَقَةً فلا تَضَنَّنَّ (٢) بالنَّفَقَةِ في تَرْبِيَةِ ما غرستَ فتذهبَ النَّفَقَة الاولى ضياعاً

اذا اعتَذَرَ إليكَ معتَذِرٌ فتلَقَّهُ بِوَجْهٍ مُشْرِقٍ وبِشْرٍ (٣) طَلِقٍ الّا أنْ يكُونَ مِمَّنْ قَطيعَتهُ غَنيمةٌ

اعْلَمْ أنَّ إخْوَانَ الصِّدْقِ هُمْ خَيْرُ مَكاسِبِ الدُّنْيا . زِينةٌ في الرَّخاءِ (٤). وعُدَّةٌ في الشِّدَّةِ . ومَعُونَةٌ في المَعاشِ والمَعادِ فلا تُفرِطَنَّ (٥) في اكتسابِهِمْ وابْتِغاءِ (٦) الوُصلاتِ والأسبابِ إليهِمْ

اعْلَمْ أنَّكَ واجِدٌ رَغْبَتَكَ مِنَ الإخاءِ عندَ أقوامٍ قدْ حالَتْ بَيْنَكَ وبَيْنَهُمْ بَعْضُ الأُبَّهَةِ (٧) الّتي قدْ تَعْتَرِي (٨) أهلَ المُرُوآتِ فَتَحجُزُ مِنهُمْ كَثِيرًا مِمَّنْ يُرْغَبُ في أمثالِهِمْ فإذا رَأيْتَ أحَدًا مِنْ أولئِكَ قدْ عَثَرَ (٩) بهِ الزَّمانُ فأقِلْهُ

اذا عَرَفْتَ نفسَكَ مِنَ الوالِي بمنزلةِ الثِّقةِ فاعزِلْ عنهُ كلامَ المَلَقِ (١٠) ولا

---

(١) مصدر ميمي بمعنى الغنيمة (٢) ضن بكذا بخل به من باب تعب (٣) بالكسر طلاقة الوجه (٤) الرخاء الخصب واتساع العيش ضد الشدة ، والعدة بالضم الاستعداد والتأهب وما أعددته من مال أو غيره ويجمع على عدد كغرفة وغرف (٥) التفريط التقصير والتضييع (٦) الابتغاء الطلب ، والوصلات جمع وصلة أي الاتصال (٧) الابهة كسكرة العظمة والنخوة (٨) أي تصيبهم ، وتحجز أي تمنع (٩) أي سقط من العثرة بمعنى السقوط ، وأقله أمر من الاقالة ، يقال أقاله الله عثرته اذا رفعه من سقوطه (١٠) الود

تُكْثِرَنَّ منَ الدُّعاءِ لهُ في كلِّ كلِمَةٍ فإنّ ذلكَ شَبيهٌ بالوَحْشَةِ والغُرْبةِ إلاّ أن تكلِّمَهُ على رُؤُسِ النّاس فلا تألُ (١) عمَّا عظَّمهُ ووقَّرَهُ

إِن استَطعْتَ ألَّا تَصْحَبَ مَنْ صَحِبْتَ منَ الوُلاةِ الّا على شعْبَةٍ (٢) مِنْ قَرابةٍ أوْ مودَّةٍ فافعلْ فإنْ أخطأكَ ذلكَ فاعلَمْ أنَّكَ تعمَلُ على عَملِ السُّخْرَةِ (٣) وإنِ استطعتَ أنْ تجعلَ صُحْبَتَكَ لِمنْ قدْ عرَفكَ مِنهُمْ بصالحِ مُرُوءتِكَ (٤) قبلَ ولايتِهِ فافعلْ

إنّ الوَالِيَ لاعِلمَ لهُ بالنّاس إلاّ ماقدْ عَلِمَ قبلَ ولايتِهِ فامّا اذا وَلِيَ فكلُّ النّاس يَلقاهُ بالتَّزين والتَّصنُّعِ (٥) وكلُّهُمْ يحتالُ لأنْ يُثْنِيَ عليهِ عندَهُ بما ليسَ فيهِ غيرَ أنّ الأَرْذالَ والأَنْذالَ هُمْ أشدّ لذلكَ تَصنُّعًا وعليهِ مُكابَرَةً وفيه تَمحلاً فلا يَمتَنِعُ الوَالِي وانْ كانَ بليغَ الرَّأيِ والنَّظرِ مِنْ أن يَنزِلَ عندَهُ كثيرٌ منَ الأَشْرارِ بمَنْزِلةِ الأخيارِ وكثيرٌ منَ الخانةِ (٦) بمَنزِلةِ الأُمناءِ وكثيرٌ مِنَ الغدَرَةِ (٧) بمَنْزِلةِ الأَوْفياءِ (٨) ويُغطَّى عليهِ أمرُ كثيرٍ مِنْ أهْلِ الفَضلِ الذينَ يَصُونونَ أَنفُسَهُمْ عَنِ التَّمحُّلِ (٩) والتَّصنع

لا يعْرِفنَّكَ الوُلاةُ بالهوَى في بَلْدَةٍ مِنَ البُلْدانِ ولا قبيلةٍ مِنَ القبائِلِ فيُوشِكُ أنْ تَحتاجَ فِيها إلى حِكايَةٍ أوْ مُشاهَدَةٍ فتُتَّهَمَ في ذلكَ واذا أرَدْتَ أنْ يقبلَ

---

(١) أى تقصر (٢) هى الطائفة من الشئ (٣) السخرة وزان غرفة ما سخرت من خادم أودابة بلا أجر ولا ثمن (٤) المروءة بضم الميم آداب نفسانية تحمل الانسان على الوقوف عند محاسن الاخلاق وجميل العادات وقد تشدد فيقال مروّة والتلطف (٥) تكلف حسن السمت (٦) جمع خائن ويجمع أيضاعلى خونة وخوّان (٧) جمع غادر كفجرة جمع فاجر (٨) الاوفياء جمع وفى كتقى واتقياء (٩) الاحتيال

قولك

قولكَ فَصَحِّحْ رَأيكَ ولا تَشُوبَنَّهُ (١) بِشَيْءٍ مِنَ الهوَى فإِنَّ الرَّأْىَ يَقبَلُهُ منكَ العَدُوُّ والهوَى يَرُدهُ عليكَ الوَلِيُّ وأحَقُّ (٢) مَنِ احْتَرَسْتَ مِنْ أنْ يَظُنَّ بكَ خَلطَ الرَّأْيِ بالهوَى الوُلاةُ فإِنَّها (٣) خديعَةٌ وخيانةٌ وكُفْرٌ

إن ابتليتَ بِصُحْبَةِ وَالٍ لا يُرِيدُ صلاحَ رَعيَّةٍ فَعلمْ أنَّكَ قدْ خُيِّرْتَ بينَ خَلَّتَينِ (٤) ليسَ بَيْنَهُما خِيارٌ إمَّا مَيلُكَ مَعَ الوَالِى على الرَّعيَّةِ وهذا هَلاكُ الدِّين وإمَّا الميلُ مَعَ الرَّعيَّةِ على الوَالِي وهذا هلاكُ الدُّنيا ولا حِيلَةَ لكَ إلَّا بالمَوْتِ أو الهرَب . واعْلَمْ أنَّهُ لا يَنْبَغِي لك وانْ كانَ الوَالِى غيرَ مَرْضِيِّ السِّيرَةِ اذا عَلِقَتْ حِبالُكَ بِحَبْلِهِ الّا المُحافَظَةَ عليهِ إلّا أنْ تجِدَ الى الفِرَاقِ الجميل سَبيلاً

تَبَصَّرْ ما في الوَالِى مِنَ الأخلاقِ الَّتي تُحَبُّ والَّتِي تُكْرَهُ وما هُوَ عليهِ مِنَ الرَّاْيِ الذِي يُرْضَى لهُ والذِى لا يُرْضَى ثمَّ لا تُكابِرْهُ بالتَّحْوِيلِ لهُ عمَّا يُحِبُّ ويَكْرَهُ إلي ما تحِبُّ وتَكْرَهُ فانَّ هذهِ رِياضَةٌ صَعْبَةٌ تَحْمِلُ على التَّنائِي (٥) والقِلَى

اعْلَمْ أنَّكَ قَلَّما تَقدِرُ على رَدِّ رَجُلٍ عَنْ طَرِيقَتِهِ التى هُوَ عليها بالمُكابَرَةِ (٦) والمُناقَضَةِ وانْ لم يَجْمَحْ (٧) عَنِ السُّلطَةِ ولَكِنَّك تَقدِرُ أنْ تُعِينَهُ على أحْسَنِ

---

(١) أى لا تخلطنه من الشوب وهو الخلط (٢) مبتدأ وخبره الولاة الآتى (٣) ينظر الى أين يعود ضمير فانها (٤) مثنى خلة أى خصلة بالفتح فيهما (٥) التباعد ، والقلى البغض (٦) المكابرة المنازعة فى المسائل ، والمناقضة ابطال أحد القولين بالآخر (٧) جمح من باب خضع يأتى بمعنى اعتز وغلب ، يقال جمح الفرس براكبه اذا استعصى حتى غلبه ويأتى بمعنى أسرع ومنه قوله تعالى وهم يجمحون ، والجموح من الرجال هو الذى يركب هواه ، وتعديته بعن تفيد معنى الرجوع والازدياد كما هنا اهـ

رَأْيِهِ وتُسَبِّبَ لهُ منهُ وتقَوِّيَهُ فيهِ فإذا قَوِيَتْ منهُ المَحاسنُ [١] كانَتْ هِيَ التي تَكُفُّهُ عَنِ المَساوي واذا استَحْكَمَتْ [٢] منه ناحِيَةٌ مِنَ الصَّوابِ كانَ ذلكَ هُوَ الذي يُبَصِّرُهُ الخطَأ بألطَفَ مِنْ تَبْصِيرِكَ وأعدَلَ مِنْ حُكمِكَ في نفسِهِ فإنَّ الصَّوابَ يُرِيدُ بَعْضُهُ بَعضاً ويَدْعُو بَعْضُهُ الي بَعْضٍ فإذا كانتْ [٣] لهُ مَكانَةٌ اقْتَلَعَ الخطَأَ فاحفَظْ هذا البابَ وأحْكِمهُ . ولا يَكُونَنَّ طَلَبُكَ ما عندَ الوَالِي بالمَسْأَلَةِ ولا تَسْتَبْطِئْهُ وانْ أبْطَأَ ولَكِنْ اطْلُبْ ما قِبَلَهُ [٤] بالاستِحْقاقِ لهُ واستَأْنِ [٥] وانْ طالَتِ الأَناةُ فإنَّكَ اذا استَحْقَقْتَهُ أتاكَ مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ وإنْ لمْ تَسْتَبْطِئْهُ كانَ أعْجَلَ لهُ

لاتُخْبِرَنَّ الوَالِيَ أنّ لكَ عليهِ حقّاً وأنّكَ تَعْتَدُّ عليهِ ببلاءٍ [٦] وإنِ استَطَعْتَ أنْ يَنْسَى حقَّكَ وبلاءَكَ فافعَلْ وليَكُنْ ماتُذَكِّرُهُ مِنْ ذلكَ تجديدَكَ لهُ النَّصِيحَةَ والاجتِهادَ وألاّ يزالَ يَنظُرُ منكَ الى آخرٍ يُذَكِّرُهُ أوّلَ بلائِكَ

واعلمْ أنّ وَليَّ الأمرِ اذا انقَطَعَ عنهُ الآخِرُ نَسِيَ الأوّلَ وأنّ الكثيرَ مِنْ أُولئِكَ أرْحامُهُمْ مَقطُوعَةٌ وحِبالُهُمْ مَصْرُومَةٌ [٧] الاّ عَمَّنْ رَضُوا عنهُ

---

(١) المحاسن جمع حسن على غير قياس ، والمساوى أى النقائص والمعايب جمع المساءة نقيض المسرة وأصلها مسوأة على مفعلة بفتح الميم والعين ولهذا رد الواو فى الجمع فيقال المساوى (٢) أى اذا تمكنت منه جهة من الصوب وكانت هى الحاكمة عليه كانت هذه الجهة من الصواب هى التى تبصره الخطأ الخ (٣) قوله فاذا كانت له أى للصواب ، مكانة أى منزلة ، اقتلع الخطأ أى انتزعه ويحتمل أن يكون الضمير فى له للوالى أى فاذا كانت للوالى مكانة أى تؤدة الخ ، والاول أقرب وأنسب (٤) أى ماعنده على كونك مستحقا له (٥) استأنى فى الامر تأنى فيه ولم يعجل والاسم منه أناة بوزن حصاة (٦) البلاء الصنع مطلقا حسنا أو سيئا والمراد به هنا الحسن (٧) مقطوعة

وأغنى

وأغنى (١) عنهمْ في يَوْمِهِمْ وساعتِهِمْ

إيَّاكَ أنْ يقعَ في قلبِكَ تعتُّبٌ (٢) على الوالي أو استزادةٌ له فإنّهُ ان آنستَ (٣) أنْ يقع في قلبكَ بدا (٤) في وجهكَ ان كُنتَ حليماً وبدا على لِسانِكَ ان كُنتَ سفيهاً وإنْ لمْ يزدْ ذلكَ على أنْ يظهرَ في وجهكَ لا مَن النَّاس عندكَ فلا تأمَنَنَّ أنْ يظهرَ ذلكَ للوالي فإنَّ النَّاسَ اليهِ بعوْراتِ (٥) الإخوانِ سِراعٌ فإذا ظهرَ ذلكَ للوالي كانَ قلبُهُ هوَ أسرعَ الى التَّعتُّبِ والتَّعزُّزِ (٦) منْ قلبِكَ فمحقَ ذلكَ حسناتِكَ الماضيةَ وأشرفَ بكَ على الهلاكِ وصِرتَ تعرفُ أمرَكَ مُستدبرًا وتلتمِسُ مرضاتَهُ مُستصعباً

اعلَمْ أنّ أكثرَ (٧) النّاس عدُوًّا مُجاهِرًا حاضِرًا جريئاً واشِياً وزيرُ السُّلطانِ ذُو المكانةِ عندَهُ لأنهُ منفوسٌ (٨) عليهِ بما يُنْفَسُ على صاحبِ السُّلطانِ ومحسُودٌ كما يُحسَدُ غيرُهُ غيرَ أنّهُ يُجترأُ عليهِ ولا يُجترَىءُ على ذلكَ لأنّ مِنْ مُحاسِديهِ أحبَّاءَ السُّلطانِ الّذينَ يُشارِكُونَهُ في المَداخِلِ والمنازِلِ وهُمْ وغيرُهم (٩) مِنْ عدُوّهِ الّذينَ هُمْ حُضّارُهُ ليسُوا كعدُوّ مَنْ فوقَهُ النّائي عنهُ المُتكتِّم منهُ وهُمْ لا ينقطِعُ طمعُهُمْ مِنَ الظّفرِ بهِ فلا يغفُلُونَ عنْ نصبِ الحبائِلِ (١٠)

---

(١) أغنى عنه أجزأ عنه وقام مقامه (٢) التعتب والمعاتبة تواصف الموجدة ومخاطبة الادلال (٣) أى علمت ووقوع ذلك فى قلبك ظهر فى وجهك الخ (٤) أى ظهر (٥) جمع عورة وهى كل ما يستحيا منه (٦) التعزز ضد التذلل (٧) أكثر اسم ان وخبرها وزير السلطان ، وعدوّا وما عطف عليه تمييز (٨) نفس عليه بخير حسده عليه ولم يره له أهلا ونفس بالشيء ضن به وهو من باب سلم (٩) قوله وهم وغيرهم الخ هم ضمير منفصل مبتدأ وهو راجع الى أحباء السلطان وغيرهم معطوف عليه ، وقوله من عدوه الخ بيان للمعطوف وجملة ليسوا كعدومن فوقه خبر المبتدا (١٠) جمع حبالة

فاعْرِفْ هـذِهِ الحالَ والْبَسْ لِهَؤُلاءِ القَوْمِ الذِينَ هُمْ أعْداؤُكَ سِلاحَ الصِّحَّةِ والاِستِقامَةِ ولُزُومِ الحُجَّةِ فِيما تُسِرُّ وتُعْلِنُ ثمَّ رَوِّحْ مِنْ قَلْبِكَ كأنَّهُ لا عَدُوَّ لكَ ولا حاسِدَ وانْ ذُكِرَكَ ذاكِرٌ عندَ وَلِيِّ الأمْرِ بِسُوءٍ في وَجْهِكَ أوْ في غَيْبِكَ فلا يَرَيَنَّ منكَ الوَلِيُّ ولا غَيْرُهُ اختِلاطاً لذلكَ ولا اغْتِياظاً ولا يقَعَنَّ ذلكَ مَوْقِعَ ما يَكْرُثُكَ (١) فانَّهُ إنْ وَقَعَ منكَ ذلكَ المَوْقِعَ أدْخَلَ عليكَ امُورًا مُشْتَبِهَةً بالرِّيَبِ مُذَكِّرَةً لِما قالَ فِيكَ العائِبُ وإنِ اضْطَرَّكَ الأمْرُ في ذلكَ الى الجَوابِ فإيَّاكَ وجَوابَ الغَضَبِ والاِنْتِقامِ وعليكَ بِجَوابِ الحُجَّةِ في حِلْمٍ (٢) ووَقارٍ ولا تشُكَّنَّ في انَّ القُوَّةَ والغَلَبَةَ لِلحِلْمِ أبدًا

لا تحضرَنَّ عندَ الوَالِي كَلاماً لا يَعْنِي ولا يُؤْمَرُ بِحُضُورِهِ إلّا لِعِنايَةٍ بِهِ أوْ يَكُونَ جَواباً بالشَّيْءِ سُئِلْتَ عنهُ ولا تَعُدَّنَّ شَتْمَ الوالِي شَتْماً ولا اغْلاظَهُ اغْلاظاً فَإنَّ رِيحَ العِزِّ قدْ تَبْسُطُ اللِّسانَ بألفاظٍ في غَيْرِ سَخَطٍ ولا بَأْسٍ

جانِبِ المَسْخُوطَ عليهِ والظَّنِينَ (٣) بِهِ عندَ الوُلاةِ ولا يَجْمَعَنَّكَ وايَّاهُ مَجْلِسٌ ولا تظْهِرَنَّ لهُ عُذْرًا ولا تُثْنِيَنَّ (٤) عليهِ خيْرًا عندَ أحَدٍ منَ النّاس فاذا رَأيْتَهُ قدْ بَلَغَ منَ الاعْتاب (٥) ممّا سُخِطَ عليهِ فيهِ ماتَرْجو أنْ يَلِينَ لهُ الوالِي واستَيْقَنْتَ أنَّ الوَالِيَ قدِ استَيْقَنَ بِمُباعَدَتِكَ إيَّاهُ وشِدَّتِكَ عليهِ فَضَعْ عُذْرَهُ عندَ الوالِي

(١) كرثه الغم يكرثه اشتد عليه ومااكترث له أي ما أبالي به (٢) الحلم لغة الأناة وعرفه العلماء بأنه هو الطمأنينة عند سورة الغضب، والحليم هو المتصف بذلك (٣) الظنة بالكسر التهمة ، والظنين المتهم ، (٤) يقال اثنى عليه خيرا و بخير من الثناء وهو الوصف بالخيرية و يستعمل في الشر أيضا ، يقال أثنى عليه شرا و بشر (٥) الاعتاب مصدر قولك أعتبني فلان اذا عاد الى مسرتك راجعا عن بالكسر وهي التي يصادبها كالشبكة ونحوها

واعمل

واعمَلْ في إرْضائِهِ عنهُ في رِفْقٍ ولُطْفٍ

لِيَعْلَمِ الوالِي أنّكَ لا تَسْتَنْكِفُ عن خِدْمَتِهِ ولا تَدَعْ مَعَ ذلكَ أنْ تُقدِمَ اليهِ القوْلَ عنـدَ بَعضِ حالاتِ رِضاهُ وطِيبِ نفسِهِ في الاستِعْفاءِ منَ الأعمالِ الّتي يَكرَهُها ذُو الدِّين وذُو العِرضِ وذو المُرُوءةِ مِنْ ولايَةِ القتلِ والعذابِ وأشباهِ ذلكَ

اذا أصبْتَ الجاهَ والخاصّةَ عندَ المَلِكِ فلا يُحدِثَنّ لكَ ذلكَ تغـيُّرًا على أحَدٍ مِنْ أهلِهِ وأعْوانِهِ ولا استِغناءً عنهُمْ فانّكَ لا تَدرِي مَتي تري أدْنَى جفْوَةٍ فتَذِلُّ (١) لهُمْ فِيها وفي تَلَوُّنِ الحالِ عندَ ذلكَ مِنَ العارِ مافيهِ

لِيَكُنْ مِمّا تُحْكِمُ (٢) مِنْ أمْرِكَ أنْ لا تُسارَّ (٣) أحَدًا مِنَ النّاسِ ولا تَهْمِسَ (٤) اليهِ بِشيءٍ تُخفيهِ عنِ السلْطانِ فإنّ السِّرارَ مِمّا يُخَيِّلُ الى كلِّ مَنْ رَآهُ أنّهُ المرادُ بهِ فيَكونُ ذلكَ في نفسِهِ حَسِيكَةً ووَغرًا وثِقلًا (٥)

لا تَتهاوَنَنَّ بارْسالِ الكَذْبَةِ (٦) عندَ الوالي أوْ غيرِهِ في الهزْلِ فانّها تُسرِع في ردِّ الحقِّ وابطالِ الصِّدْقِ مِمّا تأتِي بهِ

تنَكَّبْ (٧) فِيما بينَكَ وبَيْنَ الوالي خُلُقًا قدْ عرَفْناهُ في بَعضِ الأعْوانِ

---

(١) أى تخضع وتتذلل (٢) تحكم تتقن والمعنى ليكن عدم مسارة أحد وعدم الهمس اليه بشيء تخفيه عن السلطان من أمورك التي أحكمتها وأتقنتها (٣) أى تناجيه سرا وخفية (٤) الهمس الصوت الخفى (٥) الحسيكة الضغن والعداوة ، الوغر شدة الغيظ وهو مأخوذ من الوغرة وهى شدة توقد الحر (٦) الكذبة بفتح الكاف وسكون الذال وجمعها كذبات بفتح الذال (٧) نكب عن الطريق من باب قعد عدل وتنكب الشيء تجنبه

والأصحابِ في ادّعاءِ الرَّجُلِ عندَ ما يَظهَرُ مِنْ صاحبِهِ مِنْ حُسْنِ أثرٍ أوْ صَوابِ رَأْيٍ أنَّهُ هُوَ عَمِلَ في ذلكَ أوْ أشارَ بِهِ واقْرارِهِ بذلكَ اذا مَدَحَهُ مادِحٌ بَلْ وانِ استَطَعْتَ أنْ يَعرِفَ صاحِبُكَ أنَّكَ تَنحَلُهُ (١) صَوابَ رَأْيِكَ فضلاً عَنْ أنَّكَ تَدَّعِي صَوابَهُ وتُسنِدُ ذلكَ اليهِ وتزَيِّنُهُ فافعلْ فانّ الذي أنتَ آخِذٌ بذلكَ أكثَرُ مِمَّا أنتَ معطٍ بأضعافٍ

اذا سأَلَ الوالي غيرَكَ فلا تَكونَنَّ أنْتَ المُجيبَ عنهُ فانّ استِلابَكَ (٢) الكلامَ خِفَّةٌ بكَ واستِخفافٌ منكَ بالمسؤُلِ والسّائلِ . وما أنْتَ قائلٌ اذا قالَ لكَ السّائلُ ماإيَّاكَ سأَلتُ أوْ قالَ لكَ المسؤُلُ عنـدَ المَسأَلةِ يُعادُ لهُ بها دُونَكَ فأجبْ (؟) واذا لمْ يَنْصِبِ السّائلُ في المسألةِ لرجلٍ واحدٍ وعَمَّ بها جَماعَةَ مَنْ عندَهُ فلا تُبادِرْ بالجوابِ ولا تَسابِقِ الجُلَساءَ ولا تُواثِبِ (٣) الكلامَ مُواثَبَةً فانّ في ذلكَ مَعَ شَيْنِ التَّكَلُّفِ والخِفَّةِ أنَّكَ اذا سَبقْتَ القَوْمَ الى الكلامِ صارُوا لِكلامِكَ خُصَماءَ فيَتعقّبُونَه بالعيْبِ والطّعْنِ واذا أنتَ لمْ تعجَلْ بالجَوابِ وخَلّيتَهُ لِلقَوْمِ اعْترَضْتَ أقاوِيلَهُمْ على عَيْنِكَ ثمَّ تَدَبَّرْتَها وفَكَّرْتَ فِيما عندَكَ ثمَّ هيَّأْتَ مِنْ تَفْكِيرِكَ ومَحاسِنِ ماسَمِعْتَ جَواباً رَضِيًّا واستَدبَرْتَ بِهِ أقاوِيلَهُمْ حتى تُصِيخَ (٤) اليكَ الأَسماعُ ويَهْدَأَ عنكَ الخُصُومُ وانْ لمْ يَبْلُغْكَ الكلامُ حتى يُكتَفَى بِغَيْرِكَ أوْ يَنقَطِعَ الحَديثُ قبلَ ذلكَ فلا يَكُونُ

(١) يقال نحلته القول اذا أضفت اليه قولا قاله غيره (٢) مصدر استلب أى أخذ واختلاس (٣) المواثبة والوثوب القفز والمراد منها هنا المبادرة والمسارعة الى جواب سؤال موجه الى غيره (٤) أصاخ له يصيخ استمع يعدى باللام والى

من

مِنَ العَيْبِ عندَكَ ولا مِنَ الغَبْنِ [1] في نَفسِكَ فَوْتُ ما فاتكَ مِنَ الجَوابِ فانَّ صِيانَةَ القولِ خَيْرٌ مِنْ سُوءِ وضْعِهِ وانّ كَلِمَةً واحِدَةً مِنَ الصَّوَابِ تُصيبُ مَوْضِعَها خَيْرٌ مِنْ مِئَةِ كلمَةٍ أمثالِها في غيْرِ فُرَصِها ومَواضِعِها مَعَ أنّ كلامَ العَجلَةِ والبِدَارِ [2] مُوَكَّلٌ بِهِ الزَّلَلُ [3] وسُوءُ التَّقْدِيرِ وانْ ظَنَّ صاحِبُهُ أنْ قدْ أتْقَنَ وأحْكَمَ .

واعلمْ أنّ هذهِ الأمُورَ لا تنالُ الاّ برُحْبِ [4] الذَّرْعِ عندَ ماقِيلَ وما لمْ يُقَلْ وقِلّةِ الاعْظامِ [5] لما ظَهَرَ مِنَ المُرُوءةِ أوْ لمْ يَظْهَرْ وسَخاوَةِ النّفْسِ عَنْ كثِيرٍ مِنَ الصَّوابِ مَخافَةَ الخِلافِ والعَجلَةِ والحَسَدِ والمِراءِ [6]

اذا كَلمَكَ الوالِي فأصغ [7] الى كلامهِ ولا تَشغَلْ طَرْفَكَ [8] عنهُ بنَظَرٍ ولا أطْرَافَكَ [9] بِعَمَلٍ ولا قَلْبَكَ بحَدِيثِ نَفْسِكَ واحذَرْ هذا مِنْ نَفسِكَ وتَعَهَّدْ [10] ما فيهِ

ارْفُقْ بنُظَرائِكَ مِنْ وُزَراءِ السُّلْطانِ ودُخَلائِهِ واتَّخِذْهُمْ إخوَاناً ولا تَتَّخِذهُمْ أعْداءً ولا تُنافِسْهُمْ [11] في الكَلِمَةِ يَتقرَّبُونَ بِها والعَمَلِ يُؤْمَرُونَ بهِ

---

(١) الغبن بالتحريك الضعف فى الرأى والنقص وبابه طرب وبالسكون الخديعة وبابه ضرب (٢) أى الاسراع (٣) السقوط والزلق وبابه تعب (٤) بالضم السعة والذرع فى الاصل بسط اليد وأراد به هنا الخلق (٥) أعظم الشئ فخمه (٦) الجدال (٧) أمر من الاصغاء وهو الاستماع من صغى بمعنى مال وأصغى الى كلامه مال بسمعه اليه (٨) الطرف العين (٩) جمع طرف بفتحتين جانب الشئ وناحيته وطائفة من الشئ ومن البدن اليدان والرجلان والرأس وهو المراد هنا (١٠) أى تفقد (١١) نفس الشئ من باب ظرف صار مرغوبا فيه ونافس فى الشئ اذا رغب فيه على وجه المباراة فى الكرم ، وتنافسوا فيه أى رغبوا فيه ، والمنافسة أن يطلب كل واحد أن يكون ذلك الشئ المتنافس فيه لنفسه خاصة

فانّما أنتَ في ذلكَ أحدُ رَجُلَين إمَّا أنْ يَكُونَ عندكَ فَضلٌ على ما عند غَيْرِكَ فَسَوْف يبدُو ذلكَ ويُحتاجُ اليهِ ويُلتمَسُ منكَ وأنتَ مجمِلٌ وامَّا أنْ لا يَكُونَ ذلكَ عِندكَ فما (١) أنتَ مُصيبٌ مِنْ حاجتِكَ عندَهُمْ بِمُقارَبَتِكَ ومُلايَنَتِكَ وما أنتَ واجِدٌ في مُوافَقَتِكَ إيَّاهُمْ ولينِكَ لَهُمْ مِنْ مُوافقتِهِمْ إيَّاكَ ولينِهِمْ لكَ أفضَلُ مِمَّا أنتَ مُدرِكهُ بالمُنافسَةِ والمُناظَرَة

لا تَجْتَرِئَنَّ (٢) على خِلافِ أصحابِكَ عندَ الوَالي ثِقَةً باعْتِرافِهِمْ لكَ ومَعْرِفَتِهِمْ بِفَضلِ رَأْيِكَ فإنَّا قد رَأَينا النّاسَ يَعْرِفُونَ فَضلَ الرَّجُلِ ويَنقادُونَ لهُ ويَتَعَلَّمُونَ منهُ وهُمْ أخلياء (٣) فاذا حَضَرُوا ذَا السُّلْطانِ لَمْ يَرْضَ أحَدٌ منهُم أنْ يقِرَّ لهُ وأنْ يَكُونَ لهُ عليهِ في الرَّأْيِ والعِلْمِ فَضلٌ فاجْتَرَؤُا عليهِ بالخِلافِ والنقْضِ فانْ ناقضَهُمْ كانَ كأَحَدِهِمْ وليسَ بِوَاجِدٍ في كلِّ حِينٍ سامِعاً فَهِماً (٤) وقاضِيًا عَدْلاً وانْ تَرَكَ مُناقضَتَهُمْ صارَ مَغْلُوبَ الرَّأْيِ مَرْدُودَ القَوْل

اذا أصَبْتَ عندَ الوالي لُطفَ مَنزِلَةٍ لِغَناء (٥) يَجِدُهُ عندكَ أوْ هَوًى يَكون لهُ فيكَ فلا تَطْمَحَنَّ (٦) كلَّ الطِّماحِ ولا تُزَيِّنَنَّ لكَ نفسُكَ المُزايَلَةَ (٧) لهُ

دون غيره لانه نفيس جدا ، والمعنى لاتعارضهم وتزاحمهم فيما يتقربون به الى السلطان من قول وعمل الخ (١) اسم موصول بمعنى الذى ومابعده صلته وهو مبتدأ وما الثانية فى قوله وما أنت واجد عطف عليه والخبر قوله أفضل مما أنت الخ (٢) الجراءة والجرأة الشجاعة والاقدام على الشئ والجرىء بالمد المقدام وبابه ظرف واجترأ أقدم وهو مطاوع جرأ بالتشديد (٣) جمع خلى وهو الفارغ يعنى انهم يعترفون بفضله ويقرون له بذلك وينقادون له فيما بينهم وبينه ، وأما فى حضور السلطان فلا يقرون له بفضيلة عليهم (٤) سريع الفهم (٥) الغناء بالفتح الكفاية (٦) طمح من باب خضع يقال طمح ببصره نحو الشئ اذا استشرف له وجبل طامح أى مشرف عال (٧) المفارقة ، وزات الشئ من

عن

عنْ أليفهِ (١) وموْضعِ ثِقتهِ وسِرّهِ قبلكَ بأنْ تقتلعهُ وتدخلَ دُونهُ فانَّ هذهِ خَلّةٌ مِنْ خِلالِ السَّفهِ قدْ يُبتَلى بها الحُلَماءُ عندَ الدُّنوِّ مِنْ ذِي السلْطانِ حتّى يُحدِّثَ الرّجلُ منهم نفسهُ أنْ يكونَ دُونَ الأهْلِ والوَلدِ لِفضلٍ يظنّهُ في نفسهِ أوْ نقصٍ يظنُّهُ بغيرهِ ولِكلِّ رجلٍ مِنَ المُلوكِ أوْ ذي هيئةٍ مِنَ السُّوقةِ (٢) أليفٌ وأنيسٌ قدْ عرَفَ رُوحهُ واطَّلعَ على قلبهِ فلَيْستْ عليهِ مؤْنةٌ (٣) في تبذّلٍ يتبذّلُ لهُ عندهُ أوْ رأيٍ يستنزلهُ منه أوْ سِرٍّ يفشيهِ اليهِ غيرَ أنَّ تِلكَ الأُنسةَ (٤) وذلكَ التّبذُّلَ يستخرجُ مِنْ كلٍّ واحدٍ منهُما مالمْ يكُنْ لِيظهرَ منهُ عندَ الانقباضِ والتّشدُّدِ ولو التمسَ مُلتمِسٌ مثلَ ذلكَ عندَ مَنْ يستأنِفُ (٥) مُلاطفتهُ ومُؤانستهُ انْ كانَ ذا فضلٍ مِنَ الرّأْيِ والعِلمِ لمْ يجدْ عندهُ مثلَ ما هوَ منتفعٌ بهِ مِمّنْ هُوَ دُونَ ذلك في الرّأْيِ مِمّنْ قدْ كفِي مُؤانستهُ ووقعَ على طِباعهِ لأنّ الأنسةَ رَوحُ القلبِ والوَحشةَ رَوعٌ (٦) عليهِ ولا يلتاطُ (٧) بالقلوبِ الا مالانَ (٨) عليها ومَنِ استقبلَ تأسيسَ الوَحشةِ استقبلَ أمرًا ذا مؤْنةٍ فاذا كلّفتكَ نفسُكَ السُّموَّ (٩) الى منزلةِ مَنْ وَصفتُ فاقدعْها (١٠) عنْ ذلكَ بمعرفةِ فضلِ الأليفِ والأنيسِ واذا حدّثتكَ نفسُكَ

---

(١) اسم فاعل من ألف يألف من باب علم أى استأنس به وأحبه (٢) السوقة خلاف الملك يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وربما جمع على سوق مثل غرفة وغرف (٣) ثقل وكلفة والتبذل خلاف التعاون (٤) الانسة بالتحريك ضد الوحشة (٥) استأنف الشئ أخذ فيه وابتدأه (٦) الروع بالفتح الفزع (٧) التاط الشئ بقلبه لصق به من فرط الحب (٨) من اللين ضد الخشونة (٩) الارتفاع والتعالى (١٠) أى كفها وامنعها من قدع كمنع كف وكبح

أَوْ غيرُكَ مِمَّنْ لعلّهُ يكونُ لهُ فَضلٌ في المُرُوءةِ أنكَ أَوْلى بالمنزلَةِ عندَ الكبيرِ مِنْ بَعضِ دُخلائهِ وثِقاتهِ فاذكُرِ الذي عليهِ مِنْ حقِّ أليفهِ وثِقتهِ وأنيسهِ في التَّكرِمَةِ والذي يُعينُهُ على ذلكَ مِنَ الرَّأْيِ أنهُ يجِدُ عندَهُ مِنَ الإِلْفِ والانسِ ماليسَ وَاجدًا عندَ غيرِهِ فَليَكُنْ هذا مِمَّا تتحفظُ فيهِ على نفسِكَ وتَعرِفُ فيهِ عُذْرَ الرَّجُلِ ورَأْيَهُ والرَّأْيُ فيهِ لِنفسِكَ في مِثلِ ذلكَ إِنْ أرادَكَ مُرِيدٌ على الدُّخُولِ دُونَ أنيسِكَ وأليفِكَ ومَوْضعِ ثِقتكَ وجِدِّكَ وهَزْلِكَ

اعلَمْ أنّهُ تَكادُ تَكُونُ لِكُلِّ رَجُلٍ غالِبَةُ حَديثٍ إِمَّا عَنْ بَلَدٍ مِنَ البُلْدانِ أوْ ضَرْبٍ مِنْ ضُرُوبِ العِلْمِ أوْ صِنفٍ مِنْ صُنُوفِ النّاسِ أوْ وَجْهٍ مِنْ وُجُوهِ الرَّأْيِ وعندَ مايُغْرَمُ [١] بهِ الرَّجُلُ مِنْ ذلكَ يبدُو منهُ السُّخْفُ [٢] ويُعْرَفُ منهُ الهَوَى فاجتَنِبْ ذلكَ في كلِّ مَوْطنٍ ثمَّ عندَ أُولي الأَمرِ خاصَّةً

لاتشكُوَنَّ الى وُزَراءِ السُّلطانِ ودُخلائهِ ما اطّلَعتَ عليهِ مِنْ رأيٍ تكرَهُهُ لهُ فانّكَ لاتزيدُ على أنْ تُفَطِّنَهُمْ [٣] لِمَيلهِ وتُغرِيَهُمْ بتَزيينِ ذلكَ لهُ والميلِ عليكَ معَهُ

اعلمْ انّ الرَّجُلَ ذا الجاهِ عندَ الوالي والخاصَّةِ لامَحالةَ أنّهُ يَرَى مِنَ الوالي مايُخالفُهُ مِنَ الرَّأْيِ في النّاسِ والأُمُورِ فإِذا آثرَ [٤] أنْ يَكرَهَ كلَّ مايُخالِفُهُ أوْ يَمتَعِضَ

(١) أي يولع به من الشيء الذي تغلب معرفته به على غيره مما عنده (٢) نقص العقل (٣) التفطين التفهيم ، والاغراء التحريض (٤) آثر اختار وفضل و يمتعض يغضب من معض كفرح غضب وشق عليه ، وأمعضه ومعضه فامتعض ، والجفوة الجفاء ، والنبوة ماارتفع من الارض وأراد بها الترفع والتجافي عن قضاء الحاجة

من

منَ الجفْوَةِ يرَاها في المَجْلِسِ أو النَّبْوَةِ في الحاجَةِ أو الرَّدِّ للرَّأيِ أو الإدْناءِ لِمَنْ لا يهْوَى ادْناءَهُ والإقْصاءِ لِمَنْ يكْرَهُ اقصاءَهُ فاذا وقَعَتْ في قلبِهِ الكَرَاهِيَةُ تَغَيَّرَ لذلكَ وَجْهُهُ ورَأْيُهُ وكَلامُهُ حتى يبْدُوَ ذلكَ للوَالِي وغَيرِهِ وكانَ ذلكَ لِفَسادِ مَنزِلَتِهِ سَبَباً فذَلِّلْ نَفْسَكَ باحتِمالِ ما خالَفَكَ مِنْ رَأْيِ الوُلاةِ وقَرِّرْها (١) بأنَّهُمْ إنَّما كانوا أوْلِياءَكَ لِتَتْبَعَهُمْ في آرائِهِمْ وأهْوائِهِمْ ولا تكَلِّفَهُمْ اتِّباعَكَ وتغْضَبَ مِنْ خِلافِهِمْ إيَّاكَ

إعلمْ انَّ المُلوكَ يقْبَلُونَ مِنْ وُزَرائِهِمْ التَّبْخِيلَ (٢) ويَعُدُّونَهُ مِنهُم شَفَقَةً ونَظَرًا ويحْمَدُونَهُمْ عليهِ وانْ كانُوا أجْوادًا فإنْ كُنتَ مُبَخِّلاً (٣) غَشَشْتَ صاحِبَكَ بفَسادِ مُرُوءَتِهِ وانْ كُنتَ مُسَخِّياً لمْ تأمَنْ اضْرارَ (٤) ذلكَ بمَنزِلَتِكَ عندَه فالرَّأْيُ لكَ تَصْحِيحُ النَّصِيحَةِ على وَجْهِها والتِماسُ المَخْرَجِ فِيما تَتْرُكُ مِنْ تبْخِيلِ صاحِبِكَ بأَنْ لا يعْرِفَ مِنكَ فِيما تَدْعُوهُ اليهِ مَيْلاً الي شيْءٍ مِنْ هوَاكَ ولا طلَبًا لِغَيرِ ماتَرْجُو أنْ يزِينَهُ وينْفَعَهُ

لا تَكونَنَّ صُحْبَتُكَ لِلمُلوكِ الّا بعدَ رِياضَةٍ (٥) منكَ لِنفْسِكَ على طاعَتِهِمْ في المَكْرُوهِ عندَكَ ومُوَافقَتِهِمْ فِيما خالَفَكَ وتقْدِيرِ الأُمُورِ على مَيْلِهِمْ دُونَ مَيْلِكَ وعلي أنْ لا تَكْتُمَهُمْ سِرَّكَ ولا تَسْتَطْلِعَ ما كَتَمُوهُ وتخْفِيَ ما أطْلَعُوكَ عليهِ

(١) اجعلها مقرة (٢) أي الحمل على البخل (٣) اسم فاعل بخل المضاعف ، ومسخيا اسم فاعل سخى المضاعف أيضا أي حمله على البخل وعلى السخاء ورغبه فيهما
(٤) مصدر أضر لا جمع ضرر (٥) أي تعويد نفسك وتذليلها

منَ النّاسِ كلِّهمْ حتّى تحمِيَ (١) نفسكَ الحَدِيثَ بهِ وعلى الِاجتهادِ في رِضاهمْ والتّلَطُّف لِحاجاتِهمْ والتّثبيتِ لِحُجّتِهمْ (٢) والتّصديقِ لِمَقالَتِهمْ والتّزيِينِ لِآرائِهمْ وعلى قِلّةِ الاستِقباحِ لِما فعلُوا اذا أساؤُا وتركِ الاستِحسانِ لِما فعلُوا اذا أحسَنوا وكَثرَةِ النّشرِ لِمحاسِنِهمْ وحُسْنِ السّترِ لِمساويهِمْ والمُقارَبَةِ لِمَنْ قارَبُوا وإنْ كانَ بَعِيدًا والمُباعَدَةِ لِمَنْ باعَدُوا وإنْ كانُوا أقرِباء والِاهتِمامِ بأمْرِهِمْ وانْ لمْ يهتمُّوا بهِ والحِفظِ لهُ وانْ ضَيّعُوهُ والذِّكرِ لهُ وانْ نَسُوهُ والتّخفيفِ عنهمْ لِمؤُنَتِك والاحتِمالِ لهمْ كلَّ مؤُنَةٍ والرِّضى عنهمْ بالعفوِ وقِلّةِ الرِّضى مِنَ نفسِكَ لهمْ بالمجهُودِ فانْ وَجَدْتَ عنهمْ وعَنْ صُحْبَتِهِمْ غِنى فأغْنِ عَنْ ذلكَ نفسَكَ واعتَزِلهُ جُهْدَكَ فإنَّ مَنْ يَاخُذ عمَلَهُمْ يحُولُ بينَهُ وبَينَ لَذةِ الدُّنيا وعَمَلِ الآخِرةِ ومَنْ لا يَأخُذُ بحَقّهِ يحتَمِلُ الفَضيحَةَ في الدُّنيا والوِزرَ في الآخِرَةِ . إنّكَ لا تأمَنُ أنفهُمْ (٣) انْ أعلَمتَهُمْ ولا عقوبتَهُمْ انْ كَتمتَهُمْ ولا تأمَنُ غَضبَهُمْ انْ صدَقتَهُمْ ولا تأمَن سَلْوتَهُمْ (٤) انْ حدَّثتَهُمْ انْ لزِمتَهُمْ لمْ تأمَنْ تبرُّمَهُمْ (٥) بكَ وانْ زايَلتَهُمْ (٦) لمْ تأمَنْ عِقابَهُمْ . انّكَ انْ تَستأمِرهُمْ (٧) حمَلتَ المَؤُنَةَ عليهِمْ وانْ قطعْتَ الأَمْرَ دُونَهمْ لمْ تأمَنْ فيهِ مُخالَفتَهُمْ . انهُمْ انْ سَخِطُوا عليكَ أهلَكُوكَ وان رَضُوا عنكَ تكَلّفتَ

على هذه المذكورات (١) تحمى أى تمنع نفسك الحديث به أى تمنعها من أن تحدث به أحدا من حمى المريض ما يضره حمية منعه اياه ، وحماه من الشئ يتعدى الى المفعول الثانى بمن و بنفسه (٢) الدليل والبرهان (٣) مصدر أنف كفرح استنكف واستكبر وكره (٤) السلوة النسيان اسم لسلا يسلو من باب سما يسمو (٥) التضجر والملل (٦) فارقتهم (٧) الاستئما والاشاورة

من

مِنْ رِضاهمْ مالا تُطِيقُ فانْ كُنتَ حافِظاً انْ بَلَوْكَ (١) جلَداً ان قرّبُوكَ أَميناً ان ائتمنُوكَ تَشكُرُهُمْ ولا تكلّفهمُ الشُّكرَ بَصِيرًا بأهْوَائِهِمْ مُؤْثِرًا لِمَنافِعِهِمْ ذَليلاً ان ظَلَمُوكَ رَاضِياً إن أسْخَطُوكَ والّا فالبُعْدَ منهُمْ كلَّ البُعْدِ والحَذَرَ كلَّ الحذرِ

باب الصديق

أَبذلْ (٢) لِصَدِيقِكَ دَمَكَ ومالَكَ ولِمَعرفَتِكَ رِفْدَكَ (٣) ومَحْضَرَكَ ولِلعامّةِ بِشْرَكَ وتَحنُّنَكَ ولِعَدُوّكَ عَدْلَكَ واضْنَنْ بدِينِكَ وعِرْضِكَ عنْ كلّ أحَدٍ

إنْ سَمِعْتَ مِنْ صاحِبكَ كلاماً أوْ رَأياً يُعْجِبُكَ فلا تَنْتحِلهُ (٤) تَزَيّناً بهِ عند النّاسِ واكْتَفِ مِنَ التّزَيّنِ بأنْ تجْتَنِيَ الصّوابَ اذا سَمِعْتَهُ وتَنْسُبَهُ الى صاحِبِهِ . واعلمْ أنّ انتِحالَكَ ذاكَ سَخْطَةٌ (٥) لصاحِبِكَ وأنّ فيهِ مع ذلك عارا فإنْ بَلَغَ ذلكَ بكَ أنْ تُشِيرَ برأْيِ الرَّجلِ وتتَكلّمَ بكَلامِهِ وهُوَ يَسمَعُ جَمَعْتَ مع الظُّلْمِ قِلّةَ الحَياءِ وهذا مِنْ سُوءِ الأَدَبِ الفاشِي في النّاسِ . ومِنْ تَمامِ حُسْنِ الخُلُقِ والأَدَبِ أنْ تَسخُوَ نفسُكَ لِأَخيكَ بما انتَحلَ مِنْ كلامِكَ ورَأْيِكَ وتَنْسُبَ اليهِ رَأْيَهُ وكلامَهُ وتُزَيّنَهُ معَ ذلكَ ما استطعْتَ

لا يَكونَنَّ مِنْ خُلُقِكَ أنْ تَبْتَدِئَ حديثاً ثمَّ تَقْطَعَهُ وتَقولَ سَوْفَ كأنّكَ

---

(١) بلاه اختبره وامتحنه وجلدا أي ذا جلد بفتحتين أي شدة وقوة (٢) البذل العطاء ، بذل يبذل كنصر ينصر أعطى (٣) الرفد بالكسر العطاء ، والمحضر الحضور ، والبشر بالكسر طلاقة الوجه ، والتحنن الترحم ، والعرض النفس والحسب أو ما يلزم صونه وحمايته (٤) أي لا تدعه ولا تنسبه لنفسك (٥) أي كراهة واغضاب

رَوَّأْتَ [١] فيهِ بَعْدَ ابتِدَائِهِ وليَكُنْ تَرَوِّيكَ فيهِ قبلَ التَّفَوُّهِ فانّ احتِجانَ الحديثِ بَعْدَ افتِتاحِهِ سُخْفٌ

أُخْزُنْ [٢] عقلَكَ وكلامَكَ الاّ عنـدَ اصابَةِ المَوْضعِ فإنَّهُ ليسَ في كلّ حينٍ يَحْسُنُ كلُّ الصَّوابِ وإنَّمَا تَمَامُ إصابَةِ الرَّأْيِ والقَوْلِ بإِصابَةِ المَوْضعِ فانْ أخطَاكَ ذلكَ أدخَلْتَ المِحْنَةَ [٣] على عِلْمِكَ حتى تأْتِيَ بهِ إن أتيْتَ بهِ في غَيْرِ مَوْضِعِهِ وهُوَ لا بَهاءَ ولا طَلاوَةَ [٤] لهُ

لِتَعْرِفِ العُلَماءُ حِينَ تُجالِسُهُمْ أنَّكَ على أنْ تَسْمَعَ أحْرَصُ منكَ على أنْ تَقُولَ

إنْ آثَرْتَ [٥] أنْ تُفاخِرَ أحَدًا مِمَّنْ تَسْتأْنِسُ اليهِ في لَهْوِ [٦] الحَديثِ فاجْعَلْ غايَةَ ذلكَ الجِدَّ ولا تَعْدُوَنَّ أنْ تتَكَلَّمَ فيهِ بِمَا كانَ هَزْلاً فاذا بَلَغَ الجِدَّ أوْ قارَبَهُ فَدَعْهُ ولا تَخْلِطَنَّ بالجِدِّ هَزْلاً ولا بالهَزْلِ جِدًّا فانَّكَ ان خَلَطْتَ بالجِدِّ هَزْلاً هَجَّنْتَهُ [٧] وانْ خَلَطْتَ بالهَزْلِ جِدًّا كدَّرْتَهُ غَيْرَ أنِّي قد عَلِمْتُ مَوْطِناً واحِدًا إنْ قَدَرْتَ أنْ تَستَقْبِلَ فيهِ الجِدَّ بالهَزْلِ أصَبْتَ الرَّأْيَ وظَهَرْتَ على الأقْرانِ وذلكَ أنْ يَتَوَرَّدَكَ مُتَوَرِّدٌ بالسَّفَهِ والغَضَبِ فتُجيبَهُ اجابَةَ الهازِلِ المُداعِبِ

(١) الروية الفكر والتدبر وهى كلمة جرت على ألسنتهم بغير همز تخفيفا وهى من روأت فى الامر بالهمز اذا نظرت فيه ، واحتجن المال ضمه الى نفسه وأمسكه . والسخف نقصان فى العقل (٢) أى اكتمهما ولا تظهرهما الا عند اصابة موضع لزوم الاظهار (٣) أى الامتحان والاختبار (٤) الطلاوة بضم الطاء وفتحها الحسن ، والبهاء كذلك (٥) أى اخترت (٦) لهو الحديث باطله وما يشغل عن الخير وأصل اللهو الترويح عن النفس بما لا تقتضيه الحكمة (٧) أى قبحته ، وكدرته أى أزلت صفاءه من كدر الماء كدرا من باب تعب زال صفاؤه ، والموطن كمسجد المكان وتورده طلب وروده وحضوره ، والمتورد الطالب لذلك

بِرُحبٍ مِنَ الذَّرْعِ وطلاقَةٍ مِنَ الوَجْهِ وثباتٍ مِنَ المَنْطِقِ

إِنْ رَأَيْتَ صاحِبَكَ مع عَدُوِّكَ فلا يُغْضِبَنَّكَ ذلكَ فإِنَّمَا هُوَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ انْ كانَ رَجلاً مِنْ إِخْوانِ الثِّقَةِ فأَنفَعُ مَواطِنِهِ لكَ أَقْرَبُها مِنْ عَدُوِّكَ لِشَرٍّ يَكُفُّهُ عنكَ وعَوْرَةٍ يَسْتُرُها منكَ وغائِبَةٍ يَطَّلِعُ عليها لكَ فأَمَّا صَدِيقُكَ فما أَغناكَ أَنْ يَحْضُرَهُ ذُو ثِقَتِكَ وان كانَ رَجلاً مِنْ غيرِ خاصَّةِ إِخْوانِكَ فبِأَيِّ حَقٍّ تَقْطَعُهُ عَنِ النَّاسِ وتُكَلِّفُهُ أن لا يُصاحِبَ ولا يُجالِسَ الاّ مَنْ تَهْوَى

تَحَفَّظْ في مَجْلِسِكَ وكلامِكَ مِنَ التَّطاوُلِ (١) على الأَصْحابِ وطِبْ نَفْساً عنْ كثيرٍ مِمَّا يَعْرِضُ لكَ فيهِ صَوابُ القَوْلِ والرَّأْيِ مُداراةً لِئَلاَّ يَظُنَّ أَصْحابُكَ أَنَّ ما بِكَ (٢) التَّطاوُلُ عليهِمْ

اذا أَقْبَلَ اليكَ مُقْبِلٌ بوُدِّهِ فَسَرَّكَ أَلاّ يُدْبِرَ عنكَ فلا تُنْعِمِ (٣) الإِقْبالَ عليهِ والتَّفَتُّحَ لهُ فإِنَّ الإِنْسانَ طُبِعَ على ضَرائِبِ (٤) لُؤْمٍ فمِنْ شأْنِهِ أَنْ يَرْحَلَ عَمَّنْ لَصِقَ بهِ ويَلْصَقَ بِمَنْ رَحَلَ عنهُ

لا تُكْثِرَنَّ ادِّعاءَ العِلْمِ في كلِّ ما يَعْرِضُ فإِنَّكَ منْ ذلِكَ بَيْنَ فَضيحَتَيْنِ إِمَّا أَنْ يُنازِعُوكَ فيما ادَّعَيْتَ فيُهْجَمَ مِنْكَ علي الجَهالَةِ والصَّلَفِ (٥) وامَّا

---

(١) التطاول التفضل ورفع النفس من تطوّل على فلان اذا علاه وترفع عليه، وقال أبو منصور : التطوّل عند العرب محمود يوضع موضع المحاسن والتطاول مذموم وكذا الاستطالة يوضعان موضع التكبر (٢) ما اسم موصول اسم ان والتطاول خبرها (٣) أى تزد من أنعم اذا زاد وبالغ (٤) جمع ضريبة وهى الطبيعة (٥) الصلف مجاوزة قدر الظرف والادعاء فوق ذلك تكبرا

ألاّ ينازِعُوكَ [١] ويُخلوا الأمورَ في يديكَ فينكشفَ منكَ التَّصَنُّعُ [٢] والمَعجزةُ [٣]

استَحْيِ [٤] الحياءَ كلَّهُ مِنْ أنْ تُخبِرَ صاحبَكَ أنَّكَ عالِمٌ وأنّهُ جاهِلٌ مُصَرِّحاً أوْ مُعَرِّضاً وإنِ استطَلْتَ [٥] على الأكفاءِ فلا تثقنَّ منهُمْ بالصفاءِ

إنْ آنَستَ [٦] منْ نفسِكَ فَضلاً فتحرَّجْ [٧] أنْ تذكرَهُ أوْ تُبْدِيَهُ [٨] فاعلَمْ أنّ ظهُورَهُ منكَ بذلكَ الوجْهِ يُقَرِّرُ لكَ في قلوبِ النَّاسِ منَ العيْبِ أكثرَ مِمَّا يقرِّرُ لكَ منَ الفضلِ واعلمْ أنَّكَ إنْ صبرْتَ ولمْ تعجلْ ظهَرَ ذلكَ منكَ بالوجْهِ الجميلِ المعْرُوفِ ولا يخفَيَنَّ عليكَ أنّ حِرصَ الرَّجلِ على إظهارِ ماعندَهُ وقِلّةَ وَقارِهِ في ذلكَ بابٌ منَ البُخلِ واللُّؤمِ وأنّ مِنْ خيرِ الأعْوانِ [٩] على ذلكَ السَّخاءَ والتَّكرُّمَ

إنْ أحبَبْتَ أنْ تلبَسَ ثوْبَ الوَقارِ والجمالِ وتتحَلّى بحِليَةِ المَوَدَّةِ عندَ العامَّةِ وتَسلُكَ الجَدَدَ الذي لا خَبارَ [١٠] فيهِ ولا عِثارَ فكنْ عالماً كجاهِلٍ

---

(١) أى يتركوا (٢) أى تكلف العلم والمعرفة وليس بك وتصنع فلان تكلف اظهار شئ لم يكن متصفا به (٣) بفتح الجيم وكسرها الضعف كالعجز (٤) أمر من استحيا يستحيي من الحياء وهو الانقباض والانزواء ويقال استحى يستحى بياء واحدة والاولى لغة الحجاز والثانية لغة تميم ويتعدى بنفسه وبمن ، يقال استحياه واستحيا منه (٥) أى ترفعت ، والاكفاء جمع كفؤ وهو النظير والمثيل (٦) أى علمت (٧) أمر من التحرج من باب التفعل ، قال فى المصباح وتحرج الانسان تحرجا هذا مما ورد لفظه مخالفا لمعناه والمراد فعل فعلا جانب به الحرج أى الضيق (٨) أى تظهره (٩) جمع عون وهو الظهير والمعين على الامر (١٠) الجدد المستوى من الارض وقيل الارض الصلبة وفى المثل: من سلك الجدد أمن العثار ، والخبار أرض رخوة فيها حجرة وفى المثل : من تجنب الخبار أمن العثار

وناطقا

وناطِقاً كَعَيِّ . فأمَّا العِلمُ فَيُرْشِدُكَ وأمَّا قِلَّةُ ادِّعائِهِ فَيَنْفِي عنكَ الحَسَدَ وأمَّا المَنْطِقُ اذا احتَجْتَ اليهِ فَسَيُبْلِغُ حاجَتَكَ وأمَّا الصَّمْتُ فَيُكْسِبكَ المَحَبَّةَ والوقارَ

واذا رأيتَ رَجلاً يُحَدِّثُ حَديثاً قدْ عَلِمتَهُ أوْ يُخبِرُ خَبَرًا قدْ سَمِعتَهُ فلا تُشارِكْهُ فيهِ ولا تَتَعَقَّبْهُ عليهِ حِرْصاً على أنْ يَعلَمَ الناسُ أنَّكَ قدْ عَلِمتَهُ فانَّ في ذلكَ خِفَّةً وشُحًّا (١) وسُوءَ أدَبٍ وسُخفًا

لِيَعرِفْ إخوانُكَ والعامَّةُ أنَّكَ إنِ استَطَعتَ أنْ تَكُونَ الى أنْ تَفعَلَ ما لا تَقُولُ (٢) أقرَبَ منكَ الى أنْ تَقُولَ ما لا تَفعَلُ فَعَلْتَ فانَّ فَضْلَ القَوْلِ على الفِعلِ عارٌ وهُجنَةٌ (٣) وفَضلَ الفِعلِ على القَوْلِ زِينَةٌ وأنتَ حَقِيقٌ فيما وَعَدْتَ مِنْ نَفسِكَ أوْ أخبَرْتَ صاحِبَكَ عنهُ أنْ تَحتَجِنَ (٤) بعضَ ما في نَفسِكَ إعدادًا (٥) لِفَضلِ الفِعلِ على القَوْلِ وتَحَرُّزًا بذلِكَ عنْ تَقصِيرِ فِعلٍ إنْ قَصَّرَ وقَلَّما يَكُونُ الّا مُقَصِّرًا

احفَظْ قَوْلَ الحَكِيمِ الذي قالَ لِتَكُنْ غايَتُكَ فيما بَينَكَ وبَينَ عَدُوِّكَ العَدْلَ وفِيما بَيْنَكَ وبَيْنَ صَدِيقِكَ الرِّضَى وذَلِكَ أنَّ العَدُوَّ خَصْمٌ تَضرِبُهُ بالحُجَّةِ وتَغلِبُهُ بالحُكَّامِ وأنَّ الصَّدِيقَ ليسَ بَيْنَكَ وبَيْنَهُ قاضٍ فإنَّما حُكْمُهُ رِضاهُ

---

(١) الشح البخل والسخف نقصان العقل (٢) اسم تكون الضمير المستتر المقدر بأنت وأقرب خبرها وقوله فعلت جواب الشرط الذى هو ان استطعت والمعنى ان استطعت أن تكون الى الفعل أقرب منك الى قول ما لا تفعله فافعل لان فضل الخ (٣) الهجنة بالضم فى الكلام العيب والقبح وفى العلم اضاعته (٤) أى تضم وتمسك (٥) أى تهيئة

إِجْعَلْ عامةَ تَشَبُّثِكَ في مُؤَاخاةِ [١] مَنْ تُؤَاخِي ومُوَاصَلَةِ مَنْ تُوَاصِلُ (٤)
وَوَطِّنْ نَفْسَكَ على أنَّهُ لا سَبِيلَ لكَ الى قَطِيعَةِ أخِيكَ وإِنْ ظَهَرَ لكَ منهُ
ماتَكْرَهُ فانَّهُ ليسَ كالمَرْأةِ الَّتِي تُطَلِّقُها اذا شِئْتَ ولَكِنَّهُ عِرْضُكَ ومُرُوءَتُكَ
فإنَّما مُرُوءَةُ الرَّجُلِ إِخْوَانُهُ وأخْدَانُهُ [٢] فانْ عَثَرَ [٣] الناسُ على أنَّكَ قَطَعْتَ
رَجُلاً مِنْ إِخْوَانِكَ وإِنْ كُنْتَ مُعْذِرًا [٤] نَزَلَ ذلكَ عندَ أكْثَرِهِمْ بِمَنْزِلَةِ
الخِيانَةِ لِلإِخاءِ والمَلالِ [٥] وإِنْ أنتَ صَبَرْتَ معَ ذلكَ على مُقارَّتِهِ [٦] على
غَيْرِ الرِّضَى عادَ ذلكَ الى العَيْبِ والنَّقِيصَةِ فالاِتِّئادَ الاِتِّئادَ والتَّثَبُّتَ التَّثَبُّتَ

اذا نَظَرْتَ في حالِ مَنْ تَرْتَئِيهِ [٧] لِإِخائِكَ فإِنْ كانَ مِنْ إِخْوَانِ الدِّينِ
فَلْيَكُنْ فَقِيهاً ليسَ بِمُرَاءٍ [٨] ولا حَرِيصٍ وإِنْ كانَ مِنْ إِخْوانِ الدنيا فلْيَكُنْ
حُرًّا ليسَ بِجاهِلٍ ولا كَذَّابٍ ولا شِرِّيرٍ ولا مَشْنُوعٍ [٩] فانَّ الجاهِلَ أهْلٌ
لِأَنْ يَهْرُبَ منهُ أبَوَاهُ وانَّ الكَذَّابَ لا يَكُونُ أخاً صادِقاً لِأَنَّ الكَذِبَ الذِي
يَجْرِي على لِسانِهِ إِنَّما هوَ مِنْ فُضُولِ كَذِبِ قَلْبِهِ وإِنَّما سُمِّيَ الصَّدِيقُ مِنَ

(١) مصدر آخاه اذا اتخذه أخا والمواصلة ضد المقاطعة ، وتوطين النفس تمهيدها وتذليلها ، يقال وطن نفسه على الامر توطينا اذا مهدها وذللها لفعله (٢) جمع خدن بكسر فسكون الصديق والصاحب (٣) أى اطلع وبابه نصر ودخل (٤) أى مبديا غاية عذرك من أعذر الرجل اذا بالغ فى ابداء عذره (٥) الملال الضجر والسآمة وهو معطوف على الخيانة (٦) أى الاستقرار والسكون معه على غير رضاه يقال قارّه مقارّة أى قرّ معه وسكن (٧) ارتأى فى الامر يرتئى اذا نظر فيه وهو افتعل من رؤية القلب أو من الرأى والتدبير (٨) مراء اسم فاعل من راآه يرائيه مراآة والاسم الرياء وهو اظهار العمل للناس ليروه ويظنوا به خيرا فيكون العمل لغير الله نعوذ بالله منه (٩) المشنوع المشهور بالشناعة وهى القبح الذى يستشنع يقال شنعه شنعا اذا استقبحه وشتمه ويقال شنعنا

الصدق

الصِّدْقِ وقدْ يُتَّهَمُ صِدْقُ القَلْبِ وإنْ صَدَقَ اللِّسانُ فَكَيْفَ اذا ظَهَرَ الكَذِبُ علي اللِّسانِ وإنَّ الشِّرِّيرَ يَكسِبُكَ العَدُوَّ ولا حاجةَ لكَ في صَداقةٍ تجْلِبُ العَدَاوَةَ وإنَّ المَشْنُوعَ شانِعٌ (١) صاحِبَهُ

تحَرَّزْ مِنْ سُكرِ السُّلْطةِ (٢) وسُكرِ العِلْمِ وسُكرِ المَنزِلةِ (٣) وسُكرِ الشَّبابِ (٤) فانهُ ليسَ مِنْ هذا شيْءٌ إلّا وهوَ رِيحُ جِنَّةٍ (٥) تَسْلِبُ العقْلَ وتُذهِبُ الوَقارَ وتَصْرِفُ القَلْبَ والسَّمْعَ والبَصَرَ واللِّسانَ عنِ المَنافِعِ

اعْلَمْ أنَّ انقِباضَكَ (٦) عنِ الناسِ يَكسِبُكَ العَداوَةَ وأنَّ تفَرُّشَكَ لَهُمْ يَكسِبُكَ صَدِيقَ السُّوءِ وفسُولَةُ الأَصْدِقاءِ أضَرُّ مِنْ بُغْضِ الأَعْداءِ فانَّكَ إنْ واصلْتَ صَدِيقَ السُّوءِ أعْيَتْكَ (٧) جَرائِرُهُ وانْ قَطَعْتَهُ شانَكَ اسْمُ القَطِيعَةِ وألْزَمَكَ ذلكَ مَنْ يَرْفَعُ (٨) عيْبَكَ ولا يَنْشُرُ عُذرَكَ فانَّ المَعايِبَ (٩) تَنْمِي والمَعاذِيرَ لا تَنْمِي

الْبَسْ لِلناسِ لِباسَيْنِ ليسَ لِلعاقِلِ بُدٌ منهُما ولا عَيْشَ ولا مُرُوءَةَ الّا بِهِما لِباسُ انقِباضٍ واحتِجازٍ (١٠) تَلْبَسُهُ لِلعامَّةِ فلا تُلفَيَنَّ الّا مُتَحَفِّظًا مُتَشَدِّدًا

---

(١) أي شاهره بما هو مشهور به (٢) التسلط والقهر (٣) القدر والجاه والمرتبة (٤) الفتاء والحداثة (٥) الجنة بكسر الجيم الجنون (٦) الانقباض ضد الانبساط ، والتفرش الانبساط ، والفسولة الرداءة والنذالة مصدر فسل من باب سهل وكرم ، والفسل بفتح فكسر الرجل الرديء والرذل الذي لا مروءة له وجمعه أفسل وفسول وفسال وفسل (٧) أعيتك أتعبتك ، والجرائر جمع جريرة وهي الذنب والجناية ، وشانه ضد زانه (٨) أي يذيعه وينسبه اليك (٩) العيوب ، وتنمي أي ترفع يقال نمى الحديث اذا ارتفع ، ونميته رفعته وعزوته وأنميته أذعته على وجه النميمة ، والمعاذير جمع المعذرة أي العذر (١٠) الاحتجاز الامتناع مصدر احتجز مطاوع حجز يقال حجزه فلان وفضحنا

مُتَحَرِّزًا مُسْتَعِدًّا وَلِباسُ انْبِساطٍ واسْتِئْناسٍ تَلْبَسُهُ لِلْخاصَّةِ مِنَ الثِّقاتِ فَتَتَلَقَّاهُمْ بِبَناتِ صَدْرِكَ وتُفْضِي إلَيْهِمْ بِمَوْضُوعِ حَدِيثِكَ وتَضَعُ عَنْكَ مُؤْنَةَ الحَذَرِ والتَّحَفُّظِ فِيما بَيْنَكَ وبَيْنَهُمْ وأَهْلُ هذِهِ الطَّبَقَةِ الذِينَ هُمْ أَهْلُها قَلِيلٌ لأَنَّ ذا الرَّأْيِ لا يُدْخِلُ أَحَدًا مِنْ نَفْسِهِ هذا المُدْخَلَ إلّا بَعْدَ الاخْتِبارِ والسَّبْرِ والثِّقَةِ بِصِدْقِ النَّصِيحَةِ ووَفاءِ العَقْلِ .

اعْلَمْ أَنَّ لِسانَكَ أَداةٌ مُغَلَّبَةٌ (١) يَتَغالَبُ عليه عَقْلُكَ وغَضَبُكَ وهَواكَ وجَهْلُكَ فَكُلٌّ غالِبٍ عليه مُسْتَمْتِعٌ بِهِ وصارِفُهُ في مَحَبَّتِهِ فإذا غَلَبَ عليه عَقْلُكَ فهُوَ لكَ وإذا غَلَبَ عليه شَيْءٌ مِنْ أَشْباهِ ما سَمَّيْتُ لكَ فهُوَ لِعَدُوِّكَ فإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَحْتَفِظَ بِهِ (٢) فلا يَكُونَ (٣) إلّا لكَ ولا يَسْتَوْلِيَ عليه أَوْ يُشارِكَكَ عَدُوُّكَ فيه فافْعَلْ

إذا نابَتْ (٤) أَخاكَ إحْدَى النَّوائِبِ مِنْ زَوالِ نِعْمَةٍ أَوْ نُزُولِ بَلِيَّةٍ فاعْلَمْ أَنَّكَ قَدِ ابْتُلِيتَ مَعَهُ إمَّا بالمُؤاساةِ فَتُشارِكُهُ في البَلِيَّةِ وإمَّا بالخِذْلانِ فَتَحْتَمِلُ العارَ فالْتَمِسِ (٥) المَخْرَجَ عِنْدَ اشْتِباهِ ذلكَ وآثِرْ مُرُوَّتَكَ على ما سِواها فإِنْ نَزَلَتِ الجائِحَةُ (٦) الّتي تَأْبَى نَفْسُكَ مُشارَكَةَ أَخِيكَ فيها فأَجْمِلْ فلَعَلَّ الإِجْمالَ

فاحتجز أي منعه فامتنع ، وتلفين مبنى للمجهول من ألفاه يلفيه أي وجده ، ومتحفظا اسم فاعل تحفظ يتحفظ تحفظا أي تيقظ (١) أي مغلوبة والمغلب الذي يغلب كثيرا (٢) أي تصونه وتحفظه (٣) معطوف على تحتفظ وكذا يستولى ، وقوله فافعل جواب الشرط (٤) نابت أخاك أي أصابته، والنوائب جمع نائبة وهي المصيبة، والمؤاساة مصدر آساه أي جعله أسوته وسوّاه بنفسه ، والخذلان مصدر خذله يخذله بالضم خذلا وخذلانا بالكسر أي ترك نصرته واعانته (٥) التمس اطلب المخرج أي الخروج ، وآثر أي فضل مروءتك (٦) الآفة والشدة التي تجتاح المال أي تهلكه

يسعك

يَسَعُكَ لِقِلَّتِهِ في الناسِ

اذا أصابَ أخاكَ فَضْلٌ فانَّهُ ليسَ في دُنُوِّكَ(١) منهُ وابتغائِكَ(٢) مودَّتَهُ وتَواضُعِكَ لهُ مذَلَّةٌ فاغتَنِمْ ذلكَ واعمَلْ فيهِ

اذا كانَتْ لكَ عندَ أحَدٍ صَنيعةٌ(٣) أوْ كانَ لكَ عليهِ طَوْلٌ فالتَمِسْ إحياءَ ذلكَ بإماتَتِهِ وتَعظيمَهُ(٤) بالتَّصغيرِ لهُ ولا تقتَصِرَنَّ في قِلَّةِ المَنِّ على أن تقولَ لا أذكُرُهُ ولا اصغي بِسَمعِي الى مَنْ يَذكُرُهُ فانَّ هذا قد يَستَحيِي منهُ بعضُ مَنْ لا يُوصَفُ بِعقلٍ ولا كَرَمٍ ولكِنِ احذَرْ أنْ يكُونَ في مُجالَسَتِكَ إيَّاهُ وما تُكَلِّمُهُ بهِ أوْ تَستَعينُهُ عليهِ أوْ تُجارِيهِ فيهِ شيءٌ مِنَ الاستِطالَةِ(٥) فانَّ الاستِطالَةَ تَهدِمُ الصنيعةَ وتُكَدِّرُ المَعْرُوفَ

احتَرِسْ مِنْ سَوْرَةِ(٦) الغَضَبِ وسَوْرَةِ الحَمِيَّةِ(٧) وسَوْرَةِ الحِقْدِ وسَوْرَةِ الجَهْلِ وأعدِدْ(٨) لِكُلِّ شيءٍ مِنْ ذلكَ عُدَّةً(٩) تُجاهِدُهُ بها مِنَ الحِلْمِ والتَّفكُّرِ والرَّوِيَّةِ وذِكْرِ العاقِبَةِ وطَلَبِ الفَضيلَةِ . واعلَمْ أنَّكَ لا تُصيبُ الغَلَبَةَ(١٠) الّا بالجِهادِ وأن قِلَّةَ الإعدَادِ(١١) لِمُوافقةِ الطَّبائِعِ المُتَطَلِّعَةِ هوَ

---

(١) أى قربك (٢) أى طلبك (٣) مااصطنعته من خير والطول بالفتح المنّ يقال طال عليه يطول طولا أى امتن وأفضل (٤) تعظيمه معطوف على احياء (٥) أى التطاول (٦) السورة الحدة والسورة البطش والسورة الوثوب (٧) العار والانفة ، والحقد بالكسر الضغن والعداوة ويجمع على أحقاد (٨) أى هيئ وأحضر (٩) العدة بالضم ماأعددته من مال أو سلاح أو غير ذلك ، وضمير تجاهده البارز راجع الى كل شئ من ذلك أى المذكورات وضمير بها للعدة ، وقوله من الحلم والتفكر الخ بيان للعدة (١٠) أى التغلب والقهر (١١) أى الاستعداد والتهيؤ

الإستسلامُ وأنَّهُ ليسَ أحدٌ إلا فيهِ مِنْ كلِّ طبيعةٍ سُوء غريزةٌ (١) وإنما التَّفاضلُ بينَ الناسِ في مغالبةِ طبائعِ السُّوء . فأمَّا أنْ يَسْلَمَ أحدٌ مِنْ أنْ تكونَ فيهِ تلكَ الغرائزُ فَلَيْسَ في ذلكَ مَطْمَعٌ إلا أنَّ الرَّجُلَ القَوِيَّ اذا كابَرَها (٢) بالقَمْعِ لها كُلَّما تطلَّعتْ لَمْ يَلْبَثْ أنْ يُميتَها حتَّى كأنَّها لَيْسَتْ فيهِ وهِيَ في ذلكَ كامِنةٌ كُمُونَ النَّارِ في العُودِ فاذا وَجَدَتْ قادِحاً (٣) مِنْ غيرِ عِلَّةٍ أوْ غفلَةً استَوْرَتْ كما تَستَوْري عندَ القَدْحِ ثمَّ لا يَبْدَا ضَرُّها إلا بِصاحِبِها كما لا تَبْدَأُ النارُ إلا بِعُودِها الَّتي كانَتْ فيهِ

ذَلِّلْ نفسَكَ (٤) بالصَّبْرِ على جارِ السُّوءِ وعَشيرِ السُّوءِ وجَليسِ السُّوءِ فإنَّ ذلكَ مالا يَكادُ يُخطِئُكَ فإنَّ الصَّبْرَ صَبْرانِ صَبْرُ الرَّجُلِ على ما يَكرَهُ وصَبْرُهُ عَمَّا يُحِبُّ فالصَّبْرُ على المَكْرُوهِ أكثَرُهُما (٥) وأشبَهُهُما أن يَكونَ صاحِبُهُ مُضْطَرًّا . واعْلَمْ أنَّ اللِّئامَ أصْبَرُ أجْسادًا والكِرامَ أصْبَرُ نفوساً

---

(١) الغريزة الطبيعة (٢) أى غالبها بالقمع أى بالقهر والاذلال ، وتطلعت أى استشرفت (٣) القادح اسم فاعل من قدح بالزند رام الايراء به والزند العود الذى يقدح به النار ، واستورت أى طلبت الورى يقال ورى الزند كرمى يرى وريا اذا خرجت ناره ويقال فى التعدية أوريته ووريته واستوريته من أبواب الافعال والتفعيل والاستفعال (٤) أى لينها وعودها ، والعشير المعاشر ، والجليس المجالس ، وقوله فان ذلك أى تذليل نفسك بالصبر على ماذكر شئ لا يقرب ان يخطئك أى يتجاوزك (٥) أى أكثر الصبرين المذكورين وهو مبتدأ وأشبههما معطوف عليه وان يكون صاحبه مضطرا جملة فعلية فى تأويل المصدر خبر أكثرهما أى كون صاحبه مضطرا هذا على ما فى النسخة ، والذى أراه ان كلمة أن محرفة عن اذ التعليلية وان قوله فالصبر مبتدأ ، وقوله أكثرهما خبره وأشبههما معطوف عليه ، وقوله اذ يكون الخ جملة قصد بها تعليل كونه أكثر وأشبه فتأمل

وليس

وليسَ الصَّبْرُ المَمْدُوحُ بأنْ يَكُونَ جِلْدُ الرَّجُلِ وَقَاحاً [١] أوْ رِجْلُهُ قَوِيَّةً على المَشْيِ أوْ يَدُهُ قَوِيّةً على العَمَلِ فإنّمَا هذا مِنْ صِفاتِ الحَمِيرِ ولَكِنْ أنْ يَكُونَ لِلنّفْسِ غَلُوباً و لِلأُمُورِ مُحْتَمِلاً وفي الضّرِّ [٢] مُتَجمِّلاً [٣] ولِنَفْسِهِ عندَ الرَّأْيِ والحِفاظِ مُرْتَبِطاً ولِلْحَزْمِ [٤] مُؤْثِرًا ولِلْهَوَى تارِكاً ولِلْمَشَقّةِ التي يَرْجو عاقِبَتَها مُسْتَخِفًّا وعلى مُجاهَدَةِ الأهْوَاءِ والشّهَوَاتِ مُوَاظِباً ولِبَصَرِهِ بِعَزْمِهِ [٥] مُنفِذًا

حَبّبْ إلى نفسِكَ العِلْمَ حتى تَأْلَفَهُ وتَلْزَمَهُ ويَكُونَ هُوَ لَهْوَكَ ولَذّتَكَ وسَلْوَتَكَ [٦] وبُلْغَتَكَ. واعْلَمْ أنّ العِلمَ عِلْمانِ عِلْمٌ لِلمَنافِعِ وعِلْمٌ لِتَزْكِيَةِ [٧] العَقْلِ وأفْشَى العِلْمَينِ [٨] وأجْدَاهُمَا أنْ يَنْشَطَ لهُ صاحِبُهُ مِنْ غَيْرِ أنْ يُحَرَّضَ

---

(١) صلبا (٢) قال الازهرى كل ما كان سوء حال وفقر وشدة فى بدن فهو ضر بالضم وما كان ضد النفع فهو بالفتح (٣) ومتجملا أى متصبرا ، وقوله ولنفسه الخ الرأى العقل والتدبير ، والحفاظ الغضب ومرتبطا بمعنى رابطا ، والمعنى ان الصبر المحمود هو أن يكون المرء رابطا نفسه عند الرأى والغضب ممسكا بعنانها ، وارتبط وان كان متعديا بنفسه الا أن اسم الفاعل لضعفه فى العمل لكونه فرعا فى العمل عن الفعل تزاد لام فى مفعوله تسمى لام التقوية كقوله تعالى : مصدقا لما معهم (٤) الحزم ضبط الامر والاخذ فيه بالثقة ومؤثرا أى مختارا (٥) عزم على الشيء عقد ضميره على فعله ، ومنفذا اسم فاعل أنفذ او نفذ بالتشديد يقال نفذهم البصر وأنفذهم جاوزهم (٦) السلوة التسلى بالشيء ونسيان غيره اسم من سلاه وسلا عنه اذا نسيه ، والبلغة بالضم ما يتبلغ به من العيش أى يكتفى به يقال تبلغ بكذا أى اكتفى به (٧) أى انمائه (٨) أفشى العلمين أى أكثرهما انتشارا ، وأجداهما أنفعهما ، ونشط له أى خف وأسرع لعمله عن طيب نفس من غير أن يحرض ويحث عليه ، أفشى مبتدأ وأجدى معطوف عليه ، وأن ينشط جملة فى تأويل مصدر محله الجر بالباء المقدرة قبل ان وهذا الجار متعلق باجدى وخبر المبتدأ قوله علم المنافع

عليهِ عِلمُ المَنافِعِ . ولِلعِلمِ الذي هُوَ ذَكاءُ (١) العقُولِ وصِقالها وجِلاؤُها فَضيلَةٌ مَنزِلَةٍ عندَ أهلِ الفَضلِ في الألْبابِ (٢)

عَوِّدْ نفسَكَ السَّخاءَ (٣) واعلمْ أنهما سَخاآنِ سخاوَةُ نفسِ الرَّجلِ بما في يَدَيْهِ وسخاوَتُهُ عمَّا في أيدِي النَّاسِ وسخاوَةُ (٤) نفسِ الرَّجلِ بما في يديهِ أكثَرُهُما وأقرَبُهُما مِنْ أن تدخلَ فيهِ المفاخَرَةُ وتَرْكُهُ مافي أيدِي النَّاسِ أمحَضُ في التَّكرُّمِ وأنزَهُ منَ الدَّنَسِ فانْ هُوَ جمَعَهُما (٥) فبذلَ وعفَّ فقدِ استكملَ الجودَ والكَرَمَ

لِيكنْ مِمَّا تَصرِفُ بِهِ الأذَى والعذابَ عنْ نفسِكَ ألاَّ تكونَ حَسُودًا فانَّ الحسدَ خُلُقٌ لَئيمٌ ومِنْ لؤمِهِ أنَّهُ يُوَكَّلُ بالأدْنَى فالأدْنَى منَ الأقارِبِ والأكفاءِ والخُلطاءِ فليَكنْ ماتُقابِلُ بِهِ الحسدَ أن تعلمَ أنَّ خيرَ ماتكونُ حين تكونُ معَ مَنْ هُوَ خيرٌ منكَ وأنَّ غُنْماً لكَ أن يكونَ عَشيرُكَ وخليطُكَ أفضلَ منكَ في العلمِ فتقتبِسَ مِنْ عِلمِهِ وأفضلَ منكَ في القُوَّةِ فيَدْفَع عنكَ

---

(١) أي توقدها (٢) جمع لب وهو العقل (٣) السخاء والسخاوة الجود والكرم وفى فعله ثلاث لغات سخى يسخو من باب علا وسخى يسخى من باب تعب وسخو يسخو من باب ظرف والفاعل من الاولى ساخ ومن الثانية سخ منقوص ، ومن الثالثة سخى كذا فى المصباح (٤) مبتدأ وأكثرهما خبره ، وأقربهما معطوف عليه ومن أن تدخل فيه المفاخرة جملة مؤولة بالمصدر محله الجر بمن ومتعلق الجار أكثر وأقرب أى أكثرهما وأقربهما من دخول المفاخرة ، وقوله أمحض اسم تفضيل من محض فى كذا أخلص والمحض الخالص من كل شئ ، وأنزه أى أبعد من نزه ككرم وضرب نزاهة ونزاهية تباعد عن كل مكروه ، والدنس بفتحتين الوسخ (٥) أى السخاءين ، فبذل وأعطى مافى يديه ، وعف

بقوته

بقُوَّتِهِ وأفضلَ منكَ في المالِ فتفيدَ (١) من مالهِ وأفضلَ منكَ في الجاهِ فتصيبَ حاجتَكَ بجاهِهِ وأفضلَ منكَ في الدِّينِ فتزدادَ صلاحاً بصلاحِهِ

لِيَكُنْ ماتنظرُ فيه من أمرِ عدوِّكَ وحاسدِكَ أن تعلمَ أنَّهُ لا ينفعكَ أنْ تخبرَ عدوَّكَ أنَّكَ له عدوٌّ فتنذرهُ نفسكَ وتؤذنه (٢) بحربِكَ قبلَ الإعدادِ (٣) والفرصةِ فتحمِلَهُ على التَّسلُّحِ (٤) لك وتوقدَ نارهُ عليكَ

اعلمْ أنَّ أعظمَ خطرِكَ (٥) أن تُرِيَ عدوَّكَ أنَّكَ لا تتَّخذهُ عدوًّا فإنَّ ذلكَ غِرَّةٌ (٦) لهُ وسبيلٌ لكَ الى القدرةِ عليهِ فإنْ أنتَ قدرتَ واستطعتَ اغتفارًا لعداوتِهِ عنْ أنْ تكافِئَ بها فهنالكَ استكملتَ عظيمَ الخطرِ وان كنتَ مُكافئاً بالعداوةِ والضَّررِ فإيَّاكَ أنْ تكافِئَ عداوةَ السِّرِّ بعداوةِ العلانيةِ وعداوةَ الخاصَّةِ بعداوةِ العامَّةِ فإنَّ ذلكَ هُوَ الظُّلمُ والعارُ . واعلمْ مع ذلكَ أنَّهُ ليسَ كلُّ العداوةِ والضَّررِ يُكافأُ بمثلِهِ كالخيانةِ لا تكافأ بالخيانةِ والسَّرقةِ لا تكافأ بالسَّرقةِ . ومنَ الحيلةِ في أمرِكَ مع عدوِّكَ أنْ تصادقَ أصدقاءهُ وتؤاخيَ اخوانَهُ فتدخلَ بينهُ وبينهمْ في سبيلِ الشِّقاقِ (٧) والتَّجافي فإنَّهُ ليسَ رجلٌ ذو طَرْقٍ (٨) يمتنعُ منْ مؤاخاتكَ اذا التمستَ ذلكَ منهُ وان

---

(١) أي تستفيد يقال أفدت المال واستفدته ، ويقال أفدت المال بمعنى أعطيته فهو من الاضداد (٢) لعل الصواب تؤاذنه بمعنى تعلمه من آذنه بكذا اذا أعلمه به ، وأماقوله تعالى : فأذنوا بحرب من الله ورسوله فهو من أذن بالشيء يأذن من باب طرب بمعنى علم به والمعنى كونوا على علم به (٣) من أعد لامر كذا اذا هيأ له العدة (٤) لبس السلاح وهو مايقاتل ويدافع به فى الحرب (٥) المراد بالخطر هنا القدر والمنزلة (٦) اسم من غره يغره اذا خدعه واستغفله ، والسبيل الطريق (٧) مصدر شاقه اذا خالفه ، والتجافى الترفع والتباعد (٨) الطرق بفتح فسكون ضعف أى امتنع عما فى أيدى الناس

كانَ إخْوانُ عدُوِّكَ غيرَ ذَوي طرْقٍ فلا عدُوَّ لكَ

لا تَدَعْ [١] معَ السُّكوتِ عنْ شتْمِ عدُوِّكَ إحْصاءَ معايبِهِ [٢] ومثالبِهِ واتّباعَ عوْرَاتِهِ حتّي لا يَشِذَّ عنكَ منْ ذلكَ صغيرٌ ولا كبيرٌ منْ غيرِ أنْ تُشيعَ عليهِ فيتّقيكَ بهِ ويستعدَّ لهُ أوْ تذْكرَهُ في غيرِ موْضعِهِ فتكونَ كَمُسْتعْرِضِ الهوَاءِ بِنَبْلِهِ قبلَ إمْكانِ الرَّمْيِ

لا تَتّخِذِ اللّعْنَ والشَّتْمَ على عدُوِّكَ سِلاحاً فانّهُ لا يَجْرَحُ في نفسٍ ولا في مالٍ ولا دِينٍ ولا مَنْزِلةٍ

إنْ أرَدْتَ أن تكونَ دَاهِيًا [٣] فلا تُحِبَّنَّ أن تُسَمَّي داهِيًا فانّهُ مَنْ عُرِفَ بالدَّهاءِ خاتَلَ [٤] علانيةً وحَذِرَهُ النّاسُ حتّي يَمْتَنِعُ منهُ الضّعيفُ وانّ منْ إرْبِ [٥] الأرِيبِ دَفْنَ إرْبِهِ ما استطاعَ حتّي يُعْرَفَ بالمُسامحةِ في الخليقةِ [٦] والطّريقةِ ومنْ ارْبِهِ ألاّ يُؤارِبَ [٧] العاقلَ المُستقيمَ لهُ الّذي يَطّلِعُ على غامِضِ ارْبِهِ فيَمْقُتَهُ عليهِ

العقل وقد طرق كعنى فهو مطروق ، ويقال فلان به طرقة أى هوج ، وطرق فلان وأخذ فى التطريق اذا احتال ، والطرق أيضا الفخ أوشبهه (١) نهى من ودع يدع بمعنى ترك وأصل مضارعه الكسر من باب ضرب يضرب ولذلك حذفت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة ثم فتحت الدال لمكان حرف الحلق (٢) العيوب جمع معابة بالفتح والمثالب جمع مثلبة وهى المسبة والتعييب يقال ثلبه اذا صرح بالعيب فيه وتنقصه ، والعورات جمع عورة وهى كل شئ يستره الانسان أنفة وحياء (٣) اسم فاعل من الدهى كالرمى والدهاء كسماء وهو الفكر وجودة الرأى ويأتى اسم فاعله على ده وداهية ويجمع على دهاة كغزاة ودهون والفعل دهى كرضى (٤) خادع من المخاتلة ، وختله ختلا خدعه (٥) الارب بكسر فسكون الدهاء والمكر وهو من العقل والاريب العاقل (٦) الطبيعة ، والطريقة المذهب (٧) أى يداهى

ان

ان أَرَدْتَ السلامةَ فأَشعِرْ (١) قلبَكَ الهَيْبَةَ لِلأُمُورِ منْ غيرِ أن تَظهَرَ منكَ الهيبةُ فيفطَنَ (٢) النّاسُ لِهيبَتِكَ ويجرِّئَهُمْ عليكَ ويدعُوَ ذَلكَ اليكَ منهُـمْ كُلَّما تَهابُ فاشعَبْ (٣) لِمُـداراةِ ذلكَ منْ كِتْمانِ المَهابةِ واظهارِ الجراءةِ والتَّهاوُنِ طائفةً مِنْ رَأْيِكَ . وانِ ابتُليتَ بِمُجازاةِ عَـدُوٍّ مُخالِفٍ فالْزَمْ هذهِ الطَّرِيقَةَ التي وَصفْتُ لكَ مِنَ استِشْعارِ الهَيْبَةِ واظْهارِ الجَراءةِ والتَّهاوُنِ وعليكَ (٤) بالحَذَرِ في أمْرِكَ والجَراءةِ في قلبكَ حتى تَمْلأَ قلبَكَ جَراءةً ويَستفرِغَ (٥) عَمَلُكَ الحَذَرَ

انَّ منْ عدُوِّكَ مَنْ تعمَلُ في هلاكِهِ ومنهُمْ منْ تَعمَلُ في البُعْدِ عنهُ فاعرِفهُمْ علي مَنازِلِهِمْ ومنْ أقوَى القُوَّةِ لكَ على عدُوِّكَ وأعزِّ أنْصارِكَ في الغلبَـةِ أن تُحصِيَ على نفسِكَ العُيُوبَ والعَوْراتِ كلَّما (٦) أحصَيْتَها على عـدُوِّكَ وتنظُرَ عندَ كلِّ عَيْبٍ تَراهُ أوْ تَسمَعُهُ لأحَدٍ منَ النّاسِ هلْ (٧) قارَفْتَ مِثْـلَهُ أوْ مُشاكِلَهُ فانْ كُنْتَ قارَفْتَ منهُ شَيْئًا فأَحْصِهِ فِيما تُحْصِي على نفسِكَ حـتّى اذا أحصَيْتَ ذلكَ كلَّهُ فَـكابِرْ (٨) عدوَّكَ بإصلاحِ عُيُوبِكَ وتَحْصِينِ عَوْراتِكَ

---

(١) أي أعلمه أمر من أشعره يشعره من باب الافعال يتعدى الى مفعولين بنفسه (٢) الفطنة بالكسر الحذق والفهم وقد ورد الفعل من ثلاثة أبواب فرح ونصر وكرم يعدى بالباء والى واللام (٣) أي اجمع أمر من شعب يشعب من باب قطع يقطع بمعنى جمع ويأتي لمعنى فرق وأصلح وأفسد وليست مرادة هنا (٤) اسم فعل أمر بمعنى الزم يتعدى بنفسه وبالباء كما هنا ، وقيل الباء زائدة ، والحذر التحرز والتيقظ والفعل كعلم (٥) أي يستقصيه (٦) الظاهر كما (٧) أي خالطت مثل ذلك العيب أو مشاكله أي مشابهه (٨) أي غالبه

واحْرازِ مقاتِلِكَ (١) وخُذْ نفسكَ بذلكَ مُمسِيًا مُصبِحًا (٢) فاذا آنستَ منها دَفعًا لذلكَ أوْ تهاوُنًا بهِ فاعدُدْ نفسكَ عاجزًا ضائعًا جانِيًا مُعوِرًا (٣) لعدوِّكَ مُمكِنًا لهُ من رَمْيِكَ وانْ حصلَ مِنْ عُيوبِكَ بعضُ مالا تقدِرُ على اصلاحِهِ مِنْ أمرٍ قدْ مضَى يَعيبُكَ عندَ النّاسِ ولا تراهُ أنتَ عيبًا فاحفَظْ ذلكَ وما عسَى أنْ يقولَ فيهِ قائلٌ مِنْ حسَبِكَ (٤) أوْ مثالِبِ آبائِكَ أوْ عيبِ إخوانِكَ ثمَّ اجعَلْ ذلِكَ كلَّهُ نُصبَ عينيكَ واعلَمْ أنَّ عدُوَّكَ مُريدُكَ بذلكَ فلا تغفلْ عَنِ التَّهيُّؤِ لهُ والإعدادِ لِقوَّتِكَ وحُجَّتِكَ وحيلَتِكَ فيهِ سِرًّا وعلانيَةً فأمَّا الباطِلُ فلا تروِّعَنَّ (٥) بهِ قلبَكَ ولا تستعِدَّنَّ لهُ ولا تشتغِلَنَّ به فانَّهُ لا يهولُكَ (٦) مالمْ يقعْ واذا وقَعَ اضمَحلَّ (٧)

اعلَمْ أنَّهُ قلَّما بُدِهَ (٨) أحدٌ بشيءٍ يعرِفُهُ مِنْ نفسِهِ وقدْ كانَ يطمَعُ في إخفائِهِ عَنِ النَّاسِ فيُعَيِّرَهُ (٩) بهِ مُعَيِّرٌ عندَ السُّلطانِ أوْ غيرِهِ إلّا كادَ يَشهَدُ بِهِ عليهِ وجهُهُ وعيناهُ ولِسانُهُ للَّذِي يبدُو منهُ عندَ ذلكَ والذي يكونُ

(١) مقاتل الانسان المواضع التى اذا أصيبت قتلته واحدها مقتل بفتح الميم والتاء (٢) أى حال كونه داخلا فى الصباح والمساء ، وآنست أى علمت (٣) المعور الممكن البين الواضح من أعورلك الصيد أى أمكنك ، وأعور الشئ ظهر وأمكن ، وممكنا اسم فاعل من أمكنه وكذا مكنه من الشئ اذا جعل له سلطانا وقدرة عليه (٤) الحسب مايعد من المآثر وقال الازهرى : الحسب الشرف الثابت له ولآبائه ، وتقدم معنى المثالب (٥) الروع بالفتح الفزع ، وروّعه بالتشديد وراعه أفزعه (٦) أى لا يفزعك (٧) أى ذهب وتلاشى (٨) أى فوجئ مبنى للمفعول من بدهه بأمر اذا استقبله به وفاجأه وبابه قطع (٩) التعبير التوبيخ والتعييب

من

مِنَ انْكِسارِهِ وفُتُورِه [١] عندَ تِلكَ البَدَاهَةِ فاحْذَرْ هذِهِ وتَصَنَّعْ [٢] لَها وَخُذْ اُهبَتَكَ [٣] ابغَتاتِها

اعلمْ أنَّ مِنْ أوْقَعِ [٤] الأُمُورِ في الدِّينِ وأنْهَكِها [٥] لِلجَسَدِ وأتلَفِها لِلمالِ وأضَرِّها بالعَقْلِ وأسْرَعِها في ذَهابِ الجَلالَةِ [٦] والوَقارِ الغَرَامَ بالنِّساءِ ومِنَ البَلاءِ على المُغْرَمِ بِهِنَّ أنَّهُ لا يَنفَكُّ يَأْجِمُ [٧] ماعِنْدَهُ وتَطْمَحُ عَيْناهُ الى ما لَيْسَ عِنْدَهُ مِنْهُنَّ . وإنَّما النِّساءُ أشْباهٌ وما يُرَى في العُيُونِ والقلوبِ مِنْ فَضْلِ مَجْهُولاتِهِنَّ على مَعْرُوفاتِهِنَّ باطِلٌ وخُدْعَةٌ [٨] بلْ كَثِيرٌ مِمَّا يَرْغَبُ [٩] عنهُ الرَّاغِبُ مِمَّا عِندَهُ أفضَلُ مِمَّا تَتُوقُ اليهِ نفسُهُ وإنما المُتَرَغِّبُ

---

(١) عطف تفسير اذ هو بمعنى الانكسار (٢) التصنع تكلف حسن السمت والتزين (٣) الاهبة بالضم العدة بالضم أيضا ، يقال أخذ أهبته للحرب اذا استعدلها وتجمع الاهبة على أهب كغرفةوغرف ، والبغتات جمع بغتةمن بغته بغتامن باب نفع اذا فاجأه ، والمباغتة المفاجأة (٤) اسم تفضيل من وقع فلان فى فلان وقوعاووقيعةسبه وثلبه أو من وقع الشئ سقط و يقال وقعت بفلان اذالمته ووقعت فيه اذاعبته وذممته (٥) أى أشدهانهكا أى هزلا من نهكته الحمى نهكامن بابى نفع وتعب هزلته (٦) الجلالة العظمة ، والوقار الرزانةوالحلم ، والغرام الولوع و رجل مغرم بكذا أى مولع به واصل معنى الغرام العذاب الدائم والشر والهلاك ومنه الغرام بالنساء لايصاله الى ذلك فى الاكثر (٧) يأجم أى يكره وأجم الطعام وغيره كرهه وملهو بابه ضرب ، وتطمح عيناه أى ترتفع وتستشرف وبابه خضع (٨) الخدعة ما يخدع به الانسان مثل اللعبة لما يلعب به من خدعه يخدعه من الباب الثالث اذاختله وأراد به المكروه ، ومنه الحرب خدعة (٩) يرغب عنه أى لم يرده لان رغب اذاعدى بعن يكون معناه عدم الارادة واذا عدى بفى يكون بمعنى أراده ، وتتوق أى تشتاق وبابه قال

عمّا في رَحْلِهِ [١] منهنّ الى مافي رِحالِ النّاسِ كالمُترَغّبِ عنْ طَعامِ بَيْتِهِ الى مافي بُيُوتِ النّاسِ بل النِّساء بالنِّساءِ أشْبَهُ منَ الطّعامِ بالطّعامِ ومافي رِحالِ النّاسِ مِنَ الاطْعِمَةِ أشَدُّ تَفاضُلاً وتَفاوُتاً مِمّا في رِحالِهِمْ مِنَ النِّساءِ . ومِنَ العَجَبِ أنَّ الرَّجُلَ الذي لا بأسَ [٢] في لُبِّهِ يرَى المَرْأةَ مِنْ بَعيدٍ مُتَلَفِّفَةً في ثِيابِها فيُصَوِّرُ لَها في قَلْبِهِ الحسْنَ والجَمالَ حتي تَعلَقَ بها نفسُهُ مِنْ غيْرِ رُؤْيَةٍ ولا خَبَرِ مخْبِرٍ ثمَّ لعَلَّهُ يَهْجُمُ مِنها على أقْبَحِ القُبْحِ وأدَمّ الدَّمامَةِ [٣] فلا يَعِظُهُ ذلكَ عَنْ أمْثالِها ولا يَزالُ مَشْغُوفاً بِمالمْ يَذُقْ حتى لَوْ لَمْ يبْقَ في الأرْضِ غَيْرُ امْرَأةٍ واحِدَةٍ لَظَنَّ أنَّ لها شأناً غيْرَ شأن ماذاقَ وهذا هوَ الحُمْقُ [٤] والشّقاء ومَنْ لمْ يحْمِ نفْسَهُ ويَظلِفْها ويَجْلُها [٥] عن الطّعامِ والشَّرابِ والنِّساءِ في بَعْضِ ساعاتِ شَهْوَتِهِ وقُدْرَتِهِ كانَ أيْسَرَ مايُصيبُهُ مِنْ وَبالِ أمْرِهِ [٦] انقطاعُ تِلْكَ اللّذّاتِ عنهُ بخُمُودِ [٧] نارِ شَهْوَتِهِ وضعفِ عَوامِلِ جَسَدِهِ وقلَّ مَنْ تجِدُ الّا مخادِعاً لنفْسِهِ في أمْرِ جَسَدِهِ عندَ الطّعامِ والشَّرابِ والحِمْيَةِ والدَّواءِ وفي أمْرِ

---

(١) الرحل مسكن الرجل ومأواه فى الحضر ويطلق على أمتعة المسافر لانها هناك مأواه (٢) أى لاضرر فى لبه أى عقله (٣) الدمامة قبح المنظر وصغر الجسم يقال دمت المرأة تدم دمامة من بابى ضرب وتعب اذا قبح منظرها وصغر جسمها واسم التفضيل أدم (٤) الحمق قلة العقل ، والشقاء ضد السعادة ويحمى أى يمنعها يقال حمى الطبيب المريض عن الطعام يحميه وحماه مايضره منعه وبابه رمى ، ويظلفها أيضا بمعنى يمنعها يقال ظلف نفسه عن الشئ يظلفها كفها ومنعها من أن تأتيه وبابه ضرب (٥) يجلها أى يبعدها ويطردها يقال جلاهم وأجلاهم عن البلد اذا أخرجهم ونفاهم وبابه عدا يعدو (٦) أى عاقبة أمره فى الوخامة ، والوبال الوخامة وسوء العاقبة من وبل المرتع يوبل بالضم وبالا ووبالة بمعنى وخم وبابه كرم (٧) الخمود السكون وخمدت النار سكن لهبها وبابه دخل

مروءته

مُرُوءتِهِ عندَ الأهواءِ والشَّهَواتِ وفي أمْرِ دِينِهِ عندَ الرِّيبَةِ [١] والشُّبْهَةِ والطَّمَعِ

إنِ استَطَعْتَ أنْ تُنزِلَ نَفْسَكَ دُونَ غايَتِكَ [٢] في كلِّ مَجْلِسٍ ومَقامٍ ومَقالٍ ورَأْيٍ وفِعْلٍ فافعَلْ فإنَّ رَفْعَ النَّاسِ إيَّاكَ فَوْقَ المَنزِلَةِ التي تَحُطُّ إليها نفسَكَ وتَقْرِيبَهُمْ إيَّاكَ في المَجْلِسِ الذي تباعَدْتَ عنهُ وتَعْظِيمَهُمْ مِنْ أمْرِكَ مالَمْ تُعظِّمْ وتَزْيِينَهُمْ مِنْ كلامِكَ ورَأْيِكَ مالَمْ تُزَيِّنْ هُوَ الجَمالُ

لا يُعْجِبَنَّكَ العالِمُ مالَمْ يَكُنْ عالِماً بِمَواضِعِ ما يَعْلَمُ . إنْ غُلِبْتَ على الكلامِ وَقْتاً فلا تُغْلَبَنَّ على السُّكُوتِ فإنَّهُ لَعَلَّهُ يَكُونُ المِرَاءَ واعرِفْهُ ولا يَمْنَعَنَّكَ حَذَرُ المِرَاءِ [٣] مِنْ حُسْنِ المُناظَرَةِ والمجادَلَةِ واعلَمْ أنَّ المُمارِيَ هُوَ الذي لا يُحِبُّ أنْ يتَعلَّمَ ولا يتعلَّمَ منهُ فإنْ زَعَمَ زاعِمٌ أنَّهُ إنَّما يُجادِلُ في الباطِلِ عَنِ الحقِّ فإنَّ المُجادِلَ وإنْ كانَ ثابِتَ الحُجَّةِ ظاهِرَ البيِّنَةِ فإنَّهُ يُخاصِمُ الى غَيْرِ قاضٍ وإنَّما قاضِيهِ [٤] الذي لا يَعْدُو بالخُصُومَةِ الّا إليهِ عَدْلُ صاحِبِهِ وعَقْلُهُ فإنْ آنَسَ أوْ رَجا مِنْ صاحِبِهِ عَدْلاً يَقْضِي بِهِ على نَفْسِهِ فقدْ أصابَ وَجْهَ أمْرِهِ وانْ تَكَلَّمَ على غَيْرِ ذلكَ كانَ مُمارِياً

إنِ استَطَعْتَ أنْ لا تُخْبِرَ أخاكَ عنْ ذاتِ نفسِكَ بشيْءٍ إلاّ وأنْتَ مُحْتَجِنٌ [٥] عنهُ بَعْضَ ذلكَ التِماساً لِفَضْلِ الفِعْلِ على القَوْلِ واسْتِعْداداً لِتَقْصِيرِ فِعْلٍ إنْ قَصَّرَ فافعلْ واعلمْ أنَّ فضْلَ الفِعْلِ على القَوْلِ زِينةٌ وفضلَ القوْلِ على الفِعْلِ

---

(١) الريبة الشك والتهمة ، والشبهة الالتباس (٢) غاية الشيء نهايته أي دون المنزلة التي تستحقها وينتهي اليها استحقاقك لها ، تحط أي تنزل ، والحط الانزال من علو الى سفل وبابه قتل (٣) المراء الجدال ، والمماري المجادل (٤) قاضيه مبتدأ واسم الموصول مع صلته في محل رفع صفته والخبر قوله عدل صاحبه (٥) اسم فاعل من احتجن المال أو غيره اذا ضمه الى

هُجْنَةٌ (١) وأن إِحْكامَ هٰذِهِ الخلَّةِ (٢) مِنْ غرائِبِ الخِلالِ

اذا تَرا كَمَتِ الأعمالُ عليكَ فلا تَلْتَمِسِ الرَّوْحَ (٣) في مُدافعتها بالرَّوَغانِ منها فإِنَّهُ لا راحةَ لكَ الّا في إِصْدارِها وإِنَّ الصَّبْرَ عليها هُوَ يُخَفِّفُها وإِنّ الضَّجَرَ منها هُوَ يُرا كِمُها (٤) عليكَ فتعهَّدْ (٥) مِنْ ذلكَ في نفسِكَ خصلةً قدْ رأيتُها تَعْتَري (٦) بَعضَ أصحابِ الأعمالِ أن الرَّجلَ يَكُونُ (٧) في أمرٍ مِنْ أمْرِهِ فيَرِدُ عليهِ شُغْلٌ آخرُ ويأتيهِ شاغِلٌ مِنَ النّاسِ يَكْرَهُ تأخيرَهُ فيُكَدِّرُ ذلكَ بِنَفْسِهِ تَكْديرًا يُفْسِدُ ما كانَ فيهِ وما وَرَدَ عليهِ حَتّى لا يُحْكِمَ واحدًا منهُما فإِنْ وَرَدَ عليكَ مثلُ ذلكَ فليَكُنْ معكَ رأيُكَ الّذي تَختارُ بهِ الأُمورَ ثمَّ اخْتَرْ أوْلَى الأمْرَيْنِ بِشُغْلِكَ فاشْتَغِلْ بهِ حتّى تَفْرُغَ منهُ ولا يَعْظُمَنَّ عليكَ فَوْتُ ما فاتَ وتأخيرُ ما تأخَّرَ اذا أعمَلْتَ الرَّأيَ مَعْمَلَهُ وجعَلْتَ شُغْلَكَ في حَقِّهِ

إِجْعَلْ لِنَفْسِكَ في كلِّ شَيْءٍ غايةً تَرْجُو القُوَّةَ والتَّمامَ عليها واعلمْ انَّكَ إِنْ جاوَزْتَ الغايةَ في العِبادةِ صِرْتَ الى التَّقْصيرِ وإِنْ جاوَزْتَها في حَمْلِ العِلْمِ صِرْتَ مِنَ الجُهّالِ وإِنْ جاوَزْتَها في تَكَلُّفِ رِضَى النّاسِ والخِفَّةِ معَهُمْ في حاجاتِهِمْ كُنْتَ المُصْنَعَ (٨) المَحْشُودَ

نفسه واحتواه (١) الهجنة القبح والعيب (٢) الخلة بالفتح الخصلة وتجمع على خلال (٣) الروح بالفتح الراحة ، والروغان الحيدان والميل بالمخادعة والمداورة (٤) ركم الشئ جمعه وألقى بعضه على بعض وبابه نصر وارتكم وتراكم اجتمع (٥) أى فقد (٦) أى تصيب وتأتى (٧) قوله ان لرجل يكون الخ هذه الجملة فى تأويل المفرد بدل من قوله خصلة قد رأيتها الخ أو بيان لها ويصح أن تكون خبرا لمبتدا محذوف تقديره وهى أن الرجل الخ (٨) المصنع اسم مفعول من أصنع اذا أعان آخر والمحشود الذى عنده حشد

اعلم

اعلمْ أنّ بعضَ العطيّةِ لؤمٌ (١) وبعضَ البيانِ عيٌّ وبعضَ العِلمِ جهلٌ فإنِ استطعتَ أنْ لا يكونَ عطاؤكَ خورًا ولا بيانُكَ هذرًا ولا علمُكَ جهلاً فافعلْ

اعلمْ أنّهُ ستمرُّ عليكَ أحاديثُ تعجبُكَ إمّا مليحةٌ وإمّا رائعةٌ (٢) فاذا أعجبتكَ كنتَ خليقاً (٣) بأنْ تحفظها فانَّ الحفظَ مُوكَلٌ بما راعَ وستحرصُ على أنْ تعجبَ منها الأقوامَ فانّ الحرصَ على ذلكَ التعجُّبِ مِنْ شأنِ الناسِ وليسَ كلُّ معجبٍ لكَ معجباً لغيرِكَ واذا نشرتَ ذلكَ مرّةً أوْ مرّتينِ فلمْ ترَهُ وقعَ مِنَ السّامعينَ موقعَهُ منكَ فازدجرْ (٤) عنِ العودِ فانَّ العجبَ مِنْ غيرِ عجيبٍ سُخفٌ (٥) شديدٌ وقد رأينا مِنَ الناسِ مَنْ يعلقُ (٦) الشّيءَ ولا يقلعُ (٧) عنِ الحديثِ بهِ ولا يمنعُهُ قلّةُ قبولِ أصحابِهِ لهُ مِنْ أنْ يعودَ ثمَّ يعودُ

إيّاكَ والأخبارَ الرّائعةَ وتحفّظْ منها فإنَّ الإنسانَ مِنْ شأنِهِ الحرصُ على الأخبارِ لا سيّما ما راعَ منها فأكثرُ الناسِ مَنْ يحدّثُ بما سمعَ ولا يبالي ممّنْ سمعَ وذلكَ مفسدةٌ للصّدقِ ومزراةٌ (٨) بالرّأيِ فإنِ استطعتَ ألاّ تخبرَ بشيءٍ الّا وأنتَ بهِ مصدّقٌ وألّا يكونَ تصديقُكَ الّا ببرهانٍ فافعلْ

---

(١) اللؤم ضد الكرم والعي الحصر والعجز والخور بفتحتين الضعف والهذر بفتحتين أيضا سقط الكلام أو الكثير الرديء منه (٢) اسم فاعل من راعني الشيء أعجبني ، والرائع من الجمال الذي يعجب روع من رآه فيسره ويقال كل معجبة رائعة (٣) جديرا وحقيقا (٤) أي امتنع وانته عن العود (٥) أي نقص عقل (٦) أي يهواه (٧) أي لا يكف عنه (٨) مصدر ميمي من أزرى بالشيء أدخل عليه عيبا أو تهاون

ولا تقل كما يقولُ السفهاء أُخبِرُ بما سمعتُ فإنّ الكذبَ أكثرُ ما أنتَ سامعٌ وإنّ السفهاء أكثرُ مَنْ هو قائلٌ وإنّكَ ان صرتَ للأحاديثِ واعياً وحاملاً كانَ ماتعِى وتحملُ عنِ العامةِ أكثرَ ممّا يخترعُ المخترعُ بأضعافٍ

انظرْ مَنْ صاحبتَ مِنَ الناسِ مِنْ ذِي فضلٍ عليكَ بسُلطانٍ (١) ومَنزلةٍ ومَنْ دُونَ ذلكَ منَ الخُلَصاء (٢) والأكفاء والإخوانِ فوطّنْ (٣) نفسَكَ في صُحْبتِهِ على أنْ تقبلَ منهُ العفوَ (٤) وتَسخُوَ نفسكَ عمّا اعتاصَ (٥) ممّا قبلَهُ غيرَ مُعاتِبٍ ولا مُستَنطِئٍ ولا مُستَزيدٍ فانَّ المُعاتبةَ مقطعةٌ للوُدِّ وإنّ الاستزادةَ منَ الجَشَعِ (٦) وانَّ الرّضى بالعفوِ والمسامحةَ في الخُلقِ مُقرّبٌ لكَ كلَّ ماتتوقُ (٧) اليهِ نفسُكَ معَ بقاءِ العِرضِ والمودَّةِ والمُروءةِ

اعلمْ أنّكَ ستُبتَلى مِنْ أقوامٍ بسفهٍ وأنّ سفهَ السفيهِ سيَطلُعُ لكَ منهُ فانْ عارضتَهُ أوْ كافأتَهُ بالسفهِ (٨) فكأنّكَ قدْ رضيتَ ما أتى بهِ فاجتنبْ أنْ تحتذِيَ (٩) مِثالَهُ فانْ كانَ ذلكَ عندكَ مذمُوماً فحقّقْ ذمّكَ إيّاهُ بتركِ مُعارضتِهِ فأمّا أنْ تذمّهُ وتمتثلهُ (١٠) فليسَ ذلكَ لكَ

---

(١) أى بولاية وسلطة (٢) جمع خلص بكسر فسكون الخدن بوزنه أيضا ، والاكفاء جمع كفؤ وهو المثل والاخوان بكسر الهمزة وضمها جمع أخ (٣) وطن نفسه على الامر توطينا مهدها لفعله وذللها (٤) أصل العفو الفضل والمعروف ، والمراد هنا الميسور من أخلاق الرجال وعدم الاستقصاء عليهم ومنه قوله تعالى خذ العفو (٥) أى صعب يقال اعتاص عليه الامر أى اشتد والتاث عليه فلم يهتد للصواب (٦) الجشع أشد الحرص فعله من باب طرب والجار والمجرور ظرف مستقر خبر ان (٧) أى تشتاق (٨) السفه ضد الحلم وأصله الخفة والحركة ويطلق على الجهل أيضا والسفيه هو المتصف بذلك (٩) احتذى مثاله اقتدى (١٠) أى تتبع طريقته

لا

لا تُصاحِبَنَّ أحَداً وإنِ استأنستَ بهِ أخا قَرابَةٍ أوْ أخا مَوَدَّةٍ ولا والِداً ولا وَلَداً الّا بِمُرُوَّةٍ فإنَّ كَثيراً مِنْ أهلِ المُرُوَّةِ قدْ يَحْمِلُهُمُ الإستِرْسالُ (١) أو التَّبذُّلُ على أنْ يصحَبُوا كَثيراً منَ الخُلَصاءِ بالإدْلالِ والتَّهاوُنِ ومَنْ فَقَدَ مِنْ صاحبِهِ صحبَةَ المُرُوَّةِ ووَقارَها أحدثَ لهُ في قَلْبِهِ رِقَّةَ شأْنٍ وخِفَّةَ مَنزِلَة

لا تَلْتَمِسْ (٢) غَلَبَةَ صاحبِكَ والظَّفَرَ عليهِ بِكُلِّ كَلِمَةٍ ورأْيٍ ولا تَجْتَرِئَنَّ على تَقْرِيعِهِ (٣) وتبكيتِهِ بِظَفَرِكَ اذا استَبانَ وحُجَّتِكَ اذا وَضَحَتْ فانَّ أقواماً يَحْمِلُهُمْ حُبُّ الغَلَبَةِ وسَفَهُ الرَّأْيِ في ذلكَ على أنْ يَتعقَّبُوا الكَلِمَةَ بعدَ ما تَنسى فيَلْتَمِسُوا فيها الحُجَّةَ ثمَّ يَستَطيلُوا (٤) بها على الأَصْحابِ وذلكَ ضَعفٌ في العقلِ ولُؤْمٌ (٥) في الاخلاقِ

لا يُعْجِبَنَّكَ إكرامُ مَنْ يُكْرِمُكَ لِمَنزِلَةٍ أوْ سُلْطانٍ فانَّ السُّلْطَةَ أوشَكُ (٦) امُورِ الدُّنْيا زَوالاً ولا يُعْجِبَنَّكَ اكرامُهُمْ ايَّاكَ لِلنَّسَبِ فانَّ الأَنسابَ أقلُّ مَناقِبِ الخَيرِ غَناءً (٧) عنْ أهلِها في الدِّينِ والدُّنيا ولكنْ اذا أُكرِمْتَ على دِينٍ أوْ مُرُوءةٍ فذلكَ فَلْيُعْجِبْكَ فانَّ المُرُوءةَ لا تُزايِلُكَ (٨) في الدُّنيا والدِّينَ لا يُزايِلُكَ في الآخِرَةِ

---

(١) الانبساط والاستئناس يقال استرسل الى كذا أي انبسط واستأنس ، والتبذل ترك التصاون والادلال كالتدلل هو الانبساط (٢) الالتماس الطلب والغلبة القهر وهو مصدر مضاف الى مفعوله ، والظفر الفوز بالمطلوب يقال ظفر به وعليه وبابه طرب (٣) التقريع التعنيف والتثريب ، والتبكيت التعنيف والغلبة بالحجة (٤) أي يتطاولوا بها أي بالحجة (٥) أي دناءة (٦) أقرب (٧) نفعا (٨) أي لا تفارقك

اعلمْ أنَّ الجُبنَ [1] مقتَلةٌ وأنَّ الحِرصَ محرَمةٌ فانظرْ فيما رأيتَ أوْ سمعتَ أمَنْ قُتلَ في القتالِ مُقبلاً أكثرُ أمْ مَنْ قتلَ مُدبِرًا وانظرْ أمَنْ يَطلُبُ اليكَ بالإجمالِ والتَّكرُّمِ أحقُّ أنْ تسخُو اليكَ نفسُكَ بطَلِبَتِهِ [2] أمْ مَنْ يطلُبُ اليكَ بالشَّرَهِ

اعلمْ أنَّهُ ليسَ كلُّ مَنْ كانَ لكَ فيهِ هوًى فذَكرَهُ ذاكِرٌ بسُوءٍ وذكرْتَهُ أنتَ بخيرٍ ينفعُهُ ذلكَ أوْ يضُرُّهُ فلا يَستخِفَّنَّكَ [3] ذِكرُ أحدٍ من صديقٍ أوْ عدُوٍّ الّا في موْطِنِ [4] دفعٍ أوْ مُحاماةٍ فانَّ صديقَكَ اذا وَثِقَ بكَ في مواطنِ المُحاماةِ لم يحفِلْ بما تركْتَ مِمّا سوَى ذلكَ ولم يكُنْ لهُ عليكَ سبيلُ لائمةٍ وانَّ الأحزَمَ [5] في أمرِ عدُوِّكَ ألّا تذكُرَهُ الّا حيثُ يضُرُّهُ وألّا تعُدَّ يسيرَ الضرِّ ضرًّا

---

(١) الجبن لغة ضعف القلب وعرفه السيد بانه هيئة حاصلة للقوة الغضبية بها يحجم عن مباشرة ما ينبغي ومالا ينبغي ، والحرص طلب الشئ باجتهاد فى اصابته ، والمقتلة مصدر ميمى بمعنى القتل وكذا المحرمة بمعنى الحرمان وقد صاغوا مفعلة من الثلاثى اللفظ أو الاصل لسبب كثرة مسماه أو محلها كقولهم الولد مجبنة مبخلة أى سبب لكثرة الجبن عن الحرب وكثرة البخل ، وقولهم أرض مأسدة ومسبعة أى محل لكثرة الاسد والسباع ومعنى عبارة المصنف هنا أن الجبن سبب لكثرة القتل وأن الحرص سبب لكثرة الحرمان وقد علل ذلك بقوله فانظر الخ (٢) الطلبة بوزن كلمة الشئ المطلوب ، والشره غلبة الحرص فعله شره يشره من باب طرب (٣) أى لا يحملنك على الطيش والخفة أى الاسراع من ذكر أحد الخ من قولهم استخف فلان فلانا اذا حمله على الخفة والجهل (٤) الموطن كمسجد المكان والموضع ويجمع على مواطن ، وقوله لم يحفل أى لم يبال ، والسبيل الطريق ، واللائمة العذل من قولهم لامه على كذا من باب قال أى عذله (٥) الاحزم اسم تفضيل من حزم فلان رأيه اذا ضبطه وأتقنه أى ان الاضبط والاتقن فى شأن عدوك عدم ذكرك

اعلم

اعْلَمْ أنَّ الرَّجلَ قدْ يَكُونُ حَلِيماً فَيَحْمِلُهُ الحِرْصُ على أنْ يُقالَ جَلِيدٌ (١) والمَخافَةُ أنْ يُقالَ مَهِينٌ على أنْ يَتَكَلَّفَ الجَهْلَ وقدْ يَكُونُ الرَّجلُ زَمِيتاً فَيَحْمِلُهُ الحِرْصُ على أنْ يُقالَ لَسِنٌ والمَخافَةُ مِنْ أنْ يُقالَ عَيٌّ على أنْ يقُولَ في غَيْرِ مَوْضِعِهِ فَيَكُونُ هَذَرًا فَعْرِفْ هذا وأشْباهَهُ واحْتَرِسْ منهُ كُلِّهِ

اذا بَدَهَكَ (٢) أمْرانِ لا تَدْري أيُّهُما أصْوَبُ فانظُرْ أيُّهما أقْرَبُ الى هَوَاكَ فَخالِفْهُ فانَّ أكْثَرَ الصَّوَابِ في خِلافِ الهَوَى (٣)

اياه الا فى مكان يضره ذكرك له وعدم عدك قليل الضر ضرا (١) الجليد القوى الشديد اسم فاعل من الجلد بفتحتين الذى هو الشدة والقوة يقال جلد الشئ من باب ظرف اذا صلب وقوى ، والمهين الحقير ، والزميت كأمير الوقور وكسكيت أوقر منه وفى لسان العرب الزميت والزميت الحليم الساكن القليل الكلام كالصميت واللسن الفصيح يقال لسن كفرح والمصدر اللسانة أى الفصاحة ، وعى اسم فاعل بوزن فعل ويقال عيي على وزن فعل من عى وعيي بالامر لم يهتد لوجه مراده وعى فى المنطق عيا بالكسر حصر والهذر بفتحتين الهذيان اسم من هذر فى منطقه من بابى ضرب ونصر خلط وتكلم بما لا ينبغى ، وحاصل معنى هذه المقولة ان الرجل قد يكون حليما لكنه يحرص على أن يقال عنه انه قوى شديد ويخاف أن يقال عنه انه مهين حقير فيحمله حرصه وخوفه على أن يتكلف الجهل ، وان الرجل قد يكون وقورا حليما ساكنا قليل الكلام كثير الصمت لكنه يحرص على أن قال عنه انه فصيح ويخاف من نسبته الى العى والحصر فيحمله هذا الحرص والخوف على أن يقول فى غير موضع القول فيكون قوله هذيانا وخلطا (٢) أى فاجأك وبغتك وبابه نفع (٣) قال فى المصباح : الهوى مقصور مصدر هويته من باب تعب اذا أحببته وعلقت به ثم أطلق على ميل النفس وانحرافها نحو الشئ ثم استعمل فى ميل مذموم فيقال اتبع هواه وهو من أهل الاهواء : وقال الراغب الهوى ميل النفس الى الشهوة ويقال ذلك للنفس المائلة الى الشهوة وقيل

لِيَجْتَمِعْ في قَلْبِكَ الِافْتِقَارُ الى النَّاسِ والِاسْتِغْنَاءُ عَنْهُمْ فَيَكُونَ افْتِقَارُكَ إليهِمْ في لِينِ كَلِمَتِكَ وحُسْنِ بِشْرِكَ (١) ويَكُونَ اسْتِغْنَاؤُكَ عَنْهُمْ في نَزَاهَةِ عِرْضِكَ وبَقَاءِ عِزِّكَ

لا تجالِسِ امْرَأً بغَيْرِ طَرِيقَتِهِ (٢) فإنَّكَ إِنْ أَرَدْتَ لِقَاءَ الجاهِلِ بالعِلْمِ والجافِي بالفِقْهِ والعَيِيِّ بالبَيَانِ لم تزِدْ على أنْ تُضِيعَ عَقْلَكَ وتُؤْذِيَ جَلِيسَكَ بِحَمْلِكَ عليهِ ثِقَلَ ما لا يَعْرِفُ وغَمِّكَ إِيَّاهُ بِمِثْلِ ما يَغْتَمُّ بِهِ الرَّجُلُ الفَصِيحُ مِنْ مُخاطَبَةِ الأَعْجَمِيِّ الذي لا يَفْقَهُ واعْلَمْ أنَّهُ ليسَ مِنْ عِلْمٍ تَذْكُرُهُ عندَ غَيْرِ أَهْلِهِ إلَّا عادَوْهُ ونَصَبُوا لهُ (٣) ونَقَضُوهُ عليكَ وحَرَصُوا على أنْ يَجْعَلُوهُ جَهْلًا حتَّى أنَّ كَثِيرًا مِنَ اللَّهْوِ واللَّعِبِ الذي هو أخَفُّ الأَشْيَاءِ على الناسِ لَيَحْضُرُهُ مَنْ

سمي بذلك لانه يهوى بصاحبه فى الدنيا الى كل داهية وفى الآخرة الى الهاوية ثم قال : فقد عظم الله ذم اتباع الهوى فقال تعالى : أفرأيت من اتخذ الهه هواه ولا تتبع الهوى واتبع هواه وقوله ولئن اتبعت أهواءهم فاءما قاله بلفظ الجمع تنبيها على أن لكل واحد هوى غير هوى الآخر ثم هوى كل واحد لا يتناهى فاذا اتباع أهوائهم نهاية الضلال والحيرة ، وقال الماوردى : وأما الهوى فهو عن الخير صاد وللعقل مضاد لانه ينتج من الاخلاق قبائحها ويظهر من الافعال فضائحها ويجعل ستر المروءة مهتوكا ومدخل الشر مسلوكا

(١) البشر بالكسر طلاقة الوجه (٢) طريقة الرجل مذهبه ، والجافى الغليظ من جفا الثوب يجفو اذا غلظ ، والفقه الفهم ، والبيان الفصاحة ، والجليس المجالس ، والغم التغطية ، يقال غمه الشيء غما من باب قتل غطاه ومنه قيل للحزن غم لانه يغطى السرور والحلم ، واغتم مطاوع غم يقال غمه فاغتم ومأخذ هذا قول على عليه السلام : حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله ، وقول ابن مسعود رضى الله عنه ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة وقد ورد من طرق كلها ضعيفة : أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم (٣) نصبوا له عادوه وناصبه العداوة

لا

لا يَعرِفهُ فيَثقلُ عليهِ ويغتَمُّ بهِ . لِيَعلَمْ صاحبُكَ أنَّكَ حَدِبٌ (١) على صاحبِهِ وإيَّاكَ إنْ عاشَرَكَ امْرُؤٌ ورَافقَكَ أنْ لا يَرَى منكَ بأحَدٍ مِنْ أصحابهِ وأخْدَانِهِ رَأفَةً (٢) فإنّ ذلكَ يأخُذُ مِنَ القُلوبِ مأخَذاً وإنَّ لُطفَكَ بِصاحِبِ صاحِبِكَ أحْسَنُ عندَهُ موْقِعاً مِنْ لُطفِكَ بهِ بنَفْسِهِ

اتقِ الفَرَحَ عندَ المَحزُونِ (٣) واعلمْ أنّهُ يحْقِدُ على المُنطَلِقِ ويشكُرُ للمُكتَئِبِ (٤)

اعلمْ أنَّكَ ستَسمَعُ مِنْ جُلَسائِكَ الرَّأيَ والحَديثَ تنكِرُهُ وتَستَجفِيهِ (٥) من مُحَدِّثٍ عنْ نفسِهِ أوْ عَنْ غَيرِهِ فلا يَكُونَنَّ منكَ التَّكذِيبُ ولا التَّسخِيفُ (٦) لشَيْءٍ مِمَّا يأتِي بهِ جَليسُكَ ولا يُجَرّئنَّكَ على ذلكَ أنْ تقُولَ إنَّما حدَّثَ عَنْ غَيرِهِ فانَّ كلَّ مَرْدُودٍ عليهِ سيَمتَعِضُ (٧) مِنَ الرَّدِّ وإنْ كانَ في القَوْمِ مَنْ تَكرَهُ أنْ يَستَقِرَّ في قلبهِ ذلكَ القَوْلُ لخَطأٍ تخافُ أنْ يعقَدَ (٨)

---

(١) حدب أى مشفق متعطف اسم فاعل من حدب فلان على فلان يحدب كسمع يسمع أى أشفق عليه وعطف (٢) الرأفة أشد الرحمة يقال رؤف به بالضم رأفة من باب ظرف ورأف به يرأف من باب قطع (٣) اسم مفعول من حزنه الامر يحزنه من باب قتل وجاء من باب طرب لازما ويعدى بالهمزة فيقال أحزنه وهذه لغة تميم والاولى لغة قريش وبها جاء التنزيل قال تعالى (انى ليحزننى أن تذهبوا به) ومنع أبو زيد استعمال الماضى من الثلاثى فقال لا يقال حزنه وانما يستعمل المضارع من الثلاثى فيقال يحزنه كذا فى المصباح (٤) المكتئب المحزون اسم فاعل من اكتأب والكآبة بالمد وهى سوء الحال والانكسار من الحزن والفعل كئب كسلم (٥) أى تجده جافيا غليظا (٦) التسخيف جعله الشئ سخيفا ونسبته الى السخف الذى هو نقصان العقل (٧) امتعض من الشئ غضب منه وشق عليه (٨) يعقد مبنى للمعلوم والضمير فى عليه أظهر هاله

عليهِ أوْ مَضَرَّةٍ تخشاها على أحدٍ فانَّكَ قادِرٌ على أنْ تنقُضَ ذلكَ في سِرٍّ فيَكُونَ أيْسَرَ للنَّقضِ وأبعَدَ للبُغضَةِ . واعلمْ أنَّ البغضَةَ خَوفٌ والمَوَدَّةَ أمنٌ فاستكثرْ مِنَ المَوَدَّةِ صامِتاً (١) فإنَّ الصَّمْتَ يَدعُوها إليكَ وناطِقاً بالحُسنى فانَّ المنطِقَ الحَسَنَ يزيدُ في وِدِّ الصديقِ ويَسُلُّ سَخِيمَةَ (٢) الوَغرِ

واعلمْ أنَّ خَفْضَ (٣) الصَّوْتِ وسُكُونَ الرِّيحِ ومَشْيَ القصدِ مِنْ دَوَاعِي المَوَدَّةِ اذا لمْ يُخالِطْ ذلكَ بَأْوٌ (٤) ولا عُجْبٌ أمَّا العُجْبُ فهُوَ مِنْ دَوَاعِي المَقْتِ والشَّنآنِ

تَعَلَّمْ حُسْنَ الاستِماعِ كما تتعلَّمُ حُسْنَ الكَلامِ ومِنْ حُسْنِ الاستِماعِ إمهالُ المُتَكلِّمِ حتّى يَقْضِيَ حَدِيثَهُ وقِلَّةُ التلفُّتِ الى الجوابِ والإقبالُ بالوجهِ والنَّظَرِ الى المتكلِّمِ والوَعْيُ (٥) لِما يقولُ . واعلمْ أنَّ المُستَشارَ ليسَ

راجع للخطأ ومفعول يعقد محذوف أي يعقد عليه الهلب ويعتقده ، وقوله أو مضرة عطف على خطأ ، والنقض نقيض العقد ومعناه حل ما أبرم ونقض البناء هدمه ، والبغضة بالكسرة أشد البغض كالبغضاء (١) صامتا حال من الضمير المستتر فى استكثر ومثله ناطقا والحسنى ضد السوآى وهو مصدر كالرجعى والبشرى (٢) السخيمة الضغن والحقد ، والوغر شدة الغيظ (٣) خفض الصوت غضه ونقصه وسكون الريح يراد به الوقار يقال هو رجل ساكن الريح أى وقور وهو استعمال مجازى ومن معانى الريح الغلبة والقوة والدولة وعليها قوله تعالى (فتفشلوا وتذهب ريحكم) والقصد العدل وهو التوسط بين طرفى الافراط والتفريط ومشى القصد هو التوسط فيه بين الدبيب والاسراع والبأو الفخر بالنفس ورفعها يقال بأى كسعى بأوا فخر ونفسه رفعها وفخر بها والعجب بضم فسكون الزهو والكبر والمقت البغض والشنآن بفتح النون وسكونها مصدر شنئ وشنأ من بابى سمع ومنع اذا أبغض والشانئ المبغض (٤) البأو الكبر والفخر (٥) أى الحفظ والتدبر

بكفيل

بكفيلٍ والرَّأْيَ ليسَ بمَضْمُون بلِ الرَّأْيُ كلُّه غَرَرٌ (١) لِأنَّ أُمُورَ الدُّنْيا ليْسَ شيْءٌ منها بثِقَةٍ ولأنّهُ ليسَ شيْءٌ من أمْرِها يُدْرِكُهُ الحازِمُ الاّ وقدْ يُدْرِكُهُ العاجزُ بلْ رُبَّما أعْيا الحَزَمَةَ (٢) ماأمْكَنَ العَجَزَةَ فاذا أشارَ عليكَ صاحبُكَ برأْيٍ فلمْ تجِدْ عاقِبَتَهُ على ما كُنْتَ تأْمُلُ فلا تجْعَلْ ذلكَ عليهِ لوْماً وعَذْلاً تَقُولُ : أنْتَ فعَلْتَ هـذا بي وأنْتَ أمَرْتَنِي ولَوْلا أنْتَ ولا جَرَمَ (٣) لا أُطِيعُكَ فإنَّ هذا كلَّهُ ضَجَرٌ ولُؤْمٌ وخِفَّةٌ وإِنْ كُنْتَ أنْتَ المُشِيرَ فَعَمِلَ برَأْيِكَ أوْ تركَ فبَدَا صَوَابُكَ فلا تَمْتَنَّ ولا تُكْثِرَنَّ ذِكْرَهُ إنْ كانَ في نَجاحٍ ولا تَلُمْ عليهِ انْ كانَ اسْتَبانَ (٤) في ترْكِهِ ضَرَرًا تقولُ : ألَمْ أقُلْ لكَ ألَمْ أفْعلْ فإنَّ هذا مُجانِبٌ لِأدبِ الحُكماءِ

اعلمْ فيما تُكلِّمُ بهِ صاحِبَكَ أنَّ ممَّا يُهَجِّنُ (٥) صَوابَ ماتأْتِي بهِ ويُذْهِبُ بَهْجَتَهُ ويُزْرِي بقَبُولِهِ عَجَلَتَكَ في ذلكَ قبلَ أنْ يُفْضِيَ اليكَ بذاتِ نَفْسِهِ . ومن الأخْلاقِ السّيِّئَةِ على كلِّ حالٍ مُغالَبَةُ (٦) الرَّجُلِ على كلامِهِ والاعْتِراضُ

---

(١) الغرر الخطر والخداع (٢) الحزمة بفتحات جمع حازم كالعجزة جمع عاجز ، والحازم هو الذى يضبط رأيه ويتقنه (٣) لاجرم بمعنى حقا قال الفراء : هى فى الاصل بمعنى لابد ولا محالة ثم كثرت فحولت الى معنى القسم وصارت بمعنى حقا ولهذا تجاب باللام نحو لاجرم لأفعلن (٤) استبان هنا بمعنى عرف ولذا نصب ضررا على المفعولية (٥) التهجين التقبيح والبهجة الحسن والازراء التهاون بالشئ واحتقاره والافضاء الوصول والانتهاء والمعنى انك اذا أردت أن تكلم صاحبك بكلام فلا تسرع به قبل أن يقبل عليك بكليته ويستمع لكلامك لان العجلة فى الكلام قبل ذلك مما يقبح صواب ماتأتى به من الكلام ويذهب حسنه ويكون سببا للازراء والتهاون به (٦) المغالبة مفاعلة وحقيقتها المشاركة يقال غالبه فغلبه والاعتراض المنع والاصل فيه ان الطريق اذا

فيهِ والقَطْعُ فيهِ ومنَ الأَخلاقِ التي أنتَ جديرٌ بتَرْكِها اذا حدَّثَ الرَّجلُ حديثاً تعرفهُ ألاّ تسابقَهُ اليهِ وتفتَحهُ عليهِ وتُشاركهُ فيهِ حتّى كأنَّكَ تُظهِرُ للنَّاسِ بأنَّكَ تُريدُ أنْ يعلمُوا أنَّكَ تعلَمُ مِنْ مثلِ الذي يعلَمُ وما عليكَ (١) أنْ تهنِّئهُ بذلكَ وتُفرِدَهُ بهِ وهذا البابُ مِنْ أبوابِ البُخلِ وأبوابُهُ الغامضةُ كثيرةٌ

واذا كُنْتَ في قومٍ ليسُوا بُلَغاء ولا فُصَحاء فَدَعِ التَّطاوُلَ (٢) عليهِمْ في البَلاغَةِ أوِ الفَصاحةِ

اعلَمْ أنَّ بَعضَ شِدَّةِ الحَذَرِ عَوْنٌ عليكَ فيما تحذَرُ وأنَّ شِدَّةَ الإتِّقاءِ تدعُو إليكَ ما تتَّقي

إنْ رأيتَ نفسَكَ تصاغرَتْ اليها (٣) الدُّنيا ودعَتكَ الى الزَّهادَةِ (٤) فيها على حالِ تعذُّرٍ منها عليكَ فلا يغرَّنَّكَ ذلكَ مِنْ نفسِكَ على تلكَ الحالِ فانَّها ليسَتْ بزَهادةٍ ولكنَّها ضَجَرٌ واستِخذاءٌ (٥) وتغيُّرُ نفسٍ عندَ ما أعجزَكَ مِنَ الدُّنيا وغَضَبٌ منكَ عليها ممَّا التوَى (٦) عليكَ منها ولَوْ تمَّمتَ على رفضِها

اعترض فيه بناءاً وغيره منع السابلة من سلوكه كذلك الاعتراض على الرجل فى كلامه منع له من اتمامه وقطع له فيه (١) أى أى شئ عليك فى تركك له يهنأ بما يحدث وينفرد به من غير أن تسابقه اليه وتشاركه فيه فما استفهامية ويجوز أن تكون نافية أى ليس عليك بأس فى تركك له يهنأ بالحديث وينفرد به بلا مشاركتك اياه والاستفهام للانكار فيرجع الى معنى النفى والجملة حالية (٢) التطاول رفع النفس من تطوّل فلان على فلان اذا علاه وترفع عليه (٣) تصاغر اليه الشئ صار صغيرا عنده والدنيا فاعل تصاغرت (٤) الزهادة والزهد الترك والاعراض يقال زهد فى الشئ وزهد عنه أيضا زهدا وزهادة بمعنى تركه واعرض عنه وبابه سلم وفرق الخليل بين المصدرين فجعل الزهد فى الدين والزهادة فى الدنيا (٥) الاستخذاء الخضوع (٦) أى اعتاص وصعب

واسكت

وأمسكتَ عَنْ طَلَبِها أوشكتَ أنْ ترى مِنْ نفسِكَ مِنَ الضجَرِ والجزَعِ (١) أشدَّ مِنْ ضَجَرِكَ الأوَّلِ بأضعافٍ ولَكِنْ اذا دعتكَ نفسُكَ الى رفضِ الدُّنيا وهيَ مُقبِلَةٌ عليكَ فأسرِعْ إجابتَها (٢)

اعرِفْ عورَتَكَ وإيَّاكَ أنْ تُعَرِّضَ بأحَدٍ فيما شارَكَها واذا ذُكِرَتْ مِنْ أحَدٍ خَليقتُهُ (٣) فلا تُناضِلْ عنهُ مُناضَلَةَ المدافِعِ عنْ نفسِهِ فتُتَّهَمَ بِمِثْلِها ولا تُلِحَّ كلَّ الإلحاحِ وليَكُنْ ما كانَ منكَ مِنْ غيرِ اختلاطٍ فانَّ الاختلاطَ مِنْ مُحقِّقاتِ الرِّيَبِ . واذا كُنْتَ في جماعةِ قَوْمٍ أبدًا فلا تعُمَّنَّ جيلاً مِنَ الناسِ أوْ أُمَّةً بِشَتْمٍ ولا ذَمٍّ فإنَّكَ لا تدري لعلَّكَ تتناولُ بعضَ أعراضِ جُلَسائِكَ ولا تعلَمُ (٤) . ولا تذُمَّنَّ معَ ذلكَ اسْماً مِنْ أسماءِ الرِّجالِ أوِ النِّساءِ بأنْ تقولَ : إنَّ هذا لَقبيحٌ مِنَ الأسماءِ فإنَّكَ لا تدرى لعلَّ ذلكَ مُوافِقٌ لِبعضِ جُلَسائِكَ في بعضِ أسماءِ الأهلِينَ والحُرَمِ (٥) ولا تستصغِرَنَّ مِنْ هذا شيئاً فكُلُّهُ يَجرَحُ في القلبِ وجَرْحُ اللِّسانِ أشَدُّ مِنْ جَرْحِ اليَدِ

اعْلَمْ أنَّ الناسَ يَخدَعُونَ أنفُسَهُمْ بالتَّعريضِ والتَّوقيعِ (٦) بالرِّجالِ في التِماسِ مَثالِبِهِمْ ومَساوِيهِمْ ونَقيصتِهِمْ وكلُّ ذلكَ أبيَنُ عندَ سامِعيهِ مِنْ وَضَحِ (٧) الصُّبْحِ فلا تَكونَنَّ مِنْ ذلكَ في غُرُورٍ ولا تجعَلَنَّ نفسَكَ مِنْ أهلِهِ (٨)

---

(١) الجزع ضد الصبر (٢) مفعول أسرع لانه متعد وقولهم أسرع فى مشيه يراد به أسرع الحركة فى مشيه وأسرع اليه أى أسرع المضى اليه (٣) الخليقة الطبيعة ، والمناضلة المحاماة والمجادلة (٤) جملة حالية أى حال كونك غير عالم بها (٥) الحرم الحريم (٦) التوقيع تظنى الشئ وتوهمه يقال وقع أى ألق ظنك على شئ والتوقيع بالظن والكلام والرمى يعتمده ليقع عليه وهمه (٧) الوضح بياض الصبح (٨) أى الغرور

إِنِّي مُخْبِرُكَ عَنْ صاحِبٍ كانَ أَعْظَمَ النَّاسِ فِي عَيْنِي وكانَ رَأْسُ ما أَعْظَمَهُ عِنْدِي صِغَرَ الدُّنْيا في عَيْنِهِ . كانَ خارِجاً مِنْ سُلْطانِ بَطْنِهِ فلا يَشْتَهِي ما لا يَجِدُ ولا يُكْثِرُ اذا وَجَدَ وكانَ خارِجاً مِنْ سلْطانِ فَرْجِهِ فلا يَدْعُو إِلَيْهِ مُؤْنَةً (١) ولا يَسْتَخِفُّ لهُ رَأْياً ولا بَدَناً وكانَ خارِجاً مِنْ سُلْطانِ الجَهالَةِ فلا يُقْدِمُ إِلّا على ثِقَةٍ أَوْ مَنْفَعَةٍ وكانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صامِتاً فإِذا قالَ بَذَّ (٢) القائِلِينَ كانَ يُرَى مُتَضَعِّفاً مُسْتَضْعَفاً (٣) فإِذا جاءَ الْجِدُّ (٤) فَهُوَ اللَّيْثُ عادِياً . وكانَ لا يَدْخُلُ في دَعْوَى ولا يَشْرَكُ في مِراءٍ (٥) ولا يُدْلِي بِحُجَّةٍ حتى يَجِدَ قاضِياً عَدْلاً وشُهُوداً عُدُولاً وَكانَ لا يَلُومُ أَحَداً علي ما قَدْ يَكُونُ العُذْرُ في مِثْلِهِ حتى يَعْلَمَ ما اعْتِذارُهُ . وكانَ لا يَشْكُو وَجَعاً إِلّا إِلى مَنْ يَرْجُو عِنْدَهُ البُرْءَ ولا يَصْحَبُ الّا مَنْ يَرْجُو عِنْدَهُ النَّصِيحَةَ لَهُما جَمِيعاً وكانَ لا يَتَبَرَّمُ (٦) ولا يَتَسَخَّطُ ولا يَتَشَهَّى ولا يَتَشَكَّى ولا يَنْتَقِمُ مِنَ الوَلِيِّ ولا يَغْفُلُ عَنِ العَدُوِّ ولا يَخُصُّ نَفْسَهُ دونَ اخْوانِهِ بِشَيْءٍ مِنَ اهْتِمامِهِ بِحِيلَتِهِ وقُوَّتِهِ فَعَلَيْكَ بِهٰذِهِ الأَخْلاقِ ان أَطَقْتَ وَلَنْ تُطِيقَ ولٰكِنَّ أَخْذَ القَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الجَمِيعِ وباللهِ التَّوْفِيقُ

(١) المؤنة المشقة (٢) بذهم سبقهم وغلبهم (٣) استضعفه وتضعفه عده ضعيفا كضعفه (٤) الجد ضد الهزل ، والليث الاسد ، وعاديا حال منه وهو اسم فاعل عدا يعدو بمعنى تجاوز وظلم (٥) المراء الجدال ، وأدلى بحجته بمعنى أثبتها فوصل بها الى دعواه (٦) برم وتبرم تضجر ، والتسخط الكراهة وعدم الرضى يقال سخط وتسخط اذا غضب ، ويتشهى أى يقترح شهوة بعد شهوة ، ويتشكى أى يكثر الشكاية ، وبناء التفعل فى الاربعة للتكثير

يتيمة ثانية

لابن المقفع

وقعت شبهة لبعض أهل العلم فيما اذا كانت هذه الرسالة المنشورة قبل هي اليتيمة بعينها أم هي يتيمة ثانية لابن المقفع ويزول هذا التناقض اذا لوحظ ماقاله امام المتكلمين أبو بكر الباقلاني البصري المتوفى سنة ثلاث وأربعمائة فانه ذكر في كتابه اعجاز القرآن ان الدرة اليتيمة كتابان أحدهما يتضمن حكما منقولة والآخر في شئ من الديانات . غير انه يبقى هناك اشكال في انه ليس في احدى الرسالتين مايتعلق بالديانات كما قال الباقلاني . واذا رضينا بالظن فنقول ان هـذا الاسم وضعه اناس لبعض رسائل ابن المقفع ومن هنا نشأ الاشتباه فعددها الناظرون . ويبعد أن يقال ان ابن المقفع سمى الرسالتين معا باسم واحد لمخالفته في الظاهر لمقتضى الحكمة . ولو قلنا انه سمى احدى الرسائل فيبعد مع قرب عصر الناقلين عنه وقوع الاشتباه في المسمى مع شدة عنايتهم بجميع ماقال ، اما الرسالة الثانية فنقولة عن كتاب المنثور والمنظوم المحفوظ في دار الكتب المصرية لمؤلفه أبي الفضل أحمد ابن أبي طاهر طيفور من أبناء خراسان ولد كما جاء في فهرستها سنة ٢٠٤ وتوفي سنة ٢٨٠ وهاك ماأورده ولم نحذف منه الا بعض جمل أشرنا اليها بحرف (ف) لانها محرفة جدا لم نهتد الى وجه الصواب فيها قال أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر : ومن الرسائل المفردات اللواتي لا نظير لها ولا اشباه وهي أركان البلاغة ومنها استقى البلغاء لانها نهاية في المختار من الكلام وحسن التأليف والنظام الرسالة التي لابن المقفع وهي اليتيمة فان الناس جيعا مجمعون انه لم يعبر أحد عن مثلها ولا تقدمها من الكلام شئ قبلها ومن فصولها قوله في صدرها ولم نكتبها على تمامها لشهرتها وكثرتها في أيدي الرواة فمن فصولها قوله في صدرها

وقد أصبح الناس الا قليلا ممن عصم الله مدخولين منقوصين فقائلهم باغ وسامعهم عياب وسائلهم متعنت ومجيبهم متكلف وواعظهم غير محقق لقوله بالفعل وموعوظهم غير سليم من الهزء والاستخفاف ومستشيرهم غير موطن نفسه على انفاذ ما يشار به عليه ومصطبر للحق مما يسمع ومستشارهم غير مأمون على الغش والحسد وان يكون مهتا كا للستر مشيعا للفاحشة مؤثرا للهوى والامين منهم غير متحفظ من ائتمان الخونة والصدوق غير محترس من حديث الكذبة وذو الدين غير متورع عن تفريط الفجرة يتقارضون الثناء ويترقبون الدول ويعيبون بالهمز يكاد أحزمهم رأيا يلفته عن رأيه أدنى الرضا وأدنى السخط ويكاد يكون أمتنهم عودا ان تسحره الكلمة وتنكره اللحظة . وقد ابتليت أن أكون قائلا وابتليتم أن تكونوا سامعين ولا خير فى القول الا ما انتفع به ولا ينتفع الا بالصدق ولا صدق الا مع الرأى ولا رأى الا فى موضعه وعند الحاجة اليه فان خير القائلين من لم يكن الباطل غايته ثم لزم القصد والصواب وخير السامعين من لم يكن ذلك منه سمعة ولا رياء ولم يتخذ ما يسمع عونا على دفع الهدى ولا بلغة الى حاجة دنيا فان اجتمع للقائل والسامع ان يرزق القائل من الناس مقة وقبولا على ما يقوله ويرزق السامع اتعاظا بما يسمع فى أمر دنياه وقد صلحت نياتهما فى غير ذلك فعسى ذلك أن يكون من الخير الذى يبلغه الله عباده ويجعل لهم من حسنة الدنيا ما لا يحرمهم من حسنة الآخرة كما أن المريد بكلامه ان يعجب الناس قد يجتمع عليه حرمان ما طلب مع سوء النية وحمل الوزر . وقد وافقتم من مسارعة فيما سألتمونى فى طمعا فى ان ينفع الله بذلك من يشاء فانه ما يشاء يقع

اما سؤالكم عن الزمان فان الزمان الناس . والناس رجلان وال ومولى عليه . والازمنة أربعة على اختلاف حالات الناس فخيار الازمنة ما اجتمع فيه صلاح الراعى والرعية فكان الامام مؤديا الى الرعية حقهم فى الرد عنهم والغيظ على عدوهم والجهاد من وراء بيضتهم والاختيار لحكامهم وتولية صلحائهم والتوسعة عليهم فى معايشهم وافاضة الامن فيهم والمتابعة فى الخلق لهم والعدل فى القسمة بينهم والتقويم لأودهم والاخذ لهم بحقوق الله عز وجل عليهم وكانت الرعية مؤدية الى الامام حقه فى المودة والمناصحة والمخالطة وترك المنازعة فى أمره والصبر عند مكروه وطاعته والمعونة له على أنفسهم والشدة على من أخل بحقه وخالف أمره غير مؤثرين فى ذلك آباءهم ولا أبناءهم ولا لا بسين عليه أحدا . فاذا اجتمع ذلك فى الامام والرعية تم صلاح الزمان وبنعمة الله تتم الصالحات

ثم

ثم ان الزمان الذى يليه ان يصلح الامام نفسه ويفسد الناس ولا قوة بالامام مع خذلان الرعية ومخالفتهم وزهدهم فى صلاح أنفسهم على أن يبلغ ذات نفسه فى صلاحهم وذلك أعظم ما تكون نعمة الله على الوالى وحجة الله على الرعية بواليهم فبالحرى أن يؤخذوا بأعمالهم وما أخلقهم ان تصيبهم فتنة أو عذاب أليم ،

والزمان الثالث صلاح الناس وفساد الوالى وهذا دون الذى قبله فان لولاة الناس يدا فى الخير والشر ومكانا ليس لاحد وقد عرفناه فيما يعتبر به ان ألف رجل كلهم مفسد وأميرهم مصلح أقل فسادا من ألف رجل كلهم مصلح وأميرهم مفسد . والوالى الى أن يصلح أدبه الرعية أقرب من الرعية الى أن يصلح الله بهم الوالى . وذلك لانهم لا يستطيعون معاتبته وتقويمه مع استطالته بالسلطان والحمية التى تعلوه . وشر الزمان ما اجتمع فيه فساد الوالى والرعية (ف) فقولى فى هذا الزمان انه الا يكن خير الازمان فليس على واليكم ذنب والا يكن شر الازمان فليس لكم حمد . ذلك غير انا بحمد الله قد أصبحنا نرجو لانفسنا الصلاح بصلاح امامنا ولا نخاف عليه الفساد بفسادنا قدرأينا حظه من الله عز وجل فى التثبت والعصمة فلم يبرح الله يزيده خيرا ويزيد به رعيته مذولاه فعندنا من هذا وثائق من عبر وبينات ونحتسب من الله عز وجل ان لا يزال امامنا يسارع فى مرضاة ربه بالاستصلاح لرعيته والصبر على ما يستنكر منهم وقلة المؤاخذة لهم بذنوبهم حتى يقلب الله له بصلاحه قلوبهم ويفتح له اسماعهم وأبصارهم فيجمع ألفتهم ويقوم أودهم ويلزمهم مراشد أمورهم وتتم نعمة الله على أمير المؤمنين بان يصلح له وعلى يديه فيكونوا رعية خير راع ويكون راعى خير رعية ان شاء الله وبه الثقة ،

والذى يحمد من أمير المؤمنين انا ذاكرما تيسر منه (ف) وقلما نلقى من أهل العقل والمعاينة منكرا لنعمة الله بامير المؤمنين على المسلمين (ف) ومن أشد جهلا وأقطع عذرا ممن لم يعرف النعمة ولم يقبل العافية نعوذ بالله أن نكون من الذين لا يعقلون فتفهموا ما أنا ذاكر لكم وتدبروه بالحق والعدل فان المرء ناظر باحدى عيون ثلاث وهما الغاشتان والصادقة وهى التى لا تكاد توجد . عين مودة تريه القبيح حسنا ، وعين شنآن تريه الحسن قبيحا ، وعين عدل تريه حسنها حسنا وقبيحها قبيحا . فتفكروا فيما جمع الله لامير المؤمنين فى معدنه وفى سيرته وفيما ظاهر عليكم من النعمة والحق والحجة بذلك فيما عسى القائل ان يبتغى فيه المغمز والمقال فلعمرى ان الشيطان من أهواء الناس وألسنتهم فى

الامر لمصيب وان له لمستراحا حين يستوفى أمنيته ويصدق عليهم ظنه ويوحى اليهم بمكايده فيجعل الله كيده ضعيفا وحزبه مغلوبا وجعله واياهم نصيبا لجهنم من أجزائه المقسومة لابوابها وحطبها ووقودها وحصبها المعد لها فمن كان سائلا عن حق أمير المؤمنين فى معدنه فان أعظم حقوق الناس منزلة وأكرمها نسبة وأولاها بالفضل حق رسول الله صلى الله عليه وسلم نبى الرحمة وامام الهدى ووارث الكتاب والنبوة والمهيمن عليهما وخاتم النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بعثه الله بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ثم هو باعثه يوم القيامة مقاما محمودا شرع الله به دينه وأتم به نوره على عهده ومحق به رؤس الضلالة وجبابرة الكفر وخوله الشفاعة وجعله فى الرفيق الاعلى صلى الله عليه وسلم

حكم لابن المقفع

اليك رسالة أخرى من كلام ابن المقفع محفوظة فى دار الكتب المصرية بالقاهرة كتبها على بن أحمد الحلبى سنة ٨٤٤ هـ وقال فى أولها انها كتاب الادب وذكر انها كتبت برسم خزانة المقر الاشرف الكريم العالى الجالى ناظر الخواص الشريفة بالممالك الاسلامية عظم الله شانه وصانه عما شانه .

قال عبد الله بن المقفع رحمه الله تعالى :

عمل البر خير صاحب . أحق ما صان الرجل أمر دينه . الآلف للدنيا مغتر . من الزم نفسه ذكر الآخرة اشتغل بالعمل . المغبون من طلب ثواب الآخرة فى الدنيا . القلب أسرع تقلبا من الطرف . أحسن العفو ما كان عن عظيم الجرم . الاعتراف يؤدى الى التوبة . الاصرار وعاء للذنوب . الجواد من بذل ما يضن به . المتكلف لما لا يعنيه متعرض لما يكره . الفكر مفتاح القلب . الاستماع أسلم من القول . كمون الحقود ككمون النار فى العود . أكرم الاخلاق التواضع . التواضع يورث المحبة . الكبر مقرون به سوء الظن . من عذب لسانه كثر اخوانه . من استبعد الآخرة ركن الى الدنيا . سرور الدنيا كاحلام النائم . المغبون من طلب الدنيا بعمل الآخرة . المصيبة العظمى الرزية فى الدين . سرور الدنيا مخوف المغبة . من أهلك نفسه فى مرضاة غيره عظمت جنايته . أنفع الكنوز العمل الصالح . أحق الناس بالبر أعلمهم بالعاقبة .

من

من أبصر العاقبة فاآثرها أمن الندامة . الوالى من وزرائه بمنزلة الرأس فى أعضائه . من عرف ثمار الاعمال كان حقيقا ان لايغرس مرا . أهن دنيا بائدة تستكمل كرامة . أبق الجروح مضاجرح الآثام . ائت الى الناس ماتحب أن يؤتى اليك . استصغر المشقة اذا أدت الى منفعة . رأس البر الورع . اطلب الرحمة بالرحمة . خير الاعمال مادبر بالتقوى . بالحزم يتم الظفر . من أحب التزكية تعرض للضحكة . الدنيا نوم نائم والدولة حلم حالم . من سالم الناس ربح السلامة ومن تعدى عليهم كسب الندامة . بادر لعمل الخير اذا أمكنك . من حصن سره أمن ضرر ذلك . الدنيا قد تدرك بالجهل كما تدرك بالعقل . أحسن العمل الصالح ما كان بصدق النية . خسر من أنفق حياته فى غير حقها . طوبى لمن ترك دنياه لآخرته . من الحق على السلطان رفع ذى الفضيلة وان يسد فاقته . لاتحمد نفسك على ماتركت من الذنوب عجزا . بالرسول يعرف قدر المرسل . رفق الرسول يلين القلب الصعب . لارأى لمن انفرد برأيه . من ترك رأى ذى النصيحة اتباعا لما يهوى استوخم العاقبة . المشاورة أوثق ظهير . المستشار مؤتمن . اعتبر عقل الوالى باصابته موضع أصحابه . من صحب السلطان لم يزل مروعا . كثرة أعوان السوء مضرة بالعمل . (بالحزم يتم الظفر) . باجالة الرأى تظفر بالحزم . استوجب الطاعة من ذوى الرأى بالمودة . الصنيعة عند الكفور لاتثمر الامرا . الملك الحازم من استمسك برأى الحزمة من ذوى الرأى . لاصلاح لرعية واليها فاسد . خير مستفاد الهدى . أكثر محادثة من يصدقك عن عيوبك . حلية الملوك وزراؤهم . أكمل النصحاء من لم يكتم صاحبه نصيحة وان استقلها . فساد الوالى أضر بالرعية من جدب الزمان . استعن بالصمت على اطفاء الغضب . لاتجنين على نفسك عداوة و بغضة اتكالا على ماعندك من العمل والقوة والمنعة . كن فى الحرص على معرفة عيبك بمنزلة عدوك فى معرفة ذلك . البصير من عرف ضره من نفعه . (التواضع يورث المحبة . أكرم الاخلاق التواضع . الكبر مقرون به سوء الظن) ربما تحولت البغضاء مودة والمودة بغضاء . قرب الصالحين داع للصلاح . (أحسن العفو ما كان عن عظيم الجرم) المال عون قوى على المروءة وانفاقه مهلكة المروءة . من عدم ماله أنكره أهله . خير الملوك من يرى انه لايضبط ملكه الا بالعدل بين رعيته وأضيعهم الفظ المتهاون . لاتغتر الاقوياء بفضل قوتهم على الضعفاء .

الضعيف المحترس من العداوة أقرب الى السلامة من القوى المغتر . أخوف الاحقاد احقاد الملوك . أبصر الوزراء من بصر صاحبه عيبه بالامثال . من قل كلامه حمد عقله . من عرف قدره قل افراطه . أحسن والدولة لك يحسن اليك والدولة عليك . (كمون الحقود ككمون النار فى العود) من حرم العقل رزئ دنياه وآخرته . آفة العقل العجب . الهم مرض العقل . احذر صولة اللئيم اذا شبع . أحسن المدح أصدقه . الاحسان يقطع اللسان .

رسالة ابن المقفع في الصحابة

أما بعد أصلح الله أمير المؤمنين وأتم عليه النعمة وألبسه المعافاة والرحمة فان أمير المؤمنين حفظه الله يجمع مع علمه المسألة والاستماع كما كان ولاة الشر يجمعون مع جهلهم العجب والاستغناء ويستوثق لنفسه بالحجة ويتخذها على رعيته فيما يلطف له من الفحص عن أمورهم كما كان أولئك يكتفون بالدعة ويرضون بدحوض الحجة وانقطاع العذر فى الامتناع ان يجترئ عليهم أحد برأى أو خبر مع تسليط الديان . وقد عصم الله أمير المؤمنين حين أهلك عدوه وشفى غليله ومكن له فى الارض وآتاه ملكه وخزائنها من أن يشغل نفسه بالتمتع والتفتيش والتأثل والاخلاد وان يرضى بمن آوى بالمتاع به وقضاء حاجة النفس منه وأكرم الله أمير المؤمنين باستهانة ذلك واستصغاره اياه وذلك من أبين علامات السعادة وأنجح الاعوان على الخير . وقد قص الله عز وجل علينا من نبأ يوسف بن يعقوب انه لما تمت نعمة الله عليه وآتاه الملك وعلمه من تأويل الاحاديث وجمع له شمله وأقر عينه بابويه واخوته أثنى على الله عز وجل بنعمته ثم سلا عما كان فيه وعرف ان الموت وما بعده هو أولى فقال : توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين .

وفى الذى قد عرفنا من طريقة أمير المؤمنين ما يشجع ذا الرأى على تناوله بالخبرة فيما ظن انه لم يبلغه اياه غيره وبالتذكير بما قد انتهى اليه ولا يزيد صاحب الرأى على أن يكون مخبرا أو مذكرا . وكل عند أمير المؤمنين مقبول ان شاء الله . مع ان مما يزيد ذوى الالباب نشاطا الى اعمال ذوى الرأى فيما يصلح الله به الامة فى يومها أو غابر دهرها الذى أصبحوا قد طمعوا فيه (؟) ولعل ذلك أن يكون على يدى أمير المؤمنين فان مع الطمع الجد

ومع

ومع اليأس القنوط ، وقلما ضعف الرجاء الا ذهب الرخاء ، وطلب المؤيس عجز وطلب الطامع حزم ، ولم ندرك الناس نحن وآباؤنا الا وهم يرون فيها خلالا يقطع الرأى ويمسك بالافواه من حال وال لم يهمه الاصلاح أو أهمه ذلك ولم يثق فيه بفضل رأى أو كان ذا رأى ليس معه رأيه صول بصرامة أو حزم أو كان ذلك استئثارا منه على الناس بنشب أو قلة تقدم لما يجمع أو يقسم أو حال أعوان ينيل بهم الولاة ليسوا على الخير باعوان وليس له الى اقتلاعهم سبيل لمكانهم من الامر ومخافة الدول والفساد ان هو هاجهم أو انتقص ما فى أيديهم أو حال رعية متززة ليس لها من أمرها النصف فى نفسها فان أخذت بالشدة حميت وان أخذت باللين طغت . وكل هذه الخلائق قد طهر الله منها أمير المؤمنين فآتاه الله ما آتاه فى نيته ومقدرته وعزمه ثم لم يزل يرى ذلك منه الناس حتى عرفه منه جهالهم فضلا عن علمائهم ، وصنع الله لامير المؤمنين ألطف الصنع فى اقتلاع من كان يشركه فى أمره على غير طريقته ورأيه حتى أراحه الله وآمنه منهم بما جعلوا من الحجة والسبيل على أنفسهم وما قوى الله عليه أمير المؤمنين فى رأيه واتباعه مرضاته وأذل الله لامير المؤمنين رعيته بما جمع له من اللين والعفو فان لان لاحد منهم فى الاثخان (؟) له شهيد على ان ذلك ليس بضعف ولا مصانعة وان اشتد على أحد منهم ففى العفو شهيد على ان ذلك ليس بعنف ولا خرق مع أمور سوى ذلك يكف عن ذكرها كراهة أن يكون كأنا نصبنا المدح . فما أخلق هذه الاشياء أن تكون عتادا لكل جسيم من الخير فى الدنيا والآخرة واليوم والغد والخاصة والعامة ، وما أرجانا لان يكون أمير المؤمنين بما أصلح الله الامة من بعده أشد اهتماما من بعض الولاة بما لا يصلح رعيته فى سلطانه وما أشد ما قد استبان لنا ان أمير المؤمنين أطول بامر الامة عناية ولها نظرا وتقديرا من الرجل منا بخاصة أهله ففى دون هذا ما يثبت الامل وينشط للعمل ولا قوة الا بالله ولله الحمد وعلى الله التمام .

فمن الامور التى يذكر بها أمير المؤمنين أمتع الله به أمر هذا الجند من أهل خراسان فانهم جند لم يدرك مثلهم فى الاسلام وفيهم منعة بها يتم فضلهم ان شاء الله . أما هم فاهل بصر بالطاعة وفضل عند الناس وعفاف نفوس وفروج وكف عن الفساد وذل للولاة فهذه حال لا نعلمها توجد عند أحد غيرهم ، وأما ما يحتاجون فيه الى المنعة من ذلك تقويم أيديهم ورأيهم وكلامهم فان فى ذلك اليوم اختلاطا من رأس مفرط غال وتابع متحير شاك ، ومن كان انما يصول على الناس بقوم لا يعرف منهم الموافقة فى الرأى والقول والسيرة فهو

كرا كب الاسد الذي يوجل من رآه والراكب أشد وجلا . فلوأن أمير المؤمنين كتب لهم أمانا معروفا بليغا وجيزا محيطا بكل شئ يجب أن يقول فيه و يكفوا عنه بالغا في الحجة قاصرا عن الغلو يحفظه رؤساؤهم حتى يقودوا به دهماءهم و يتعهد به منهم من لا يؤبه له من عرض الناس لكان ذلك ان شاء الله لرأيهم صلاحا وعلى من سواهم حجة وعند الله عذرا . فان كثيرا من المتكلمين من قواد أمير المؤمنين اليوم انما عامة كلامهم فيما يؤمر الامر و يرغم الرغم ان أمير المؤمنين لو أمر الجبال أن تسير سارت ولو أمر ان تستدبر القبلة بالصلاة فعل ذلك وهذا كلام قلما (يرتضيه) من كان مخالفا وقلما يرد في سمع السامع الا أحدث في قلبه ريبة وشكا . والذي يقول أهل القصد من المسلمين هو أقوى للامر وأعز للسلطان وأقمع للمخالف وأرضى للموافق وأثبت للعذر عند الله عز وجل .

فانا قد سمعنا فريقا من الناس يقولون لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق . بنوا قولهم هذا بناء معوجا فقالوا ان أمرنا الامام بمعصية الله فهو أهل أن يعصى وان أمرنا الامام بطاعة الله فهو أهل أن يطاع . فاذا كان الامام يعصى في المعصية وكان غير الامام يطاع في الطاعة فالامام ومن سواه على حق الطاعة سواء . وهذا قول معلوم يجده السلطان ذريعة الى الطاعة والذي فيه أمنيته لئلا يكون للناس نظائر ولا يقوم بامرهم امام ولا يكون على عدوهم منهم ثقل .

سمعنا آخرين يقولون بل نطيع الأئمة في كل أمورنا ولا نفتش عن طاعة الله ولا معصيته ولا يكون أحد منا عليهم حسيبا هم ولاة الامر وأهل العلم ونحن الاتباع وعلينا الطاعة والتسليم . وليس هذا القول باقل ضررا في توهين السلطان وتهجين الطاعة من القول بالذي قبله لانه ينتهي الى الفظيع المتفاحش من الامر في استحلال معصية الله جهارا صراحا . وقال أهل الفضل والصواب : قد أصاب الذين قالوا : لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولم يصيبوا في تعطيلهم طاعة الأئمة وتسخيفهم اياها وأصاب الذين أقروا بطاعة الأئمة لما حققوا منها ولم يصيبوا اما أبهموا من ذلك في الامور كلها فاما اقرارنا بأنه لا يطاع الامام في معصية الله فانما ذلك في عزائم الفرائض والحدود التي لم يجعل الله لاحد عليها سلطانا . ولو ان الامام نهى عن الصلاة والصيام والحج أو منع الحدود وأباح ما حرم الله لم يكن له في ذلك أمر .

فاما اثباتنا للامام الطاعة فيما لا يطاع فيه غيره فان ذلك في الرأي والتدبير والامر الذي جعل الله أزمته وعراه بايدي الأئمة ليس لاحد فيه أمر ولا طاعة من الغزو والقفول والجمع

والقسم

والقسم والاستعمال والترك والحكم بالرأى فيما لم يكن فيه أثر وامضاء الحدود والاحكام على الكتاب والسنة ومحاربة العدو ومخادعته والاخذ للمسلمين والاعطاء عليهم . وهذه الامور وأشباهها من طاعة الله عز وجل الواجبة وليس لاحد من الناس فيها حق الا الامام ومن عصى الامام فيها أوخذله فقد أوتغ نفسه . وليس يفترق هذان الامران الا ببرهان من الله عز وجل عظيم . وذلك ان الله جعل قوام الناس وصلاح معاشهم ومعادهم فى خلتين الدين والعقل ولم تكن عقولهم وان كانت نعمة الله عز وجل عظمت عليهم فيها بالغة معرفة الهدى ولا مبلغة أهلها رضوان الله الا ما أكمل لهم من النعمة بالدين الذى شرع لهم وشرح به صدر من أراد هداه منهم ثم لو ان الدين جاء من الله لم يغادر حرفا من الاحكام والرأى والامر وجميع ماهو وارد على الناس وجار فيهم منذ بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم الى يوم يلقونه الاجاء فيه بعزيمة لكانوا قد كلفوا غير وسعهم فضيق عليهم فى دينهم وآتاهم مالم تسع أسماعهم لاستماعه ولا قلوبهم لفهمه ولحارت عقولهم وألبابهم التى امتن الله بها عليهم ولكانت لغوا لا يحتاجون اليها فى شئ ولا يعملونها الا فى أمر قد أتاهم به تنزيل ولكن الله من عليهم بدينهم الذى لم يكن يسعه رأيهم كما قال عباد الله المتقون : ما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

ثم جعل ماسوى ذلك من الامر والتدبير الى الرأى وجعل الرأى الى ولاة الامر ليس للناس فى ذلك الامر شئ الا الاشارة عند المشورة والاجابة عند الدعوة والنصيحة بظهر الغيب . ولا يستحق الوالى هذه الطاعة الا باقامة العزائم والسنن مما هو فى معنى ذلك . ثم ليس من وجوه القول وحده يلتمس فيه ملتمس اثبات فضل أهل بيت أمير المؤمنين على أهل بيت (من سواه) وغير ذلك مما يحتاج الناس الى ذكره الا وهو موجود فيه من الكلام الفاضل المعروف مما هو أبلغ مما يغلو فيه الغالون فان الحجة ثابتة والامر واضح بحمد الله ونعمته .

ومما ينظر فيه لصلاح هذا الجند ألا يولى أحدا منهم شيأ من الخراج فان ولاية الخراج مفسدة للمقاتلة . ولم يزل الناس يتحامون ذلك منهم وينحونه عنهم لانهم أهل ذلك ودعوى بلاء واذا خلا بالدراهم والدنانير اجترأ عليهما واداوقع فى الخيانة صاركل أمر مدخولا نصيحته وطاعته فان حيل بينه وبين رفعته أمرضته الحمية مع ان ولاية الخراج داعية الى ذلة وعقوبة وهوان . وانما منزلة المقاتل منزلة الكرامة واللطف . ومما ينظر فيه من أمرهم ان منهم من المجهولين من هو أفضل من بعض قادتهم فلو التمسوا وصنعوا كانوا عدة وقوة وكان ذلك

صلاحا لمن فوقهم من القادة ومن دونهم من العامة ،

ومن ذلك تعهد أدبهم فى تعليم الكتاب والتفقه فى السنة والامانة والعصمة والمباينة لاهل الهوى وان يظهر فيهم من القصد والتواضع واجتناب زى المترفين وشكلهم مثل الذى يأخذ به أمير المؤمنين فى أمر نفسه . ولا يزال يطالع من أمير المؤمنين ويخرج منه القول مايعرف مقته للاتراف والاسراف وأهلهما ومحبته القصد والتواضع ومن أخذ بهما حتى يعلموا ان معروف أمير المؤمنين محظور عمن يكنزه بخلا ان ينفقه سرفا فى العطر واللباس والمغالاة بالنساء والمراتب فان أمير المؤمنين يؤثر بالمعروف من وجهته المعروف والمؤاساة ،

ومن ذلك أمر أرزاقهم ان يوقت لهم أمير المؤمنين فيها وقتا يعرفونه فى كل ثلاثة أشهر أو أربعة أو مابداله وان يعلم عامتهم العذر الذى فى ذلك من اقامة ديوانهم وتحمل أسمائهم ويعلموا الوقت الذى يأخذون فيه فينقطع الاستبطاء والشكوى . فان الكلمة الواحدة تخرج من أحدهم فى ذلك أهل أن تستعظم فان باب ذلك جدير ان يحسم مع ان أمير المؤمنين قد علم كثرة أرزاقهم وكثرة المال الذى يخرج لهم وان هذا الخراج ان يكن رائجا لغلاء السعر فانه لابد من الكساد والكسر وان لكل شئ درة وغزارة وانما درور خراج العراق بارتفاع الاسعار وانما يحتاج الجند اليوم الى مايحتاجون اليه من كثرة الرزق لغلاء السعر فمن حسن التقدير ان شاء الله أن لا يدخل على الارض ضرر ولا بيت المال نقصان من قبل الرحمن الا دخل ذلك عليهم فى أرزاقهم مع انه ليس عليهم فى ذلك نقصان لانهم يشترون بالقليل مثل ما كانوا يشترون بالكثير . فاقول لو ان أمير المؤمنين ماخلا شيأ من الرزق فيجعل بعضه طعاما ويجعل بعضه علفا فاعطوه باعيانهم فان قومت لهم قيمة نخرج ماخرج على حسابه قيمة الطعام والعلف لم يكن فى أرزاقهم لذلك نقصان عاجل يستنكرونه وكان ذلك .. نزالهم لجل العدو وانصاف بيت المال من أنفسهم فيما يستبطئون مع انه ان زاد السعر أخذوا بحصتهم من فضل ذلك ، ومن جماع الامر وقوامه باذن الله أن لا يخفى على أمير المؤمنين شئ من أخبارهم وحالاتهم وباطن أمرهم بخراسان والعسكر والاطراف وان يحتقر فى ذلك النفقة ولا يستعين فيه الا بالثقات النصاح فان ترك ذلك وأشباهه أحزم بتاركه من الاستعانة فيه بغير الثقة فتصير جنة للجهالة والكذب ،

ومما يذكر به أمير المؤمنين أمتع الله به أمر هذين المصرين فانهم بعد أهل خراسان أقرب الناس الى أن يكونوا شيعته ومعينيه مع اختلاطهم باهل خراسان وانهم منهم وهامتهم

وانما

وانما ينظر أمير المؤمنين منهم ،، صدق ولرابطتهم أوما أراد من أمورهم معرفته استثقال أهل خراسان ذلك لهم من أمرهم مع الذى فى ذلك من جمال الامر واختلاط الناس بالناس العرب بالعجم وأهل خراسان بالمصرين .

ان فى أهل العراق يا أمير المؤمنين من الفقه والعفاف والالباب والالسنة شيأ لا يكاد يشك انه ليس فى جميع من سواهم من أهل القبلة مثله ولا مثل نصفه فلو أراد أمير المؤمنين ان يكتفى بهم فى جميع ما يلتمس له أهل الطبقة من الناس رجونا أن يكون ذلك فيهم موجودا . وقد أزرى باهل العراق فى تلك الطبقة ان ولاة العراق فيما مضى كانوا أشرار الولاة وان أعوانهم من أهل أمصارهم (كذلك) فحمل جميع أهل العراق على ما ظهر من أولئك الفسول وتعلق بذلك أعداؤهم من أهل الشام فنعوه عليهم ثم كانت هذه الدولة فلم يتعلق من دونكم من الوزراء والعمال الا بالاقرب فالاقرب مما دنا منهم أو وجدوه بسبيل شئ من الامر فوقع رجال مواقع شائنة لجميع أهل العراق حيثما وقعوا من صحابة خليفة أو ولاية عمل أو موضع أمانة أو موطن جهاد وكان من رأى أهل الفضل أن يقصدوا حتى يلتمسوا فابطأ ذلك بهم أن يعرفوا وينتفع بهم وان كان صاحب السلطان لمن لم يعرف الناس قبل ان يليهم ثم لم يزل يسأل عنهم من يعرفهم ولم يستثبت فى استقصائهم فزالت الامور عن مراكزها ونزلت الرجال عن منازلها لان الناس لا يلقونه الا متصنعين باحسن ما يقدرون عليه من الصمت والكلام غير أن أهل النقص هم أشد تصنعا وأحلى السنة وأرفق تلطفا للوزراء وأو تمحلا لان يثنى عليهم من وراء وراء . فاذا آثر الوالى أن يستخلص رجلا واحدا ممن ليس لذلك أهلا دعا الى نفسه جميع ذلك الشرح وطمعوا فيه واجترؤا عليه وتوردوه وزحموا على ما عنده واذا رأى ذلك أهل الفضل كفوا عنه وباعدوا منه وكرهوا أن يروا فى غير موضعهم أو يزاحموا غير نظرائهم .

ومما ينظر أمير المؤمنين فيه من أمر هذين المصرين وغيرهما من الامصار والنواحى اختلاف هذه الاحكام المتناقضة التى قد بلغ اختلافها أمرا عظيما فى الدماء والفروج والاموال فيستحل الدم والفرج بالحيرة وهما يحرمان بالكوفة ويكون مثل ذلك الاختلاف فى جوف الكوفة فيستحل فى ناحية منها ما يحرم فى ناحية أخرى غير انه على كثرة ألوانه نافذ على المسلمين فى دمائهم وحرمهم يقضى به قضاة جائز أمرهم وحكمهم مع انه ليس مما ينظر فى ذلك من أهل العراق وأهل الحجاز فريق الا قد لج بهم العجب بما فى أيديهم والاستخفاف ممن

سواهم فأفحمهم ذلك فى الامور التى يشفع بها من سمعها من ذوى الالباب .

أما من يدعى لزوم السنة منهم فيجعل ما ليس له سنة سنة حتى يبلغ ذلك به الى أن يسفك الدم بغير بينة ولا حجة على الامر الذى يزعم انه سنة واذا سئل عن ذلك لم يستطع أن يقول هريق فيه دم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أئمة الهدى من بعده ، واذا قيل له أى دم سفك على هذه السنة التى تزعمون قالوا : فعل ذلك عبد الملك بن مروان أو أمير من بعض أولئك الامراء وانما من يأخذ بالرأى فيبلغ به الاعتزام عن رأيه أن يقول فى الامر الجسيم من أمر المسلمين قولا لا يوافقه عليه أحد من المسلمين ثم لا يستوحش لانفراده بذلك وامضائه الحكم عليه وهو مقر انه رأى منه لا يحتج بكتاب ولا سنة . فلو رأى أمير المؤمنين أن يأمر بهذه الاقضية والسير المختلفة فترفع اليه فى كتاب ويرفع معها ما يحتج به كل قوم من سنة أو قياس ثم نظر أمير المؤمنين فى ذلك وأمضى فى كل قضية رأيه الذى يلهمه الله ويعزم له عليه وينهى عن القضاء بخلافه وكتب بذلك كتابا جامعا عزما لرجونا أن يجعل الله هذه الاحكام المختلطة الصواب بالخطا حكما واحدا صوابا ورجونا أن يكون اجتماع السير قربة لاجماع الامر برأى أمير المؤمنين وعلى لسانه ثم يكون ذلك من امام آخر آخر الدهر ان شاء الله .

فاما اختلاف الاحكام اما شئ مأثور عن السلف غير مجمع عليه يدبره قوم على وجه ويدبره آخرون على وجه آخر فينظر فيه الى أحق الفريقين بالتصديق وأشبه الامرين بالعدل ، واما رأى أجراه أهله على القياس فاختلف وانتشر ما يغلط فى أصل المقايسة وابتدأ أمر على غير مثاله . واما الطول ملازمته القياس فان من أراد أن يلزم القياس ولا يفارقه أبدا فى امر الدين والحكم وقع فى الورطات ومضى على الشبهات وغمض على القبيح الذى يعرفه ويبصره فابى أن يتركه كراهة ترك القياس . وانما القياس دليل يستدل به على المحاسن فاذا كان ما يقود اليه حسنا معروفا أخذ به واذا قاد الى القبيح المستنكر ترك لان المبتغى ليس غير القياس يبغى ولكن محاسن الامور ومعروفها وما ألحق الحق بأهله ، ولو أن شيأ مستقيما على الناس ومنقادا حيث قيد لكان الصدق هو ذلك أولى أن يعتبر بالمقاييس فانه لو أراد أن يقوده الصدق لم ينقد له . وذلك ان رجلا لو قال : أتأمرنى أن أصدق فلا أكذب كذبة أبدا لكان جوابه أن يقول نعم ثم لو التمس منه قود ذلك فقال : أتصدق فى كذا وكذا حتى يبلغ به أن يقول الصدق فى رجل هارب استدلنى عليه طالب ليظلمه فيقتله لكسر عليه

قياده

قياده وكان الرأى له أن يترك ذلك وينصرف الى المجمع عليه المعروف المستحسن .

ومما يذكر به أمير المؤمنين أهل الشام فانهم أشد الناس مؤنة وأخوفهم عداوة وبائقة . وليس يؤاخذهم أمير المؤمنين بالعداوة ولا يطمع منهم فى الاستجماع على المودة فمن الرأى فى أمرهم أن يختص أمير المؤمنين منهم خاصة ممن يرجو عنده صلاحا أو يعرف منه نصيحة أو وفاء فان أولئك لا يلبثون أن ينفصلوا عن أصحابهم فى الرأى والهوى ويدخلوا فيما دخلوا عليه من أمرهم فقد رأينا أشباه أولئك من أهل العراق الذين استدخلهم أهل الشام وليس أحد فى أمر أهل السلم على القصاص (؟) حرموا كما كانوا يحرمون الناس وجعل فيئهم الى غيرهم كما كان فىء غيرهم اليهم ونحوا عن المنابر والمجالس والاعمال كما كانوا ينحون عن ذلك من لا يجهلون فضله فى السابقة والمواضع ومنعت منهم المرافق كما كانوا يمنعون الناس أن ينالوا معهم أكلة من الطعام الذى يصنعه أمراؤهم للعامة . فان رغب أمير المؤمنين لنفسه عن هذه السيرة وما أشبهها فلم يعارض ما عاب ولم يمثل ما سخط كان العدل أن يقتصر بهم على فيئهم فيجعل ما خرج من كور الشام فضلا عن النفقات وما خرج من مصر فضلا عن حقوق أهل المدينة ومكة بأن يجعل أمير المؤمنين ديوان مقاتلتهم ديوانهم أو يزيد أو ينقص غير أنه يأخذ أهل القوة والغناء وخفة المؤنة والعفة فى الطاعة ولا يفضل أحدا منهم على أحد الا على خاصة معلومة ويكون الديوان كالغرض المستأنف ويأمر لكل جند من أجناد أهل الشام بعدة من العيال يقترعون عليها ويسوى بينهم فيما لم يكونوا أسوة فيه فيمن مات من عيالاتهم ولا يصنع بأحد من المسلمين .

وأما ما يتخوفون من نزواتهم فلعمرى لئن أخذوا بالحق ولم يؤخذوا به انهم لخلقاء أن يكون لهم نزوات ونزقات ولكنا على مثل اليقين بحمد الله من انهم لم يشركوا بذلك الا أنفسهم وان الدائرة لامير المؤمنين عليهم آخر الدهر ان شاء الله ، فانه لم يخرج الملك من قوم الا بقيت فيهم بقية يتوثبون بها ثم كان ذلك التوثب هو سبب استئصالهم وتدويخهم .

ومما يذكر به أمير المؤمنين أمر أصحابه فان من أولى أمر الوالى منه بالتثبت والتحيز أمر أصحابه الذين هم بهاء فنائه وزينة مجلسه وألسنة رعيته والاعوان على رأيه ومواضع كرامته والخاصة من عامته فان أمر هذه الصحابة قد عمل فيه من كان وليه من الوزارة والكتاب قبل خلافة أمير المؤمنين عملا قبيحا مفرط القبح مفسدا للحسب والادب والسياسة داعيا للاشرار طاردا للاخيار فصارت صحبة الخليط أمرا سخيفا فطمع فيه الاوغاد

وتزهد فيه من كان يرغب فيما دونه حتى اذا التقينا أبا العباس رحمة الله عليه وكنت فى ناس من صلحاء أهل البصرة ووجوههم فكنت فى عصابة منهم أبوا أن يأتوه فنهم من تغيب فلم يقدم ومنهم من هرب بعد قدومه اختيار المعصية على سوء الموضع لا يعتذرون فى ذلك الا بضياع المكتب والدعوة والمدخل يقولون هذه منزلة كان من هو أشرف من أبنائنا يرغبون فيما هو دونها عند من هو أصغر أمراء ولاتنا اليوم ولكنها قد كانت مكرمة وحسبا اذ الناس ينظرون ويسأل عنهم فاما اليوم ونحن نرى فلانا وفلانا ينفر باسمائهم على غير قديم سلف ولا بلاء حدث فمن يرغب فيما ههنا يا أمير المؤمنين أكرمك الله اما يصير العدل كله الى تقوى الله عز وجل وا نزال الامور منازلها فان الاول قال

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم * ولا سراة اذا جهالهم سادوا

وقال

هم سودوا نصرا وكل قبيلة * يبين عن أحلامها من يسودها

وان أمر هذه الصحابة قد كان فيه أعاجيب دخلت فيه مظالم . أما العجب فقد سمعنا من الناس من يقول ما رأينا أعجوبة قط أعجب من هذه الصحابة ممن لا ينتهى الى أدب ذى نباهة ولا حسب معروف ثم هو مسخوط الرأى مشهور بالفجور فى أهل مصر قد غبر عامة دهره صانعا يعمل بيده ولا يعتد مع ذلك ببلاء ولا غناء الا انه مكنه من الامر صاغ فاحتوى حيث أحب فصار يؤذن له على الخليفة قبل كثير من أبناء المهاجرين والانصار وقبل قرابة أمير المؤمنين وأهل بيوتات العرب ويجرى عليه من الرزق الضعف مما يجرى على كثير من بنى هاشم وغيره من سروات قريش ويخرج له من المعونة على نحو ذلك لم يضعه بهذا الموضع رعاية رحم ولا فقه فى دين ولا بلاء فى مجاهدة عدو ومعروفة ماضية متتابعة قديمة ولا غناء حديث ولا حاجة اليه فى شئ من الاشياء ولا عدة يستعد بها وليس بفارس ولا خطيب ولا علامة الا انه خدم كاتبا أو حاجبا فاخبر ان الدين لا يقوم الا به حتى كتب كيف شاء ودخل حيث شاء .

واما المظلمة التى دخلت فى ذلك فعظيمة قد خصت قريشا وعمت كثيرا من الناس وادخلت على الاحساب والمروآت محنة شديدة وضياعا كثيرا فان فى اذن الخليفة والمدخل عليه والمجلس عنده وما يجرى على صحابته من الرزق والمعونة وتفضيل بعضهم على بعض فى ذلك حكما عظيما على ان الناس فى أنسابهم وأخطارهم وبلاء أهل البلاء منهم وليس ذلك كخواص المعروف ولطيف المنازل أو الاعمال التى يختص بها المولى من أحب ولكنه باب من

القضاء

القضاء جسيم عام يقضي فيه للماضين من أهل السوابق والمآثر من أهل الباقين وأهل البلاء والغناء بالعدل أو بما يحال فيه عليهم فان أحق المظالم بتعجيل الرفع والتغيير ما كان ضره عائبا وكان للسلطان شائنا ثم لم يكن فى رفعه مؤنة ولا شغب ولا نوغير بصدور عامة ولا للقوة ولا اضرار سبب (؟) .

ولصحابة أمير المؤمنين أكرمه الله مزية وفضل وهى مكرمة سنية حرية أن تكون شرفا لاهلها وحسبا لاعقابهم حقيقة أن تصان وتحظر ولا يكون فيها الا رجل بدر بخصلة من الخصال ومن رجل له عند أمير المؤمنين خاصة بقرابة أو بلاء أو رجل يكون شرفه ورأيه وعمله أهلا لمجلس أمير المؤمنين وحديثه ومشورته أو صاحب نجدة يعرف بها ويستعدها يجمع مع نجدته حسبا وعفافا فيرفع من الجند الى الصحابة ورجل فقيه مصلح يوضع بين أظهر الناس لينتفعوا باصلاحه وفقهه أو رجل شريف لا يفسد نفسه أو غيرها فاما من يتوسل بالشفاعات فانه يكتفى أو يكتفى له بالمعروف والبر فيما لا يهجن رأيا ولا يزيل أمراعن مرتبته ثم تكون تلك الصحابة الخاصة على منازلها ومداخلها لا يكون للكاتب فيها أمر فى رفع رزق ولا وضعه ولا للحاجب فى تقديم اذن ولا تأخيره .

ومما يذكر به أمير المؤمنين أمر فتيان أهل بيته وبنى أبيه وبنى على وبنى العباس فان فيهم رجالا لو متعوا بجسام الامور والاعمال سدوا وجوها وكانوا اعدة لاخرى .

ومما يذكر به أمير المؤمنين أمر الارض والخراج فان أجسم ذلك وأعظمه خطرا وأشده مؤنة وأقربه من الضياع ما بين سهله وجبله ليس لها تفسير على الرساتيق والقرى فليس للعمال أمر ينتهون اليه ولا يحاسبون عليه ويحول بينهم وبين الحكم على أهل الارض بعد ما يتأنقون لها فى العمارة ويرجون لها فضل ما تعمل أيديهم . فسيرة العمال فيهم احدى ثنتين اما رجل أخذ بالخرق والعنف من حيث وجد وتتبع الرجال والرساتيق بالمغالاة ممن وجد واما رجل صاحب مساحة يستخرج ممن زرع ويترك من لم يزرع فيعمر من عمر ويسلم من أخرب مع ان أصول الوظائف على الكور لم يكن لها ثبت ولا علم وليس من كورة الا وقد غيرت وظيفتها مرارا لخفيت وظائف بعضها وبقيت وظائف بعض فلو أن أمير المؤمنين أعمل رأيه فى التوظيف على الرساتيق والقرى والارضين وظائف معلومة وتدوين الدواوين بذلك واثبات الاصول حتى لا يؤخذ رجل الا بوظيفة قد عرفها وضمنها ولا يجتهد فى عمارة الا كان له فضلها ونفعها لرجونا أن يكون فى ذلك صلاح للرعية وعمارة

للارض وحسم لابواب الخيانة وغشم العمال . وهذا رأى مؤنته شديدة ورجاله قليل ونفعه متأخر . وليس بعد هذا فى أمر الخراج الا رأى قد رأينا أمير المؤمنين أخذ به ولم نره من أحد قبله من تخير العمال وتفقدهم والاستعتاب لهم والاستبدال بهم

ومما نذكر به أمير المؤمنين جزيرة العرب من الحجاز واليمن واليمامة وماسوى ذلك أن يكون من رأى أمير المؤمنين اذا سخت نفسه عن أموالها من الصدقات وغيرها ان يختار لولايتها الخيار من أهل بيته وغيرهم لان ذلك من تمام السيرة العادلة والكلمة الحسنة التى قد رزق الله أمير المؤمنين وأكرمه بها من الرأى الذى هو باذن الله حى ونظام لهذه الامور كلها فى الامصار والاجناد والثغور والكور . ان بالناس من الاستخراج والفساد ماقد علم أمير المؤمنين وبهم من الحاجة الى تقويم آدابهم وطرائقهم ماهو أشد من حاجتهم الى أقواتهم التى يعيشون بها . وأهل كل مصر وجند أو ثغر فقراء الى أن يكون لهم من أهل الفقه والسنة والسير والنصيحة مؤدبون مقوّمون يذكرون ويبصرون الخطأ ويعظون عن الجهل ويمنعون عن البدع ويحذرون الفتن ويتفقدون أمور عامة من هو بين أظهرهم حتى لايخفى عليهم منها مهم ثم يستصلحون ذلك ويعالجون على ما استنكر وامنه بالرأى والرفق والنصح ويرفعون ما أعياهم الى ما يرجون قوته عليهم مأمونين على سير ذلك وتحصينه بصراء بالرأى حين يبدو وأطباء باستئصاله قبل أن يتمكن . وفى كل قوم خواص رجال عندهم على هذا معونة اذا صنعوا الذلك وتلطف لهم وأعينوا على رأيهم وقووا على معاشهم ببعض مايفرغهم لذلك ويبسطهم له . وخطر هذا جسيم فى أمرين أحدهما برجوع أهل الفساد الى الصلاح وأهل الفرقة الى الالفة والامر الآخر أن لايتحرك متحرك فى أمر من أمور العامة الا وعين ناصحة ترمقه ولا يهمس هامس الا واذن شفيقة تصيخ نحوه . واذا كان ذلك لم يقدر أهل الفساد على تربيص الامور وتلقيحها واذا لم تلقح كان نتاجها باذن الله مأمونا .

وقد علمنا علما لايخالطه شك ان عامة قط لم تصلح من قبل أنفسها ولم يأتها الصلاح الا من قبل خاصتها . وان خاصة قط لم تصلح من قبل أنفسها وانها لم يأتها الصلاح الا من قبل امامها . وذلك لان عدد الناس فى ضعفتهم وجهالهم الذين لايستغنون برأى أنفسهم ولايحملون العلم ولا يتقدمون فى الامور فاذا جعل الله فيهم خواص من أهل الدين والعقول ينظرون اليهم ويسمعون منهم اهتمت خواصهم بامور عوامهم وأقبلوا عليه بجد ونصح

ومثابرة

ومشارة وقوة جعل الله ذلك صلاحا لجماعتهم وسببا لاهل الصلاح من خواصهم وزيادة فيما أنعم الله به عليهم وبلاغا الى الخير كله . وحاجة الخواص الى الامام الذى يصلحهم الله به كحاجة العامة الى خواصهم وأعظم من ذلك . فبالامام يجمع الله أمرهم ويكبت أهل الطعن عليهم ويجمع رأيهم وكلمتهم ويبين لهم عند العامة منزلتهم ويجعل لهم الحجة والايد والمقال على من نكب عن سبيل حقهم . فلما رأيناه هذه الامور ننتظم بعضها ببعض وعرفنا من أمر أمير المؤمنين ما بمثله جمع الله خواص المسلمين على الرغبة فى حسن المعاونة والمؤازرة والسعى فى صلاح عامتهم طمعنا لهم فى ذلك يا أمير المؤمنين وطمعنا فيه لعامتهم ورجونا أن لا يعمل بهذا الامر أحد الا رزقه الله المتابعة فيه والقوة عليه . فان الامر اذا أعان على نفسه جعل للقائل مقالا وهيأ للساعى نجاحا . ولا حول ولا قوة الا بالله وهو رب الخلق وولى الامر يقضى فى أمورهم يدبر أمره بقدرة عزيزة وعلم سابق فنسأله أن يعزم لامير المؤمنين على المراشد ويحصنه بالحفظ والثبات والسلام ولله الحمد والشكر

تحميد لابن المقفع

الحمد لله ذى العظمة القاهرة والآلاء الظاهرة الذى لا يعجزه شئ ولا يمتنع منه ولا يدفع قضاؤه ولا أمره وانما قوله اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون . والحمد لله الذى خلق الخلق بعلمه ودبر الامور بحكمه وأنفذ فيما اختار واصطفى منها عزمه بقدرة منه عليها وملكة منه لها لا معقب لحكمه ولا شريك له فى شئ من الامور يخلق ما يشاء ويختار ما كان للناس الخيرة فى شئ من أمورهم سبحان الله وتعالى عما يشركون . والحمد لله الذى جعل صفو ما اختار من الامور دينه الذى ارتضى لنفسه ولمن أراد كرامته من عباده فقام به ملائكته المقربون يعظمون جلاله ويقدسون أسماءه ويذكرون آلاءه لا يستحسرون عن عبادته ولا يستكبرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقام به من اختار من أنبيائه وخلفائه وأوليائه فى أرضه يطيعون أمره ويذبون عن محارمه ويصدقون بوعده ويوفون بعهده ويأخذون بحقه ويجاهدون عدوه وكان لهم عند ما وعدهم من تصديقه قولهم وافلاجه حجتهم واعزازه دينهم واظهاره حقهم وتمكينه لهم وكان لعدوه وعدوهم عند ما أوعدهم

من خزيه واخلاله بأسهم وانتقامه منهم وغضبه عليهم مضى على ذلك أمره ونفذ فيه قضاؤه فيما مضى وهو ممضيه ومنفذه على ذلك فيما بقي ليتم نوره ولو كره الكافرون ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون . والحمد لله الذي لا يقضي في الامور ولا يدبرها غيره ابتدأها بعلمه وأمضاها بقدرته وهو وليها ومنتهاها وولي الخيرة فيها والامضاء لما أحب أن يمضي منها يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون . والحمد لله الفتاح العليم العزيز الحكيم ذي المن والطول والقدرة والحول الذي لا ممسك لما فتح لاوليائه من رحمته ولا دافع لما أنزل باعدائه من نقمته ولا راد لامره في ذلك وقضائه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . والحمد لله المثيب بحمده ومنه ابتداؤه والمنعم بشكره وعليه جزاؤه والمثنى بالايمان وهو عطاؤه

كتب ابن المقفع الى صديق ولدت له جارية :

بارك الله لكم في الابنة المستفادة وجعلها لكم زينا وأجرى لكم بها خيرا فلا تكرهها فانهن الامهات والاخوات والعمات والخالات ومنهن الباقيات الصالحات . ورب غلام ساء أهله بعد مسرتهم ورب جارية فرحت أهلها بعد مساءتهم .

تعزية لابن المقفع عن ولد :

أعظم الله على المصيبة أجرك وأحسن على جليل الرزء ثوابك وعجل لك الخلف فيه وذخر لك الثواب عليه .

وله :

انما يستوجب على الله وعده من صبر لله بحقه فلا تجمعن الى ما فجعت به من ولدك الفجيعة بالاجر عليه والعوض منه . فانها أعظم المصيبتين عليك وأنكى المرزيتين لك . أخلف الله عليك بخير وذخر لك جزيل الثواب .

وتعزية له عن بنت :

لا ينقص الله عددك ولا ينزع عنك نعمته التي ألبسك وأحسن العوض لك وجعل الخلف لك خيرا مما رزأك به وما أعطاك خيرا مما قبض منك :

وله تعزية عن ابنة :

جعل الله لك من هبته ما يكون خلفا لك مما رزئته وعوضا من المصيبة به ورزقك من الثواب

الثواب عليه أضعاف مارزأك به منها . فما أقل كثير الدنيا فى قليل الآخرة مع فناء هذه ودوام تلك .

وتعزية له أيضا :

أعظم الله أجرك فى كل مصيبة وأوزعك الشكر على كل نعمة . اعرف لله حقه واعتصم بما أمر به من الصبر تظفر بما وعد من عظيم الاجر .

وتعزية لابن المقفع :

أما بعد فان أمر الآخرة والدنيا بيد الله هو يدبرهما ويقضى فيهما ما يشاء لاراد لقضائه ولا معقب لحكمه فان الله خلق الخلق بقدرته ثم كتب عليهم الموت بعد الحياة لئلا يطمع أحد من خلقه فى خلد الدنيا ووقت لكل شئ ميقات أجل لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون فليس أحد من خلقه الا وهو مستيقن بالموت لا يرجو بان يخلصه من ذلك أحد . نسأل الله خير المنقلب . وبلغنى وفاة فلان فكانت وفاته من المصائب العظام التى يحتسب ثوابها من ربنا الذى اليه منقلبنا ومعادنا وعليه ثوابنا فعليك بتقوى الله والصبر وحسن الظن بالله فانه جعل لاهل الصبر صلوات منه ورحمة وجعلهم من المهتدين .

ولابن المقفع فى السلامة :

أما بعد فقد أتانى كتابك فيما أخبرتنا عنه من صلاحك وصلاح ماقبلك وفى الذى ذكرت من ذلك نعمة مجللة عظيمة نحمد عليها وليها المنعم المفضل المحمود ونسأله أن يلهمنا واياك من شكره وذكره مابه مزيدها وتأدية حقها . وسألت أن أكتب اليك بخبرنا ونحن على حال لو أطنبت فى ذكرها لم يكن فى ذلك احصاء للنعمة ولا اعتراف لكنه الحق فنرغب الى الذى تزداد نعمه علينا فى كل يوم وليلة تظاهرا ألا يجعل شكرنا منقوصا ولا مدخولا وأن يرزقنا مع كل نعمة كفاءها من المعرفة بفضله فيها والعمل فى الاداء اليه حقها انه ولى قدير .

وله كتاب للثقفى فى السلامة :

أما بعد فان مما نحق الله به مناقبك الكريمة المحمودة الغانية عن القول والوصف انك موضع المؤنات عن اخوانك حمال عنهم أثقال الامور مما وضعت عنه المؤنة ارتفاعك عن الامور التى يطأطأ اليها الكلام على ألسنة الناس اذا باحوه وبهرجوه وضيعوا القول ونسوا القصد فيه وأخذوا به فى كل فن وأصفوا بصفوته غير أهلها فيما لا ينبغى لهم من التشبيه

والتوقير والتفضيل • كان من خبري بعـدك انى قدمت بلد كذا فتهيأ لى بعض ماشخصت له والمحمود على ذلك الله عز وجل وأنا على أن يأتيني خبرك محتاج فاما جملة خـبرى فى فراقك فقلبى مكة كل ماسواك حرام فيها •

وله جواب فى السلامة :

أما بعد فقد أتانى كتاب الامير رجعة كتابى اليه فـكان فيه تصديق الظن وتثبيت الرأى ودرك البغية والله محمود فامتع الله بالامير وأمتعه بصالح ما آتاه وزاده من خيرات مستعمراله فيه مستعملا بطاعته التى بها يفوز الفائزون والذى رزق الله من الامير فهو عنـدى عظيم نفيس وكل الذى قبلى عن مكافأته فقصر الا انه ليس فى النية تقصير ولا بلوغ لشىء من الامور الا بتوفيق الله عز وجل ومعونته والسلام •

وله فى السلامة جواب أيضا :

أما بعد فلقد أتانى كتابك فيما أخـبرتنى عنه من صلاحك وصـلاح ماقبلك وفى الذى ذكرت نعمة جلالة عظيمة نحمد عليها الله (١) المنعم بها المحمود ونسأله أن يلهمنا وإياك من شكره وذكره مابه مزيدها وتأدية حقها (٢) نحن من عافيـة الله وكفايته ودفاعه على حال لو أطنبت فى ذكرها لم يكن فى ذلك احصاء للنعمة ولا اعـتراف (٣) لـكنه الحق فنرغب الى الذى يزيد فى نعمه علينا تظاهرا ألا يجعـل شكرنا منقوصا ولا مدخولا وان يرزقنا مع كل نعمة كفاء (٤) من المعرفة بفضله فيها والعمل فى أداء حقها •

وفى السلامة أيضا (ولم يقل اهاله) :

كتبت اليك وأمير المؤمنين ومايأتيه من لين الطاعة واتساق الـكلمة عمت فى الدانى والقاصى من بلدانه وحواشى سلطانه على مايحمد الله عليه فان نعمة الله على أمير المؤمنين تجرى على أذلالها وتنقاد فى أسهل سبيلها •

---

(١) هذا الـكتاب ورد فى الاصـل مرتين وفى المرة الثانية ورد (نحمد عليها وليها المنعم المفضل المحمود) الخ (٢) هنا فى الصورة الثانية وسألت أن أكتب اليـك بخبرنا ونحن على حال الخ (٣) فى النسخة الثانيـة ولـكنه الحق فنرغب الى الذى تزداد نعـمه علينا كل يوم وليـلة تظاهرا (٤) فى الصورة الثانيـة : كفاءها من المعرفة بفضله فيها والعمل فى الاداء اليه حقها انه ولى قدير •

قال

قال المؤلف : ومن مختار ما كتب به من باب الشكر ولم أعرف ان كانت له أو لغيره لانه أورد كتب بضم أولها ومع هذا فهذه هي الرسالة :

أما بعد فما أعجز تعدادي عما أتعرف منك وأتعرفه بك دانيا ونائيا وما أدرى ما ابتدأتني به من معروفك أرهن لشكرى أم ما ثنيت به من برك لبدئك بعنايتك على نأيك أم ما ألبستني جماله على لسانك باطرائك وثنائك أم ما عقدته لى عند غيرك بتلطفك وتأنيك غير انى أعلم انك لم تقصر فى استحقاق شكر على وأرجو أن لا أكون مقصرا فى معرفة ذلك منك ومن لم يقصر علمه ولم يؤت فى شكره الا من عظم المعروف عنده مع جهده فقد دخل بالعلم والجهد فى الشاكرين . غير ان الذى آنستني به من رفدك وتوطيدك قد زادنى وحشة اليك وان حفظ من حفظنى فيك وان لم يكن مقصرا وقد جدد لى المعرفة بوثارة مكانى عندك ولقد بلغت ان أصلحت لى الامور والرجال وأصلحتنى الى صلاحى لنفسك فليس كتابى هذا باستبطاء لاحد حتى يستبطئه ولا شكرى حتى يكون البدء منك ولكن روحت عن نفسى بذكرك وزينتها بشكرك وزكيتها بالاقرار بفضلك .

ولابن المقفع :

ان الناس لم يعدموا أن يطلبوا الحوائج الى الخواص من الاخوان وان يتواصلوا بالحقوق ويرغبوا الى أهل المقامات ويتوسلوا الى الاكفاء وأنت بحمد الله ونعمته من أهل الخير وممن أعان عليه وبذل لاهل ثقته المصافين وان بذل النفوس فيه واعطاء الرغيب ليس منك ببكر ولا طريف بل هو تليد أتلده أوائلكم لآخركم وأورثه أكابركم أصاغركم ومن حاجتى كذا وأنت أحق من طلبت اليه واستعنته على حوادث الدهر وأنزلت به أمرى لقرب نسبك وكريم حسبك ونباهتك وعلو منزلتك وجسيم طبائعك وعوام أياديك الى عشيرتك وغيرها فليكن من رأيك ما جلتك من حاجتى على قدر قسم الله لك من فضله وما عودك من مننه ووسع غيرى من نعمائك واحسانك .

ولابن المقفع أيضا :

أما بعد فان من قضى الحوائج لاخوانه واستوجب بذلك الشكر عليهم فلنفسه عمل لا لهم . والمعروف اذا وضع عند من لا يشكره فهو زرع لا بد لزارعه من حصاده أو لعقبه من بعده . وكتبت اليك وحالنا التى نحن بها فيما نذكرك حاجة أول ما فيها معروف تستوجب به الشكر علينا وتدخر به الايادى قبلنا .

ولعبد الله بن المقفع الى يحيى بن زياد (الحارثى) ابتداء فى المؤاخاة :

أما بعد فان أهل الفضل فى اللب والوفاء فى الود والكرم فى الخلق لهم من الثناء الحسن فى الناس لسان صدق يشيد بفضلهم ويخبر عن صحة ودهم وثقة مؤاخاتهم فيتخير اليهم رغبة الاخوان ويصطفى لهم سلامة صدورهم ويجتبى لهم ثمرة قلوبهم فلا مثنى أفضل تقريظا ولا مخبر أصدق أحدوثة منه . وقد لزمت من الوفاء والكرم فيما بينك وبين الناس طريقة محمودة نسبت الى مزيتها فى الفضل وجل بها ثناؤك فى الذكر وشهد لك بها لسان الصدق فعرفت بمناقبها ووسمت بمحاسنها فاسرع اليك الاخوان برغبتهم مستبقين يبتدرون ودك ويصلون حبلك ابتدار أهل التنافس فى حظ رغيب نصبت لهم غاية يجرى اليها الطالبون ويفوز بها السابقون . فمن أثبت الله عندك بموضع الحرز والثقة وملأ بك يده من أخى وفاء ووصلة واستنام منك الى شعب مأمون وعهد محفوظ وصار مغمورا بفضلك عليه فى الود يتعاطى من مكافأتك مالا يستطيع ويطلب من أثرك فى ذلك غاية بلوغها شديد . فلو كنت لا تؤاخى من الاخوان الا من كافأ بودك وبلغ من الغايات حدك ما آخيت أحدا ولصرت من الاخوان صفرا ولكن اخوانك يقرون لك بالفضل وتقبل أنت ميسورهم من الود ولا تجشمهم كلف مكافأتك ولا بلوغ فضلك فيما بينك وبينهم فانما مثلك فى ذلك ومثلهم كما قال الاول .

ومن ينازع سعيدا الخير فى حسب ❊ ينزع طليحا ويقصر قيده الصعد

ولم أرد بهذا الثناء عليك تزكيتك ليكون ذلك قربة عندك وآخية لى لديك ولكن تحريت فيما وصفت من ذلك الحق والصدق وتنكبت الاثم والباطل فان القليل من الصدق البرىء من الكذب أفضل من كثير الصدق المشوب بالباطل . ولقد وصفت من مناقبك ومحاسن امورك وانى لاخاف الفتنة عليك حين تسمع بتزكية نفسك وذكرى ماذكرت من فضلك لان المدح مفسدة للقلب مبعثة للعجب . ثم رجوت لك المنعة والعصمة لانى لم أذكر الا حقا والحق ينفى من اللبيب العجب وخيلاء الكبر ويحمله على الاقتصاد والتواضع . وقد رأيت اذ كنت فى الفضل والوفاء على ما وصفت منك ان آخذ بنصيبى من ودك واصل وثيقة حبلى بحبلك فيجرى بيننا من الاخاء أواصر الاسباب التى بها يستحكم الود ويدوم العهد وعلمت ان تركى ذلك غبن واضاعتى اياه جهل لان التارك للحظ داخل فى الغبن والعائد عن الرشد مرجف الى الغى فارغب من ودى فيما رغبت فيه من ودك

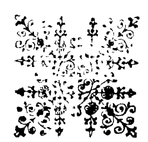
فانى

فانى لم أدع شيأ أستلى به منك الرغبة واجتر به منك المودة الا وقد اقتدت اليك ذريعته واعملت نحوك مطيته لترى حرصى على مودتك ورغبتى فى مؤاخاتك والسلام

جواب من يحيى بن زياد فى صفة الاخاء :

أما بعد فانا لما رأينا موضع الاخاء ممن يحتمله فى تأنيسه من الوحشة وتقريبه لذى البعدة ومشاركته بين ذوى الارحام فى القربة لم نرض بمعرفة عينه دون معرفة نسبته فنسبنا الاخاء فوجدناه فى نسبته لا يستحق اسم الاخاء الا بالوفاء فلما انتقلنا عنه الى الوفاء فنسبناه انتسب لنا الى الصبر فوجدناه محتويا على الكرم والنجدة والصدق والحياء والنجابة والزكانة وسائر ما لا يأتى عليه العدد من المحامد ثم انحدرنا فيما أصعدنا فيه من هذا النسب فعدنا الى الاخاء فوجدناه لا يقوم به الا من هذه الخصال كلها اخلاقه . ولما استوجب الاخاء مسالك المحمدة كلها رأينا ان نتخير له المواضع فى صواب التوزير واحكام التقدير وعلمنا ان الاحتباس به أحسن من الندم بعد بذله واستوجب اذ كان جماع المحامد ان نتخير له محامله التى كان يحمل عليها فكان الناس فيما احتبسنا به عنهم من الاخاء على صنفين فصنف عذرونا بالتحبس للتخير اذ كان التخير من شأنهم وصنف هم ذوو سرعة الى الاخاء وسرعة فى الانتهاء فقدموا اللائمة واستعجلوا بالمودة وتركوا باب التروية واستحلوا عاجل المحبة ولهوا عن آجل الثقة فكانوا بذلك أهل لائمة ولم يجد المعذرون الا الصبر على تلك والاستعمال للرأى والاستعداد بالعذر عند المحاجة . وقد فهمت كتابك الى بالمودة واستحثاثك اياى فى الاخوة وما دنوت به من حرمة المحبة فنازعت اليك نفسى بمثل الذى نازعت به الى نفسك فوانبتنى عادة الاستعمال للتروية فى الخبرة والتخير للمغبة فجلت عن كتابك جولة غير نافرة ثم راجعت مقاربتك فقلت الق الى أسباب المودة قبل كشف الغطاء بالخبرة فخشيت ان تعذر نفسك بالتقدم وتحدث الزهادة للتعسف بالجهالة عند الخبرة فجلت عن هذا جولة كالجولة الاولى ثم عاودت اسعافك وطاعة التشوق ومعصية التخير ثم قلت ما حال من جعل الظن دون اليقين والتقدم قبل الوثيقة فلما كان الرأى لى خصما تنكبت الوقوع فى خلافه فلم أجد الا الادبار عن اقبالك سبيلا ولا مع ذلك فى طاعة الشوق حجة فتغيبت السبيل بين ذلك الى اعطائك طرف حبل الاخاء فى غير الخروج من سبيل التخير وكرهت أن تستعبدنى بالاخاء قبل ان أعرفك بحسن الملكة وان تستظهر بى على الاعداء

قبل أن أعرفك بعدل السيرة وان تستضىء بى فى ظلم الجهل قبل أن أعرفك بعقد الاب وان تستمكن بى فى المطالب قبل أن أعرفك بقصد الهمة فقدمت اليك الترحيب والعدة وأحسنت عنك المفاوضة والثقة وتنظرت ان تمرلى فاذوق جناك فاعرفك بالمذاقة فى الطعم امالافظا وامامستبلغافان كان اللفظ لم أكن من الرأى فى قلبه وان كان الاستبلاغ ذوقتك ماتشوقت اليه مما ادعيت منى به الخبرة وأول ماأنا معتبر به منك المواظبة على استنجاح ماسألت أوالسآمة فان كانت المواظبة فأحد الشهود المعدلين وان كانت السآمة فانت عن حمل ماتعطى أضعف منك عن جميل ماتطلب . طالعنى بكتبك فانك قد حللت قبلى عقدا من التحفظ وعقدت عقدا من التقرب والسلام .



رسالة عبد الحميد الكاتب

فى نصيحة ولى العهد

قال أبو الفضل أحمد بن أبى طاهر فى كتابه المنثور والمنظوم ومن الرسائل المفردات رسالة عبد الحميد بن يحيى الى عبد الله بن مروان حين وجه لمحاربة الضحاك الخارجى (١) فى تعبية الحروب فانه يقال انها لا مثل لها فى معناها :

أما بعد فان أمير المؤمنين عندما اعتزم عليه من توجيهك الى عدو الله الجلف الجافى الاعرابى المتسكع فى حيرة الجهالة وظلم الفتنة ومهاوى الهلكة ورعاعه الذين عاثوا فى الارض فسادا وانتهكوا حرمه استخفافا و بدلوا نعم الله كفرا واستحلوا دماء أهل سلمه جهلا أحب أن يعهد اليك فى لطائف أمورك وعوام شؤنك ودخائل أحوالك ومضطر تنقلك عهدا يحملك فيه أدبه ويشرع لك عظته وان كنت والحمد لله من دين الله وخلافته بحيث اصطنعك الله لولاية العهد مخصصا لك بذلك دون لحمتك و بنى أبيك

ولولا ما أمر الله به دالا عليه بتقدمة المعرفة لمن كانوا أولى سابقة فى (الدين) وخصيصى (٢) فى العلم لاعتمد أمير المؤمنين منك على اصطناع الله اياك بما براك أهله فى

---

(١) هو الضحاك بن قيس الشيبانى الخارجى كان له شأن فى أواخر الدولة الاموية فى الكوفة وواسط خرج سنة سبع وعشرين ومائة واستولى على الموصل وكورها قال ابن الاثير فى حوادث سنة ثمان وعشرين ومائة و بلغ مروان خبره وهو محاصر حمص مشتغل بقتال أهلها فكتب الى ابنه عبد الله وهو خليفته بالجزيرة يأمره ان يسير الى نصيبين فيمن معه ليمنع الضحاك عن توسط الجزيرة فسار اليها فى سبعة آلاف أو ثمانية آلاف وسار الضحاك الى نصيبين فحصر عبد الله فيها وكان مع الضحاك ما يزيد على مائة ألف ثم ان مروان سار الى الضحاك فالتقوا بنواحى كفرتوثا من أعمال ماردين فقاتله يومه أجمع فاحدقت بالضحاك وأصحابه خيول مروان وألحوا عليهم فى القتال حتى قتلوهم . قلنا وكثرة ظهور الخوارج على الامويين فى آخر أمرهم دعت مروان الى أن يكتب الى ابنه بهذه الرسالة من انشاء كاتبه عبد الحميد والدهشة بادية على سطورها من أمر الضحاك وجنده (٢) يقال خصه بالشئ خصا وخصوصا وخصوصية وخصيصى (بالفتح والقصر و يمد) وخصية وتخصة فضله

محلك من أمير المؤمنين وسبقك الى رغائب أخلاقه وانتزاعك محمود شيمه واستيلائك على تشابه تدبيره

ولو كان المؤدّبون أخذوا العلم من عند أنفسهم ولقنوه الهاما من تلقائهم ولم يتعلموا شيأ من عند غيرهم لنحلناهم علم الغيب ووضعناهم بمنزلة خالقهم المستأثر بعلم الغيب عنهم بوحدانيته وفردانيته فى الاهيته واحتجاجا (؟) منهم لتعقب فى حكمه وتثبت فى سلطانه وتنفيذ ارادته على سابق مشيئته ولكن العالم الموفق للخير المخصوص بالفضل المحبو بمزية العلم أدركه معادا عليه بلطيف بحثه واذلال كنفه وصحة فهمه وهجر سآمته ٠

وقد تقدم أمير المؤمنين اليك أخذا بالحجة عليك مؤدّيا حق الله الواجب عليه فى ارشادك وقضاء حقك وما ينظر الوالد المعنى الشفيق لولده ٠ وأمير المؤمنين يرجو ان ينزهك الله عن كل شئ قبيح يهش له طمع وان يعصمك من كل مكروه حاق باحد وان يحصنك من كل آفة استولت على امرئ فى دين أو خلق وان يبلغه فيك أحسن مالم يزل يعوده ويريه من آثار نعمة سامية بك الى ذروة الشرف ومنبجحة لك بسطة الكرم لائحة بك فى أزهر معالى الادب ٠ والله استخلف عليك واسأله حياطتك وان يعصمك من زيغ الهوى ويحضرك دواعى التوفيق معانا على الارشاد فيه فانه لا يعين على الخير ولا يوفق له الا هو

اعلم ان للحكمة مسالك تفضى مضايق أوائلها بمن أمها سالكا وركب خبارها قاصدا الى سعة عاقبتها وأمن سرحها وشرف عزها وانها لا تعاف بسخف الخفة ولا تنسى بتفريط الغفلة ولا يتعدى فيها بامن حد (؟) ٠ وقد تلقتك أخلاق الحكمة من كل جهة بفضلها من غير تعب البحث فى ادراكها ولا متطاول المنال لذروتها بل تأثلت (١) منها أكرم معانيها واستخلصت منها أعتق جواهرها ثم شمرت الى لباب مصاصها وأحرزت منفس (٢) ذخائرها فاقتعد ما أحرزت ونافس فيما أصبت ٠

واعلم ان احتواءك على ذلك وسبقك اليه باخلاص تقوى الله فى جميع أمورك مؤثرا لها واصطبارك على طاعته واعظام ما أنعم به عليك شاكرا لها مرتبطا للمزيد بحسن الحياطة له والذب عنه ان تدخلك منه سآمة ملال أو غفلة أو ضياع أو سنة تهاون أو جهالة معرفة

---

(١) اكتسبت وجمعت (٢) شئ نفيس ومنفوس ومنفس كمخرج اذا كان يتنافس فيه ولا نظير لها الا المكيثى

فان

فان ذلك أحق مابدىء به ونظر فيه معتمداعليه من القوة والآلة والانفراد من الاصحاب والحامة (١) فتمسك به لاجئا اليه واعتمد عليه مؤثراله والتجئ الى كنهه متحرزا به انه أبلغ ماطلب به رضا الله وأنجحه مسألة وأجزله ثوابا وأعوده سعيا وأعمه صلاحا وأرشدك الله لحظك وفهمك سداده وأخذ بقلبك الى محموده ·

ثم اجعل لله فى كل صباح ينعم عليك ببلوغه و يظهر منك السلامة فى اشراقه من نفسك نصيبا تجعله لله شكرا على ابلاغه اياك يومك ذلك بصحة وعافية بدن وسبوغ نعم وظهور كرامة وان تقرأ من كتاب الله عزوجل جزأ تردد رأيك فى أدبه وتزين لفظك بقراءته ويحضره عقلك ناظرا فى محكمه وتفهمه متفكرا فى متشابهه فان فيه شفاء القلوب من أمراضها وجلاء وساوس الشيطان وسفاسفه وضياء معالم النور وتبيانا لكل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون · ثم تعهد نفسك بمجاهدة هواك فانه مغلاق الحسنات ومفتاح السيآت

واعلم ان كل أعدائك لك عدوّ يحاول هلكتك ويعترض غفلتك لانها خدع ابليس وحبائل مكره ومصائد مكيدته فاحذرها مجانبا وتوقها محترسا منها واستعذ بالله من شرها وجاهدها اذا تناصرت (٢) عليك بعزم صادق لا ونية فيه وحزم نافذ لامثنوية (٣) لرأيك بعد اصداره عليك وصدق غالب لا مطمع فى تكذيبه ومضاءة صارمة لا اناة معها ونية صحيحة لا خلجة (٤) شك فيها فان ذلك ظهرى (٥) صدق لك على ردها عنك وقطعها دون ماتتطلع اليه منك وهى واقية لك سخطة ربك داعية لك رضا العامة ساترة عليك عيب من دونك فازدن به ملتحفا واصب باخلاقك مواضعها الحيدة منها وتوق عليها التى تقطعك عن بلوغها وتقصر بك عن سامها فحاول بلوغ غايته محرزا لها بسبق الطلب الى اصابة الموضع محصنا لاعمالك من العجب فانه رأس الهوى وأول الغواية ومقاد الهلكة حارسا أخلاقك من الآفات المتصلة بمساوى العادات وذميم ايثارها من حيث أتت الغفلة وانتشر الضياع ودخل الوهن فتوق الآفات على عقلك فان شواهد الحق ستظهر باماراتها تصديق رأيك عند ذوى النهى وحال الرأى وفحص النظر · فاجتلب لنفسك محمود الذكر وباقى لسان الصدق بالحذر لما تقدم اليك فيه أمير المؤمنين متحرزا من دخول الآفات عليك من حيث أمنك وقلة ثقتك بمحكمها ·

(١) الاقارب (٢) تناصرت الاخبار صدق بعضها بعضا (٣) استثناء (٤) اضطراب (٥) الظهرى مايجعله المرء عدة له عند مس الحاجة اليه

ومنها ان تملك أمورك بالقصد وتصون سرك بالكتمان وتدارى جندك بالانصاف وتذلل نفسك للعدل وتحصن عيوبك بتقويم أودك . وأناتك فوقها الملال وفوت العمل ومصابك فدرعها (؟) رؤية النظر واكتنفها بأناة الحلم وخلواتك فاحرسها من الغفلة واعتماد الراحة وصمتك فانف عنه عى اللفظ وخف فيه سوء القالة [1] واستماعك فأرعه [2] حسن التفهم وقوه باشهاد الفكر . وعطاءك فانهدله [3] بيوتات الشرف وذوى الحسب وتحرز فيه من السرف . وحياءك فامنعه من الخجل: وحلمك فزعه عن التهاون وأحضره قوة الشكيمة [4] وعقوبتك فقصر بها عن الافراط وتعمد بها أهل الاستحقاق : وعفوك فلا تدخله تعطيل الحقوق وخذ به واجب المفترض واقم به أود الدين . واستئناسك فامنع منه البذاءة وسوء المثافنة: وتعهدك أمورك فخذه أوقاتا وقدره ساعات لا يستفرغ قوتك ويستدعى سآمتك . وعزمتك فانف عنها عجلة الرأى ولجاجة الاقدام . وفرحاتك فاشكمها عن البطر وقيدها عن الزهو . وروعاتك فحطها من دهش الرأى واستسلام الخضوع: وحذاراتك (فاصرفها) عن الجبن واعمد بها الحزم: ورجاءك فقيده بخوف الفائت وامنعه من أمن الطلب

هذه جوامع دخائل النقص منها واصل الى العقل بلطائف الله وتصاريف حوله فأحكمها عارفا وتقدم فى الحفظ لها معتزما على الاخذ بمراشدها والانتهاء منها الى حيث بلغت بك عظة أمير المؤمنين وأدبه ان شاء الله

ثم ليكن بطانتك وجلساؤك فى خلواتك ودخلاؤك فى سرك أهل الفقه والورع من أهل بيتك وعامة قوادك ممن قد حنكته السن بتصاريف الامور وخبطته فصالها بين قرائن البزل [5] وقلبته الامور فى فنونها وركب أطوارها عارفا بمحاسن الامور ومواضع الرأى مأمون النصيحة مطوى الضمير على الطاعة

ثم أحضرهم من نفسك وقارا تستدعى منهم بك الهيبة واستئناسا يعطف اليك منهم

(١) يطلق القول فى الخير والقال والقيل والقالة فى الشر (٢) يقال ارعنى سمعك وراعنى سمعك استمع لمقالى (٣) نهد الهدية عظمها واضخمها (٤) الشكيمة قوة القلب (٥) البازل فى الأصل البعير اذا ظهر نابه ومن المجاز البازل للرجل الكامل فى تجربته تشبيها بالبعير البازل والجمع بزل كركع وكتب

بالمودة

بالمودة وانصافا يغل أقاصيهم منك عما تكره أن ينتشر عنك من سخافة الرأى و يقطعك دون الفكر .

وتعلم ان خلوت بسر فالقيت دونه ستورك وأغلقت عليه أبوابك فذلك لا محالة مكشوف للعامة ظاهر عنك وان استترت بما ولعل وما أرى اذاعة ذلك . فاعلم بما يرون من حالات من ينقطع به فى تلك المواطن فتقدم فى احكام ذلك من نفسك وسد خلله عنك فانه ليس أحد أسرع اليه سوء القالة ولغط العامة بخير أو شر ممن كان فى مثل حالك ومكانك الذى أصبحت به من دين الله والامل المرجوّ المنتظر . واياك ان يغمز [(١)] فيك أحد من عامتك و بطانة خدمك بضعفة يجد بها مساغا الى النطق عندك بما لا يعتزلك عيبه ولا تخلو من لائمته ولا تأمن سوء القالة فيه ان نجم ظاهرا وعلن باديا ولن يجترؤا على تلك عندك الا أن يروا منك اصغاء اليها وقبولا لها وترخيصا بها

ثم اياك ان يفاض عندك بشئ من الفكاهات والحكايات والمزاح والمضاحك التى يستخف بها أهل البطالة و يتسرع نحوها ذووا الجهالة و يجد فيها أهل الحسد مقالا لعيب يرفعونه وطعن فى حق يجحدونه مع ما فى ذلك من نقص الرأى ودرن العرض وهدم الشرف وتأثيل الغفلة وقوة طباع السوء الكامنة فى بنى آدم كمون النار فى الحجر الصلد فاذا قدح لاح شرره وهب فى وميضه ووقد تضرمه . وليست فى أحد أقوى سطوة واظهر توقدا وأعلى كمونا وأسرع اليه بالعيب منها الى من كان فى سنك من أغفال الرجال وذوى العنفوان فى الحداثة الذين لم يقع عليهم سمات الامور ناطقا عليهم لائحا ظاهرا عليهم وسمها ولم تمحضهم شهامتها مظهرة للعامة فضلهم مذيعة حسن الذكر عنهم ولم يبلغ بهم الصمت فى الحركة مستمعات (؟) يدفعون به عن أنفسهم نواطق ألسن أهل البغى ومواد أبصار أهل الحسد .

ثم تعهد من نفسك لطيف عيب لازم لكثير من أهل السلطان والقدرة من أقطار (؟) الذرع ونخوة التيه فانها تسرع بهم الى فساد رأيهم وتهجين عقولهم فى مواطن جة منها قلة اقتدارهم على ضبط أنفسهم فى مواكبهم ومسايرتهم العامة . فمن مقلقل شخصه يكثر الالتفات تزدهيه الخفة و يبطره اجلاب [(٢)] الرجال حوله . ومن مقبل فى موكبه على

---

(١) اغمز فى فلان اذاعابه واستضعفه وصغر شأنه (٢) الجلب اختلاط الاصوات كالجلبة واجلبوا وجلبوا افعلان من الجلب بمعنى الصياح وجماعة الناس

مداعبة مسايره بالمصاحبة له والتضاحك اليه والايجاف فى السيرمهمرجا [١] وتحريك الجوارح مستسرعا يخال له ان ذلك أسرع له وأخف لمطيتـه فلتحسن فى ذلك هيئتك ولتجمل فيـه رعيتك وليقل على مسائلك اقبالك الا وأنت مطرق النظر غـير ملتفت الى محدث ولا مقبل عليـه بوجهك فى موكبك لمحادثته ولا تخف فى السـير تقلقل جوارحك بالتحريك . فان حسن مسايرة الوالى وابتداعه فى تلك من حاله دليل على كثير من غيوب أمره ومستترأحواله .

واعلم ان أقواما سيسرعون اليك بالسعاية و يأتونك من قبل النصيحة و يستميلونك باظهار الشفقة و يستدعونك بالاغراء والشبهة و يوطئونك عشوة [٢] الحيرة ليجعلوك لهم ذريعة الى استئـكال [٣] العامة بموضعهم منك فى القبول منهم والتصديق لهم على من قرفوه بتهمة أو أسرعوا بك فى أمره الى الظنة فلا يصلن الى مشافهتك ساع بشبهة ولا معروف بتهمة ولا منسوب الى بدعة فيعرضك لابتـداع فى دينك و يحملك على رعيتك ما لا حقيقة فيه و يحملك على أعراض قوم لا عـلم لك بدخلهم الا بما أقدم به عليهـم ساعيا وأظهر لك منهم متنصحا :

وليكن صاحب شرطك ومن أحببت ان يتولى ذلك من قوادك اليه انهاء ذلك وهو المنصوب لاولئك والمستمع لاقاويلهم والفاحص عن نصائحهم ثم لينه ذلك اليك على ما يرتفع اليه منه لتأمره بامرك فيه وتقفه [٤] على رأيك من غير ان يظهر ذلك للعامة فان كان صوابا نالتك حظوته وان كان خطأ أقدم به جاهل أوفرطة يسعى بها كاذب فنالت الباغى منها أو المظلوم عقوبة و بدر من واليك اليـه نـكال لم يعصب [٥] ذلك الخطأ بك ولم تنسب الى تفريطه وخلوت من موضع الذم فيه

فافهم ذلك وتقدم الى من تولى فلا يقدم على شئ ناظرا فيه ولا يحاول أخذ أحـد طار قاله

---

(١) الهمرجة الخفة والسرعة ولغط الناس والاختلاط فى المشى والهملجة سير الدابة فى سرعة وبخترة (٢) العشوة الظلمة كالعشواء وركب فلان العشواء اذا خبط فى أمره (٣) من قولهم استأ كل الضعفاء اذا أخذ أموالهم (٤) وقف يتعدى بنفسه قال تعالى وقفوهم انهم مسؤلون اما وقفته توقيفا وأوقفته ايقافا فقد أنـكره الجهور وقالوا انهما غير مسموعين أوغير فصيحين (٥) يعصب يقرن

ولا يعاقب أحدا منكلا به ولا يخل سبيل أحد صافحا عنه لاظهار براءته وصحة طريقته حتى يرفع اليك أمره وينهي اليك قضيته على جهة الصدق ومنحى الحق .

فان رأيت عليه سبيلا لمحبس أو مجاز العقوبة أمرته فتولى ذلك من غير ادخال له عليك ولا مشافهة منك له فكان المتولى لذلك ولم يجر على يدك مكروه ولا غلظ عقوبة وان وجدت الى العفو عنه سبيلا وكان مما قرف به خليا كنت انت المتولى للانعام عليه بتخلية سبيله والصفح عنه باطلاق أسره فتوليت أجر ذلك وذخره ونطق لسانه بشكرك فقرنت خصلتين ثواب الله فى الآخرة ومحمود الذكر فى العاجلة .

ثم اياك وان يصل اليك أحد من جندك وجلسائك وخاصتك وبطانتك بمسألة يكشفها لك أو حاجة يبدهك [1] بطلبها حتى يرفعها قبل الى كاتبك الذى أهدفته لذلك ونصبته له فيعرضها عليك منهيا لها على جهة صدقها ويكون على معرفة من قدرها فان أردت اسعافه ونجاح ما سئل منها أذنت له فى طلبها باسطا له كنفك مقبلا عليه بوجهك مع ظهور سرور منك بما سألك بفسحة رأى وبسطة ذرع وطيب نفس . وان كرهت قضاء حاجته وأحببت رده عن طلبته [2] وثقل عليك اسعافه بها أمرت كاتبك فصفحه عنها ومنعه من مواجهتك بها خفت عليك فى ذلك المؤنة وحسن لك الذكر وحمل على كاتبك لائمة أنت منها برىء الساحة .

وكذلك فليكن رأيك وأمرك فيمن طرأ عليك من الوفود وأتاك من الرسل فلا يصلن اليك أحد منهم الا بعد وصول علمه اليك وعلم ما قدم له عليك وجهة ما هو مكلمك وقدر ما هو سائلك اياه اذا هو وصل اليك فاصدرت رأيك فى جوابه وأجلت فكرك فى أمره وأنفذت مصدر رويتك فى مرجوع مسألته قبل ما دخوله عليك وعلمه بوصول حاله اليك فرفعت عنه مؤنة البديهة وأرخيت عن نفسك خناق الروية فاقدمه على رد جوابه بعد النظر والفكرة فان دخل عليك أحد منهم فكلمك بخلاف ما أنهى الى كاتبك وطوى عنه حاجته قبلك دفعته عنك دفعا جميلا ومنعته جوابك منعا ودفعا ثم أمرت حاجبك باظهار الجفوة له والغلظة ومنعه من الوصول اليك فان ضبطك ذلك مما يحكم لك تلك الاشياء صارفا عنك مؤنتها ان شاء الله .

احذر تضييع رأيك واهمال أدبك فى مسالك الرضا والغضب واعتوارهما اياك فلا

(١) بدهه بالامر استقبله به مفاجأة (٢) الطلبة بكسر اللام ما طلبته

يزدهينك افراط عجب تستخفك روائعه و يستهويك منظره ولا يبدرن منك ذلك خطأ ونزق خفة لمكروه وان حل بك أو حادث وان طرأ عليك . وليكن لك من نفسك ظهري ملجأ تتحرز به من آفات الردى وتستعهده (١) فى مهم نازل وتتعقب به أمورك فى التدبير فان احتجت الى مادة من عقلك و روية من فكرك أو انبساط من منطقك كان انحيازك الى ظهر يك مزداد الما أحببت الامتيار منه وان استدبرت من أمورك بوادر لجهل أو مضى زلل أو معاندة حق أو خطأ تدبير كان ما احتجنت من رأيك عذرا لك عند نفسك وظهري قوة على رد ما كرهت وتخفيف المؤنة الباغين عليك فى القالة وانتشار الذكر وحصنا من غلوب الآفات على أخلاقك ان شاء الله .

وامنع أهل بطانتك وخاص خدمك وعامة رعيتك من استلحام (٢) اعراض الناس عندك بالغيبة والتقرب اليك بالسعاية والاغراء من بعض ببعض والنميمة اليك بشيء من أحوالهم المستترة عنك أو التحميل لك على أحد منهم بوجه النصيحة ومذهب الشفقة . فانه أبلغ سموا الى منال الشرف وأعون لك على محمود الذكر وأطلق لعنان الفضل فى جزالة الرأى وشرف الهمة وقوة التدبير .

واملك نفسك عن الانبساط فى الضحك والانفهاق (٣) وعن القطوب باظهار الغضب وتنحله فان ذلك ضعف من سورة الجهل وخروج من انتحال اسم الفضل .

وليكن ضحكك تبسما أو كبرا (٤) فى احايين ذلك وأوقاته وعند كل مرأى ملهى ومستخف مطرب وقطوبك اطراقا فى موضع ذلك وأحواله بلا عجلة الى السطوة ولا اسراع الى الطيرة دون أن يلنفها روية الحلم وتملك عليها بادرة الجهل .

اذا كنت فى مجلس ملئك وحضور العامة مجالسك فاياك والرمى ببصرك الى خاص من قوادك أو ذى أثرة من حشمك . وليكن نظرك مقسوما فى الجميع واعارتك سمعك ذا الحديث بدعة هادئة ووقار حسن وحضور فهم مستجمع وقلة تضجر بالمحدث ثم لا يبرح وجهك الى بعض قوادك وحرسك متوجها بنظر ركين وتفقد محض فان وجه أحد منهم نظره محدثا أو رماك ببصره ملحا فاخفض عنه اطراقا جميلا بابداع وسكون . واياك

(١) استعهد فلانا من نفسه ضمنه حوادث نفسه (٢) استلحم الطريق اذا تبعه ولزمه واستلحمه الخطب اذا انشب فيه (٣) الانفهاق فى الشيء التوسع فيه والتسرع

والتسرع فى الاطراق والخفة فى تصاريف النظر والالحاح على من قصد اليك فى مخاطبته اياك رامقا بنظره

واعلم ان تصفحك وجوه قوادك من قوة التدبير وشهامة القلب فتفقد ذلك عارفا بمن حضرك وغاب عنك عالما بمواضعهم من مجلسك ثم اعدبهم عن ذلك سائلا عن أشغالهم التى منعتهم من حضورك وعاقتهم بالتخلف عنك ان شاء الله

ان كان أحد من أعوانك وحشمك تثق منه بغيب ضميره وتعرف منه لين طاعة وتشرف منه على صحة رأى وتأمنه على مشورتك فاياك والاقبال عليه فى حادث يرد أو التوجه نحوه بنظرك عند طوارق ذلك أو أن تريه أو أحدا من أهل مجلسك ان بك اليه حاجة موحشة وان ليس بك عنه غنى فى التدبير أو انك لاتقضى دونه رأيا اشرا كاله فى رويتك وادخالا له فى مشورتك واضطرارا الى رأيه فان ذلك من دخائل العيوب المنتشر بها سوء القالة عن نظرائك وانفها عن نفسك حائفا لاغفالها ذكرك واحجبها عن رؤيتك قاطعا اطماع أولئك عن مثلها عندك أو غلبتهم عليك منك

واعلم ان للمشورة موضع الخلا وانفراد النظر فابغها محرزا لها ورمها طالبا بيانها واياك والقصور عن غايتها والافراط فى طلبها

احذر الاعتزام كثرة السؤال عن حديث مّا أعجبك أو امر مّا ازدهاك والقطع لحديث من أرادك بحديثه حتى تنقصه عليه بالاخذ فى غيره أو المسئلة عما ليس منه فان ذلك عند العامة منسوب الى سوء الفهم وقصر الادب عن تناول محاسن الامور والمعرفة لمساوئها وانصت لمحدثك وأرعه سمعك حتى يعلم انك قد فهمت عنه وأحطت معرفة بقوله فان أردت اجابته فعن معرفة حاله وبعد علم بطلبته والا كنت عند انقضاء كلامه كالمتعلل من حديثه بالتبسم والاغضاء فاجرى عنك الجواب وقطع عنك ألسن العتب

اياك وان يظهر منك تبرم بمجلسك وتضجر بمن حضرك وعليك بالتثبت عند سورة الغضب وحمية الانف وملال الصبر فى الامر تستعجل به والعمل تأمر بانفاذه فان ذلك سخف سائر وخفة مردية وجهالة بادية . وعليك بثبوت المنطق ووقار المجالس وسكون الريح والرفض لحشو الكلام وترديد فضوله والاعتزام بالزيادات فى منطقك والترديد للفظك من نحو اسمع أو اعجل أو الاترى أو ما يلهج به من هذه الفصول المقصرة باهل العقل المنسوبة اليهم بالعى المردية لهم فى الذكر . وخصال من معايب الملوك والسوقة عيبها (؟) عند النظر الامن

عرفهامن أهل الادب وقلماحامل لهـامضطلع بثقلها آخذ لنفسه بجوامعهافانفهاعن نفسك بالتحفظ منها واملك عنها اعتقادك معنيا بها (؟) كثرة التنخم والتبزق والتنحنح والتثاؤب والجشاء والتمطى وتنقيض الاصابع وتحريكها والعبث باللحية والشارب والمخصرة وذؤابة السيف والايماض بالنظر والاشارة بالطرف الى أحـد من خدمك بأمر ان أردته والسرار فى مجلسك والاستعجال فى طعمك وشربك

ليكن مطعـمك مبتدعا[1] وشربك أنفاسا وجرعك مصاواياك والتسرع فى الأيمان فيما صغر أو كبر من الامور أو الشتيمة بابن الهيبة أو العمرية (؟) لاحد من خدمك وخاصتك بذو يغهـم مقارفة الفسوق بحضرك أو فى دارك وبنائك فان ذلك مما يقبح ذكره و يسوء موقع القول فيـه و يحمل عليك معايبـه و ينالك شينه و ينشر عنـك سوء نبئه فاعرف ذلك متوقياله واحذره مجانبا السوء عاقبته

استـكثر من فوائد الخـير فانها تنشر المحمدة وتقيل العـثرة • واصطبر على الغيظ فانه يورث العز و يؤمن الساحة • وتعهد العامة بمعرفة دخلهم و بنظر أحوالهم واستثارة دفائنهم حتى يكون على مرأى العين و يقين الخـبرة فتنعش عديمهم وتجـبر كسيرهم وتقيم أودهم وتعلم جاهلهم وتستصلح فاسدهم فان ذلك من فعالك يورثك العزة و يقـدمك فى الفضـل و يبقى لك لسان صـدق فى العامة و يحرزلك ثواب الآخرة و يردعليك عواطفهم المستنفرة وقلوبهم المستجنة عنك • (وميز) بين منازل أهل الفضـل فى الدين والحجى والرأى والعقل والتـدبير والصيت فى العامة و بين منازل أهل النقص فى طبقات الفضـل وأحواله والجود عنـه تناها (؟) باهل الحسب والنظر نصيحة لهم تنال مودة الجميع وتستجمع لك أقاويل العامة على التفضيل وتبلغ درج الشرف فى الاحوال المتصرفة بك فاعتمد عليهم مستدخلا لهم وآثرهم بمجالستك مستمعا منهم واياك وتضييعهم مفرطا لهم واهمالهم مضيعا

هذه جوامع من خصال قد لخصها لك أمير المؤمنين وجمع شواهدها مؤلفا وأهداها لك مرشدا تقف عند أوامرها وتنتهى عنـد زواجرها وتثبت فى مجامعها وتخذ بوثائق عراها تسلم من معاطب الردى وتنل أنفس الحظوظ ومزية الشرف وأعلى درج الذكر والله يسأل لك أمير المؤمنـين حسن الارشاد وتتابع المزيد و بلوغ الامل وأن يجعل عاقبـة ذلك بك الى غبطة يسوغك اياها وعافيـة يحلك أكنافها ونعـمة يلهمك شكرها فانه الموفق للخير

(١) أبدع الشئ أنشأه واخترعه والمراد بالطعام المبتدع الحديث

والمعين

والمعين على الارشاد و به تمام الصالحات وهو موتى الحسنات عنده مفاتيح الخير و بيده الملك وهو على كل شئ قدير

فاذا أفضيت نحو عدوك واعتزمت على لقائهم وأخذت أهبة قتالهم فاجعل دعامتك التى تلجأ اليها وثقتك التى تأمل النجاة بها وركنك الذى ترتجى به منال الظفر وتكتهف (١) به لمغالق الحذر تقوى الله عز وجل مستشعرا له بمراقبته والاعتصام بطاعته متبعا لامره والاجتناب لمساخطه محتذيا سنته والتوقى لمعاصيه فى تعطيل حدوده وتعدى شرائعه متوكلا عليه فيما صمدت (٢) له واثقا بنصره فيما وجهت نحوه متبرئا من الحول والقوة فيما نالك من ظفر وتلقاك من عز راغبا فيما أهاب (٣) بك أمير المؤمنين اليه من فضل الجهاد ورمى بك اليه محمود الصبر عند الله عز وجل من قتال عدو الله للمسلمين أكلبهم عليهم وأظهرهم عداوة لهم وأفدحهم ثقلا لعامتهم وأخذة بربقهم (٤) وأعلاه عليهم بغيا وأظهره فيهم فسقا وجورا وأشده على فيئهم الذى أصاره الله لهم مؤنة

ثم خذ من معك من تبعك وجندك بكف معرتهم ورد مستعلى جورهم واحكام خلالهم وضم منتشر قواصيهم ولم شعث أطرافهم وخذهم بمن مروا به من أهل ذمتك وملتك بحسن السيرة (وعفة) الطعمة ودعة الوقار وهدى الدعة وجمام (٥) (النفس) محكما ذلك منهم متفقدا لهم فيه تفقدك اياه من نفسك

ثم اصمد بعدوك المتسمى بالاسلام خارجا من جماعة أهله المنتحل ولاية الدين مستحلا لدماء أوليائه طاعنا عليهم راغبا عن سنتهم مفارقا لشرائعهم يبغيهم الغوائل وينصب لهم المكايد أضرم حقدا عليهم وأرصد عداوة لهم من الترك وأمم الشرك وطواغى الملل يدعو الى المعصية والفرقة والمروق من الدين الى الفتنة مخترعا بهواه الى الاديان المنتحلة والبدع المتفرقة خسارا وتخسيرا وضلالا واضلالا بغير هدى من الله ولا بيان ساء ما كسبت يداه وما الله بظلام للعبيد و بئسما سولت له نفسه الامارة بالسوء والله من ورائه بالمرصاد وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

حض جندك واشكم نفسك فى مجاهدة أعداء الله وارج نصره وتنجز موعده متقدما

---

(١) اكتهف وتكهف لزم الكهف والكهف المغارة والوزر والملجأ (٢) صمد للامر قصده معتمدا عليه (٣) أهاب بصاحبه دعاه (٤) الربقة حبل يوضع فى العنق وجمعه ربق (٥) الجمام كسحاب الراحة

فى طلب ثوابه على جهادهم معتزما فى ابتغاء الوسيلة اليه على لقائهم فان طاعتك اياه فيهم ومراقبتك له ورجاءك لنصره مسهل لك وعوده . وعاصمك من كل سيئة ومنجيك من كل هوة وناعشك من كل صرعة ومقيلك من كل كبوة ودارئ عنك كل شبهة ومذهب عنك لطخة كل شك ومقويك بكل أيد (١) ومكيدة ومؤيدك فى كل مجمع لقاء وحافظك من كل شبهة مردية والله وليك وولى أمير المؤمنين فيك

اعلم ان الظفر ظفران أحدهما أعم منفعة وأبلغ فى حسن الذكر قالة وأحوط سلامة وأتمه عافية وأعوده عاقبة وأحسن فى الامور موردا وأصحه فى الرواية حزما وأسهله عند العامة مصدرا ما نيل بسلامة الجنود وحسن الحيلة والطف المكيدة ويمن النقيبة (٢) بغير اخطار (٣) الجيوش فى وقدة جمرة الحرب ومنازلة الفرسان فى معترك الموت وان ساعدك (الحظ) ونالك مزية السعادة فى الشرف ففى مخاطرة التلف ومكروه المصائب وعضاض السيوف وألم الجراح وقصاص الحروب وسجالها بمعاورة (٤) ابطالها على انك لا تدرى لاى الفريقين الظفر فى البديهة من المغلوب فى الدولة ولعلك أن تكون المطلوب بالتمحيص فاول أبلغهما فى سلامة جندك ورعيتك وأشهرهما ... فى بادئ رأيك وأجمعهما لالفة وليك وعدوك وأعونهما على صلاح رعيتك وأهل ملتك وأقواهما فى حربك وأبعدهما من وصم عزمك وأجزلهما ثوابا عندك . وابدأ بالاعذار والدعاء لهم الى مراجعة الطاعة وأمر الجماعة وعرى الالفة آخذا بالحجة عليهم متقدما بالانذار لهم باسطا أمانك لمن لجأ اليه منهم داعيا لهم اليه بألين لطفك وألطف حيلتك متعطفا عليهم برأفتك مترفقا بهم فى دعائك مشفقا عليهم من غلبة الغواية لهم واحاطة الهلكة بهم منفذا رسلك اليهم بعد الانذار تعدهم كل رغبة يهش اليها طمعهم فى موافقة الحق وبسط كل أمان سألوه لانفسهم ومن معهم من تبعهم موطنا نفسك فيما تبسط لهم من ذلك على الوفاء بوعدك والصبر على ما أعطيتهم من وثائق عهدك قابلا توبة نازعهم (٥) عن الضلالة ومراجعة مسيئهم الى الطاعة مرصدا للمنحاز الى فئة المسلمين وجماعتهم اجابة الى ما دعوتهم اليه وبصرته من حقك وطاعتك بفضل المنزلة واكرام المثوى وتشريف الحال ليظهر من أثرك عليه واحسانك

(١) الايد القوة (٢) النقيبة النفس يقال انه ميمون النقيبة منجح الفعال مظفر المطالب (٣) اخطر جعله فى خطر (٤) يقال تعاور القوم فلانا اذا تعاونوا عليه بالضرب واحدا بعد واحد (٥) المنتهى عن الضلالة

اليه

اليه مايرغب فى مثله الصارف عنك المصر على خلافك ومعصيتك و يدعو الى الاعتلاق بحبل النجاة وماهو أملك به فى الاعتصام به عاجلا وأنجى له من العقاب آجلا وأحوط على دينه ومهجته بدأ وعاقبة فان ذلك مما يستدعى نصر الله عز وجل به عليهم وتعتصم به فى تقدمة الحجة اليهم معذرا ومنذرا ان شاء الله .

ثم اذك عيونك (١) على عدوك متطلعا لعلم أحوالهم التى ينتقلون فيها ومنازلهم التى هم بها ومطامعهم التى مدوا بها أعناقهم نحوها . وأى الامور أدعى لهم الى الصلح وأقودها لرضاهم الى العافية ومن أى الوجوه ما أتاهم من قبل الشدة والمنافرة والمكيدة والمباعدة والارهاب والابعاد والترغيب والاطماع مستنا فى أمرك متخيرا فى رويتك متمكنا من رأيك مستشيرا لذوى النصيحة الذين قد حنكتهم التجربة ونجذتهم (٢) الحروب متسربا فى حربك آخذا بالحزم فى سوء الظن معدا للحذر محترسا من الغرة كأنك منزل كله ومنازلك جمع مواقف لعدوك رأى عين تنظر حملاتهم وتخوف غاراتهم معدا أقوى مكيدتك وأجد تشميرك وأرهب عتادك معظما الامر عدوك لا كثرهما . . . بفرط تبعة له (؟) من الاحتراس عظيما من المكيدة قويا من غيران يفثأك (٣) عن احكام أمورك وتدبير رأيك واصدار رويتك والتأهب لحربك مصغ له بعد استشعار الحذر واطمئنان الحزم واعمال الروية واعداد الأهبة فان لقيت عدوك كليل الحدونم النجوم (؟) نضيض الوفر لم يضررك ما أعددت له من قوة وأخذت به من حزم ولم يزدك ذلك الاجرأة عليه وتسرعا الى لقائه وان ألفيته متوقد الجمر مستكثف التبع قوى الجمع مستعلى سورة الجهل معه من أعوان الفتنة وتبع ابليس من يوقد لهب الفتنة مسعرا ويتقدم الى لقاء أبطالها متسرعا كنت لاخذك بالحزم واستعدادك بالقوة غير مهين الجند ولا مفرط فى الرأى ولا متلهف على اضاعة تدبير ولا محتاج الى الاعداد وعجلة التأهب مبادرة تدهشك وخوفا يقلقك ومتى تعزم على ترقيق التوقير وتأخذ بالهوينا فى أمر عدوك لتصغر المصغرين ينتشر عليك رأيك ويكون فيه انتقاض (٤) أمرك و وهن تدبيرك واهمال الحزم فى جندك وتضييع له وهو ممكن الاصحار رحب المطلب قوى العصمة فسيح المضطرب مع ما يدخل رعيتك من الاغترار والغفلة عن احكام أسرارهم وضبط مراكزهم لما يرون من استنامتك الى الغرة وركونك الى الامن

(١) العين الجاسوس واذكها أيقظها (٢) نجذته التجارب أحكمته (٣) يسكنك (٤) الانتقاض الانتكاث

وتهاونك بالتدبير فيعود ذلك عليك فى انتشار الاطراف وضياع الاحكام ودخول الوهن بما لا يستقال محذوره ولا يدفع مخوفه ٠

احفظ من عيونك وجواسيسك ما يأتونك به من أخبار عدوك واياك ومعاقبة أحد منهم على خبر ان أتاك به اتهمته فيه أو سؤت ظنا عليه وأتاك غيره بخلافه وان تكذبه فيه وترده عليه ولعله أن يكون من محض النصيحة وصدقك الخبر وكذبك الاول أو خرج جاسوسك الاول متقدما قبل وصول هذا من عند عدوك ٠ ولقد أبرموا أمرا وحاولوا لك مكيدة وازدادوا منك غرة وان دفعوا اليك فى الامر ثم انتقض بهم رأيهم واختلف عنه جماعتهم فاو ردوا رأيا أو أحدثوا مكيدة وأظهروا قوة وضربوا موعدا أو أموا مسلكا لعدد أتاهم أو قوة حدثت لهم أو بصيرة فى ضلالة شغلتهم فالاحوال منتقلة بهم فى الساعات وطوارق الحادثات وليكن البسهم (١) جميعا على الانتصاح وأرجح لهم المطامع فانك لم تستعبدهم بمثله ٠ وعدهم جزالة المثاوب فى غير ما استنامة منك الى أمر عدوك والاغترار بما لم يأتوك به دون ان تعمل رويتك فى الاخذ بالحزم والاستكثار من العدة واجعلهم أوثق من يقدر عليه ان استطعت ذلك وآمن من تسكن الى ناحيته ليكون ما يبرم عدوك فى كل يوم وليلة عندك ان استطعت فتنقض عليهم بتدبيرك ورأيك مالم يرموا (٢) وتأتيهم من حيث أقدموا وتستعد لهم بمثل ما حذروا

واعلم ان جواسيسك وعيونك ربما صدقوك وربما غشوك وربما كانوا لك وعليك فنصحوا لك وغشوا عدوك وغشوك ونصحوا عدوك وكثير مما يصدقونك ويصدقونه فلا يبدرن منك فرطة فى عقوبة الى أحد منهم ولا تعجل بسوء الظن الى من اتهمته على ذلك وابسط من آمالهم فيك من غير أن ترى أحدا منهم انك أخذت من قوله أخذ العامل به والمتبع له أو عملت على رأيه عمل الصادر عنه أو رددته عليه رد المكذب له والمتهم المستخف بما أتاك منه فتفسد بذلك نصيحته وتستدعى غشه وتجتر عداوته

احذر أن يعرف جواسيسك فى عسكرك أو يشار اليهم بالاصابع وليكن منزلهم على كاتب رسائلك وأمين سرك ويكون هو الموجه لهم والمدخل عليك من أردت مشافهته منهم واعلم ان لعدوك فى عسكرك عيونا راصدة وجواسيس كامنة وان رأيه فى مكيدتك مثل ما تكايده به وسيحتال لك كاحتيالك له ويعد لك كاعتدادك له فاحذر أن يشعر رجل

(١) لابس فلانا خالطه (٢) رم الشيء أصلحه

من جواسيسك فى عسكرك فيبلغ ذلك عدوك و يعرف موضعه فيعدله المراصد ويحتال له بالمكايد فان ظفر به وأظهر عقوبته كسر ذلك ثقات عيونك وحوله عن تطلب الاخبار من معادنها واستقصائها من عيونها حتى يصيروا الى أخذها عن عرض من غير الثقة ولا معاينة لغطائها (؟) بالاخبار الكاذبة والاحاديث المرجفة

واحذر أن يعرف بعض عيونك بعضا فانك لا تأمن تواطؤهم عليك وممالأتهم عدوك واجتماعهم على غشك وكذبك وان يورط بعضهم بعضا عند عدوك وأحكم أمرهم فانهم رأس مكيدتك وقوام تدبيرك وعليهم مدار حربك وهو أول ظفرك فاعمل على حسب ذلك وجنب (؟) رجاءك به نيل أملك من عدوك وقوتك على قتالهم وانتهاز فرصته ان شاء الله فاذا أحكمت ذلك وتقدمت فيه واستظهرت بالله وعونه فول شرطتك وأمر عسكرك أوثق قوادك عندك وآمنهم نصيحة وأقدمهم بصيرة فى طاعتك وأقواهم شكيمة فى أمرك وأمضاهم صريمة وأصدقهم عفافا وأجرأهم (جنانا) وأكفاهم أمانة وأصحهم ضميرا وأرضاهم صبرا وأحمدهم خلقا وأعطفهم على جماعتهم رأفة وأحسنهم لهم نظرا وأشدهم فى دين الله وحقه صلابة ثم فوض اليه مقويا له وابسط من أمله مظهرا عنه الرضا حامدا منه الابتلاء . وليكن عالما بمراكز الجنود بصيرا بتقديم المنازل مجربا ذا رأى وتجربة وحزم فى المكيدة له نباهة فى الذكر وصيت فى الولاية معروف البيت مشهور الحسب وتقدم اليه فى ضبط معسكرك واذكاء احراسه فى آناء ليله ونهاره ثم حذره أن يكون له اذن لجنوده فى الانتشار والاضطراب والتقدم للطائفة فيصاب منهم غرة يجترئ بها عدوك ويسرع اقداما عليك ويكسر من أفئدة جنودك ويوهن من قوتهم فان اصابة عدوك الرجل الواحد من جندك وعبيدك مطمع لهم منك مقولهم على شحذ اتباعهم عليك وتصغيرهم أمرك وتوهينهم تدبيرك فحذره ذلك وتقدم اليه فيه ولا يكونن منه افراط فى التضييق عليهم والحصر لهم فيعمهم ازله ويشملهم ضنكه ويسوء عليه حالهم وتشتد به المؤنة عليهم وتخبث له ظنونهم . وليكن (موضع) انزاله اياهم مستديرا ضاما جامعا ولا يكون منتشرا ممتدا فيشق ذلك على أصحاب الاحراس ويكون فيه النهزة للعدو والبعد من المادة ان طرق طارق فى فجاءات الليل وبغتاته . وأوعز اليه فى أحراسه ومره فليول عليهم رجلا ركينا مجربا جرىء الاقدام ذكى الصرامة جلد الجوارح بصيرا بموضع أحراسه غير مصانع ولا مشفع للناس فى التنحى الى

الرفاهة والسعة وتقدم العسكر أو التأخر عنه فان ذلك مما يضعف الوالى و يوهنه لاستنامته الى من ولاه ذلك وأمنه به على جيشه

واعلم ان موضع الاحراس من موضعك ومكانها من جندك بحيث الغناء عنهم والرد عليهم والحفظ لهم والكلاءة لمن بغتهم طارقا وأرادهم مخاتلا ومراصدها المنسل منها الآبق من أرقائهم وأعبدهم وحفظ العيون والجواسيس من عدوهم (؟) واحذر أن تضرب على يديه أو تشكمه على الصرامة لمواصرتك فى كل أمر حادث وطارق الافى الملم النازل والحدث العام فانك اذا فعلت ذلك به دعوته الى نصحك واستوليت على محض ضميره فى طاعتك وأجهد نفسه فى ترتيبك واغاثتك وكان ثقتك وزينك وقوتك ودعامتك وتفرغت لمكايدة عدوك مريحا نفسك من هم ذلك والعناية به ملقى عنك مؤنة باهظة وسافة فادحة ان شاء الله

ثم اعلم ان القضاء من الله بمكان ليس به شئ من الاحكام ولا يمثله أحد من الولاة لما يجرى على يديه من مغالظ الاحكام ومجارى الحدود فليكن من توليه القضاء بين أهل العسكر من ذوى الخير فى القناعة والعفاف والنزاهة والفهم والوقار والعصمة والورع والبصر بوجود القضايا ومواقعها قد حنكته السن وأيدته التجربة وأحكمته الامور ممن لا يتصنع للولاية و يستعد للنهزة و يجترئ على المحاباة فى الحكم والمداهنة فى القضاء عدل الامانة عفيف الطعمة حسن الانصات فهم القلب ورع الضمير متخشع السمت هادى الوقار محتسبا للخير ثم أجر عليه ما يكفيه و يسعه و يصلحه وفرغه لما حملته وأعنه على ما وليته فانك قد عرضته لهلكة الدنيا وثواب الآخرة وشرف العاجلة وحظوة الآجلة ان حسنت نيته وصدقت رويته وصحت سريرته وسلط حكم الله على رعيته منفذا قضاءه فى خلقه عاملا بسنته فى شرائعه آخذا بحدوده وفرائضه

واعلم انه من جندك ومعسكرك بحيث ولايتك وفى الموضع الجارية أحكامه عليهم النافذة أقضيته بينهم فاعرف من توليه ذلك وتسنده اليه ان شاء الله

ثم تقدم فى طلائعك فانها أول مكيدتك ورأس حربك ودعامة أمرك فانتخب لها من كل قادة وصحابة رجالا ذوى نجدة و بأس وصرامة وخبرة وحماة كفاة قد صلوا بالحرب وتداوقوا سجالها وشربوا من مرارة كؤسها وتجرعوا غصص درتها وزبنتهم (١) بتكرارها

---

(١) الزبن الدفع

وحملهم على أصعب مراكبها ثم اتبعهم على عينك واعرض كراعهم [1] بنفسك وتوخ في انتقائهم ظهور الجلد وسجاحة الخلق وجمال الآلة وإياك أن تقبل من دوابهم الاناث الخيول مهلوبة [2] فانها أسرع طلبا وأنجى مهربا وأبعد في اللحوق غاية واصبر في معترك الابطال اقداما وبجذهم من السلاح بابدان الدروع ماذية الحديد دشاكة السنخ متقاربة الحلق متلاحمة المسامير وأسوق الحديد مموهة الركب محكمة الطبع خفيفة الصوغ وسواعد طبعها هندي وصوغها فارسي رقاق المعطف بأكف وافية وعمل محكم ويلق البيض مذهبة ومجردة فارسية الصوغ خالصة الجوهر سابغة الملبس وافية اللبن مستديرة الطبع مبهمة السرد وافية الوزن كتريك [3] النعام في الصنعة معلمة بأصناف الحرير وألوان الصبغ فانها أهيب لعدوهم وأفت لاعضاد [4] من لقيهم والمعلم يخشى محذور له بديهة وادعة معهم السيوف الهندية وذكور البيض اليمانية رقاق الشفرات مسنونة الشحذ غير كايلة المشحذ مشطبة الضرائب معتدلة الجواهر صافية الصفائح لم يدخلها وهن الطبع ولا عابها أمت الصوغ ولا شانها خفة الوزن ولا فدح حاملها بهور الثقل قد أشرعوا لدن القنا طوال الهوادي [5] زرق الاسنة مستوية الثعالب وميضها متوقد وشحذها متلهب معاقص [6] عقدها منحوتة ووصم أودها مقوم . أجناسها مختلفة . وكعوبها جعدة . وعقدها حنكة . شطبة الاسنان . محكمة الجلاء مموهة الاطراف . مستحدة الجنبات دقاق الاطراف ليس فيها التواء أود . ولا أمت وصم . ولا لها سقط عيب . ولا عنها وقوع أمنية مستحقب كنائن النبل وقسي الشوحط والنبع [7] اعرابية التعقيب رومية النصول فانها أبلغ في الغاية وأنفذ في الدروع وأشك في الحديد ساطين حقائبهم على متون خيولهم مستخفين من الآلة والامتعة الا ما لا غناء بهم عنه

واحذر ان تكل مباشرة عرضهم الى أحد من أعوانك أو كتابك فانك ان وكلته اليهم أضعت موضع الحزم وفرطت حيث الرأي ووقفت دون الحزم ودخل عملك ضياع الوهن

---

(١) الكراع اسم يجمع الخيل (٢) المقطوعة الذنب (٣) التريكة البيضة بعد ان يخرج منها الفرخ أو يخص بالنعام والجمع ترائك وتريك (٤) فت في ساعده أضعفه (٥) الهادي العنق والجمع هوادي (٦) المعقص كمنبر السهم المعوج وما ينكسر نصله فيبقى سنخه في السهم فيخرج ويضرب حتى يطول (٧) الشوحط شجر تتخذ منه القسي او ضرب من النبع أو هما والنبع مثله

وخلص اليك عيب المحاباة . وناله فساد المداهنة وغلب عليه من لا يصلح أن يكون طليعة للمسلمين . ولا عدة ولا حصنا يدرؤن به ويكتنفون بموضعه

واعلم ان الطلائع عيون وحصون للمسلمين فهم أول مكيدتك وعروة أمرك وزمام حربك فليكن اعتناؤك بهم بحيث هم من مهم عملك ومكيدة حربك ثم انتخب لهم رجلا للولاية عليهم بعيد الصوت مشهور الفضل نبيه الذكر له في العدو وقعات معروفات وأيام طوال وصولات متقدمات قد عرفت نكايته وحذرت شوكته وهيب صوته وتنكب لقاؤه أمين السريرة ناصح الغيب قد بلوت منه ما يسكنك الى ناحيته من لين طباعه وخالص المودة ونكاية الصرامة وغلوب الشهامة واستجماع القوة وحصافة التدبير ثم تقدم اليه في حسن سياستهم واستنزال طاعتهم واجتلاب موداتهم واستعداد (؟) ضمائرهم وأجر عليهم أرزاقا تسعهم وتمد من اطماعهم سوى أرزاقهم في العامة وفي ذلك من القوة لك عليهم والاستنامة الى ماقبلهم

واعلم انهم في أهم الاماكن لك وأعظمها اغناء عنك وعمن معك وأقمعها كنا (؟) وأشجى لعدوك ومتى يكون في البأس والثقة والجلد والطاعة والقوة والنصيحة حيث وصفت لك وأمرتك به تضع عنك مؤنة الهم وترخي عن خناقك دروع الخوف وتلتجئ الى أمر متين وظهر قوي وأمر حازم تأمن به فجآت عدوك ويصير اليك علم أحوالهم ومتقدمات خيولهم فانتخبهم رأى عين وقوهم بما يصلحهم من المنالات والاطماع والارزاق واجعلهم منك بالمنزل الذي هم به من محارز علامتك (؟) وحصانة كهوفك وقوة سيارة عسكرك واياك أن تدخل فيهم أحدا بشفاعة أو تحتمله على هوادة [1] أو تقدمه منهم لاثرة وأن يكون مع أحد منهم بغل نقل أو فضل من الظهر أو ثقل فادح فيشتد عليهم مؤنة أنفسهم ويدخلهم كلال السآمة فيما يعالجون من أثقالهم ويشتغلون به عن عدوهم ان دهمهم منه رائع أو فاجأهم لهم طليعة . فتفقد ذلك محكماله وتقدم فيه آخذا بالحزم في امضائه أرشدك الله لاصابة الحظ ووفقك ليمن التدبير

ول دراجة عسكرك واخراج أهله الى مصافهم ومراكزهم رجلا من أهل بيوتات الشرف محمود الخبرة معروف النجدة ذا سن وتجربة لين الطاعة قديم النصيحة مأمون السريرة له بصيرة في الحق تقدمه ونية صادقة عن الادهان [2] تحجزه واضمم اليه عدة

(١) الهوادة اللين وما يرجى به الصلاح والرخصه (٢) المداهنة والغش

من

من ثقات جنـدك وذوى أسنانهم يكونون شرطة معه ثم تقدم اليه فى اخراج المصاف واقامة الاحراس واذكاء العيون وحفظ الاطراف وشدة الحذر ومره فليضع القواد بانفسهم مع أصحابهم فى مصافهم كل قائد بازاء موضعه وحيث منزله قد شـد ما بينه و بين صاحبه بالرماح شارعة والتراس موضونة (١) والرجال راصدة ذاكية الاحراس وجلة الروع خائفة طوارق العدوو بياته ثم مره . أن يخرج كل ليـلة قائدا من أصحابه أو عدة منهم ان كانوا كثيرا على غلوة أو غلوتين من عسكرك محيطا بمنزلك ذاكية احراسه قلقة التردد مفرطة الحذر معـدة للروع متأهبة للقتال آخذة على أطراف العسكر ونواحيه متفرقين فى اخـلافهم كردوسا كردوسا (٢) يسـتقبل بعضهم بعضا فى الاختلاف و يكسع (٣) متقدما فى التردد فاجعـل ذلك بين قوادك وأهل عسكرك نوبا معروفة وحصصا مفروضـة لا يعدمنـه من دلفا بعودة ولا يتحامل على أحد فيه بموجدة ان شاء الله .

فوض الى أمراء جنـدك وقوادهم أمور أصحابهم والاخذ على أيديهم رياضة منك لهم على السمع والطاعة لامرائهم والاتباع لامرهم والوقوف عند نهيهم وتقدم الى أمراء الاجناد فى النوائب التى ألزمتهم اياها والاعمال التى استنجدتهم لها والاسلحة والكراع التى كتبتها عليهم واحـذر اعتلال أحـد من قوادك عليك بما يحول بينك و بين جنـدك وتقويمهم لطاعتك وقمعهم عن الاخلال بمرا كزهم لشئ مما وكلوا به من أعمـالهم فان ذلك مفسـدة للجند معى للقواد عن الجد والمناصحة والتقدم فى الاحكام .

واعـلم ان استـخفافهم بقوادهم وتضييعهم أمرهم دخول الضـياع على أعمـالك واستخفاف بامرك الذى يأتمرون به ورأيك الذى ترتئى واوعز الى القواد ان لا يتقدم أحد منهم على عقوبة أحد من أصحابه الا عقوبة تأديب وتقويم ميـل وتثقيف أود فاما عقوبة تبلغ تلف المهجة واقامة الحد فى قطع أو افراط فى ضرب أو أخذ مال أو عقوبة فى سفر فلا يلين ذلك من جندك أحـد غيرك أو صاحب شرطتك بامرك وعن رأيك واذنك ومتى لم تذلل الجنـد لقوادهم وتضرعهم (٤) لامرائهـم يوجب عليك لهم الحجة بتضييع (؟) وان كان منهم لامرك خلل ان تهاونوا به من عملك أو عجز ان فرط منهم فى شئ وكلتهم اليه أو أسندته

(١) وضن الشئ يضنه فهو موضون ووضين ثنى بعضه على بعض وضاعفـه ونضده

(٢) كردس الخيـل جعلها كتيبة كتيبة والكردوسة بالضم قطعة عظيمة من الخيـل والجمع كراديس (٣) كسعه كمنعه ضرب دبره بيده أو بصدر قدمه (٤) تذللهم

اليهم ولم تجد الى الاقدام عليهم باللوم وعض العقوبة مجازا تصل به الى تعنيفهم بتفريطك في تذليل أصحابهم لهم وافسادك اياهم عليهم فانظر في ذلك نظرا محكما وتقدم فيه تقدما بليغا . واياك أن يدخل حزمك وهن أوعزمك امارا (؟) من رأيك ضياع . والله استودع دينا في نفسك .

اذا كنت من عدوك على مسافة دانية وسنن القاء مختصر وكان من عسكرك مقتربا قد شامت طلائعك مقدمات ضلالته وحماة فتنته فتأهب أهبة المناجزة وأعد اعداد الحذر وكتب خيولك وعب جنودك واياك والمسير الا مقدمة وميمنة وميسرة وساقة قد شهروا بالاسلحة ونشروا البنود والاعلام وعرف جندك مراكزهم سائرين تحت ألويتهم قد أخذوا أهبة القتال واستعدوا للقاء ملحين الى مواقفهم عارفين بمواضعهم من مسيرهم ومعسكرهم . وليكن ترجلهم وتنزلهم على راياتهم وأعلامهم ومراكزهم . وعرف كل قائد وأصحابه موقعهم من الميمنة والميسرة والقلب والساقة والطليعة لازمين لها غير مخلين بما استنجدتهم له ولا متهاونين بما أهبت بهم اليه حتى تكون عساكرهم في كل منهل تصل اليه ومسافة تختارها كانه عسكر واحد في اجتماعها على العدة وأخذها بالحزم ومسيرها على راياتها ونزولها على مراكزها ومعرفتها بمواضعها ان أضلت دابة موضعها عرف أهل العسكر من أى المراكز هي ومن صاحبها وفي أى المحل حلوله منها فردت اليه هداية ومعرفة ونسبة قيادة صاحبها . فان تقدمك في ذلك واحكامك له اطراح عن جندك مؤنة الطلب وعناية المعرفة وابتغاء الضالة . ثم اجعل على ساقتك أوثق أهل عسكرك في نفسك صرامة ونفاذا ورضا في العامة وانصافا من نفسه للرعية وأخذا بالحق في المعدلة مستشعرا تقوى الله وطاعته آخذا بهديك وأدبك واقفا عند أمرك ونهيك معتزما على مناصحتك وتزيينك نظيرا لك في الحال وشبيها بك في الشرف وعديلا في المواضع ومقاربا في الصيت ثم اكشف معه الجمع وأيده بالقوة وقوه بالظهر وأعنه بالاموال واغمره بالسلاح ومره بالعطف على ذوى الضعف من جندك ومن رخفت به [1] دابته وأصابته نكبة من مرض أو رجلة أو آفة من غير ان تأذن لاحد منهم في التنحى عن عسكره أو التخلف بعد ترجله الا المجهود أو المطروق بآفة ثم تقدم اليه محذرا ومره زاجرا وانهه مغلظا بالشدة على من مر به منصرفا عن معسكرك من جندك بغير جوارك شادا لهم أسرا وموقرهم حديدا ومعاقبهم

(١) استرخت

موجعا

موجعاأوموجههم اليك فتنهكهم عقوبة وتجعلهم لغيرهم من جندك عظة .

واعلم انه ان لم يكن بذلك الموضع من تسكن اليه واثقا بنصيحته عارفا ببصيرته قد بلوت منه أمانة تسكنك اليه وصرامة تؤمنك مهانته ونفاذا فى أمرك يرخى عنك خناق الخوف فى اضاعته لم آمن تسلل الجند عنك لواذا (١) ورفضهم مراكزهم واخلالهم بمواضعهم وتخلفهم عن أعمالهم آمنين تغيير ذلك عليهم والشدة على من اخترمه منهم ما ... ذلك فى وهنك واخذ من قوتك وقلل من كثرتك .

اجعل خلف ساقتك رجلا من وجوه قوادك جليدا ماضيا عفيفا صارما شهم الرأى شديد الحذر شكيم القوة غير مداهن فى عقوبة ولا مهين فى قوة فى خمسين فارسا من خيلك تحشر اليك جندك و يلحق بك من يتخلف عنك بعد الابلاغ فى عقوبتهم والنهك لهم والتنكيل بهم وليكن لعقوتك فى المنزل الذى ترتحل عنه والمنهل الذى تتقوض منه مفرطا فى النقض والتتبع لمن تخلف عنك مشبدا فى أهل المنهل وساكنه بالتقدم موعزا اليهم فى ازعاج الجند عن منازلهم واخراجهم من مكانهم وابعاد العقوبه الموجعة والنكال المنيل فى الاشعار واصفاء الاموال وهدم العقار لمن آوى منهم أحدا أوستر موضعه وأخفى محله وحذره عقوبتك اياه فى الترخيص لاحد والمحاباة لذى قرابة والاختصاص بذلك لذى أثرة أوهوادة .

وليكن فرسانه منتخبين فى القوة معروفين بالنجدة عليهم سوابغ الدروع دونها شعار الحشو وحب الاستحثاث (٢) متقلدين سيوفهم سامطين كنائنهم مستعدين لهيج ان بدههم أوكمين أن يظهر لهم واياك ان تقبل فى دوابهم الافرساقويا أو برذ وناوثيجا فان ذلك من أقوى القوة لهم وأعون الظهير على عدوهم ان شاء الله .

ليكن رحيلك ابانا واحدا ووقتا معلوما لتخف المؤنة بذلك على جندك ويعلموا أوان رحيلهم فيقدموا فيما يريدون من معالجة أطعمتهم واعلاف دوابهم وتسكن أفئدتهم الى الوقت الذى وقفوا عليه و يطمئن ذو و (الحاجات) ابان الرحيل ومتى يكون رحيلك مختلفا تعظم المؤنة عليك وعلى جندك و يخلوا بمراكزهم ولا يزال ذووالسفه والنزق يترحلون بالارجاف وينزلون بالتوهم حتى لاينتفع ذورأى بنوم ولا طمأنينة .

اياك أن تنادى برحيل من منزل تكون فيه حتى يأمر صاحب تعبيتك بالوقوف على معسكرك أخذا بفوهة جنبتيه باسلحتهم عدة لامر ان حضر ومغاجأة من طليعة للعدو ان

---

(١) اللوذ بالشئ الاستتار والاحتضان به كاللواذ مثلثة واللياذ والملاوذة

أرادنهزة أولمحت عندكم غرة . ثم مر الناس بالرحيل وخيلك واقفة وأهبتك معدة وجنتك واقية حتى اذا استقللتم من معسكركم وتوجهتم من منزلكم سرتم على تعبيتكم بسكون ريح وهدو وجملة وحسن دعة .

فاذا انتهيتم الى منهل أردت نزوله أو هممت بالمعسكر به فاياك ونزوله الا بعد العلم بان تعرف لك أحواله أو يسبر علم دفينه ويستبطن علم أموره ثم ينهيها اليك وما صارت اليه لتعلم كيف احتمال عسكرك وكيف مأواه وأعلامه وكيف موضع عسكرك منه وهل لك اذا أردت مقامابه أومطاولة عدوك ومكايدته فيه قوة تحملك ومدد يأتيه فانك ان لم تفعل ذلك لم تأمن ان يهجم على منزل يزعجك منه ضيق مكانه وقلة مياهه وانقطاع مواده ان أردت بعدوك مكيدة واحتجت من أمرهم الى مطاولة فان ارتحلت منه كنت غرضا لعدوك ولم تجد الى المحاربة والاخطار سبيلا . وان أقمت به أقمت على مشقة حصر وفى أزل [1] وضيق فاعرف ذلك وتقدم فيه

فاذا أردت نزولا أمرت صاحب الخيل التى رحلت الناس فوقفت متنحية من معسكرك عدة لامر ان راعك ومفزعا للبديهة ان راعتك قد أمنت باذن الله وحوله فجأة عدوك وعرفت موقعها من حربك حتى يأخذ الناس منازلهم وتوضع الاثقال مواضعها ويأتيك خبر طلائعك وتخرج دباباتك [2] من عسكرك دبابا محيطين بعسكرك وعدة لك ان احتجت اليهم . وليكن دباب جندك بعسكرك أهل جلد وقوة قائدا أو اثنين أو ثلاثة باصحابهم فى كل ليلة ويوم نوبا بينهم فاذا غربت الشمس ووجب [3] نورها أخرج اليهم صاحب تعبيتك أبدالهم عسسا بالليل فى أقرب من مواضع دباب النهار يتعاورذلك قوادك جميعا بلا محاباة لاحد منهم فيه ولا ادهان ان شاء الله

اياك ان يكون منزلك الا فى خندق أوحصن تأمن به بيات عدوك وتستنيم فيه الى الحزم من مكيدته . اذا وضعت الانقال وخططت أبنية أهل العسكر لم يمد خباء ولم ينتصب بناء حتى يقطع لكل قائد ذرع معلوم من الارض بقدر أصحابه فيحتفروه عليهم (و يبنون) بعد ذلك خنادق الحسك طارحين لها دون أشجار الرماح ونصب الترسة لها بابان قد وكلت بعد بحفظ كل باب منهما رجلا من قوادك فى مائة رجل من أصحابه فاذا فرغ من الخندق

(١) الازل الضيق والشدة (٢) الدبابة مشددة آلة تتخذ للحروب فتدفع فى أصل الحصن فينقبون وهم فى جوفها (٣) وجبت الشمس غابت

كان

كان ذلك القائد ان أهلا لذلك المركز (وموضع) تلك الخيل وكانوا هم البوابين والاحراس لذينك الموضعين ندالى (؟) الرفاهة والسعة وتقدم العسكر أو التأخر عنه فان ذلك مما يضعف الوالى و يوهنه لاستنامته الى من ولاه ذلك وأمنه به على جيشه

واعلم انك اذا أمنت باذن الله طوارق عدوك و بغتاتهم فاذا راموا ذلك منك كنت قد أحكمت ذلك وأخذت بالجد فيه وتقدمت فى الاعداد له ورتقت مخوف الفتق منه ان شاء الله

اذا ابتليت ببيات عدوك أو طرقك رائعا فى ... حذرا معدا مشمرا عن ساقك مسر با لحر بك قد قدمت دراجتك الى مواضعها على ما وصفت لك .. التى قدرت لك وطلائعك حيث أمرتك وجندك حيث عبأت قد خطرت عليهم بنفسك وتقدم الى جندك ان (طرق) طارق أو فاجأهم عدو ألا يتكلم أحد منهم رافعا صوته بالتكبير مستغفرا (؟) فى اجلاب معلنا للارهاب الا أهل الناحية (التى) يقع بها العدو طارقا وليشرعوا رماحهم مادين لها فى وجوههم و يرشقهم بالنبل ملبدين ترستهم لازمين لمراكزهم .. قدم عن موضعها ولا منحازين الى غير مركزهم وليكبر واثلاث تكبيرات متواليات وسائر الجند هادون .. عدوك من معسكرهم فتمد أهل تلك الناحية بالرجال من أعوانك وشرطك ومن انتخبت قبل ذلك عدة للشدائد وتدس لهم النشاب والرماح واياك أن يشهر واسيفا يتجالدون به وتقدم اليهم فلا يكون قتالهم بالليل فى تلك المواضع من طرقهم الا بالرماح مسندين لها الى صدورهم والنشاب راشقين به وجوههم قد ألبدوا بالترسة واستجنوا بالبيض وألقوا عليهم سوابغ الدروع وحباب الحشو فان صد العدو عنهم حاملين على ناحية أخرى كبر أهل تلك الناحية الاولى و بقية العسكر سكوت والناحية التى صدر عنها العدو لازمة لمراكزها فعلت فى تقويتهم وامدادهم بمثل صنيعك باخوانهم واياك وان تخمد نار رواقك واذا وقع العدو فى معسكرك فأججها ساعرا لها وأوقدها حطبا جزلا يعرف بها أهل العسكر مكانك وموضع رواقك ويسكن نافر قلوبهم ويقوى واهن قوتهم و يشتد منخذل ظهورهم ولا يرجفون فيك بالظنون و يجيلون لك آراء السوء وذلك من فعلك ردعدوك بغيظه ولم يستقل منك بظفر ولم يبلغ من نكايتك سرورا ان شاء الله

فان انصرف عنك عدوك ونكل عن الاصابة من جندك وكان بخيلك قوة على طلبه أوكانت لك خيل معدة وكتيبة منتخبة قدرت ان تركب بهم أكتافهم وتحملهم على سننهم فأتبعهم جريدة خيل عليها الثقات من فرسانك وأولو النجدة من حماتك فانك ترهق عدوك

وقد أمن بياتك وشغل بكلاله عن التحرز منك والاخذ بابواب معسكره والضبط لحارسه موهنة جماتهم لغبة (١) ابطالهم لما ألفوكم عليه من التشمير والجد قد عقر الله فيهم وأصاب منهم وجرح من مقاتلتهم وكسر من أماني ضلالتهم وردمن مستعلي جماحهم . وتقدم الى من توجه في طلبهم وتتبعه (ان يكونوا) وهم في سكون الريح وقلة الرفث وكثرة التسبيح والتهليل واستنصار الله عزوجل بقلوبهم وألسنتهم سرا وجهرا بلا لجب ضجة ولا ارتفاع ضوضاء دون أن يردوا على مطالبهم وينتهز وافرصهم ثم يشهروا السلاح وينضوا السيوف فان لها هيبة رائعة وبديهة مخوفة لا يقوم لها في بهمة الليل الا البطل المحارب وذو البصيرة المحامي المستميت المقاتل وقليل ماهم عند تلك المواضع ان شاء الله

ليكن أول ماتقدم به في التهيؤ لعدوك والاستعداد للقائه انتخابك من فرسان عسكرك وحماة جندك ذوي البأس والحنكة والجد والصرامة ممن قد (اعتا)د طراد الكماة وكشر عن نجذه في الحرب وقام على ساق في منازلة الاقران ثقف الفراسة مستجمع القوة مستحصد المرة صبورا على أهوال الليل عارفا بمناهز الفرص لم تمهنه الحنكة ضعفا ولا أبلغت به السن ملالا ولا أسكرته غرة الحداثة جهلا ولا أبطرته نجدة الاعمار صلفا جريئا على مخاطرة التلف متقدما على ادراع الموت مكابرا لمرهوب الهول متقحما مخشي الحتوف خائضا غمرات المهالك برأي يؤيده الحزم ونية لايخالجها الشك واهواء مجتمعة وقلوب موقنة عارفين بفضل الطاعة وعزها وشرفها وحيث محل أهلها من التأييد والظفر والتمكين ثم اعرضهم رأي عين على كراعهم وأسلحتهم ولتكن دوابهم اناث عتاق الخيول وأسلحتهم سوابغ الدروع وكمال آلة المحارب متقلدين سيوفهم المستخلصة من جيد الجواهر وصافي الحديد والمتخيرة من معادن الاجناس هندية الحديد أو بدنية يمانية الطبع رقاق المضارب مستوية الشحذ مشطبة الضريبة ملبدين بالترسة الفارسية صينية التعقيب معلمة المقابض بحلق الحديد انحاؤها مربعة ومحارزها بالتجليد مضاعفة ومحملها مستخف وكنائن النبل وجعاب القسي قد استحقبوها وقسي الشريان او النبع اعرابية الصنعة مختلفة الاجناس محكمة العمل ونصول النبل مسمومة وتركيبها عراقي وتريشها بدوي مختلفة الصوغ في الطبع شتى الاعمال في التشطيب والاستزادة ولتكن الفارسية مقلوبة المقابض منبسطة

(١) لغب أعيا أشد الاعياء

السـنة سهلة الانعطاف مقربة الانحناء ممكنة المرمى واسعة الاسـهم فرضها سهلة الورود معاطفها غير معنون (؟) المواتاة

ثم ول على كل مائة رجل منهم رجلا من أهل خاصتك وثقاتك ونصائحك وتقدم اليهم فى ضبطهم وكف .. واستنزل نصائحهم واستعداد طاعتهم واستخلاص ضمائرهم وتعهد كراعهم وأسلحتهم معفيا لهم من النوائب التى تلزم أهل العسكر وعامة جندك ثم اجعلهم عدة لامر ان فاجأك أو طارق بيتك . ومرهم أن يكونوا على أهبة معدة وحذرهم فانك لا تدرى أى الساعات من ليلك ونهارك تـكون اليهم حاجتـك فليكونوا كرجل واحد فى التشهير والترادف وسرعة الاجابة فانك عسيت أن لا تجد عند جماعة جندك مثل تلك الروعة والمباغتة ان احتجت الى ذلك منهم معونة كافية ولا أهبة معـدة لى ذلك كذلك فاذكرها ولى الذن نبحث (؟) عـدتك وقوتك تقويا قد قطعتها على القواد الذين وليتهم أمورهم فسميت أولا وثانيا وثالثا ورابعا وخامسا الى عشرة فان اكتفيت فيما يبدهك ويطرقك ابعث واحدا كان معـدا لم تحتج فيـه الى امتحانهم فى ساعتهم تلك وقطع البعث عليهم عنـد ما يرهقك وان احتجت الى اثنين وثلاث وجهت منهم ارادتك ان شاء الله

وكل بخزائنك ودواوينك رجلا أمينا صالحا ذا ورع حاجزود ين فاضل واجعل معه خيلا يكون مسيرها ومنزلها وترحالها مع خزائنك وتقدم اليه فى حفظها والتوفر عليها واتهام من يستولى على شىء منها على اضاعتـه والتهاون به والشدة على من دنا منها فى مسـير أو ضامها فى منزل . وليـكن عامة الجند والجيش الامن استصلحت للسير معها متنحين عنها مجانبين لها فانه ربما كانت الجولة وحـدثت الفزعة فان لم يكن للخزائن ممن يوكل بها أهل حفظ لها وذب عنها أسرع الجنـد اليها وتداعوا نحوها حتى يكاد يترامى ذلك بهـم الى انهاب العسكر واضطراب الفتنة فان أهـل الفتن وسوء السـيرة كثير وانما همتهم الشر فاياك وان يكون لاحـد فى خزائنك ودواوينك وبيوت أموالك مطمع أو يجدوا الى اغتيالها ومرتها (؟) ان شاء الله .

اعلم ان أحسن مكيدتك أثرا فى العامة وأبعـدها صوتا فى حسن القالة ما نلت الظفر فيه بحسن الروية وحزم التـدبير ولطف الحيلة فلتكن رويتك فى ذلك وحرصك على اصابتـه لا بالقتال واخطار التلف . وادسس الى عدوك وكاتب رؤسهم وقادتهم وعدهم المنالات ومنهم الولايات وسوغهـم التراب وضع عنهم الاحن واقطع عنهم أعناقهـم بالمطامع واملا

قلوبهم بالترهيب وان أمكنتك منهم الدوائر وأصار بهم اليك الراجع وادعهم الى الوثوب بصاحبهم أو اعتزاله ان لم يكن لهم بالوثوب عليه طاقة ولا عليك أن تطرح الى بعضهم كتبا كأنها جوابات كتب لهم اليك وتكتب على ألسنتهم كتبا اليك تدفعها اليهم ويحمل بها صاحبهم عليهم وتنزلهم عنده منزلة التهمة فلعل مكيدتك فى ذلك أن يكون فيها افتراق كلمتهم وتشتيت جماعتهم واحش قلوبهم سوء الظن من واليهم فيوحشهم منه خوفهم اياه على أنفسهم اذا أيقنوا بانها منايا هم فان بسط يده بقتلهم وأولغ فى دمائهم سيفه وأسرع فى الوثوب بهم أشعرهم جميعا الخوف وشملهم الرعب ودعاهم اليك الهرب وتهافتوا نحوك بالنصيحة وان كان متأنيا محتملا رجوت أن تستميل اليك بعضهم وتستدعى بالطمع ذوى الشر منهم وتنال بذلك ما تحب من أخبارهم ان شاء الله •

اذا اندانى الصفان وتواقف الجمعان واحتضرت الحرب فعبأت أصحابك لقتال عدوهم فأكثر من لا حول ولا قوة الا بالله والتوكل على الله والتفويض اليه ومسألته توفيقك وارشادك وان يعزم لك على الرشد والعصمة الكالئة والحيطة الشاملة •

ومر جندك بالصمت وقلة التلفت الى المشاركه وكثرة التكبير فى أنفسهم والتسبيح بضمائرهم وألا يظهروا تكبيرا الا فى الكرات والحملات وعند كل زلفة يزدلفونها فاما وهم وقوف فان ذلك من الفشل والجبن • وليكثروا من لا حول ولا قوة الا بالله حسبنا الله ونعم الوكيل • اللهم انصرنا على عدوك وعدونا الباغى واكفنا شوكته المستحدة وأيدنا بملائكتك الغالبين واعصمنا بعونك من الفشل والعجز انك أرحم الراحمين •

وليكن فى عسكرك مكبرون بالليل والنهار قبل المواقعة يطوفون عليهم يحضونهم على القتال ويحرضونهم على عدوهم ويصفون لهم منازل الشهداء وثوابهم ويذكرونهم الجنة ورخاء أهلها وسكانها ويقولون اذكروا الله يذكركم واستنصروه ينصركم • وان استطعت أن تكون أنت المباشر لتعبية جندك ووضعهم من راياتك ومعك رجال من ثقات فرسانك ذوو سن وتجربة ونجدة على التعبية وأمير المؤمنين واصفها لك فى آخر كتابه هذا ان شاء الله أيدك الله بالنصر وغلب لك على القوة وأعانك على الرشد وعصمك من الزيغ وأوجب لمن استشهد معك ثواب الشهداء ومنازل الاصفياء والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

﴿ ومن الرسائل المفردات فى الشطرنج رسالة عبد الحميد ﴾

أما بعد فان الله شرع دينه بانهاج سبله وايضاح معالمه باظهار فرائضه وبعث رسله الى

خلقه

خلقه دلالة لهم على ربوبيته واحتجاجا عليهم برسالاته ومقدما اليهم بانذاره ووعيده ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة ثم ختم بنبيه صلى الله عليه وحيه وقفى به رسله وابتعثه لاحياء دينه الدارس من تضياله على حين انطمست له الاعلام مختفية وتشتت السبل متفرقة وعفت آثار الدين دارسة وسطع رهج الفتن واعتلى قتام الظلم واستنهد (١) الشرك واسدف (٢) الكفر وظهر أولياء الشيطان لطموس الاعلام ونطق زعيم الباطل بسكتة الحق واستطرق الجور واستنكح (٣) الصدوف عن الحق واقطر (٤) سلهب (٥) الفتنة واستضرم لقاحها وطبقت الارض ظلمة كفر وغيابة فساد فصدع بالحق مأمورا وبلغ الرسالة معصوما ونصح الاسلام وأهله دالا لهم على المراشد وقائدا لهم الى الهداية ومنيرا لهم اعلام الحق ضاحية من شدا لهم الى استفتاح باب الرحمة واعلان عروة النجاة موضحا لهم سبل الغواية زاجرا لهم عن طريق الضلالة محذرا لهم الهلكة موعزا اليهم فى التقدمة ضاربا لهم الحدود على ما يتقون من الامور ويخشون وما اليه يسارعون ويطلبون صابرا نفسه على الاذى والتكذيب داعيا لهم بالترغيب والترهيب حريصا عليهم متحننا على كافتهم عزيزا عليه عنتهم رؤفا بهم رحيما تقدمه شفقته عليهم وعنايته برشدهم الى تجريد الطلب الى ربه فيما فيه بقاء النعمة عليهم وسلامة أديانهم وتخفيف أواصر الاوزار عنهم حتى قبضه الله اليه صلى الله عليه ناصحا متنصحا أمينا مأمونا قد بلغ الرسالة وأدى النصيحة وقام بالحق وعدل عمود الدين حتى اعتدل ميله وأذل الشرك وأهله وأنجز الله له وعده وأراه صدق أسبابه فى ا كمله للمسلمين دينه واستقامة سنته فيهم وظهور شرائعه عليهم قد أبان لهم موبقات الاعمال ومفظعات الذنوب ومهبطات الاوزار وظلم الشبهات وما يدعو اليه نقصان الاديان وتستهويهم به الغوايات وأوضح لهم اعلام الحق ومنازل المراشد وطرق الهدى وأبواب النجاة ومعالق العصمة غير مدخر لهم نصحا ولا مبتغ فى ارشادهم غنما

فكان مما قدم اليهم فيه نهيه وأعلمهم سوء عاقبته وحذرهم أصره وأوعز اليهم ناهيا وواعظا وزاجرا الاعتكاف على هذه التماثيل من الشطرنج والمواصلة عليها لما فى ذلك من عظيم الاثم وموبق الوزر مع مشغلتها عن طلب المعاش واضرارها بالعقول ومنعها من

---

(١) نهد الرجل نهض ولعدوه صمد له والمناهدة المناهضة فى الحرب (٢) اسدف اظلم
(٣) يقال نكح النعاس عينه غلبها (٤) اقطر اشتد (٥) السلهب الطويل من الرجال ومن الخيل ما عظم وكاد

حضور الصلوات فى مواقيتها مع جميع المسلمين . وقد بلغ أمير المؤمنين ان ناسا من قبلك من أهل الاسلام قد ألهجهم الشيطان بها وجمعهم عليها وألف بينهم فيها فهم معتكفون عليها من لدن صبحهم الى مساهم ملهية لهم عن الصلوات شاغلة لهم عما أمروا به من القيام بسنن دينهم وافترض عليهم من شرائع أعمالهم مع مداعبتهم فيها وسوء لفظهم عليها وان ذلك من فعلهم ظاهر فى الاندية والمجالس غير منكر ولا معيب ولا مستفظع عند أهل الفقه وذوى الورع والاديان والاسنان منهم فاكبر أمير المؤمنين ذلك وأعظمه وكرهه واستكبره وعلم ان الشيطان عند ما يئس منه من بلوغ ارادته فى معاصى الله عز وجل بمصر المسلمين وجمعهم صراحا وجهارا أقدم بهم على شبهة مهلكة وزين لهم ورطة موبقة وغرهم بمكيدة حيلة ارادة لاستهوائهم بالخدع واجتيالهم (١) بالشبه والمراصد الخفية المشكلة وكل مقيم على معصية الله صغرت أو كبرت مستحلا لها مشيدا بها مظهر الارتكابه اياها غير حذر من عقاب الله عز وجل عليها ولا خائف مكر وهافيها ولا رعب من حلول سطوته عليها حتى تلحقه المنية فتختلجه وهو مصر عليها غير تائب الى الله منها ولا مستغفر من ارتكابه اياها فكم قد أقام على موبقات الآثام وكبائر الذنوب حتى مد به مخرم أيامه .

وقد أحب أمير المؤمنين أن يتقدم اليهم فيما بلغه عنهم وان ينذرهم ويوعز اليهم ويعلمهم ما فى أعناقهم عليها وما لهم فى قبول ذلك من الحظ وعليهم فى تركه من الوزر فآذن (٢) بذلك فيهم وأشده فى أسواقهم وجميع أنديتهم وأوعز اليهم فيه وتقدم الى عامل شرطتك فى انهاك العقوبة لمن رفع اليه من أهل الاعتكاف عليها والاظهار للعب بها واطالة حبسه فى ضيق وضنك وطرح اسمه من ديوان أمير المؤمنين وافطمهم عما نهجوا به من ذلك والتمس بشدتك عليهم فيه وانهاكك بالعقوبة عليه ثواب الله وجزاءه واتباع أمير المؤمنين ورأيه ولا يجدن أحد عندك هوادة فى التقصير فى حق الله عز وجل والتعدى لاحكامه فتحل بنفسك ما يسوءك عاقبته مغبته وتتعرض به لغير الله عز وجل ونكاله واكتب الى أمير المؤمنين ما يكون منك ان شاء الله والسلام .

وله تحميد فى أبى العلاء الحرورى :

الحمد لله الناصر لدينه وأوليائه وخلفائه المظهر للحق وأهله والمذل لاعدائه وأهل البدعة والضلالة الذى لم يجمع بين حق وباطل وأهل طاعة ومعصية الا جعل النصرة والفلج والعاقبة

---

(١) اجتالهم حولهم عن طريق قصدهم (٢) آذنه الامر وبه أعلمه

لاهل

لاهل حقه وطاعته وجعل الخزى والذلة والصغار على أهل الباطل والخلاف والمعصية حمدا يتقبله ويرضاه ويوجب به لامير المؤمنين وأهل طاعته الزيادة التى وعد من شكره

والحمد لله على ما يتولى من اعزاز أمير المؤمنين ونصره وافلاجه واظهار حقه على ما وقع باعدائه وأهل معصيته والخلاف عليه من سطواته ونقماته و بأسه فيما ولى أمير المؤمنين من موالاة من والاه وعداوة من بغى عليه وعاداه لا يكله فى شئ من الامور الى نفسه ولا الى حوله وقوته ومكيدته فانه لا حول ولا قوة لامير المؤمنين الا به

تحميد لعبد الحميد فى فتح

الحمد لله العلى مكانه المنير برهانه العزيز سلطانه الثابتة كلماته الشافية آياته النافذ قضاؤه الصادق وعده الذى قدر على خلقه بملكه وعز فى سماواته بعظمته ودبر الامور بعلمه وقدرها بحكمه على ما يشاء من عزمه مبتدعا لها بانشائه اياها وقدرته عليها واستصغاره عظيمها نافذا ارادته فيها لا تجرى الا على تقديره ولا تنتهى الا الى تأجيله ولا تقع الا على سبق من حتمه كل ذلك بلطفه وقدرته وتصريف وحيه لا معدل لها عنه ولا سبيل لها غيره ولا علم أحد بخفاياها ومعادها الا هو فانه يقول فى كتابه الصادق وعنده مفاتح الغيب الى آخر الآية .

ولعبد الحميد فى فتح يعظم فيه أمر الاسلام

أما بعد فالحمد لله الذى اصطفى الاسلام دينا رضى شرائعه و بين أحكامه ونور هداه ثم كنفه بالعز المؤيد وأيده بالظفر القاهر وآزره بالسعادة المنتجبة وجعل من قام به داعيا اليه من جنده الغالبين وأنصاره المسلطين كلما قهر بهم مناوئا أورثهم رباعهم المأهولة وأموالهم المثرية ودارهم الفسيحة ودولتهم المطولة أمرا حتمه على نفسه ثم جعل من عاندهم وابتغى غير سبيلهم مسلما قد استهوته ذلة الكفر بظلمها وحيرة الجهالة بحوارها وتيه الشقاء بمغاويه وكلما ازداد والدعوة الحق اباء ازداد الحق اليهم ازدلافا وعليهم عكوفا وفيهم اقامة لى أن يحل بهم عز الغلبة ونجاة المتحاوز داعين فيما شوقهم اليه محافظين على ما ندبهم له قد بذلوا فى طاعة الله دماءهم وقبلوا المعروض عليهم فى مبايعة ربهم لهم بانفسهم الجنة محمود صبرهم مسهل بهم عزمهم الى خير الدنيا والآخرة

والحمد لله الذى أكرم محمدا صلى الله عليه وسلم بما حفظ له من أمور أمته ان اختار لمواريث نبوته ما أصار الى أمير المؤمنين من تطويقه ما حمل بحسن نهوض به وشجع عليه ومنافسة فيه ان فعل وفعل (؟)

والحمد لله الذى تمم وعده لرسوله وخليفته فى أمة نبيه مسددا له فيما اعتزم عليه . والحمد لله المعز لدينه المتولى نصر أمة نبيه المتخلى عمن عاداهم وناوأهم حمدا يزيد به من رضى شكره وحمدا يعلو حمد الحامدين من أوليائه الذين تكاملت عليهم نعمه فلا توصف وجلت أياديه فلا تحصى الذى حملنا مالا قوة بنا على شكره الا بعونه وبالله يستعين أمير المؤمنين على ذلك واليه يرغب انه على كل شئ قدير .

ولعبد الحميد أيضا

أما بعد فالحمد لله الذى اصطفى الاسلام لنفسه وارتضاه دينا لملائكته وأهل طاعته من عباده وجعله رحمة وكرامة ونجاة وسعادة لمن هدى به من خلقه وأكرمهم وفضلهم وجعلهم بما أنعم عليهم منه أولياءه المقربين وحزبه الغالبين وجنده المنصورين وتوكل لهم بالظهور والفلج وقضى لهم بالعلو والتمكين وجعل من خالفه وعزب عنه وابتغى سبيل غيره أعداءه الاقلين وأولياء الشيطان الاخسرين وأهل الضلالة الاسفلين مع ما عليهم فى دنياهم من الذل والصغار . فاعجل لهم فيها من الخذلان والانتقام الى ما أعد لهم فى آخرتهم من الخزى والهوان المقيم والعذاب الاليم انه عزيز ذو انتقام

وكتب عبد الحميد الى أخ له فى مولود ولد له وهو أول مولود كان

أما بعد فان مما أتعرف من مواهب الله نعمة خصصت بعزيتها وأصفيت بخصيصتها كانت اسرلى من هبة الله لى ولدا اسميته فلانا وأملت ببقائه بعدى حياة وذكرى وحسن خلافة فى حرمتى واشرا كه اياى فى دعائه شافعا الى ربه عند خلواته فى صلاته وحجه وكل موطن من مواطن طاعته فاذا نظرت الى شخصه تحرك به وجدى وظهر به سرورى وتعطفت عليه منى أنسة الولد وتوالت عنى به وحشة الوحدة فانا به جذل فى مغيبى ومشهدى أحاول مس جسده بيدى فى الظلم وتارة أعانقه وأرشفه ليس يعدله عندى عظيمات الفوائد ولا منفسات الرغائب . سرنى به واهبه لى على حين حاجتى فشد به أزرى وحملنى من شكره فيه ما قد آدنى بثقل حمل النعم السالفة الى به المقرونة سراؤها فى العجب بما رأت ما يدركنى به من رقة الشفقة عليه مخافة مجاذبة المنايا اياه ووجلا من عواصف الايام عليه

فاسأل الله الذى امتن علينا بحسن صنعه فى الارحام تأديبه بالزكاء وحرسه بالعافية أن يرزقنا شكر ما حملنا فيه وفى غيره وأن يجعل ما يهب لنا من سلامته والمدة فى عمره موصولا بالزيادة مقرونا بالعافية محوطا من المكروه فانه المنان بالمواهب والواهب لمنى

لا

لا شريك له . حملنى على الكتاب اليك لعلم ماسررت به علمى بحالك فيه وشركتك اياى فى كل نعمة أسداها الى ولى النعم وأهل الشكر أولى بالمزيد من الله جل ذكره والسلام عليك

وكتب عبد الحميد عن هشام بن عبد الملك الى يوسف بن عمر وهو باليمن فى السلامه :

فان أمير المؤمنين كتب اليك وهو فى نعمة الله عليه وبلائه عنده فى ولده وأهل لحمته والخاص من اموره والعام والجنود والقواصى والثغور والدهماء من المسلمين على مالم يزل ولى النعم يتولاه من أمير المؤمنين حافظا له فيه ومكرما له بالحياطة لما ألهمه الله فيه من أمر رعيته وعلى أعظم وأحسن وأكمل ما كان يحوطه فيه ويذب له عنه والله محمود مشكور اليه فيه مرغوب . أحب أمير المؤمنين لعلمه بسرورك به أن يكتب اليك بذلك لتحمد الله عليه وتشكره به فان الشكر من الله باحسن المواضع وأعظم المنازل فازدد منه تزدد به وحافظ عليه وتحفظ به وارغب فيه يهد اليك مزيد الخير ونفائس المواهب وبقاء النعم فاقرئ على من قبلك كتاب أمير المؤمنين اليك ليسر به جندك ورعيتك ومن حمله الله النعم بامير المؤمنين ليحمدوا ربهم على مارزق الله عباده من سلامة أمير المؤمنين فى بدنه ورأفته بهم واعتنائه بامورهم فان زيادة الله تعلو شكر الشاكرين والسلام

ولعبد الحميد الى مروان فى حاجة

ان الله بنعمته على لما رزقنى المنزلة من أمير المؤمنين جعل معها شكرها مقرونا بها فهى تنمى بالزيادة والشكر مصاحب لها فليست تدخلنى وحشة من أبناء حاجتى وأنا أعلم انه لو وصل الى أمير المؤمنين علم حالى أغنانى عن استزادته ولكنى تكنفتنى مؤن استنفضت مافى يدى وكنت للخلف من الله منتظرا فانى انما أتقلب فى نعمه وأتمرغ فى فوائده وأعتصم بسالف معروفه كان عندى

ولعبد الحميد فى وصف الاخاء

فان أولى ما اعتزم عليه ذو والاخاء وتوصل اليه أهل المودات مادعا أسبابه صدق التقوى وبنيت دعائمه على أساس البر ثم انهد الينا حزين (؟) التواصل وشيده مستعذب العشرة فادعم قويا وصفى مرنقا وبخاصه (؟) الحقة منعطفة وسكنت به القلوب أنيسة وسمت من مواصلته الهمم مستعلية عن كل زائغ معتاف ومخوف عارض يخترم مسكة الاخاء ويختار مربوب الثقة ضنا بما استعذبوا من محمود وثائقه وازديادا فيما تطوقوا به من حلاوة جناه فاذا استحكم لهم مدخور الصفاء بثبات أواخيه وظهور أعلامه ومحصول مخبره وثقة مواده كان

سرورهم باعتلاقه وابتهاجهم بوجدانه وانعماهم صلته وبذلهم رعايته وحياطتهم محمودة بحيث نالوا من معرفته حظوته واستولوا عليه من مزية كرمه وتعرفوا من ذخيرة عائدته ومأمون حفاظه وكشف لهم عن نفسه مظهرا اعلامه مبديا دفينته طارحا قناع سره معلنا مكنون ضميره فى نأى الدار وجدان (؟) المجتمع باظهار ما استتر من المحاسن وبث فى الحقب من المكارم قياما لهم بالنصرة وحياطا للمودة وترغيبا فى العشرة فكان أكهف لجأ وأحرز حصن وأحصف جنة وأعون ظهير وأبقى ذخيرة وأعظم فائدة وأشرف كنز وأنخر صنيعة وآنق منظر وأينع زهرة أكثر الاشياء ريعا وأنماها وصلا وأمدها سببا وأقواها أيدا وأحلاها ذوقا وأدعمها اثباتا وأرساها ركنا لا يدخل مستحقها سآمة ملال ولا كلال مهنة ولا تثبيط ونية ولا ضعف خور ان نزول بائقة أو طروق طارقة من عوارض الاقدار وحوادث الزمان بل مواسيا فى أزمها متورطا غمرات قحمها [١] متدرعا هائل بوائقها مستلحما [٢] نواظر مقاطعها حتى تصير به الاقدار الى تناهيها ويبلغ به القضاء مقداره غير منان النصرة ولا برم التعب يرى تعبه غنما ونصبه دعة وكلفه فائدة وعمله مقصرا وسعيه مفرطا واجتهاده مضيعا عدل الولد فى بره والوالد فى شفقته والاخ فى نصرته والجار فى حفظه والذخر فى ملكه فاين المعدل عن مثله أو كيف الاصابة لشبهه أو انى عوض من فقده جمعنا الله واياك على طاعته والفناء بمحابه وجعل اخوتنا فى ذاته

قد حددت لك أواخى الاخاء منشعبا ووصفته لك مخلصا وانتهيت بك الى غاية أهل العقل منه وما تواصل أهل الرأى عليه ودعا اليه الاخاء من نفسه منتطقا به ضامنا له مافرط فى ذلك تقصير من أهله ودا خله تضييع من حملته أو حاطه أحكام وكنفه حفاظ من رعاته .

وافانى كتابك بما سألت من ذلك وعقلى محصور ورأيى منقسم وذهنى فيما يتأهب به الامير . . . والله من خزر الترك واختلاف رسله الى جبال اللان والطبران وما والاهما بنوافذ أمره ومخارج رأيه فانا مصيخ السمع للفظه عقل العقل عن سوى أمره محتضر الذهن فى تدبيرهم ذهل القلب عن تفنين القول وتشعيب الكلام فى تصنيف طبقات الرجال ومن أين دخل عليهم نقص الاخاء وكيف خانهم موثق الصفاء وقد صرحت لك عن رأى ذوى الصفاء وكشفت لك خباء الاخاء وجمعت لك الف مودة أهل الحجى فتلق

(١) القحمة بضم القاف الاقتحام فى الشئ والمهلكة (٢) استلحم مجهولا روهق فى القتال

ما

ماوصفت لك بقلب فهم عقول ذى ميزة يقظان وذهن جامع حافظ ذى ثقافة راع . أحضرك الله عصمة التوفيق وسددك الله لاصابة الرشد ومكن لك صدق العزيمة والسلام .

ومن رسائل عبد الحميد ما كتب عن مروان الى هشام يعزيه بامرأة من حظاياه (١)

ان الله تعالى أمتع أمير المؤمنين من انيسته وقرينته متاعا عامده الى أجل مسمى فلما تمت له مواهب الله وعاريته قبض اليه العارية ثم أعطى أمير المؤمنين من الشكر عند بقائها والصبر عند ذهابها أنفس منها فى المنقلب وارجح فى الميزان وأسنى فى العوض فالحمد لله وانا اليه راجعون .

وكتب موصيا بشخص يقول :

حق موصل كتابى اليك كحقه على اذ جعلك موضعا لامله ورآنى أهلا لحاجته وقد أنجزت حاجته فصدق أمله .

وكتب فى فتنة بعض العمال من رساله :

حتى اعتراى حنادس جهاله ومهاوى سبل ضلاله ذلا لاسبابه وسلما فى قياده الى نزل من حميم وتصلية جحيم سوى ما انتجت الحفيظة فى نفسه من عوائد الحسك وقدحت الفتنة فى قلبه من نار الغضب مضادة لله تعالى بالمناصبة ومبارزة لامير المؤمنين بالمحاربة ومجاهرة للمسلمين بالمخالفة الى ان أصبح بفلاة قفر ونية صفر بعيدة المناط يقطع دونها النياط وكذلك الله يفعل بالظالمين ويستدرجهم من حيث لا يعلمون .

وكتب من رسالة أخرى الى أهله وهو منهزم مع مروان :

أما بعد فان الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالكره والسرور فمن ساعده الحظ فيها سكن اليها ومن عضته بنابها ذمها ساخطا عليها وشكاها مستزيدا لها وقد كانت أذاقتنا أفاويق استحليناها ثم جمحت بنا نافرة ورمحتنا مولية فلح عذبها وخشن لينها فابعدتنا عن الاوطان وفرقتنا عن الاخوان فالدار نازحة والطير بارحة . وقد كتبت والايام تزيدنا منكم بعدا واليكم وجدا فان تتم البلية الى أقصى مدتها يكن آخر العهد بكم وبنا وان يلحقنا ظفر جارح من أظفار من يليكم نرجع اليكم بذل الاسار والذل شر جار . نسأل الله الذى يعز من يشاء ويذل من يشاء أن يهب لنا ولكم ألفة جامعة فى دار آمنة تجمع سلامة الابدان والاديان فانه رب العالمين وأرحم الراحمين

هذه الرسائل الاربع منقولة عن شرح رسالة ابن زيدون

وله من رسالة (١) كتب بها عن آخر خلفاء بنى أمية وهو مروان الجعدى لفرق العرب حين فاض العجم من خراسان بشعار السواد قائمين بالدولة العباسية •

فلا تمكنوا ناصية الدولة العربية من يد الفئة العجمية واثبتوا ريثما تنجلى هذه الغمرة ونصحو من هذه السكرة فسينضب السيل وتمحى آية الليل والله مع الصابرين والعاقبة للمتقين

رسالة عبد الحميد الى الكتاب (٢)

أما بعد حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفقكم وأرشدكم فان الله عز وجل جعل الناس بعد الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن بعد الملائكة المكرمين أصنافا (٣) وان كانوا فى الحقيقة سواء وصرفهم فى صنوف الصناعات وضروب المحاولات الى أسباب معاشهم (٤) وأبواب أرزاقهم فجعلكم معشر الكتاب فى أشرف الجهات أهل الادب والمروآت (٥) والعلم والرزانة بكم تنتظم للخلافة محاسنها وتستقيم أمورها وبنصائحكم يصلح الله للخلق سلطانهم ويعمر بلدانهم (٦) لا يستغنى الملك عنكم ولا يوجد كاف الا منكم فموقعكم من الملوك موقع أسماعهم التى بها يسمعون وأبصارهم التى بها يبصرون وألسنتهم التى بها ينطقون وأيديهم التى بها يبطشون فامتعكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ولا نزع عنكم ما أضفاه من النعمة عليكم وليس أحد من أهل الصناعات كلها أحوج الى اجتماع خلال الخير المحمودة وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم أيها الكتاب اذا كنتم على ما يأتى فى هذا الكتاب من صفتكم • فان الكاتب يحتاج من نفسه ويحتاج منه صاحبه الذى يثق به فى مهمات أموره ان يكون مليحا فى موضع الحلم فهيما (٧) فى موضع الحكم (٨) مقداما فى موضع الاقدام محجاما (٩) فى موضع الاحجام

(١) أوردها صاحب كتاب عنوان المرقصات والمطربات (٢) عارضنا هذه الرسالة التى أخذناها عن مقدمة ابن خلدون المطبوعة على نسختين مخطوطتين من المقدمة احداهما فى مكتبة أحمد زكى باشا والثانية فى خزانة كتب أحمد تيمور بك وهما من أساتذة العلم والادب فى القاهرة (٣) نسخة : أضيافا (٤) خ فى معايشهم (٥) خ المروءة (٦) خ بلادهم (٧) خ فهما (٨) خ الفهم (٩) خ محجما

مؤثرا

مؤثرا للعفاف والعدل والانصاف كتوما للاسرار وفيا عند الشدائد عالما بما يأتى من النوازل يضع الامور مواضعها والطوارق فى أماكنها قد نظر فى كل فن من فنون العلم فاحكمه وان لم يحكمه [١] أخذ منه بمقدار [٢] من الحسن واحتال على صرفه [٣] عما يهواه من القبح [٤] بألطف حيلة وأجمل وسيلة وقد علمتم ان سائس البهيمة اذا كان بصيرا بسياستها التمس معرفة أخلاقها فان كانت جوحا [٥] لم يهجها اذا ركبها وان كانت شبوبا اتقاها من بين أيديها [٦] وان خاف منها شرودا توقاها من ناحية رأسها وان كانت حرونا قمع برفق هواها فى طرقها فان استمرت عطفها يسيرا فيسلس له قيادها . وفى هذا الوصف من السياسة دلائل [٧] لمن ساس الناس وعاملهم وجربهم [٨] وداخلهم والكاتب بفضل [٩] أدبه وشريف صنعته ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاوره من الناس ويناظره ويفهم عنه أو يخاف سطوته أولى بالرفق لصاحبه ومداراته وتقويم أوده من سائس البهيمة التى لا تحير جوابا ولا تعرف صوابا ولا تفهم خطابا الا بقدر ما يصيرها اليه صاحبها الراكب عليها .

الا فارفقوا رحمكم الله فى النظر واعملوا فيه ما أمكنكم من الروية والفكر تأمنوا باذن الله ممن صحبتموه النبوة والاستثقال والجفوة ويصير منكم الى الموافقة وتصيرون منه الى المؤاخاة والشفقة ان شاء الله تعالى .

ولا يجاوزن الرجل منكم فى هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه وبنائه وخدمه وغير ذلك من فنون أمره قدر حقه فانكم مع ما فضلكم الله به من شرف صنعتكم خدمة لا تحملون فى خدمتكم على التقصير وحفظة لا تحتمل منكم أفعال التضييع والتبذير واستعينوا على عفافكم بالقصد فى كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم واحذروا متالف السرف وسوء عاقبة الترف فانهما يعقبان الفقر ويذلان الرقاب ويفضحان اهلهما ولا سيما الكتاب وأرباب الآداب . وللامور أشباه وبعضها دليل على بعض فاستدلوا على مؤتنف أعمالكم بما سبقت اليه تجربتكم ثم اسلكوا من مسالك التدبير أوضحها محجة وأصدقها حجة وأحمدها عاقبة . واعلموا ان للتدبير آفة متلفة وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن انفاذ علمه ورويته فليقصد الرجل منكم فى مجلسه قصد الكافى من منطقه وليوجز فى ابتدائه

(١) خ فان لم (٢) خ مقدار (٣) خ لصرفه (٤) خ من القبيح (٥) خ رموحا
(٦) خ من قبل يديها (٧) خ دليل (٨) خ وخدمهم (٩) خ لفضل

وجوابه وليأخذ بمجامع حججه فان ذلك مصلحة لفعله ومدفعة للشاغل [١] عن إكثاره • وليضرع الى الله فى صلة توفيقه وامداده بتسديده مخافة وقوعه فى الغلط المضر ببدنه وعقله وأدبه فانه ان ظن منكم ظان أو قال قائل ان الذى برز من جميل صنعته وقوة حركته انما هو بفضل حيلته وحسن تدبيره فقد تعرض بظنه [٢] أو مقالته [٣] الى أن يكله الله عز وجل الى نفسه فيصير منها الى غير كاف وذلك على من تأمله غير خاف • ولا يقول أحد منكم انه أبصر بالامور وأحمل لعبء ما يكتنفى به يعرف بغريزة عقله وحسن أدبه وفضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره فيعد لكل أمر عدته وعتاده ويهيئ لكل وجه هيئته وعادته • فتنافسوا يا معشر الكتاب فى صنوف الآداب وتفقهوا فى الدين وابدؤا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم العربية فانها ثقاف ألسنتكم ثم أجيدوا الخط فانه حلية كتبكم وارووا الاشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها فان ذلك معين لكم على ما تسمو اليه هممكم ولا تضيعوا النظر فى الحساب فانه قوام كتاب الخراج وارغبوا بانفسكم عن المطامع سنيها ودنيها وسفساف الامور ومحاقرها فانها مذلة للرقاب مفسدة للكتاب ونزهوا صناعتكم عن الدناءة [٤] واربؤوا بانفسكم عن السعاية والنميمة وما فيه أهل الجهالات واياكم والكبر والسخف والعظمة فانها عداوة مجتلبة من غير احنة وتحابوا فى الله عز وجل فى صناعتكم وتواصوا عليها بالذى هو أليق لاهل [٥] الفضل والعدل والنبل من سلفكم وان نبا الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه وواسوه حتى يرجع اليه حاله ويثوب اليه أمره وان أقعد أحدا [٦] منكم الكبر عن مكسبه ولقاء اخوانه فزوروه وعظموه وشاوروه واستظهروا بفضل تجربته وقديم معرفته وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته اليه أحوط منه على ولده وأخيه فان عرضت فى الشغل محمدة فلا يصرفها [٧] الا الى صاحبه وان عرضت مذمة فليحملها هو من دونه وليحذر السقطة والزلة والملل عند تغير الحال فان العيب اليكم معشر الكتاب أسرع منه الى القراء وهو لكم أفسد منه لها • فقد علمتم ان الرجل منكم اذا صحبه من يبذل له من نفسه ما يجب له عليه من حقه فواجب عليه أن يعتقد له من وفائه وشكره واحتماله وخيره [٨] ونصيحته وكتمان سره وتدبير أمره ما هو جزاء لحقه ويصدق [٩] ذلك تبعاله عند الحاجة اليه

---

(١) خ للتشاغل (٢) خ بحسن ظنه (٣) خ فعاله (٤) خ الدناآت (٥) خ باهل (٦) خ أحدكم الكبر (٧) خ يضفها (٨) خ وصبره (٩) خ ويقصد ذلك بفعاله والاضطرار

والاضطرار الى ما لديه . فاستشعروا ذلك وفقكم الله من أنفسكم فى حالة الرخاء والشدة والحرمان والمؤاساة والاحسان والسراء والضراء فنعمت القسمية هذه من [1] وسم بها من أهل هذه الصناعة الشريفة . واذا ولى الرجل منكم أو صير اليه من أمر خلق الله وعياله أمر فليراقب [2] الله عز وجل وليؤثر طاعته وليكن على الضعيف رفيقا وللمظلوم منصفا فان الخلق عيال الله وأحبهم اليه أرفقهم بعياله .

ثم ليكن بالعدل حاكما وللاشراف مكرما وللفىء موفرا وللبلاد عامرا وللرعية متألفا وعن أذاهم متخلفا وليكن فى مجالسه متواضعا حليما وفى سجلات خراجه واستقضاء [3] حقوقه رفيقا واذا صحب أحدكم رجلا فليختبر خلائقه فاذا عرف حسنها وقبيحها أعانه على ما يوافقه التدبير من مرافقه فى صناعته ومصاحبه فى خدمته . فان أعقل الرجلين عند ذوى الالباب من رمى بالعجب وراء ظهره ورأى ان صاحبه أعقل منه وأجمل فى طريقته . وعلى كل واحد من الفريقين أن يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تزكية لنفسه ولا يكاثر [4] على أخيه أو نظيره وصاحبه وعشيره .

وحمد الله واجب على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته والتذلل لعزته والتحدث بنعمته . وأنا أقول فى كتابى هذا ما سبق به المثل من تلزمه النصيحة يلزمه العمل . وهو جوهر هذا الكتاب وغرة كلامه بعد الذى فيه من ذكر الله عز وجل فلذلك جعلته آخره وتممته به . تولانا الله واياكم يا معشر الطلبة والكتبة بما يتولى به من سبق علمه باسعاده وارشاده فان ذلك اليه وبيده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

---

(١) خ لمن (٢) خ فليراقب ربه (٣) خ استقصاء (٤) خ ولا تكاثر على

القسم الثاني

الرسالة العذراء (١)

في موازين البلاغة وأدوات الكتابة كتب بها أبو اليسر ابراهيم بن محمد بن المدبر

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

فتق الله بالحكمة ذهنك . وشرح بها صدرك وأنطق بالحق لسانك ، وشرف به بيانك ، وصل الى كتابك العجيب الذى استفهمتني فيه بجوامع كلمك جوامع أسباب البلاغة ، واستكشفتني عن غوامض آداب أدوات الكتابة ، سألتني أن أقف بك على وزن عذوبة اللفظ وحلاوته . وحدود فخامة المعنى وجزالته . ورشاقة نظم الكتاب ومشاكلة سرده . وحسن افتتاحه وختمه ، وانتهاء فصوله . واعتدال وصوله ، وسلامتهما من الزلل ، وبعدهما من الخطل . ومتى يكون الكاتب مستحقا اسم الكتابة ، والبليغ مسلما له معانى البلاغة . فى اشارته . واستعارته . والى أى أدواته هو أحوج . وبأى آلاته هو أعمل ، اذا حصحص الحق . ودعى الى السبق . وفهمته وأنا راسم لك أيدك الله من ذلك ما يجمع أكثر شرائطك . ويعبر عن جلة سؤالك . وان طوات فى الكتاب وعرضت وأطنبت فى الوصف وأسهبت . ومستقص على نفسى فى الجواب على قدر استقصائك فى السؤال ، وان اخل به التياث الحال ، وسكون الحركة . وفتور النشاط ، وانتشار الروية ، وتقسم الفكر ، واشتراك القلب ، والله المستعان

اعلم أيدك الله ان أدوات ديوان جميع المحاسن وآلات المكارم طاعة منقادة لهذه الصناعة التى خطبتها وتالية تابعة لها وغير خارجة الى جحد أحكامها ولا دافعة لما يلزمها الاقرار به لها اضرار امنها اليها وعجزا عنها فان تقاضتك نفسك علمها ونازعتك همتك الى طلبها فاتخذ البرهان دليلا شاهدا والحق اماما قائدا يقرب مسافة ارتيادك ويسهل عليك

(١) منقولة من مجموع قديم من كتب الشيخ طاهر الجزائرى وقد طبقناها على الاصل ولم نظفر بنسخة ثانية لها

سبل

سبيل مطالبها واستوهب الله توفيقا تستنجح به مطالبك ، واستمنحه رشدا يقبل اليك بوجه مذاهبك ، فاقصد فى ارتيادك ، وتأمل الصواب فى قولك وفعلك . ولا تسكن الى جحود قصد السابق باللجاج ، ولا تخرج الى اهمال حق المصيب بالمعاندة والانكار ، ولا تستخف بالحكمة ولا تصغرها حيث وجدتها فترحل نافرة عن مواطنها من قلبك وتظعن شاردة عن مكانها من بالك ، وتتعفى بعد العمارة من قلبك آثارها ، وتنطمس بعد الوضوح اعلامها

واعلم ان الاكتساب بالتعلم والتكلف وطول الاختلاف الى العلماء ومدارسة كتب الحكماء فان أردت خوض بحار البلاغة وطلبت أدوات الفصاحة فتصفح من رسائل المتقدمين ما تعتمد عليه ومن رسائل المتأخرين ما ترجع اليه فى تلقيح ذهنك . واستنجاح بلاغتك ، ومن نوادر كلام الناس ما تستعين به ومن الاشعار والاخبار والسير والاسماء ما يتسع به منطقك . ويعذب به لسانك ويطول به قلمك

وانظر فى كتب المقامات والخطب ومحاورات العرب ومعانى العجم وحدود المنطق وأمثال الفرس ورسائلهم وعهودهم وتوقيعاتهم وسيرهم ومكايدهم فى حروبهم بعد ان تتوسط فى علم النحو والتصريف واللغة والوثائق والشروط ككتب السجلات والامانات فانه أول ما يحتاج اليه الكاتب وتمهر فى نزع آى القرآن فى مواضعها واجتلاب الامثال فى أماكنها واختراع الالفاظ الجزلة وقرض الشعر الجيد وعلم العروض . فان تضمين المثل السائر والبيت الغابر مما يزين كتابتك مالم تخاطب خليفة أو ملكا جليل القدر فان اجتلاب الشعر فى كتب الخلفاء والجلة الرؤساء عيب واستهجان للكتب الا أن يكون الكاتب هو القارض للشعر والصانع له فان ذلك مما يزيد فى أبهته . و يدل على براعته ، وان شدوت من هذه العلوم مالا يشغلك محله وتنقبت من هذه الفنون ما تستعين به على اطالة قلمك وتقويم أودبيانك

بعد أن يكون الكاتب صحيح القريحة ، حلو الشمائل ، عذب الالفاظ ، دقيق الفهم حسن القامة . بعيدا من الفدامة خفيف الروح . حاذق الحس . محنكا بالتجربة . عالما بحلال الكتاب والسنة وحرامهما . و بالملوك وسيرها وأيامها . و بالدهور فى تقلبها وتداولها . مع براعة الادب . وتأليف الاوصاف . ومشاكلة الاستعارة . وحسن الاشارة وشرح المعنى بمثله من القول حتى تنصب صورا منطقية تعرب عن أنفسها . وتدل على أعيانها ، لان

الحكماء قد شرطوا فى صفات الكتاب طول القامة . وصغر الهامة . وخفة اللهازم . وكثافة اللحية . وصدق الحس . ولطف المذهب وحلاوة الشمائل وملاحة الزى حتى قال بعض المهالبة لولده : تز يوا بزى الكتاب فان فيهم أدب الملوك وتواضع السوقة

وخاطب كلا على قدر ابهته . وجلالته . وعلوه وارتفاعه . وتفطنه وانتباهه . واجعل طبقات الكلام على ثمانية أقسام فاربعة منها للطبقة العلوية وأربعة دونها ولكل طبقة منها درجة ولكل قسمة حظ لا يتسع للكاتب البليغ أن يقصر باهلها عنها . ويقلب معناها الى غيرها : فالطبقة العليا الخلافة التى أعلى الله شأنها عن مساواتها باحد من أبناء الدنيا فى التعظيم والتوقير والمخاطبة والترسل . والطبقة الثانية الوزراء والكتاب الذين يخاطبون الخلفاء بعقولهم وألسنتهم . و يرتقون الفتوق بآرائهم ويتجملون بآدابهم : الثالثة أمراء ثغورهم . وقوّاد جيوشهم . يخاطب كل امرئ منهم على قدره و بما حمل من اعباء أمورهم . وجلائل أعمالهم . الطبقة الرابعة القضاة فانهم وان كان لهم تواضع العلماء وحلية الفضلاء فمعهم أبهة السلطنة وهيبة الامراء

أما الطبقات الاربع الاخرى فالملوك الذين أوجبت نعمهم تعظيمهم فى الكتب وافضالهم تفضيلهم فيها . والثانية وزراؤهم وكتابهم واتباعهم الذين بهم تقرع أبوابهم وبعنايتهم تستماح أموالهم : والثالثة هم العلماء الذين يجب توقيرهم فى الكتب لشرف العلم وعلو درجة أهله . الرابعة لاهل القدر والجلالة والظرف والحلاوة والعلم والادب فانهم يضطر ونك بحدة أذهانهم وشدة تمييزهم وانتقادهم الى الاستقصاء على نفسك فى مكاتبتهم

واستغنينا عن الترتيب للتجار والسوقة والعوام رتبة لاستغنائهم بتجارتهم عن هذه الآلات واشتغالهم بمهماتهم عن هذه الادوات ولكل طبقة من هذه الطبقات معان ومذاهب يجب عليك ان تراعيها فى مراسلتك اليهم فى كتبك وتزن كلامك فى مخاطبتهم بميزانه وتعطيه قسمه وتوفيه نصيبه فانك متى أضعت ذلك لم آمن بك أن تعدل بهم غير طريقهم وتجرى شعاع بلاغتك فى غير مجراه وتنظم جوهر كلامك فى غير سلكه فلا يفيد المعنى الجزل مالم تلبسه لفظا جزلا لائقا بمن كاتبته ومشابها لمن راسلته

وان الباسك المعنى وان شرف وصلح لفظا مختلفا عن قدر المكتوب اليه لم نجر به عادتهم تهجين للمعنى واخلال بقدره وظلم لحق المكتوب اليه ونقص مما يجب له كما ان فى امتناع تعارفهم وما انتشرت به عاداتهم وجرت به سنتهم وضع القدرهم وخروجا من حقوقهم .

و بلوغا

وبلوغا الى غير غاية مرادهم واسقاطا لحجة أدبهم ضمن الالفاظ المرغوب عنها والصدور المستوحش منها فى كتب السادات والامراء والملوك على اتفاق المعانى مثل أبقاك الله طويلا وعمرك مليا وان كنا نعلم انه لا فرقان بين قولهم أطال الله بقاءك وبين قولهم أبقاك الله طويلا ولكنهم جعلوا هذا أرجح وزنا وأنبه قدرا فى مخاطبة الملوك كما انهم جعلوا أكرمك الله وأبقاك أحسن منزلة فى كتب الظرفاء والادباء من جعلت فداك على اشتراك معناه واحتماله أن يكون فداء من الخير كما يكون فداء له من الشر ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسعد بن أبى وقاص : فداك أبى وأمى لكرهت أن يكتب بها أحد على ان كتاب العسكر وعوامهم قد أولعوا بهذه اللفظة حتى استعملوها فى جميع محاوراتهم وجعلوها هجيراهم فى مخاطبة الشريف والوضيع والصغير والكبير ولذلك قال محمود الوراق :

كل من حل سر من رامن النا * س وممن بصاحب الامــلا كا

لو رأى الكلب ماثلا فى طريق * قال للكلب يا جعلت فــدا كا

وكذلك لم يجيزوا أن يكتبوا بمثل أبقاك الله وأمتع بك الا الى الحرمة والاهل والتابع والمنقطع اليك وأما فى كتب الاخوان فغير جائز بل مذموم مرغوب عنه ولذلك كتب عبد الله بن طاهر الى محمد بن عبد الملك الزيات :

أحلت عما عهدت من أدبك * أم نلت ملكا فتهت فى كتبك

أم هل ترى ان فى التواضع للاخ * وان نقصا عليك فى حسبك

أتعبت كفيك فى مكاتبتى * حسبك مما يزيد فى تعبك

ان جفاء كتاب ذى أدب * يكتب فى صدره وأمتع بك

فكتب اليه محمد بن عبد الملك

أنكرت شيأ فلست فاعله * فلن تراه يخط فى كتبك

فاعف فدتك النفوس عن رجل * يعيش حتى الممات فى أدبك

كيف أخون الاخاء يا أملى * وكل شئ أنال من سببك

ان يك جهلا أتاك من قبلى * فعد بفضل علىّ فى أدبك

وأما صدور السلف فانما كانت من فلان بن فلان الى فلان كذلك جرت كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العلاء بن الحضرمى والى أقيال اليمن والى كسرى وقيصر وكتب أصحابه

والتابعين كذلك حتى استخلص الكتاب هذه المحدثات من بدائع الصدور واستنبطوا لطيف الكلام ورتبوا الكل رتبة وجروا على تلك السنة الماضية الى عصرنا هذا فى كتب الخلفاء والامراء وثبتوا على ذلك المنهاج فى كتب الفتوحات والامانات والسجلات ولكل مكتوب اليه قدر ووزن ينبغى للكاتب أن لا يتجاوز به عنه ولا يقصر به دونه . وقد رأيتهم عابوا الاحوص حين خاطب الملوك بمخاطبة العوام فى قوله :

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم * مذق الحديث يقول مالا يفعل

فهذا معنى صحيح فى المدح ولكنهم أجلوا أقدار الملوك أن يمدحوا بما يمدح به العوام لان صدق الحديث وانجاز الوعد وان كان مدحا فهو واجب على كل والملوك لا يمدحون بالفروض الواجبة وانما يحسن مدحهم بالنوافل لان المادح لو قال لبعض الملوك انك لا تزنى بحليلة جارك وانك لا تخون ما استودعت وانك تصدق فى وعدك وتفى بعهدك كان قد أثنى بما يجب ولكنه لم يصل بثنائه الى مقصده وقال مالا يستحسن مثله فى الملوك

ونحن نعلم ان كل أمير تولى من أمور المؤمنين شيأ فهو أمير المؤمنين غير انهم لم يطلقوا هذه اللفظة الا للخلفاء خاصة ونعلم ان الكيس هو العقل اذا عنوا به ضد الحق ولكنك لو وصفت رجلا فقلت : ان فلانا العاقل كنت قد مدحته عند الناس ولو قلت انه كيس كنت قد قصرت فى وصفه وقصرت به عن قدره الا عند أهل العلم باللغة لان العامة لا تلتفت الى معنى الكلمة الا الى حيث جرت منها العادة فى استعمالها فى الظاهر مع الحداثة والعزة وخساسة القدر وصغر السن فقدر وينا عن على رضى الله عنه انه تبجح بالكيس حين بنى الكوفة وقال : أما ترانى كيسا مكيسا * بنيت بعد نافع مخيسا

حصنا حصينا وأميرا كيسا

وقال آخر : ما يصنع الاحمق المرزوق بالكيس ونعلم ان الصلاة : رحمة غير انهم قد حرموها الا على الانبياء كذلك روى عن ابن عباس رضى الله عنه وسمع سعد بن أبى وقاص أخاله يلبى ويقول : ياذا المعارج فقال نحن نعلم انه ذو المعارج ولكن ليس كذلك كنا نلبى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انما كنا نقول : لبيك اللهم لبيك : وكان أبو ابراهيم المزنى قال فى بعض ما طالب به داود بن على خلف الاصبهانى فقال : وان قال كذا فقد خرج من الملة والحمد لله فانتقد عليه ذلك داود وقال : تحمد الله على أن يخرج مسلم من الاسلام هذا موضع استرجاع وللحمد مكان يليق به ونحن نقول على المصيبة انا لله وانا اليه راجعون .

فامتثل

فامتثل هذه الرسوم والمذاهب واجر على آدابهم فلكل رسوم امتثلوها وتحفظ فى صدور كتبك وفصولها وافتتاحها وخاتمتها وضع كل معنى فى موضع يليق به وتخير لكل لفظة معنى يشاكلها وليكن ماتختم به فصولك فى موضع ذكر الشكوى بمثل والله المستعان وحسبنا الله ونعم الوكيل . وفى موضع ذكر البلوى نسأل الله دفع المحذور ونسأل الله صرف السوء وفى موضع ذكر المصيبة بمثل انا لله وانا اليه راجعون . وفى موضع ذكر النعم بمثل والحمد لله خالصا والشكر لله واجبا . فانها مواضع ينبغى للكاتب تفقدها فانما يكون كاتبا اذا وضع كل معنى فى موضعه وعلق كل لفظة على طبقتها من المعنى فلا يجعل أول ما ينبغى له أن يكتب فى آخر كتابه فى أوله ولا أوله فى آخره فانى سمعت جعفر بن محمد الكاتب يقول لا ينبغى للكاتب أن يكون كاتبا حتى لا يستطيع أحد أن يؤخر أول كتابه ولا يقدم آخره .

واعلم انه لا يجوز فى الرسائل ما أتى فى آى القرآن من الايصال والحذف ومخاطبة الخاص بالعام والعام بالخاص لان الله سبحانه وتعالى انما خاطب بالقرآن أقواما فصحاء فهموا عنه جل ثناؤه أمره ونهيه ومراده والرسائل انما يخاطب بها قوم دخلاء على اللغة لا علم لهم بلسان العرب وكذلك ينبغى للكاتب أن يتجنب اللفظ المشترك والمعنى الملتبس فانه ان ذهب على مثل قوله تعالى : واسأل القرية واسأل العير بل مكر الليل والنهار احتاج أن يبين بل مكركم بالليل والنهار ومثله فى القرآن كثير

ولا يجوز فى الرسائل ما يجوز فى الشعر لان الشعر موضع اضطرار فاغتفر وافيه الاغراب وسوء النظم والتقديم والتأخير والاضمار فى موضع الاظهار فن الحذف قول الحطيئة (من صنع سلام) يريد سليمان بن داود وكقول الآخر (والشيخ عثمان أبو عفان) وكقول الآخر

وسائلة بثعلبة بن سير * وقد علقت بثعلبة العلوق

أراد ابن سيار وكقول النابغة (ونسج سليم كل قضاء زائل) يريد سليمان وكذلك ينبغى فى الرسائل أن لا يصغر الاسم موضع التعظيم وان كان ذلك جائزا على مثل قولهم دويهية وجذيل وعذيق . ومما لا يجوز فى الرسائل كلمت اياك واعنى اياك واساءة النظم فى التأليف فى الشعر كثير وتكون الكلمة بشعة حتى اذا وضعت موضعها وقرنت مع أخواتها حسن حالها وراقت كقول الحسن بن هانى

(ذو حضر أفلت من كد القبل) والكد كلمة قلقة لا سيما فى الرقيق والغزل والتشبيب غير انها لما وقعت فى موضعها حسنت كما ان اللفظة العذبة اذا لم توضع موضعها نفرت قال :

رأت عارضا جونا فقامت غريرة * بمسحانها قبل الظلام تبادره

فاوقع الجلف الجافى هذه اللفظة غير موقعها وظلمها اذ جعلها فى غير مكانها لان المساحى لا تكون ولا تصلح للغرائر وأين كان عن قول الشاعر

غرائر ما حدثن بهدين انسة * فافوقه منهن غير غرائر

حديث لو ان العصم تدعى به أتت * ودون يد الفحشاء حد البواتر

فتخير من الالفاظ أرجحها وزنا . وأجزلها معنى . وأليقها فى مكانها . وليكن فى صدر كتابك دليل واضح على مرادك وافتتاح كلامك برهان شاهد على مقصدك حيثما جريت فيه من فنون العلم ونزعت نحوه من مذاهب الخطب والبلاغات فان ذلك أجزل لمعناك وأحسن لاتساق كلامك ولا تطيلن صدر كلامك اطالة تخرجه من حده . ولا تقصر به عن حقه . ولو صور اللفظ وكان له حد وقفتك عليه غير انهم فى الجملة كرهوا أن يزيدوا سطور كتب الملوك على سطرين وهذه اشارة لا تعبر الا عن الجملة من المقصود اليه لان الاسطر غير محدودة

واعلم ان أول ما ينبغى لك أن تصلح آلتك التى لا بد لك منها وأدواتك التى لا تتم صناعتك الا بها وهى دواتك فابدأ بعمارتها واصلاحها وتخير لها ليقة نقية من الشعر والودح لئلا يخرج على حرف قلمك ما يفسد كتابك و يشغلك بتنقيته وخذ من المداد الفارسى خمسة دراهم ومن الصمغ العربى درهما وعفصا مسحوقا نصف درهم ورماد القرطاس المحرق درهمين ثم تسحقها وتغربلها وتجمعها ببياض البيض ثم بندقها واجعلها فى الظل فاذا احتجت اليها أخذت منها مقدار حاجتك فكسرته وحشوت به دواتك واذا نقعته فى ماء السلق حتى ينحل و يذوب ويختمر ثم أمددت من مائه دواتك كان أجود وأنقى ثم اختر بعد ذلك من أنابيب القلم الذى يصلح لكتابة القراطيس أقله عقدة وأكثفه لحما وأجلبه قشرا وأعدله استواء وتجنب الاقلام الفارسية ما استطعت فانها ما تصلح الا للكواغد والرقوق

واجعل لقلمك براية حادة فان تعثر يد الكاتب وقت قطع القرطاس ناقص مروءته ومخل بظرفه وان قدرت ان لا تقطع القرطاس اذا فرغت من كتابك الا بخرطوم قلمك فافعل فان ذلك أكمل لمروءتك وأبدع لظرفك وقطعك

. واستعمل لبرى القلم سكينا طوا و يسيا مذلق الحد وميض الطرف فيكون ذلك عونا لك على برى أقلامك فان محل القلم من الكاتب محل الرمح من الفارس ولئن قيل كأنه الرمح الردينى

الرديني فقد قال الكاتب كأنه القلم البحري . وتفقد الانبوبة قبل بريكها الئلا تجعلها منكوسة وابرها من ناحية نبات القصبة وارهف ماقدرت جانبي قلمك ليرد ما انتشر من المداد ولا تطل شقه فان القلم لا يمج المداد من شقه الا مقدار ما احتملت شبتاه فارفع شبتيه ليجمعا لك حواشي تحضيره وأما قط القلم فعلى قدر القلم الذي يتعاطاه الكاتب من الخط غير ان المسلسل لا يكاد يتسلسل الا بالقلم المربع القط كما ان كتب الملوك والسجلات لا تحسن الا بالقلم المحرف الكوفي واما قلم اللازورد فهو المعتمد عليه والمقصود اليه في النوائب والمهمات

ورأيت كثيرا من الكتاب يختارون قلم النرجس لتجعده وتجانسه ومن اللازورد أبسط منه وأقوم حروفا وأما الموشع والمولع والمدبج والمنمنم والمسهم فعلى قدر رشاقة خط الكاتب وحلاوة قلمه وأما حسن الخط فلاحد له قال علي بن زيز النصراني الكاتب: أعلمك الخط في كلمة واحدة لا تكتبن حرفا حتى تستفرغ مجهودك في كتابة الحرف المبدوء به وتجعل في نفسك انك لا تكتب غيره حتى لا تعجل عنه الى غيره . واياك والنقط والشكل في كتابك الا ان تمر بالحرف المعضل الذي تعلم ان المكتوب اليه يعجز عن استخراجه فلأن يشكل عليّ الحرف أحب الي من أن يعاب بالنقط والاعجام . وقال المأمون لكتابه اياي والشونيز في كتبكم يعني النقط ولذلك قال ابن هاني:

لم ترض بالاعجام حين كتبته * حتى كتبت السب بالاعراب

ولا تغفل الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام فقد قال أبو العيناء ان بني أمية هم الذين كانوا أمروا كتابهم فطرحوا ذلك من كتبهم فجرت عادة الكتاب الى يومنا هذا على ماسنوه . وقد قال عليه الصلاة والسلام لا تجعلوني كقدح الراكب ولكن اجعلوني في أول الدعاء وأوسطه وآخره صلى الله عليه وعلى آله وسلم أولا وأوسط وآخرا

وأحب أن تجعل بدل الاشارة التراب فان النبي صلى الله عليه وسلم قال أتربوا كتبكم فانه أنجح للحاجة ولا تدع التاريخ فانه يدل على تحقيق الاخبار وقربها وبعدها وانظر الى مامضى من الشهر ومابقي منه فان كان الماضي أقل من نصف الشهر قلت لكذا ليلة مضت من شهر كذا وان كان الباقي أقل من النصف قلت لكذا أيضا بقيت وقد قال بعض الكتاب ان الماضي من الشهر ان تحصيه والباقي لا تحصيه لانك لا تدري أيتم الشهر أو ينقص وليس

هذا بشيء لان تاريخ الكتاب ليس من الاحكام في شيء وما على الكاتب ان يكتب الا بما ظهر وتبين لا بما يظن

ولا تجعل سحاة كتبك غليظة الا في العهود والسجلات التي تحتاج الى خواتمها وطوابعها فان محمد بن عيسى الكاتب كاتب آل طاهر أخبرعنهم ان عبدالله بن طاهر كتب الى العراق في اشخاص كاتب كان كتب اليه فكتب وغلظ سحاة كتابه فرد الكتاب اليه فقدم عليه راجيا لبره وجائزته فقال عبدالله بن طاهر : ان كان معك مسحاة فاقطع خزم كتابك وانصرف وراءك . وكذلك لا تعظم الطينة ففي المثل من عظم الطينة فانه مظلوم ولا تطبعها الا بعد عنواناتها فان ذلك مراد بهم وقد يجب عليك علم الصاق القراطيس ومحوها ولم أر شيأ في الصاقها ألطف من أن ينقع الصمغ العربي في الماء ساعة حتى يذوب ثم يلصق به وكذلك ماء الكثيرا والنشا استنج ثم تطويه طيا رقيقا وتجعله في منديل نظيف ويرفع تحت وسادة حتى يجف وأما محوها فعلى قدر لطف الكاتب وتأنيه غير أنه ينبغي له أن لا يلقط السواد من القرطاس الا بمثل الشمع المسخن واللبان الممضوغ وما أشبههما ثم يكون لقطه رويدا رويدا كلما القط جانبا حوله الى الجانب الآخر

وأما قراءة الكتب المختومة والتلطف لنقض خواتمها فما لا نذكره خوفا من سفيه

وأما تضمين الاسرار حتى لا يقرأها غير المكتوب اليه ففيه أدب وقد تعلقت العامة بالقمي والاصبهاني فيجب أن يبدل الحروف تبديلا يخفي وألطف من ذلك أن تأخذ لبنا طيبا فتكتب به في قرطاس فيذر المكتوب اليه عليه رمادا حارا من رماد القراطيس فانه يظهر وان كتب بماء الزاج وذر عليه العفص المدقوق مجازا أو بماء العفص وذر عليه شيأ من الزاج أو ينقع شيأ من وشق ثم تكتب به ثم نثرت عليه الرماد فانه يظهر وان أحببته لا يقرأ بالنهار ويقرأ بالليل فاكتبه بمرارة السلحفاة وان حاولت صنعة رسالة أو انشاء كتاب فزن اللفظة قبل أن تخرجها بميزان التصريف اذا عرضت والكلمة بعياره اذا سنحت فربما مر بك موضع يكون مخرج الكلام اذا حسب أنا فاعل أحسن من أنا أفعل واستفعلت أحلى من فعلت

وأدر الالفاظ في أماكنها واعرضها على معانيها وقلبها على جميع وجوهها حتى تقع موقعها ولا تجعلها قلقة نافرة فمتى صارت كذلك هجنت الموضع الذي أردت تحسينه واعلم ان الالفاظ في أماكنها كترقيع الثوب الذي اذا لم تتشابه رقاعه تغير حسنه قال الشاعر :

ان

ان الجديد اذا مازيد فى خلق * تبين الناس ان الثوب مرقوع

وارتصد لكتابك فراغ قلبك وساعة نشاطك فتجد ما يمتنع عليك بالكد والتكلف لان سماحة النفس بمكنونها وجود الاذهان بمخزونها انما هو مع الشهوة المفرطة فى الشىء والمحبة الغالبة فيه أو الغضب الباعث منه ذلك . قيل لبعضهم لم لا تقول الشعر قال : كيف أقوله وأنا لا أغضب ولا أطرب . وهذا كله ان جريت من البلاغة على عرق ، وظهرت منها على حظ ، فاما ان كانت غير مناسبة لطبعك ، ولا واقعة شهوتك عليها ، فلا تنض مطيتك فى التماسها ، ولا تتعب بدنك فى ابتغائها ، واصرف عنانك عنها ، ولا تطمع فيها باستعارتك ألفاظ الناس وكلامهم فان ذلك غير مثمر لك ولا مجد عليك ومن كان مرجعه فيها الى اغتصاب ألفاظ من تقدم والاستضاءة بكوكب من سبقه وسحب ذيل حلة غيره ولم يكن معه أداة تولد له من بنات قلبه ونتائج ذهنه الكلام الحر والمعنى الجزل فلم يكن من الصناعة فى عير ولا نفير

على ان كلام العظماء المطبوعين ودرس رسائل المتقدمين على كل حال مما يفتق اللسان ويوسع المنطق ويشحذ الطبع ويستثير كوامنه ان كانت فيه سجية قال العتابى : ما رأينا فيما تصرفنا فيه من فنون العلم وجربنا فيه من صنوف الآداب شيأ أصعب مراما ولا أوعر مسلكا ولا أدل على نقص الرجال ورجاحتهم واصالة الرأى وحسن التمييز منه واختياره من الصناعة التى خطبتها والمعنى الذى طلبته وليس شئ أصعب من اختيار الالفاظ وقصدك بها الى موضعها الا ان اللفظة تكون أخت اللفظة وقسيمتها فى الفصاحة والحسن ولا تحسن فى مكان غيرها وتمييز هذه المعانى ومناسبة طبائع جها بذتها ومشاكلة أرواحهم جعلوا الكتابة نسبا وقرابة وأوجبوا على أهلها حفظها

سهل بن وهب : الكتابة نفس واحدة تجزأت فى أبدان مفترقة ومن لم يعرف فضلها وجهل أهلها وتعدى بهم رتبتهم التى وصفهم الله بها فانه ليس من الانسانية فى شئ . قالت البرامكة : رسائل المرء فى كتبه دليل على عقله وشاهد على غيبه قال الشاعر :

وتنكر ود المرء فى لحظ عينه * وتعرف عقل المرء حين تكاتبه

آخر : وشعر الفتى يبدى غريزة طبعه * وبالكتب يبدو عقله وبلاغته

الشعبى : يعرف عقل الرجل اذا كتب وأجاب . العتبى : عقول الناس مدونة فى كتبهم . ابن المقفع : كلام الرجل وافد عقله . وشبهت الحكماء المعانى بالغوانى والالفاظ

بالمعارض فاذا كساا الكاتب البليغ المعنى الجزل لفظا رائقا وأعاره مخرجا سهلا كان للقلب أحلى وللصدر أملى ولكنه بقى عليه أن ينظمه فى سلكه مع شقائقه كاللؤلؤ المنثور الذى يتولى نظمه الحاذق والجوهرى العالم يظهر باحكام الصنعة له حسنا هو فيه ومنحة بهجة هى له كما ان الجاهل اذا وضع بين الجوهرتين خرزة هجن نظمه واطفأ نوره . كان حبيب بن أوس ربما وقع على جوهرة فجعلها بين بعرتين قال الشاعر :

ولو قرنت بدر فاخر خرزا * من الزجاج لقلنا بئسما ناظما

والياقوت حسن وهو فى جيد الحسناء أحسن وكذلك الشعر الجيد مونق ولكنه من أفواه العظماء آنق والتاج الشريف بهى المنظر وهو على الملك أبهى كما قال ابن الرقيات (يعتدل التاج فوق مفرقه) قال أبو العتاهية لابن مناذر : بلغنى انك تقول الشعر فى الدهر والقصيدة فى الشهر فقال نعم لو رضيت لنفسى ان أؤلف تأليفك وأقول : ياعتب يادرة الغواص : لقلت فى اليوم والليلة ألف قصيدة وقال عمر بن لجأ لشاعر : أنا أشعر منك قال : ولم قال : لانك تقول البيت وابن عمه وأنا أقول البيت وأخاه

فان منيت بحب الكتابة وصناعتها والبلاغة وتأليفها وجاش صدرك بشعر معقود أودعتك نفسك الى تأليف الكلام المنثور وتهيأ لك نظم هو عندك معتدل وكلام لديك متسق فلا تدعونك الثقة بنفسك والعجب بتأليفك أن تهجم به على أهل الصناعة فانك تنظر الى تأليفك بعين الوالد لولده والعاشق الى عشيقه كما قال حبيب :

ويسىء بالاحسان ظنا لا كمن * هو بابنه وبشعره مفتون

ولكن اعرضه على البلغاء والشعراء والخطباء مموجا بغيره فان أصغوا اليه وأذنوا له وشخصوا بالابصار واستعادوه وطلبوه منك وامتزج فاكشف من تلك الرسالة والخطبة والشعر اسمه وانسبه الى نفسك وان رأيت عنه العيون منصرفة والقلوب عنه واهية فاستدل به على تخلفك عن الصناعة وتقاصرك عنها واستريب رأيك عند رأى غيرك من أهل الادب والبلاغة : فقد بلغنى ان بعض الملوك دعا انسانا الى مؤانسته حتى ارتفعت الحشمة بينهما فاخرج له كتابا قد غشاه بالجلود وجمع أطرافه بالابريسم وسوى ورقه وزخرف كتابته وجعل يقرأ عليه كلاما قد حبره فيه ونمقه عند نفسه وجعل يستحسن ما لا يحسن ويقف على ما لا يستثقل قراءته حتى أتى على الكتاب فقال له كيف رأيت ما قرأت عليك فقال أرى عقل صانع هذا الكلام أكثر من كلامه ففطن له ولم يعاوده الى ان وقف به على تنور

مسجور

مسجور ثم قذف بالكتاب فى النار وهذا رجل فى عقله فضلة وفيه تمييز

وانما البلية فيمن اذا بينت له سوء نظمه واختياره ووقفته على سخافة لفظه هجرك وعاداك فاجعل هذا الاصل ميزانا تزن به مذهبك فى رسائلك وبلاغتك ولا تخاطبن خاصا بكلام عام ولا عاما بكلام خاص فتى خاطبت أحدا بغير ما يشاكله فقد أجريت الكلام غير مجراه وكشفته وقصدك بالكلام الشريف للرجل الشريف تنبيه لقدر كلامك ورفع لدرجته قال :

فلم أمدحه تفخيما الشعرى * ولكنى مدحت بك المديحا

فلا تخرجن كلمة حتى تزنها بميزانها فتعرف تمامها ونظامها ومواردها ومصادرها وتجنب ماقدرت الالفاظ الوحشية وارتفع عن الالفاظ السخيفة واقتضب كلاما بين الكلامين

الجاحظ : مارأيت قوما أمثل طريقة فى البلاغة من هؤلاء الكتاب فانهم التمسوا من الالفاظ مالم يكن متوعرا وحشيا ولا ساقطا سوقيا : وقال خالد بن صفوان : أبلغ الكلام مالا يحتاج الى كلام وأحسنه مالم يكن بالبدوى المغرب ولا القروى المخدج الذى صحت مبانيه وحسنت معانيه ودار على ألسن القائلين وخف على آذان السامعين ويزداد حسنا على مر السنين بتجلية الرواة وتنقية السراة والكاتب المستحق اسم الكتابة والبليغ المحكوم له بالبلاغة من اذا حاول صنعة كتاب سالت على قلمه عيون الكلام من ينابيعها وظهرت من معادنها وتدرب من مواطنها عن غير استكراه ولا اغتصاب

حدثنا صديق للعتابى قال له : اعمل لى رسالة واستمده مرة بعد أخرى فقال له : ماأرى بلاغتك الاشاردة فقال له العتابى • لما تناولت القلم تداعت على المعانى من كل جهة فاحببت أن أترك كل معنى يرجع الى موضعه ثم اجتنى لك أحسنها • أملى يزيد بن عبد الله أخو دينار على كاتب له وأعجل عليه الاملال فتعثر قلم الكاتب عن تقييد املاله فقال متحرشا : اكتب ياحمار فقال الكاتب : أصلح الله الامير انه لما هطلت شآبيب الكلام وتدافعت سيوله على حرف القلم كل القلم عن ادراك ماوجب عليه تقييده فليتذكر الامير عذرى فكان جوابه أبلغ من بلاغة يزيد • وكلما احلولى الكلام وعذب ورق وسهلت مخارجه كان أسهل ولوجا فى الاسماع وأشد اتصالا بالقلوب وأخف على الافواه ولاسيما اذا كان المعنى البديع مترجما للفظ مونق شريف ومعبرا بكلام مؤلف رشيق لم يشنه التكلف بميسمه ولم يفسده التعقد باستهلاكه كقول ابن أبى كريمة :

قفاه وجه حسن والذى * قفاه وجه يشبه الشمسا

فهجن المعنى بتوعر مخارج الحروف وأخذه الحسن بن هانى فسهله وقال (بذ حسن الوجوه حسن قفا كا) وكلاهما من حسان حيث يقول :

قفاؤك أحسن من وجهه * وأمك خير من المنــذر

وانظر الى سلاسة الحسن بن سهل حيث قال :

شرست بل لنت بل قابلت ذاك بذا * فأنت لا شك فيك السهل والجبل

وكتب عيسى بن لهيعة كتابا الى بعضهم فعقد كلامه وجاز المقدار فى التنطع فوقع له

أنى يكون بليغا * من اسمه كان عيا

وثالث الحرف منه * اذا كتبت مسيا

ودخل كاتب على مريض فوجده يئن فخرج من عنده فوجد طائرا يقال له الشفانين بباب الطاق فاشتراه و بعث به اليه وكتب كتابا يتنطع فيه و يذكر انه يقال له الشفانين شفاء من الانين فاجابه لو عطست ضبا لم تكن عندى الا نبطيا فاقصر عن بغضك وسهل كلامك ومثله لمخلد الموصلى يهجو حبيب بن أوس الطائى

أنت عندى عربى * عربى والسـلام

شعر ساقيك ونخـ * ـديك خزامى وثمام

وقفا تحلف ماان * أعرقت فيه الكرام

أنا ماذنبى ان الذ * نبى فيـك الانام

وسألنى بعض أهل العلم أن أكتب له قصة الى جعفر بن عبد الواحد القاضى وقال : اكتب لى قصة سهلة بليغة الالفاظ فقلت له : دعنى اكتب لك مايصلح للقضاة فغضب وقال ماأسأل ان تعطينى شيأ انما أسألك هذا المعنى الرخيص فاحتملت عتبه لذمام فكتبت له قصة لاتصلح أن تدفع الا لرؤبة بن العجاج يقرؤها أو الطرماح فلما حصلت بيد القاضى أراد قراءتها فاذا هى مغلقة عليه فقال له : أنت كتبت هذه القصة قال : نعم قال : اذا فاقرأها فذهب ليقرأها فاذا هى بالسودانية استعجاما عليه فقال له : أصلح الله القاضى انما أقرؤها فى بيتى فقال له : فاطلب حاجتك اذا فى بيتك فرجع الى غضبان آسفا يشتم و يؤذى وسألنى أن أكتب له قصة على ما أرى فكتبت له كتابا يشبه أن يكون من مثله الى القضاة فقرأها وقضى حاجته وعلم انه لم يكتب واحدة منهما والكتاب اذا لم يكن شبيها بحاجة صاحبه كان

احد

أحد الاسباب المانعة والمعانى كلها ممثلة والكلام مشبعا ولكن سياسته صعبة وتأليفه شديد الا على جهابذته وفرسانه أمراء الكلام يصرفونه كيف شاؤا ولا يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه ويكون اللفظ الاسبق الى الاسماع من معناه الى القلوب

الجاحظ : كان لفظه فى وزن اشارته وطبعه فى معناه فى مطابقة معناه . ذكر الحسن ابن وهب أحمد بن يوسف فقال: ما كنت أدرى ألفظه آنق أم معناه أو معناه أجزل أم لفظه .
والمعانى وان كانت كامنة فى الصدور فانها مصورة فيها ومتصلة بها وهى كاللآلئ المنظومة فى أصدافها والنار المخبوءة فى أحجارها فان أظهرته من أكنانه واصدافه تبين حسنه وان قدحت النار من مكانها واحجارها انتفعت بها والا بقيت محجوبة مستورة وربما يستثار الكامن منها ويستخرج المستسر من جواهرها بقدر حذق المستنبط وصواب حركات المستخرج وقصد اشارته ولطف مذاهبه وكذلك ليس كل ناطق ولا كاتب يوضح عن المعنى ولا يصيب اشارته وكلما كان الكلام أفصح والبيان أوضح كان أدل على حسن وجه المعنى الخفى بالروح الخفى واللفظ الظاهر بالجثمان الظاهر واذا لم ينهض بالمعنى الشريف لفظ شريف جزل لم تكن العبارة واضحة ولا النظام متسقا والدال على المعنى أربعة أصناف لفظ واشارة وعقد وخط

وذكر ارسطاطاليس خامسا وهى التى تسمى النصبة وهى الحالة الدالة التى تقوم مقام تلك الاصناف الاربعة الناطقة بغير لفظ والمشيرة اليه بغير يد وذلك ظاهر فى خلق السموات والارض وفى كل صامت وناطق وهى داخلة فى جملة هذه المعانى الاربعة وخارجة منها بالحلية ولكل واحدة من هذه الدلائل صورة مخالفة لصورة صاحبتها وحلية غير مشاكلة لحلية أختها غير انها فى الجملة كاشفة عن أعيان المعانى وأوضح هذه الدلائل صنفان منها وهما اللسان والقلم وكلاهما يترجمان ويدلان على القلب ويستمليان منه ويؤديان عنه مالا تؤدى هذه الاصناف الباقية

وأما اللسان فهى الآلة التى يخرج الانسان بها من حد الاستبهام الى حد الانسانية ولذلك قال صاحب المنطق : حد الانسان الحى الناطق وانما يبين عن الانسان اللسان وعن المودة العينان والله سبحانه رفع درجة اللسان فانطقه من بين الجوارح بتوحيده وما جعل الله من عبر عن شئ مثل من لم يعبر عنه

الاعور التيمى :

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * فلم يبق الا صورة اللحم والدم

(وقال آخر)

ان الكلام لفى الفؤاد وانما * جعل اللسان على الفؤاد دليلا

الطائى

ومما كانت الحكماء قالت * لسان المرء من خدم الفؤاد

للخط صورة معروفة . وحلية موصوفة وفضيلة بارعة . ليست لهذه الاوصاف لانه ينوب عنها فى الايضاح عند المشهد ويفضلها فى المغيب وكفى بفضيلة العلم والخط قول الله عز وجل الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم واقسم به كما أقسم بغيره ثم اقسم بما يكتبه القلم افصاحا عن حاله واعظاما لشأنه وتنبيها لذكره فقال : ومايسطرون . ومن فضيلة الخط انه لسان اليد ورسول الضمير ودليل الارادة . والناطق عن الخواطر . وسفير العقول ووحى الفكر . وسلاح المعرفة . ومحادثة الاخلاء على التنائى . وأنس الاخوان عند الفرقة . ومستودع الاسرار . وديوان الامور . وترجمان القلوب . والمعبر عن النفوس . والمخبر عن الخواطر . وموروث الآخر مكارم الاول والناقل اليه مآثر الماضى والمخلد له حكمته وعلمه والمسامر للعين بسر القلب . والمخاطب عن الناصت . والمجادل عن الساكت . والمفصح عن الابكم والمتكلم عن الاخرس الذى تشهد له آثاره بفضائله وأخباره بمناقبه وقد وقعت البلاغة من العلم علو القدر وباذخ العز كأبى مسلم صاحب الدولة فرقت شمله وبددت جمعه ونقضت برمه وأفسدت صلاحه وضعضعت بنيانه مع ذكائه وتفطنه ومكايده ودهائه واصالة رايه وشدة شكيمته وامتناعه على أبى جعفر ونفاره عنه كيف استفزه ابن المقفع وصالح بن عبد القدوس وجبل بن يزيد واستمالوه بسحر ألفاظهم وبلاغة أقلامهم حتى نزل من باذخ عزه وجاء مبادرا حتى وقع فى الشرك المنصوب له فتفرق جمعه وانطفأ نوره وصار خبرا سائرا ورسما داثرا ورفع القلم خاشع الطرف . صغير الخطر . لئيم الجنس . درج من عش التجار . ونشأ بين المكيال والميزان . كيف أشالت البلاغة بضبعيه . ورفعت من ناظريه . حتى شافهت به عنان السماء . ورفعت بناءه فوق البناء . حتى طلبه الراكب . وقصده الطالب . وخشعت له الرجال . ولحظته العيون بالوقار . وتمكن من الصنائع . ومدت نحوه الاصابع . فشكرت منه اللفظة . ورجيت منه اللحظة . كمحمد

ابن

ابن عبد الملك بن الزيات وفيه يقول علي بن الجهم :

أحسن من عشرين بيتا سدا * جمعك معناهم في بيت

ما أحوج الملك الى مطرة * تغسل عنه وضر الزيت

فاجابه محمد بن عبد الملك :

رقيت في القول الى خطة * قدرك فيها قد تعديت

قير تم الملك فلم ننقه * حتى غسلنا القار بالزيت

ومدحه حبيب بن أوس يمدحه و يصف قلمه :

لك القلم الاعلى الذي بشباته * تصاب من الامر الكلى والمفاصل

وكان محمد من ألطف الناس ذهنا وأرقهم طبعا وأصدقهم حسا وأرشقهم قلما وأملحهم اشارة اذا قال أصاب واذا كتب أبلغ واذا أشعر أحسن واذا اختصر أغنى عن الاطالة أمره الواثق أن يتلطف بعبد الله بن طاهر و يعلمه انه صرفه عن أمر الجزائر والعواصم وفوض ذلك لابن عمه اسحق بن ابراهيم فكتب أما بعد فان أمير المؤمنين رأى أن يخلع ما في يمينك من أمر الجزائر والعواصم فيجعله في شمالك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

سهل بن بركة يهجو أبا نوح النصراني الكاتب فقال :

بابي وأمي ضاعت الاحلام * أم ضاعت الاذهان والافهام

من صد عن دين النبي محمد * أله بأمر المسلمين قيام

الا تكن أسيافهم مشهورة * فينا فتلك سيوفهم أقلام

قال عبد الرحمن بن كيسان : استعمال الكلام أجدر باحضار الذهن عند تصحيح الكتاب من استعمال اللسان على تصحيح الكلام ولم يختلف في شرف القلم وانما اختلف في كيفية البلاغة وماهيتها وقد مدحها كل قوم باوضح عبارتهم وأحسن بيانهم فقال صاحب اليونانيين : البلاغة تصحيح الاقسام واختيار الكلام . الرومي : البلاغة وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة . الفارسي : هي معرفة الفصل من الوصل . الهندي : هي البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة ثم أن يدع الافصاح بها الى الكناية عنها اذ كان الافصاح أوعر طريقا و ربما كان الاطراق عنها أبلغ في الدرك وأحق بالظفر . غيره : جماع البلاغة التماس حسن الموقع والمعرفة بساعات القول وقلة الخرق بما التبس من المعاني وغمض و بما شرد عليك من اللفظ وتعذر ثم قال وزين ذلك كله وبهاؤه وحلاوته

أن تكون الشمائل معتدلة والالفاظ موزونة واللهجة نقية فان جامع ذلك السن والسمت والجمال وطول الصمت فقد تم كل التمام

وقيل لهندى ما البلاغة فاخرج صحيفة مكتوبة عندهم فيها أول البلاغة احتمال آلة البلاغة . وذلك أن يكون البليغ رابط الجأش ساكن الجوارح قليل اللحظ متخير اللفظ لا يكلم سيد الامة بكلام الامة ولا الملوك بكلام السوقة ويكون فى قواه فضل للتصرف فى كل طبقة ولا يدقق المعانى كل التدقيق ولا ينقح الالفاظ كل التنقيح ويصعبها كل التصعبة ويهذبها غاية التهذيب ولا يكون كذلك حتى يصادف فيلسوفا حكيما عليما ومن قد تعود حذف فضل الكلام وأسقط مشترك اللفظ

أنوشروان لبزرجهر : متى يكون العي بليغا فقال : اذا وصف بليغا

ارسطاطاليس : البلاغة حسن الاستعارة

بشر بن خالد : البلاغة التقرب من المعنى البعيد والتباعد عن خسيس الكلام والدلالة بالقليل على الكثير

خالد بن صفوان : ليس البلاغة بخفة اللسان . ولا بكثرة الهذيان . ولكنها اصابة المعنى . والقرع بالحجة .

عمر بن عبد العزيز : البليغ من اذا وجد كثيرا ملأه واذا وجد قليلا كفاه . ابن عتبة : البلاغة دنو المآخذ وقرع الحجة والاستغناء بالقليل عن الكثير . بعضهم : انى لأكره للانسان أن يكون مقدار لسانه فاضلا عن مقدار عقله كما أكره أن يكون مقدار عقله فاضلا عن مقدار لسانه وعلمه . يكفى من حظ البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء افهام الناطق ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع

عمرو بن عبيد : ما البلاغة فقال : ما بلغك الجنة وعدل بك عن النار وما بصرك بمواقع رشدك وعواقب غيك فقال السائل ليس هذا أريد . فقال : من لم يحسن أن يسكت لم يحسن أن يسمع ومن لم يحسن الاستماع لم يحسن القول قال : ليس هذا أريد . قال النبى عليه الصلاة والسلام : انا معاشر الانبياء بكاؤن وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله فقال له السائل : ليس هذا أريد قال : كانوا يخافون من فتنة السكوت وسقطات الصمت فقال : ليس هذا أريد فقال : فكانك انما تريد تخير اللفظ فى حسن افهام انك اردت تقرير حجة الله فى عقول المكلفين وتخفيف المؤنة عن المستمعين وتزيين تلك المعانى

فى

فى قلوب المريدين بالالفاظ المستحسنة فى الآذان المقبولة عند الاذهان رغبة فى سرعة استجابتهم ونفى الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة كنت قد أوتيت فصل الخطاب واستوجبت من الله سبحانه جزيل الثواب

الخليل بن أحمد : كل ما أدى الى قضاء الحاجة فهو بلاغة فان استطعت أن يكون لفظك لمعناك طبقا ولتلك الحال وفقا وآخر كلامك لاوله مشابها وموارده لمصادره موازنا فافعل واحرص أن تكون الكلامك متهما وان ظرف . ولنظامك مستريبا وان لطف . بمواتاة آلتك لك ، وتصرف ارادتك معك . فافعل ان شاء الله

وهذه الرسالة عذراء لانها بكر معان لم تفترعها بلاغة الناطقين ولا لمستها أكف المفوهين ولا غاصت عليها فطن المتكلمين ولا سبق الى ألفاظها أذهان الناطقين فاجعلها مثالا بين عينيك ومصورة بين يديك ومسامرة لك فى ليلك ونهارك تهطل عليك شآبيب منافعها ويظلك منها بركاتها وتوردك مناهل بلاغاتها وتدل على مهيع رشدها وتصدرك وقد نقع ظمؤك بينابيع بحر احسانها ان شاء الله عز وجل والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

رسالة ابن القارح

الى أبي العلاء المعرى

(ظفرنا بهذه الرسالة فى خزانة كتب أستاذنا الشيخ طاهر الجزائرى كتبه أبو حسن علي بن منصور الحلبي المعروف بالقارح الى أبي العلاء المعرى فاجاب عنها هذا فى رسالة خاصة سماها رسالة الغفران طبعت بمصر سنة ١٣٢١ — ١٩٠٣ فى مطبعة هندية . أما ابن القارح وكان يلقب بدوخلة فكان شيخا من أهل الادب راوية للاخبار حافظا لقطعة كبيرة من اللغة والاشعار قؤوما بالنحو وكان ممن خدم أبا علي الفارسي فى داره وهو صبى ثم لازمه وقرأ عليه وكانت معيشته التعليم بالشام ومصر . قال ابن عبد الرحيم وشعره يجرى مجرى شعر المعلمين قليل الحلاوة خال من الطلاوة وكان آخر عهدى به بتكريت فى سنة احدى وعشرين وأربعمائة فانا كنا مقيمين بها واجتاز بنا وأقام عندنا مدة ثم توجه الى الموصل فبلغتني وفاته من بعد وكان يذكر ان مولده بحلب سنة احدى وخمسين وثلاثمائة . قال ياقوت : وعلي بن منصور هذا يعرف بابن القارح وهو الذى كتب الى أبي العلاء المعرى الرسالة المعروفة برسالة ابن القارح فاجابه أبو العلاء برسالة الغفران وذكر اسمه فيها)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

استفتاحا باسمه . واستنجاحا ببركته . والحمد لله المبتدى بالنعم ، المنفرد بالقدم ، الذى جل عن شبه المخلوقين ، وصفات المحدثين ، ولي الحسنات ، المبرأ من السيآت ، العادل فى أفعاله ، الصادق فى أقواله ، خالق الخلق ومبديه ، ومبقيه ما شاء ومفنيه ، وصلواته على محمد وابرار عترته وأهليه صلاة ترضيه وتقربه وتدنيه وتزلفه وتحظيه

كتابي أطال الله بقاء مولاى الشيخ الجليل ومد مدته وأدام كفايته وسعادته وجعلني فداءه وقدمني قبله على الصحة والحقيقة وبعد القصد والعقيدة وليس على مجاز اللفظ ومجرى الكتابة ولا على تنقص وخلابة وتحبب ومسامحة ولا كما قال بعضهم وقد عاد صديقا له : كيف تجدك جعلني الله فداك وهو يقصد تحببا ويريد تملقا ويظن انه قد أسدى جميلا يشكره صاحبه ان نهض واستقل ويكافئه عليه ان أفاق وأبل عن سلامة تمامها

بحضور

بحضور حضرته وعافية نظامها بالتشرف بشريف عزته وميمون نقيبته وطلعته ويعلم الله الكريم تقدست أسماؤه انى لو حننت اليه أدام الله تأييده حنين الواله الى بكرها . وذات الفرخ الى وكرها أو الحمامة الى الفها . أو الغزالة الى خشفها . لكان ذلك مما تغيره الليالى والايام . والعصور والاعوام . لكنه حنين الظمآن الى الماء . والخائف الى الامن والسليم الى السلامة والغريق الى النجاة . والقلق الى السكون . بل حنين نفسه النفيسة الى الجسد والجسد فاذن أ ... نزاع الاستقسات الى عناصرها . والاركان الى جواهرها . ... من العمر يؤنسنى برؤيته . ويعلقنى بحبل مودته . مرت كسا ... وأحمد مسراه . وقر عيناً . ونعم بالا . وكان كمن لم يمسه سوء ولم يتخوفه ... ولا غامر . وعسى الله أن يمن بذلك بيومه أو بثانيه وبه الثقة وأنا ... والبعاد امتاعه بالفضل الذى استعلى على عاتقه وغاربه . ... ومغاربه . فمن مر على بحره الهياج . ونظر فى لألاء بدره الوهاج . ... ويدنو طبعه عن رسائله الا أن يلقى اليه بالمقاليد . أو ... فيكون منسوباً اليه . ومحسوباً عليه . ونازلا فى شعبه . وأحد أصحاب ... شرارة ناره . وقراضة ديناره . وسمك بحره . وثمد غمره . وهيهات ... التكحل فى العينين كالكحل . خلقوا أسخياء لا متساخين ... لا سيما وأخلاق النفس تلزمها لزوم الالوان للابدان . لا يقدر الابيض على ... ولا الاسود على البياض . ولا الشجاع على الجبن . ولا الجبان على الشجاعة ... العزرمى :

يذر ... عن أم رأسه * ويحمى شجاع القوم من لا يناسبه

ويرزق معروف الجواد عدوه * ويحرم معروف البخيل أقاربه

ومن لا يكف الجهل عمن يوده * فسوف يكف الجهل عمن يوانبه

ومن أين ... صوب السحاب . وللغراب هدى العقاب . وكيف وقد أصبح ذكره فى مواسم الذكر آذانا وعلى معالم الشكر لسانا فمن دافع العيان . وكابر الانس والجان . واستبد بالافك والبهتان . كان كمن صالب بوقاحته الحجر . وحاسن بقباحته القمر . وهذى وهذر . وتعاطى فعقر . وكان كمحموم بلسم فعفر . ونادى على نفسه بالنقص فى البدو والحضر . وكان كما قال من يعنيه ولا يشك فيه :

كناطح صخرة يوما ليفلقها * فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وروى ان رسول الله صلى الله عليه وزاده شرفا لديه قال : لعن الله ذا الوجهين لعن الله ذا اللسانين لعن الله كل شقار لعن الله كل قتات

وردت حلب ظاهرها حماها الله تعالى وحرسها بعد ان منيت بربضها بالدرخمين وأم حبوكري والفتكرين بل رميت بآبدة الآباد والداهية النآد فلما دخلتها وبعد لم تستقر بي الدار وقد نكرتها لفقدان معرفة وجار وأنشدتها باكيا :

اذا زرت أرضا بعد طول اجتنابها * فقدت حبيبا والبلاد كما هيا

كان أبو القطران المرار بن سعيد الفقعسي يهوى ابنة عمه بنجد واسمها وحشية فاهتداها رجل شامي الى بلده فغمه بعدها وساءه فراقها فقال من قصيدة :

اذا تركت وحشية النجد لم يكن * لعينيك مما تبكيان طبيب
رأى نظرة منها فلم يملك البكا * معاوز يربوتحتهن كثيب
وكانت رياح الشام تكره مرة * فقد جعلت تلك الرياح تطيب

فحصلت من الرباح على الرياح كما حصل لابي القطران من وحشية ثم وثم وثم وثم أجرى ذكره أدام الله تأييده من غير سبب جره وغير مقتض اقتضاه فقال الشيخ بالنحو أعلم من سيبويه وباللغة والعروض من الخليل فقلت والمجالس بأزز بلغني انه أدام الله تأييده يصغر كبيره ويتزر صغيره فيصير تصغيره تكبيرا وتحقيره تكثيرا وهكذا شاهدت من شاهدت من العلماء رحمهم الله أجمعين وجعله وارث أطول أعمارهم وأمدها وأنضرها وأرغدها وما ثم له حاجة دعت الى هذا قد تفتح النور وتوضح النور وأضاء الصبح لذي عينين كان أبو الفرج الزهرجي كاتب حضرة نصر الدولة أدام الله حراسته كتب رسالة الى أعطانيها ورسالة اليه أدام الله تأييده استودعنيها وسألني ايصالها الى جليل حضرته وأكون نافثها لا باعثها ومجلها لا مؤجلها فسرق عديلي رحلا لي الرسالة فيه فكتبت هذه الرسالة أشكو أموري وأبث شقوري وأطلعه طلع عجري وبجري وما لقيت في سفري من اقيوام يدعون العلم والادب والادب أدب النفس لا أدب الدرس وهم أصفار منهما جميعا ولهم تصحيفات كنت اذا رددتها عليهم نسبوا التصحيف الى وصاروا ألبا علي لقيت أبا الفرج الزهرجي بآمد ومعه خزانة كتبه فعرضها على فقلت كتبك هذه يهودية قد برئت من الشريعة الحنيفية فاظهر من ذلك اعظاما وانكارا فقلت له أنت على المجرب ومثلي لا يهرف بما لا يعرف وأبلغ

تيقن

تيقن فقرأهو وولده وقال : صغر الخبر الخبر وكتب الى رسالة يقرظني فيها بطبع له كريم وخلق غير ذميم قال المتنبي : أذم الى هذا الزمان أهيله : صغرهم تصغير تحقير غير تكبير وتقليل غير تكثير فنفث مصدورا : وأظهر ضميرا مستورا : وهو سائغ في مجاز الشعر وقائله غير ممنوع من النظم والنثر ولكنه وضعه غير موضعه وخاطب به غير مستحقه وما يستحق زمان ساعده بلقاء سيف الدولة أن يطلق على أهله الذم وكيف وهو القائل يخاطبه

أسير الى اقطاعه في ثيابه ※ على طرفه من داره بحسامه

وقد كان من حقه أن يجعلهم في خفارته اذ كانوا منسوبين اليه ومحسوبين عليه ولا يجب أن يشكو عاقلا ناطقا الى غير عاقل ولا ناطق اذ الزمان حركات الفلك الا أن يكون ممن يعتقد ان الافلاك تعقل وتعلم وتفهم وتدري بمواقع أفعالها بقصود وارادات ويحمله هذا الاعتقاد على أن يقرب لها القرابين ويدخن الدخن فيكون مناقضا لقوله

فتبا لدين عبيد النجو ※ م ومن يدعي انها تعقل

أو يكون كما قال الله تعالى في كتابه الكريم : (مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء) ويوشك أن تكون هذه صفته

حكى القطربلي وابن أبي الازهر في تاريخ اجتمعا على تصنيفه وأهل بغداد وأهل مصر يزعمون انه لم يصنف في معناه مثله لصغر حجمه وكبر علمه يحكيان فيه ان المتنبي أخرج ببغداد من الحبس الى مجلس أبي الحسن علي بن عيسى الوزير رحمه الله فقال له : أنت أحمد المتنبي فقال : أنا أحمد المتنبي وكشف عن بطنه فاراه سلعة فيه وقال هذا طابع نبوتي وعلامة رسالتي فامر بقلع جشكه وصفعه به خمسين وأعاده الى محبسه ويقول لسيف الدولة :

وتغضبون على من نال رفدكم ※ حتى يعاقبه التنغيص والمنن

كذب والله لقد كان يتحرش بالمكارم ويتحكك بها ويحسد عليها أن تكون الامنه وبه وهذا غير قادح في طلاوة شعره ورونق ديباجته ولكني أغتاظ على الزنادقة والملحدين الذين يتلاعبون بالدين ويرومون ادخال الشبه والشكوك على المسلمين ويستعذبون القدح في نبوة النبيين صلوات الله عليهم أجمعين ويتطرفون ويتنذرون اعجابا بذلك المذهب تيه مغن وظرف زنديق . وقتل المهدي بشارا على الزندقة ولما شهر بها وخاف دافع عن نفسه بقوله :

يا ابن نهيا رأسي على ثقيل ※ واحتمال الرأسين عبء ثقيل

فادع غيرى الى عبادة ربيـ * ـن فانى بواحـد مشـغول

واحضر صالح بن القدوس واحضر النطع والسياف فقال: علام تقتلنى قال: على قولك

ربسر كتمته فكأنى * أخرس أو ثنى لسانى عقـل
ولوانى أظهرت للناس دينى * لم يكن لى فى غير حبسى أكل

ياعدى الله وعدى نفسه

الستر دون الفاحشات ولا * يلقاك دون الخير من ستر

فقال قد كنت زنديقا وقد تبت عن الزندقة قال كيف وأنت القائل:

والشـيخ لا يترك عاداته * حتى يوارى فى ثرى رمسـه
اذا ارعوى عاد الى غيـه * كذى الضنى عاد الى نكسه

وأخـذ غفلته السياف فاذا رأسه يتدهدأ على النطع • وظهر فى أيامه فى بلد خلف بخارا وراء النهر رجل قصار أعور عمـل له وجها من ذهب وخوطب برب العزة وعمـل لهم قمرا فوق جبـل ارتفاعـه فراسخ فانفذ المهدى اليـه فأحيط به وبقلعته فحرق كل شئ فيها وجمع كل من فى البلد وسـقاهم شرابا مسموما فماتوا اجمعهم وشرب فلحق بهم وعجل الله بروحه الى النار • والصناديق فى اليمن فكانت جيوشـه بالمخيرة وسفهنه وخوطب بالربوبيـة وكوتب بها فكانت له دار افاضة يجمع اليها نساء البلدة كلها ويدخل الرجال عليهن ليلا قال من يوثق بخـبره دخلت اليها لانظر فسمعت امرأة تقول: يابنى فقال: ياأمه نريد أن نمضى أمر ولى الله فينا وكان يقول: اذا فعلتم هـذا لم يتميز مال من مال ولا ولد من ولد فتكونون كنفس واحـدة فغزاه الحسنى من صنعاء فهزمه وتحصن منـه فى حصن هناك فانفذ اليـه الحسنى طبيبا بمبضع مسموم ففصده به فقتله • والوليد بن يزيد أقام فى الملك سنة وشهرين وأياما وهو القائل:

اذا مت ياأم الحنيكل فانكحى * ولا تأملى بعـد الفراق تلاقيا
فان الذى حـدثته من لقائنا * أحاديث طسم تترك العقل واهيا

ورمى المصحف بالنشاب وخرقه وقال:

اذاما جئت ربك يوم حشر * فقـل يارب خرقنى الوليد

وانفـذ الى مكة بناء مجوسـيا ليبنى له على الـكعبة مشربة فمات قبل تمام ذلك فـكان الحجاج يقولون: لبيك اللهـم لبيك لبيك ياقاتل الوليد بن يزيد لبيك واحضر بنابجة من ذهب

ذهب وفيها جوهرة جليلة القدر صورة رجل فسجد له وقبله وقال اسجد له يا علج : قلت ومن هذا قال : هذا مانى شأنه كان عظيما اضمحل أمره لطول المدة فقلت لا يجوز السجود الا لله فقال : قم عنا وكان يشرب على سطح وبين يديه باطية كبيرة بلور وفيها أقداح فقال لندمائه : أين القمر الليلة فقال بعضهم : فى الباطية فقال : صدقت أتيت على ما فى نفسى والله لا شربن الهفتجة يعنى شرب سبعة أسابيع متتابعة وكان بموضع حول دمشق يقال له البحرا فقال :

تلعب بالنبوة هاشمى * بلا وحى أتاه ولا كتاب

فقتل بها ورأيت رأسه فى الباطية التى أراد أن يهفتج بها * وأبو عيسى بن الرشيد القائل :

دهانى شهر الصوم لا كان من شهر * ولا صمت شهرا بعده آخر الدهر

ولو كان يعدينى الامام بقدرة * على الشهر لاستعديت دهرى على الشهر

عرض له فى وقته صرع فمات ولم يدرك شهرا غيره والحمد لله • والجنابى قتل بمكة ألوفا وأخذ ستة وعشرين ألف جمل خفا وضرب آلاتهم وأثقالهم بالنار واستملك من النساء والغلمان والصبيان من ضاق بهم الفضاء كثرة ووفورا وأخذ حجر الملتزم وظن انها مغناطيس القلوب وأخذ الميزاب قال : وسمعت قائلا يقول لغلام دحسمان طوال برفل فى برديه وهو فوق الكعبة : يا رحمة اقلعه واسرع يعنى ميزاب الكعبة فعلمت ان أصحاب الحديث صحفوه فقالوا يقلعه غلام اسمه رحمة كما صحفوا على على رضى الله عنه قوله تهلك البصرة بالريح فهلكت بالزنج لانه قتل علوى البصرة فى موضع بها يقال له العقيق أربعة وعشرين ألفا عدوهم بالقصب وحرق جامعها وقال فى خطبته يخاطب الزنج : انكم قد أعنتم بقبح منظر فاشفعوه بقبح مخبر اجعلوا كل عامر قفرا وكل بيت قبرا • قال لى بدمشق أبو الحسين اليزيدى الوزير بن على نسب جدى دخل واياه ادعى قال أبو عبد الله محمد بن على بن رزام الطائى الكوفى : كنت بمكة وسيف الجنابى قد أخذ الحاج ورأيت رجلا منهم قد قتل جماعة وهو يقول يا كلاب أليس قال لكم محمد المكى ومن دخله كان آمنا أى أمن هنا فقلت له يا فتى العرب تؤمننى سيفك أفسر لك هذا قال نعم قلت فيها خمسة أجوبة الاول ومن دخله كان آمنا من عذابى يوم القيامة والثانى من الفرض الذى فرضت عليه والثالث خرج مخرج الخبر وهو يريد الامر كقوله والمطلقات يتربصن بانفسهن والرابع لا يقام عليه الحد فيه اذا جنى فى الحل والخامس من الله عليهم بقوله انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف

الناس من حولهم فقال صدقت هذه اللحية الى توبة ؟ فقلت : نعم فخلانى وذهب

والحسين بن منصور الحلاج من نيسابور وقيل من مرو يدعى كل علم وكان متهورا جسورا يروم اقلاب الدول ويدعى فيه أصحابه الالهية ويقول بالحلول ويظهر مذاهب الشيعة للملوك ومذاهب الصوفية للعامة وفى تضاعيف ذلك يدعى ان الالهية قد حلت فيه وناظره على بن عيسى الوزير فوجده صفرا من العلوم وقال تعلمك لطهورك وفرضك أجدى عليك من رسائل أنت لا تدرى ما تقول فيها كم تكتب الى الناس تبارك ذو النور الشعشعانى الذى يلمع بعد شعشعته ما أحوجك الى أدب • حدثنى أبو على الفارسى قال رأيت الحلاج واقفا على حلقة أبى بكر الشبلى أنت بالله ستفسد خشبة فنفض كمه فى وجهه وأنشد :

ياسر سر يدق حتى * يجل عن وصف كل حى
وظاهرا باطنا تبدى * من كل شئ لكل شى
ياجلة الكل لست غيرى * فما اعتذارى اذا الى

وهو يعتقد ان العارف ابن الله بمنزلة شعاع الشمس منها بدا واليها يعود ومنها يستمد ضوءه أنشدنى الظاهر لنفسه

أرى جيل التصوف شر جيل * فقل لهم واهون بالحلول
أقال الله حين عشقتموه * كلوا أكل البهائم وارقصوا لى

وحرك يوما يده فانتثر على قول مسك وحرك مرة أخرى فانتثر دراهم فقال له بعض من حضر ممن يفهم : أرنى دراهم معروفة أومن بك وخلق معى ان أعطيتنى درهما عليه اسمك واسم أبيك فقال : وكيف هذا وهذا لا يصنع قال : من أحضر ما ليس بحاضر صنع ما ليس بمصنوع وكان فى كتبه انى مغرق قوم نوح ومهلك عاد وثمود فلما شاع أمره وعرف السلطان خبره على صحة وقع بضربه ألف سوط وقطع يديه ثم أحرقه بالنار فى آخر سنة تسع وثلثمائة وقال لحامد بن العباس : أنا أهلكك فقال حامد : الآن صح انك تدعى ما قرفت به

وابن أبى العذافر أبو جعفر محمد بن على الشلمغانى أهله من قرية من قرى واسط تعرف بشلمغان وصورته صورة الحلاج ويدعى عنه قوم انه اله وان الله حل فى آدم ثم فى شيث ثم فى واحد واحد من الانبياء والاوصياء والائمة حتى حل فى الحسن بن على العسكرى وانه حل فيه وكان قد استغوى جماعة منهم ابن أبى عون صاحب كتاب التشبيه ومعه ضربت

عنقه

عنقه وكانوا يبيحونه حرمهم وأولادهم يتحكم فيهم وكان يتعاطى الكيمياء وله كتب معروفة

وكان أحمد بن يحيى الراوندى من أهل مرو الروز حسن الستر جميل المذهب ثم انسلخ من ذلك كله بأسباب عرضت له ولان علمه كان أكثر من عقله وكان مثله كما قال الشاعر :

ومن يطيق مرداعند صبوته * ومن يقوم لمستور اذا خلعا

صنف كتاب التاج يحتج فيه لقدم العالم فنقضه أبو الحسن الخياط

الزمرذ يحتج فيه لابطال الرسالة نقضه الخياط .

نعت الحكمة سفه الله تعالى فى تكليف خلقه أمره . نقضه الخياط .

الدامغ يطعن فيه على نظم القرآن

القضيب يثبت ان علم الله محدث وانه كان غير عالم حتى خلق لنفسه علما نقضه الخياط

الفريد فى الطعن على النبى عليه الصلاة والسلام

المرجان فى اختلاف أهل الاسلام

على بن العباس بن جريج الرومى قال أبو عثمان الناجم : دخلت عليه فى علته التى مات فيها وعند رأسه جام فيه ماء مثلوج وخنجر مجرد لو ضرب به صدر لخرج من ظهر فقلت : ماهذا قال : الماء أبل به حلقى فقلما يموت انسان الا وهو عطشان والخنجر ان زاد على الالم نحرت نفسى ثم قال : اقص عليك قصتى تستدل بها على حقيقة تلفى أردت الانتقال من الكرخ الى باب البصرة فشاورت صديقنا أبا الفضل وهو مشتق من الافضال فقال اذا جئت القنطرة فخذ على يمينك وهو مشتق من اليمن واذهب الى سكة النعيمة وهو مشتق من النعيم فاسكن دار ابن المعافى وهو مشتق من العافية فخالفته لتعسى ونحسى فشاورت صديقنا جعفرا وهو مشتق من الجوع والفرار فقال : اذا جئت القنطرة فخذ على شمالك وهو مشتق من الشوم واسكن دار ابن قلابة وهى هذه لا جرم قد انقلبت بى الدنيا وأضرما على العصافير فى هذه السدرة تصيح سيق سيق فها أنا فى السياق ثم أنشدنى

أباعثمان أنت قريع قومك * وجودك للعشيرة دون لومك

تمتع من أخيك فما أراه * يراك ولا تراه بعد يومك

وألح به البول فقلت له البول ملح بك فقال :

غدا ينقطع البول * ويأتى الويل والعول

ألا ان لقاء الله * هول دونه الهول

ومات من الغد فارجو أن يكون هذا القول توبة له مما كان اعتقده من ذبحه نفسه والرسول عليه الصلاة والسلام يقول من وجأ نفسه بحديدة حشر يوم القيامة وحديدته بيده يجأ بها نفسه خالدا مخلدا فى النار من تردى من شاهق حشر يوم القيامة يتردى على منخريه فى النار خالدا مخلدا من تحسى سما حشر يوم القيامة وسمه بيده يتحساه خالدا مخلدا (١) فى النار

قال الحسن بن رجاء الكاتب جاءنى أبو تمام الى خراسان فبلغنى انه لا يصلى فوكلت به من لازمه أياما فلم يره صلى يوما واحدا فعاتبته فقال : يامولاى قطعت الى حضرتك من بغداد فاحتملت المشقة وبعد الشقة ولم أره يثقل على فلو كنت أعلم ان الصلاة تنفعنى وتركها يضرنى ماتركتها فاردت قتله فخشيت أن يحمل على غير هذا

وفى تاريخ كثيرة انه أحضر المازيار الى المعتصم وقبل قدومه بيوم سخط على الافشين لان القاضى بن أبى دواد قال للمعتصم : أغرل ويطأ امرأة عربية وهو كاتب المازيار وزين له العصيان فاحضر كاتبه وتهدده المعتصم فاقر انه كتب الى المازيار لم يكن فى الارض ولا فى العصر بلية الا أنا وأنت وبابك وقد كنت حريصا على حقن دمه حتى كان من أمره ما كان ولم يبق غيرى وغيرك وقد توجه اليك عسكر من عساكر القوم فان هزمته وثبت أنا بملكهم فى قرار داره فظهر الدين الابيض فاجابه المازيار بجواب هو عنده سفط أحمر فجمع بين الافشين والمازيار فاعترف المازيار بما حكى عنه وقيل للمعتصم ان وراء المازيار مالا جليلا فانشد

ان الاسود أسود الغاب همتها * يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب

ذكروا ان اثنين قتلوا ثلاثة آلاف ألف وخمسمائة ذباح بالثياب الحمر والخناجر الطوال وانهم وجدوا أسماءهم فى وقعة وقعة وفى بلد بلد وكانوا يأخذون من كل واحد علامة خاتمه أو ثوبه أو منديله أو تكته أتى الوادى فطم على القرى

قد لقيت من يجادلنى ان عليا رضى الله عنه وكذلك الحاكم (٢) وقد ظهر بالبصرة من يدعى انه جعفر بن محمد عليهما السلام وانه متصل به وروحه فيه ومتصلة به ولو استقصيت القول فى هذا الفن لطال جدا ولكن

---

(١) وقوع لفظ الخلود فى هذه الاحاديث للتهديد (٢) كذا فى الاصل

لا

لابد للمصدور ان ينفثا * وللذى فى الصدر ان يبعثا

بل لو قلت كل ما أعلمه أكات زادى فى محبسى بل كنت أنشد

أحمل رأسا قد مللت حمله * ألا فتى يحمل عنى ثقله

واستريح الى ان أنشد

ليس يشفى كلوم غيرى كلومى * مابه مابه ومابى مابى

ان شكوت العصر وأحكامه وذممت صروفه وأيامه شكوت من لا يشكى أبدا . وذممت من لا يرضى أحدا . شيمته اصطفاء اللئام . والتحامل على الكرام . وهمته رفع الخامل الوضيع . ووضع الفاضل الرفيع . اذا سمح بالحياء . فابشر بوشك الاقتضاء . واذا أعار . فأحسبه قد أغار . فما بين أن يقبل عليك مستبشرا ويولى عنك متجهما مستشزرا الا كلمح البصر واستطارة الشرر لم يخترق ذكر الوفاء مسامعه . ولم يمسس ماء الحياء مدامعه . ظاهره يسر ويونس . وباطنه يسوء ويؤيس . يخيب ظن راجيه . ويكذب أمل عافيه . لا يسمع الشكوى . ويشمت بالبلوى . قد ذممت سيأ . ووقعت فيه أنا كالغريق يطلب معلقا . والاسير يندب مطلقا . واستحسن قول على بن العباس ابن جريج الرومى

ألا ليس شيبك بالمنتزع * فهل أنت عن غيه مرتدع

وهل أنت تارك شكوى الزما * ن اذا شئت تشكو الى مستمع

فشيب أخى الشيب أمنية * اذا ما تناهت اليها هلع

كنت فى حال الحداثة أقرب الناس الى وأعزهم على وأقربهم عندى وأجلهم فى نفسى مرتبة من قال لى نسأل الله فى أجلك جعل الله لك أمد الاعمار وأطولها فلما بلغت عشر الثمانين جاء الجزع والهلع فم ارتاع والتاع وأخلد الى الاطماع وهو الذى كنت أتمنى ويتمنى لى أهلى أمن صدوف الغوانى عنى فانا والله عنهن أصدف وبهن وأدوائهن أعرف اذا ست ممن ينشد تحسرا عليهن

للسود فى السود آثار تركن بها * لمعا من البيض تثنى أعين البيض

وقول الآخر

ولما رأيت النسر عزابن داية * وعشش فى وكريه جاشت له نفسى

ولا أنشد لابى عبادة البحترى

ان أيامــه من البيض بيض * مارأين المفارق السود سودا
واذا المحــل ثار ثار واغيوثا * واذا النقع ثار ثار وا أسودا
يحسن الذكر عنهم والاحاديـ * ـث اذا احدث الحديد الحديدا
بلدة تنبت المعالى فمايثـ * ـغر الطفـل فيهـم أو يسودا

وهـذه صفة، عرة النعمان به أدام الله تأييده لا خات منه ومن النعمة عليه وعنـده فقد وجدت أهلها معـترفين بعوارفه خلا أبى العباس أحمد بن خلف الممتع أدام الله عزه فانى وجدت آثار تفضله عليه طاهرة ولسانه رطبا بشكره وذكره وقد ملأ السماء دعاء والارض ثناء . قالت قريش للنبي عليه الصـلاة والسلام : اتباعك من هؤلاء الموالى كبلال وعمـار وصهيب خير من قصى بن كلاب وعبـد مناف وهاشم وعبد شمس فقال نعم والله لئن كانوا قليلا ليكثرن ولئن كانوا وضعاء ليشرفن حتى يصير والنجوم ما يهتدى بهم ويقتدى فيقال هذا قول فلان وذكر فلان فلا تفاخرونى بآبائكم الذين موتوا فى الجاهلية فلما يدهده الجعـل بمنخره خـير من آبائـكم الذين موتوا فيها فاتبعونى أجعلـكم أنسابا والذى نفسى بيـده لتقتسمن كنوز كسرى وقيصر فقال له عمـه أبو طالب ابق على وعلى نفسك فظن عليـه الصلاة والسلام انه خاذله ومسلمه فقال ياعم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى على ان أترك هذا الامر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته ثم استعبر باكيا ثم قام فلما ولى ناداه اقبل يا ابن أخى فاقبـل فقال : اذهب وقل ماشئت فوالله لا أسلمتك لسوء أبدا فـكان عليه الصـلاة والسلام يذكر يوما ما لقى من قومه من الجهد والشـدة قال : لقد مكثت أياما وصاحبى هذا يشير الى أبى بكر بضع عشرة ليلة ما لنا طعام الا البرير فى شعب الجبال

وكان عتبة بن غزوان يقول : اذ ذكر البلاء والشـدة التى كانوا عليها بمكة : لقد مكثنا زمانا ما لنا طعام الا ورق البشام أكلناه حتى تقرحت أشـداقنا ولقد وجـدت يوما تمرة فجعلتها بينى وبين سعد وما منا اليوم أحـد الا وهو أمير على كورة وكانوا يقولون فيمن وجـد تمرة فقسمها بينه وبين صاحبـه ان أسعد الرجلين من حصلت النواة فى قسمه يلوكها يومه وليلته من عدم القوت وكذا قال رسول الله صـلى الله عليه وسـلم لقد رعيت غنيمات أهـل مكة لهم بالقراريط وابتـدأ امره انه وقف على الصـفا ونادى ياصـباحاه فجاؤا يهرعون فقالوا : ماد هاك ماطرقك قال : بما تعرفونى قالوا : محمـد الامين قال : أرأيتم ان قلت لـكم ان خيـلا قد طرقتـكم فى الوادى وان عسكرا قد غشـيكم من الفجأ كنتم تصـدقونى قالوا :

اللهم نعم ماجربناعليك كذبا قط . قال : فان الذى أنتم عليه ليس لله ولا من الله ولا يرضاه الله قولوا : لا اله الا الله واشهدوا انى رسوله واتبعونى تطعكم العرب وتملكون العجم وان الله قال لى : استخرجهم كما استخرجوك وابعث جيشا ابعث خمسة أمثاله وضمن لى انه ينصرنى بقوم منكم وقال لى : قاتل بمن أطاعك من عصاك وضمن لى انه يغلب سلطانى سلطان كسرى وقيصر ثم انه عليه الصلاة والسلام غزا تبوك فى ثلاثين ألفا وهذا من قبل الله الذى يجعل من لا شئ كل شئ ويجعل كل شئ لا شئ يجمد المائعات ويميع الجامدات يجمد البحر ثم يفجر الصخر وما مثله فى ذلك الا كمثل من قال : هذه الزجاجة الرقيقة السخيفة أحك بها هذه الجبال الصلدة الصلبة المنيفة فترضها وتفضها وهذه النملة الضعيفة اللطيفة تهزم العساكر الكثيرة المعدة وكذا حقيقة أمره عليه الصلاة والسلام حتى لقد قال عروة بن مسعود الثقفى لقريش وكان رسولهم اليه صلى الله عليه وسلم بالحديبية : لقد وردت على النجاشى وكسرى وقيصر ورأيت جندهم وأتباعهم فما رأيت أطوع ولا أوقر ولا أهيب من أصحاب محمد لمحمد هم حوله وكأن الطير على رؤسهم فان أشار بأمر بادروا اليه وان توضأ اقتسموا وضوءه وان تنخم دلكوا بالنخامة وجوههم ولحاهم وجلودهم (؟) وكانوا له بعد موته أطوع منهم فى حياته حتى لقد قال بعض أصحابه لا تسبوا أصحاب محمد فانهم أسلموا من خوف الله وأسلم الناس من خوف أسيافهم فتأمل كيف استفتح دعوته وهو ضعيف وحده بان هذا سيكون فرآه العدو والولى وما كان مثله فى ذلك الا مثل من قال هذه الهباءة تعظم وتصير جبلا يغطى الارض كلها ثم أنذر الناس بها فى حال ضعفها وجاء صلى الله عليه وسلم يوما ليدخل الكعبة فدفعه عثمان بن طلحة العبدرى فقال : لا تفعل يا عثمان فكأنك بمفتاحها بيدى أضعه حيث شئت فقال : لقد ذلت يومئذ قريش وقلت قال : بل كثرت وعزت وأنا أستعين بعصمة الله وتوفيقه واجعلهما معينتى على دفع شهواتى وأشكو اليه عكوفى على الامانى واسأله فهما المواعظ عبر الدنيا فقد عميت عن كاوم غيرها بما جثم على خواطرى من الشعف ولست أجد منى منصفا لى منها ولا حاجزا لرغبتى فيها عنها واين ودائع العقول وخزائن الافهام يا أولى الابصار صفحنا عن مساوى الدنيا اغماضا لعاجل موفق التنغيص وترمى اليه يد الزوال وتكمن له الآفات (؟) قال كثير :

كأنى أنادى صخرة حين أعرضت * من الصم لو تمشى بها العصم زلت

وأقول على مذهب كثير يا دنيا فى كل لحظة لطرفى منك عبرة وفى كل فكرة لى منك

حسرة يامن نقة الصفا و ياناقضة عهد الوفا ماوفق لحظة من عرج نحوك ولا سعد من آثر المقام على حسن الظن بك هيهات يامعشر أبناء الدنيا لكم فى الظاهر اسم الغنى وفى الباطن أهل التقلل لهم نفس هذا المعنى كم من يوم لى أغر كثير الاهلة قد أصحت سماؤه وامتد على ظله تمدنى ساعاته بالمنى و يضحك لى بها عن كل ما أهوى حتى اذا اتصل بكل أسبابى وامتزج سروره بفرحى ورو حى واترابى نفست على به الدنيا فسعت بالتشتيت الى ألفته والنقص الى مدته فكسفت بهجته كسوفا وأرهقت نضرته :وحشته الفراق وقطعتنا فرقا فى الآفاق بعد ان كنا كالاعضاء المؤتلفة والاغصان اللدنة المنعطفة واحسرتى فى يوم يجمع شرتى كفن ولحد

ضيعت مالا بد منه * بالذى لى منه بد

وأنشد قول ابن الرومى

ألا ليس شيبك بالمنتزع * فهل أنت عن غيه مرتدع

فاقلق وأبكى بكاء غير ناوع ولا ناجع ويجب أن أبكى على بكائى وأنشد

لسانى يقول ولا أفعل * وقلبى يريد ولا أعمل

وأعرف رشدى ولا أهتدى * واعلم لكننى أجهل

عرض على بعض الناس كاس خمر فامتنعت منها وقلت خلونى والمطبوخ على مذهب الشيخ الاوزاعى وقلت لهم عرض ابراهيم بن المهدى على محمد بن خازم الخمرة فامتنع وأنشد

أبعد شيبى أصبو * والشيب للجهل حرب

سن وشيب وجهل * أمر لعمرك صعب

يا ابن امام فالا * أيام عودى رطب

واذ مشيبى قليل * ومنهل الحب عذب

واذ شفاء الغوانى * منى حديث وقرب

فالآن لما رأى بى * العذال ماقد أحبوا

وآنس الرشد منى * قوم أعاب وأصبو

آليت أشرب خمرا * ماحج لله ركب

وأقبلت على نفسى مخاطبا ولها معاتبا والخطاب لغيرها والمعنى لها لقد أمهلكم حتى كانه أهملكم أما تستحيون من طول مالا تستحيون فكن كالوليد تقلبه يد اللطف به على فراش العطف

العطف عليه تصرف اليه المنافع بغير طلب منه لصغره وتصرف عنه المضار بغير حذر منه لعجزه أما سمعت الرسول عليه الصلاة والسلام اذ يقول فى دعائه اللهم كلاءة كلاءة الوليد الذى لا يدرى ما يراد به ولا ما يريد ألا متعلق والاذلال ذيال دليله ألا معدمطية ورحلا ليوم رحيله ياهلاه الدلجة الدلجة انه من لم يسبق الى الماء يظمأ انما منعتك ما تشتهى ضنا بك وغيرة عليك قال الرسول عليه الصلاة والسلام : اذا أحب الله عبدا حماه الدنيا وأنت تشكونى اذا حميتك وتكره صيانتى اذا صنتك ألا لا تأنس بفنائنا ليعز ألا فار الينا لا فار منا يامن له بد من كل شئ ارحم من لا بد له منك على كل حال الله يغنى بشئ عن شئ وليس يغنى عنه بشئ فلهذا قال جبريل للخليل : ألك حاجة قال : أما اليك فلا الله يستحق أن يسأل وان أغنى لانه لا يغنى بشئ عنه أطعه لتطيعه ولا تطعه ليطيعك فتفتر وتمل . من ترك تدبيره لتدبيرنا أرحناه حل من لواب القلوب والهمم بيده وعزائم الاحكام والاقسام عنده

أنسيت ذكر أحبة * ينسون ذنبك عند ذكرك
وجفوتهم ولطالما * كانوا خلافك طوع أمرك
وصبرت عند فراقهم * ما كان عذرك عند صبرك

تترك من اذا جفوته ونسيت ذكره وتعديت حده وتركت نهيه وضيعت أمره وتبت اليه وعولت فى تفضله عليك عليه وقلت : يارب قال : لك لبيك (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب) ان كان الذباب بوجهك فاتهمك : وان قطعت أنا أعضاءك فلا تتهمنى أنت الذى اذا أعطيتك ما أملت تركتنى وانصرفت (واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه) ياواقفا بالتهم كم كم أليس يقول لك ماغرك بى تقول حلمك والا لو أرسلت على بقة لجعتنى عليك اذا أردت أن تجمعنى

أمن بعد شربك كأس النهى * وشمك ريحان أهل التقى
عشقت فاصبحت فى العاشقين أشهر من فرس أبلقا
ادنياى من غمر بحر الهوى * خذى بيدى قبل ان أغرقا
أنا لك عبد فكونى كمن * اذا سره عبده أعتقا

كان ببغداد رجل كبير الرأس فيلى الاذنين اسمه فاذوه رأسه فى الازمنة الاربعة مكشوف لا يتورع عن ركوب مخزية يقال له : يافاذوه ويلك تب الى الله فيقول : ياقوم لم تدخلون بينى وبين مولاى وهو الذى يقبل التوبة عن عباده فكان فى بعض الشوارع

يوماذاهبا والشارع قد اتسع أسفله وضاق أعلاه والتقت جناحان فيه فناولت جارة جارتها مهراسا انسل من يدها على رأس فاذوه فهرس رأسه وخلط بخلط الهريسة وأعجله عن التوبة وكان لنا واعظ صالح يقول لنا احذروا ميتة فاذوه

قال جبريل فى حديثه : خشيت أن يتم فرعون الشهادة والتوبة فاخذت قطعة من حال البحر فضربت بها وجهه يعنى طينة والحال ينقسم ثمانية أقسام منها الطين فكيف يصنع من عنده ان التوبة لا تصح من ذنب مع الاقامة على آخر فلا حول ولا قوة . بلغنى عن مولاى الشيخ أدام الله تأييده انه قال : وقد ذكرت له أعرفه جزاهو الذى هجا أبا القاسم على بن الحسين المغربى فذلك منه أدام الله عزه راتع لى خوفا أن يستشمر طبعى وان يتصورنى بصورة من يضع الكفر موضع الشكر وهو بتعريف التنكير أنفع لى عنده لجلالة قدره ودينه ونسكه وأنا أطلعه طلعة ليعرف خفضه ورفعه وفراداه وجمعه

كنت أدرس على أبى عبد الله بن خالويه رحمه الله وأختلف الى دار أبى الحسين المغربى ولما مات ابن خالويه سافرت الى بغداد ونزلت على أبى على الفارسى وكنت اختلف الى علماء بغداد الى أبى سعيد السيرافى وعلى بن عيسى الرمانى وأبى عبيد الله المرزبانى وأبى حفص الكتانى صاحب أبى بكر بن مجاهد وكتبت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم و بلغت نفسى أغراضها جهدى والجهد عاذر ثم سافرت منها الى مصر ولقيت أبا الحسن المغربى فالزمنى ان لزمته لزوم الظل وكنت منه مكان المثل فى كثرة الانصاف والحنو والتجاف فقال لى سرا أنا أخاف همة أبى القاسم أن تنزو به الى أن يوردنا وردا لاصدر عنه وان كانت الانفاس مما تحفظ وتكتب فاكتبها واحفظها وطالعنى بها فقال لى يوما : ماترضى بالخمول الذى نحن فيه قلت : وأى خمول هنا تأخذون من مولانا خلد الله ملكه فى كل سنة ستة آلاف دينار وأبوك من شيوخ الدولة وهو معظم مكرم فقال : أريد أن تصار الى أبوابنا الكتائب والمواكب والمقانب ولا أرضى بأن يجرى علينا كالولدان والنسوان فأعدت ذلك على أبيه فقال : ماأخوفنى أن يخضب أبو القاسم هذه من هذه وقبض على لحيته وهامته وعلم أبو القاسم بذلك فصارت بينى و بينه وقفة

وأنفذ الى القائد أبو عبد الله الحسين بن جوهر فشرفنى بشريف خدمته فرأيت الحاكم كلما قتل رئيسا أنفذ رأسه اليه وقال: هذا عدوى وعدوك ياحسين فقلت من يريوما يربه والدهر لا يغتر به وعلمت انه كذا يفعل به فاستأذنته فى الحج فاذن فخرجت فى سنة

سبع

سبع وتسعين وحججت خمسة أعوام وعدت الى مصر وقد قتله فجاءنى أولاده سرا يرومون الرجوع اليهم فقلت لهم خير مالى ولكم الهرب ولا بيكم ببغداد ودائع خمسمائة ألف دينار فاهربوا وأهرب ففعلوا وفعلت وبلغنى قتلهم بدمشق وأنا بطرابلس فدخلت الى انطاكية وخرجت منها الى ملطية وبها الماليسطرية خولة بنت سعد الدولة فأقمت عندها الى ان ورد على كتاب أبى القسم فسرت الى ميافارقين فكان يسرحسوا فى ارتغاء قال لى يوما من الايام : ماأريتك قلت : أعرضت حاجة ؟ قال : لا أردت ان ألعنك قلت : فالعنى غائبا قال : لا فى وجهك أشفى قلت : ولم قال : لمخالفتك اياى فيما تعلم . وقلت له ونحن على أنس بينى وبينه لى حرمات ثلاث البلدية وتربية أبيه لى وتربيتى لاخوته قال : هذه حرم مهتكة البلدية نسب بين الجدران وتربية أبى لك منة لنا عليك وتربيتك لاخوتى بالخلع والدنانير أردت أن أقول له : استرحت من حيث تعب الكرام فخشيت جنون جنونه لانه كان جنونه مجنونا وأصح منه مجنون وأجن منه لا يكون وقد أنشد :

جنونك مجنون ولست بواجد * طبيبا يداوى من جنون جنون

بل جن جنانه ورقص شيطانه

به جنة مجنونة غير انها * اذا حصلت منه الب واعقل

وقال لى ليلة : اريد ان أجمع أوصاف الشمعة السبعة فى بيت واحد وليس يسنح لى ماأرضاه فقلت : أنا أفعل من هذه الساعة قال : أنت جذيلها المحكك وعذيقها المرجب فاخذت القلم من دواته وكتبت بحضرته

لقد أشبهتنى شمعة فى صبابتى * وفى هول ماألقى وماأتوقع

نحول وحرق فى فناء ووحدة * وتسهيد عين واصفرار وأدمع

فقال : كنت عملت هذا قبل هذا الوقت فقلت تمنعنى سرعة الخاطر وتعطينى علم الغيب وقلت : أنت ذاكر قول أبيك لى ولك وللبتى الشاعر ولمحسن الدمشقى ونحن فى الطارمة اعملوا قطعة قطعة فمن جود جعلت جائزته كتبها فيها فقلت :

بلغ السماء سموبيت * تشييد فى أعلى مكان

بيت علا حتى توا * رى فى ذراه الفرقدان

فانعم به لا زلت من * ريب الحوادث فى امان

فاستجاد سرعتها وكتبها فى الطارقة وخلع على وكان أبو القسم ملولا والملول ربما عامل

الملال وكان لا يمل أن يمل و يحقد حقد من لا تلين كبده ولا تنحل عقده : وقال لي بعض الرؤساء معاتبا : أنت حقود ولم يكن حقود افقلت له : أنت لا تعرفه والله ما كان يحني عوده ولا يرجى عوده وله رأى بزين له العقوق و يمقت اليه رعاية الحقوق بعيد من الطبع الذى هو للصد صدود وللتآلف ألوف ودود . كانه من كبره قد ركب الفلك واستوى على ذات الحبك ولست ممن يرغب فى راغب عن وصلته . أو ينزع الى نازع عن خلته . فلما رأيته سادرا جاريا فى غلة انصافى على غلوائه محوت ذكره عن صفحة فؤادى واعتددت وده فيما سال به الوادى

فى الناس ان رثت حبالك واصل ❊ وفى الارض عن دار القلى متحول

وأنشدت الرجل أبياتا اعتذر بها فى قطعى له :

فلو كان منه الخير اذ كان شره ❊ عتيدا لقلنا ان خيرا مع الشر

ولو كان اذ لا خير لا شر عنده ❊ صبرنا وقلنا لا يريش ولا يبرى

ولكنه شر ولا خير عنده ❊ وليس على شر اذا دام من صبر

و بغضى له شهد الله حيا وميتا أوجبه أخذه محاريب الكعبة الذهب والفضة وضربها دنانير ودراهم وسماها الكعبية وأنهب العرب الرملة وخرب بغداد وكم دم سفك وحريم انتهك وحرة أرمل وصبي أيتم وأنا معتذر الى الشيخ الجليل من تقريظه مع تقريظى فيه لانه قد شاع فضله فى جميع البشر ، وصار غرة على جبهة الشمس والقمر ، خلد ذلك فى بدائع الاخبار ، وكتب بسواد الليل على بياض النهار ، وأنا فى مكاتبة حضرته بمنظوم ومنثور ، كمن أمد النار بالشرر ، وأهدى الضوء الى القمر . وصب فى البحر جرعة ، وأعار سير الفلك سرعة ، اذ كان لا يحل النقص بواديه ، ولا يطور السهو بناديه

ولقد سمعت من رسائله عقائل لفظ ان نعتها فقد عبتها وان وصفتها فما أنصفتها وأطربتنى يشهد الله اطراب السماع و بالله لو صدرت عن صدر من خزانته وكتبه حوله يقلب طرفه فى هذا و يرجع الى هذا فان القلم لسان اليد وهو أحد البلاغتين لكان ذلك عجيبا صعبا شديدا و والله لقد رأيت علماء منهم ابن خالويه اذا قرئت عليهم الكتب ولاسيما الكبار رجعوا الى أصولهم كالمقابلين يتحفظون من سهو وتصحيف وغلط والعجب العجيب والنادر الغريب حفظه أدام الله تأييده لاسماء الرجال والمنثور كحفظ غيره من الاذكياء المبرزين المنظوم وهذا سهل بالقول صعب بالفعل من سمعه طمع فيه ومن رامه امتنعت عليه معانيه ومبانيه .

حدثنى

حدثني أبو علي الصقلي بدمشق قال : كنت في مجلس ابن خالويه اذ وردت عليه من سيف الدولة مسائل تتعلق باللغة فاضطرب لها ودخل خزانته وأخرج كتب اللغة وفرقها على أصحابه يفتشونها ليجيب عنها وتركته وذهبت الى أبي الطيب اللغوي وهو جالس وقد وردت عليه تلك المسائل بعينها وبيده قلم الحمرة فاجاب به ولم يغيره قدرة على الجواب وقال أبو الطيب : قرأت على أبي عمر الفصيح واصلاح المنطق حفظا وقال لي أبو عمر : كنت أعلق اللغة عن ثعلب على خزف واجلس على دجلة أحفظها وارمي بها وأنا تعبت وحفظت نصف عمري ونسيت نصفه وذاك اني درست ببغداد وخرجت عنها وأنا طري الحفظ ومضيت الى مصر فامرجت نفسي في الاغراض البهيمية والاعراض المؤثمية وأردت بزعمي وخديعة الطبع اللئيم ان أذيقها حلاوة العيش كما صبرت في طلب العلم والادب ونسيت ان العلم غذاء النفس الشريفة وصيقل الافهام اللطيفة وكنت أكتب خمسين ورقة في اليوم وأدرس مائتين فصرت الآن أكتب ورقة واحدة وتحكني عيناي حكا مؤلما وأدرس خمس أوراق وتكل ثم دفعت الى أوقات ليس فيها من يرغب في علم ولا أدب . بل في فضة وذهب . فلو كنت اياسا صرت باقلا وأضع كتابا عن يميني وأطلبه عن شمالي وأريد مع ضعفي أرتاد لنفسي معاشا بظهر غير ظهير بل كسير عقير وصلب غير صليب ان جلست فهو كالدمل وان مشيت فجملتي دماميل ومعي بقية نزرة يسيرة من جملة كثيرة لو وجدت ثقة أعطيته اياها ليعود علي بما أرفه به جسمي من الحركة وقلبي من الشغل وأنا أجد من أدفعها اليه وبقي ان يردها الي

دفع رجل الى صديق له جارية أودعها عنده وذهب في سفره فقال بعد أيام لمن يأنس به وتسكن نفسه اليه : يا أخي ذهبت أمانات الناس أودعني صديق لي جارية في حسابه انها بكر جربتها فاذا هي ثيب . ومن ظريف الاخبار ان بنت أختي سرقت لي ثلاثة وثمانين دينارا فلما هددها السلطان أطال الله بقاءه ومد مدته وأدام سموه ورفعته وأخرجت اليه بعضها قالت : والله لو علمت ان الامر يجري كذا كنت قتلته فاعجبوا من هريستي وزبوني والله لولا ضعفي وعجزي عن السفر لخرجت اليه متشرفا بمجالسته ومحاضرته فاما مذاكرته فقد يئست منها لما قد استولى على النسيان واحتوى على قلبي من الهموم والاحزان والى الله الشكوى لا منه وليس يحسن ان أشكو من يرحمني الى من لا يرحمني وليس بحكيم من شكا رحيما الى غير رحيم وكان أبو بكر الشبلي يقول : ليس غير الله غير ولا عند غير الله خير .

وقال يوما : ياجواد ثم امسك مفكرا ورفع رأسه ثم قال : ما أوحقنى أقول لك ياجواد وقد قيل في بعض عبيدك

ولو لم يكن فى كفه غير نفسه * لجاد بها فليتق الله سائله

وقد قيل فى آخر

تراه اذا جئته متهللا * كانك معطيه الذى أنت سائله

ثم قال : بلى أقول ياجواد فاق كل جواد و بجوده جاد من جاد . ودخل ابن السماك على الرشيد فقال له عظنى وفى يد الرشيد كوز ماء فقال : مهلا ياأمير المؤمنين أرأيت ان أقدر الله عليك مقدرا فقال لن أمكنك من شربة الا بنصف ملكك أكنت فاعلا ذلك قال : نعم قال : اشرب هنأك الله فلما شرب قال : أرأيت ياأمير المؤمنين ان لو أسفت نفس هذا المقدر عليك فقال : لن أمكنك من اخراج هذا الكوز الا بأن أستبد بملكك دونك أكنت فاعلا ذلك قال : نعم قال : فاتق الله فى ملك لا يساوى الا بولة وكيف أشكو من قاتنى وعالنى نيفا وسبعين سنة كان قيصى ذراعين فوكل بى والدين حدبين مشفقين يتناهيان فى دقته ورقته وطيبه فلما صار اثنى عشر ذراعا تولاه هو وطعامى فما أجاعنى قط ولا أعرانى والذى هو يطعمنى و يسقين خاطب ربه بالادب فقال واذا مرضت فهو يشفين فنسب المرض الى نفسه لانها تنفر من الاعراض والامراض وكل شئ يطرأ على الانسان لا يقدر على دفعه مثل النوم واليقظة والضحك والبكاء والغم والسرور والخصب والجدب والغنى والفقر فهو منه تقدست أسماؤه ألا ترى انه لا يتوعد على فعله ولا يعاقب عليه ومايقدر على دفعه فهو منه مثل ان يريد الكتابة فلا يقع منه البناء و يريد البناء فلا تقع منه الكتابة ومن به الرعشة لا يقدر على امساك يد ومن ليست به يقدر على امساكها

كنت بتنيس و بين يدى انسان يقرأ و يحزن : (يوفون بالنذر و يخافون) و يبكى فخطر لى خاطر فقلت أنا بضد هؤلاء القوم صلوات الله عليهم أنا لا أنذر ولا أفى ولا أخاف شقاء ولا عناء ولو كنت أخاف ما أصبحت . . . محموما وكنته وحدثنى من أثق به ولا أتهمه عن أبيه وكان زاهدا قال : كنت مع أبى بكر الشبلى ببغداد فى الجانب الشرقى بباب الطاق فرأينا شاويا قد أخرج حملا من التنور كانه بسرة نضجا والى جانبه قد عمل حلاوى فالوذجا فوقف ينظر اليهما وهو ساه مفكر فقلت يامولاى : دعنى آخذ من هذا وهذا ورقاقا وخبزا ومنزلى قريب تشرفنى بأن تجعل راحتك اليوم عندى فقال : ياهذا أظننت انى قد اشتهيتهما

وانما

وانما فكرى فى ان الحيوان كله لا يدخل النار الا بعد الموت ونحن ندخلها أحياء

يارب عفوك عن ذى شيبة وجل * كانه من حذار النار مجنون
قد كان ذم أفعالا مذممة * أيام ليس له عقل ولا دين

تمت الرسالة والحمد لله ذى الافضال وصلواته على محمد وخيرة الآل ما فرغت من هذه السوداء حتى ثارت بى السوداء وأنا أعتذر من خطل فيها أو زلل فان الخطأ مع الاعتذار والاجتهاد والتحرى موضوع عن المخطئ ومن ذا الذى يؤتى الكمال فيكمل . قال عمر ابن الخطاب : رحم الله امرأ أهدى الىّ عيوبى واسأله أدام الله عزه تشريفى بالجواب عنها فان هذه الرسالة على ما بها قد استحسنت وكتبت عنى وسمعت منى وشرفتها باسمه وطرزتها بذكره والرسالة التى كتبها الزهرجى الى كانت أكبر الاسباب فى دخولى الى حلب واذا جاء جواب هذه سيرتها بحلب وغيرها ان شاء الله وبه الثقة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم .

ملقي السبيل

﴿ سانحة للناشر ﴾ ﴿ المعرى وشپنهاور ﴾

من عهد بعيد بحث كتاب الشرق والغرب عن حياة الشاعر الحكيم أبي العلاء المعرى وتآليفه وعرفوه بما يستحقه من الاجلال والتعظيم فلا حاجة لايراد ترجمته هنا . الا انا لم نر أحدا أشار الى المشابهة الغريبة الموجودة بين فلسفة المعرى ومذهب شپنهاور الحكيم الجرمانى .

ولد ارثور شپنهاور بمدينة دنتسيغ بالمانيا سنة ١٧٨٨ فاعتنت أمه بتثقيفه وكانت من مشاهير قصصيي ذلك القرن فاحسنت تربيته . وبعد ان تلقى العلوم بجامعة برلين وحصل على أعلى شهاداتها أخذ يدون آراءه الفلسفية فألف عدة كتب أهمها (الارادة فى الطبيعة) و (أساس الحكمة) وأشهرها (فصول فى الحكمة فى الحياة) وفيه جمع شپنهاور حكمه فى أقوال موجزة وفصول قصار وصف فيها اتعاب الحياة وآلام البشر على صورة تؤلم القارئ لانطباقها فى الغالب على الواقع . ومذهب شپنهاور ان جميع مشاق الانسان واتعابه الدنياوية الاصل فيها ما يسميه «ارادة البشر» يعنى شهوات طبيعتنا وحبنا التمتع والتلذذ بالحياة . أوليس هذا رأى المعرى عندما يقول : «انك الى الدنيا مصغ . وحبها للبشر مطغ . لو انك لشأنها ملغ . أبغاك ما تأمله مبغ» ؟ ولولا خوف الاطالة لاوردنا شيأ كثيرا من تشابه أقوال الحكيمين .. توفى ارثور شپنهاور بفرنكفورت عام ١٨٦٠

ومن اطلع على طريقة هذا الفيلسوف الالمانى تيقن ان معتقده ويأسه من الحياة وتشاؤمه المستمر يطابق كثيرا مذهب المعرى خصوصا فى فحصه عن اتعاب البشر وآلامهم وجسه أسقام الانسان كالباحث الماهر والطبيب العارف من غير حنان ولا شفقة على هذا النوع الانسانى وبدون أن يبين فى وصف الادوية التى ينبغى اتخاذها واستعمالها للاتقاء وتسلية تلك المواجع . وهناك علاقة وتشابه آخر بين أبي العلاء وشپنهاور وهو كونهما لم يتزوجا وعاشا فى عزوبة مستمرة وعزلة وانقطاع مما أثر فى طبعهما وجعلهما يتشاءمان وينتقدان الهيئة الاجتماعية ويتناولان أهل الدين وأرباب الشعائر والنساء والاعتقاد ويسيئان الظن بالدنيا وساكنيها .

والفرق

والفرق بين العالمين هو كون شبنهاور استقل فى علم الفلسفة ودراستها والتدوين فيها بخلاف المعرى الذى لم يشتغل بالفلسفة من حيث هى علم وانما كان يبحث عن أسباب الاشياء وتعليل وجودها فتخطر له خطرات حكمية تستحوذ على مخيلته وذهنه الحاد فتسبكها قريحته الشعرية فى تلك القوالب العجيبة التى تظهر من قصائده .

بقى علينا أن نتكلم على رسالة (ملقى السبيل) التى نقدمها اليوم الى محبى الآثار العربية والمولعين بنثر شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء ونظمه . فالظاهر من هيئة هاته الرسالة وانشائها أن المعرى ألفها فى الدور الاخير من حياته زمن عزلته وانقطاعه (حوالى سنة ٤٣٠ هـ) وقد زهد فى الدنيا لكبره واقتراب أجله . فكأنه أراد الرجوع للمبادئ الدينية وسلك طريقة الوعظ والنسك وتمسك بالاعتقاد . وأين قوله زمن صغره لما كان فى غزارة قواه وعنفوان شبابه :

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة * وحق لسكان البسيطة أن يبكوا
تحطمنا الايام حتى كأننا * زجاج ولكن لا يعاد لنا سبك

من اعترافه بالبعث والمعاد فى هاته الرسالة كقوله (وفى الآخرة يكون المجمع) وقوله (وعند البارى تكون الزلف) وهلم جرا .

أما أسلوب هذه الرسالة فى جمله فهو يشابه كثير اللهجة الخطب البليغة ذات الفصول القصار التى كان يلقيها خطباء العرب كسحبان وائل الباهلى وقس بن ساعدة وعامر بن الطفيل وأمثالهم باسواق الجاهلية . واليك نموذجا من كلام قس بن ساعدة خطيب بنى اياد الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم (رأيته بسوق عكاظ على جمل أحمر يقول: (١) (أيها الناس اجتمعوا فاسمعوا وعوا . من عاش مات . ومن مات فات . وكل ما هو آت آت فى هذه آيات محكمات . مطر ونبات . وآباء وأمهات . وذاهب وآت . ونجوم تمور . وبحور لا تغور . وسقف مرفوع . ومهاد موضوع . وليل داج . وسماء ذات ابراج . مالى أرى الناس يموتون ولا يرجعون . أرضوا فاقاموا . أم حبسوا فناموا . يا معشر اياد . أين ثمود وعاد . وأين الآباء والاجداد . أين المعروف الذى يشكر . والظلم الذى لم ينكر :

فى الذاهبين الاولين * من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا * للموت ليس لها مصادر

(١) كتاب (البيان والتبيين) لابى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ج ١ ص ١١٩

ورأيت قومى نحوها * تمضى الاكابر والاصاغر
لا يرجع الماضى ولا * يبقى من الباقين غابر
أيقنت انى لا محا * لة حيث صار القوم صائر

وسوف يرى القارئ ما بين الكلام المتقدم وحل المعرى وعقده فى (ملقى السبيل) من مطابقة المعنى ومشابهة اللهجة .

أما النسخة التى اعتمدناها عليها فى النقل فهى محفوظة بمكتبة الاسكوريال من بلاد الاندلس تحت نمرة ٤٦٧ وهى بخط الراوى لها القاضى الامام الشريف أبى محمد عبد الله ابن القاضى أبى الفضل عبد الرحمن بن يحيى الديباجى العثمانى رسمها بالاسكندرية أوائل القرن السادس وقد اعتنى برسمها وضبط جلها بطريقة ثابتة مدققة وهى فيما اعتقده أقدم نسخة لملقى السبيل ولا يبعد أن تكون هى التى عول عليها أدباء الاندلس فى معارضاتهم لها فقد جاء فى نفح الطيب ان الحافظ أبا الربيع الكلاعى الاندلسى المتوفى بالجهاد سنة ٦٣٤ هـ عارض هذه الرسالة بتأليف سماه (مفاوضة القلب العليل ومنابذة الامل الطويل بطريقة المعرى فى ملقى السبيل) . كما تحتوى مكتبة الاسكوريال نفسها على كتاب (نمرة ٥١٩) من وضع الكاتب الشهير أبى عبد الله محمد بن أبى الخصال وزير يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين عارض به (ملقى السبيل) أيضا . ومن جهة أخرى يوجد بمقدمة النسخة التى لدينا وهى كما قدمنا صورة فوتوغرافية من الاصل الاندلسى كثير من الاجازات تنبئ بقراءة هذه الرسالة على أساتذة متضلعين تلتحق رواياتهم بالراسم الاول نعنى عبد الله الديباجى . وأقدم توقيع من هذا النمط مؤرخ سنة ٥٦٢ وهو مما يستدل به أيضا على اهتمام الاندلسيين بتآليف المعرى .

وعسى أن ننشر فيما بعد رسائل أخرى من وضع هذا الفيلسوف الشاعر والله ولى التوفيق

تونس ١٠ ربيع الاول سنة ١٣٢٩ ح . ح . عبد الوهاب

﴿ بسم

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرني بملتقى السبيل هذه الشيخ أبو المظفر سعد بن أحمد بن حماد المعري رحمه الله عن أبيه عن أبي العلاء ناظمها وكتب عبد الله بن عبد الرحمن العثماني

قال الشيخ الامام أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري رهين المحبسين

الهمزة

كم يجني الرجل ويخطى ، ويعلم ان حتفه لا يبطى ،

نظمه (مخلع البسيط) (١)

ان الانام ليخطؤ * ن ويغفر الله الخطيئه (٢)

كم يبطؤن عن الجميـ * ـل ومامنايا هم بطيئـه

الالف

ابن آدم في سير وسرى (٣) . يهجر بحرصه الكرى . وطالما كذب وافترى . ليصل الى خسيس القرى (٤) . وانما يحصل على الثرى . كأنه لا يسمع ولا يرى .

نظمه (سريع)

أما يفيق المرء من سكره * مجتهداً في سيره والسرى

نمت عن الاخرى فلم تنتبه * وفي سوى الدين هجرت الكرى

كم قائل راح الى معشر * أبطل فيما قاله وافترى

على القرى يحمل أثقاله * وانما يأمل نزر القرى

يفتقر الحي ويثرى وما * يصير الا جثوة (٥) في الثرى

اسمع فهذا قائل صادق * أراك عقباك فهلا ترى

---

(١) المقتبس : كذا في الاصل وصوابه من مجزوء الكامل (٢) جميع أبيات الرسالة واردة في الاصل على وتيرة واحدة من غير فصل صدورها عن اعجازها ولا بيان البحر وهي الطريقة المتبعة في المخطوطات القديمة (٣) السير بالليل (٤) القرى بالكسر الضيافة أو ما يقدم للضيف (٥) الحجارة المجموعة

الباء

يفتقر الى الله الارباب . وبالكافر يحل التباب (١) . وتنقطع بالموت الاسباب . وفى الخالق تحار الالباب .

نظمه (رجز)

دانت لرب الفلك الارباب * وبالكفور يلحق التباب (٢)
كم قطعت لميتة أسباب * وافترقت برغمها الاحباب

التاء

النفس تصرفت وانصرفت . والاعضاء تألفت ثم تلفت . والاقضية بحق هتفت . ماأعفيت المحلة لكن عفت . كم شفيت المدنفة فما اشتفت .

نظمه (مجزو الرجز)

نفس الفتى فى دهره * تصرفت وانصرفت
تألفت أعضاؤه * وافترقت اذ تلفت
أقضية الله دعت * فاسمعت اذ هتفت
ماأعفيت ديارهم * من الرزايا بل عفت
كم شفيت مريضة * من مرض فما اشتفت

الثاء

من أعظم الحدث . سكنى الجدث (٣)

نظمه (متقارب)

يدوم القديم اله السماء * ويفنى باقداره ماحدث
وما أرغب المرء فى عيشه * ولكن قصاراه سكنى الجدث

---

(١) النقص والخسارة والهلاك (٢) لابى العلاء أبيات كثيرة تثبت حسن اعتقاده بالخالق جل جلاله وصحة ايمانه فمن ذلك قوله :

مولاك مولاك الذى ماله * ند وخاب الكافر الجاحد

وقوله : والله حق وابن آدم جاهل * من شأنه التفريط والتكذيب

وقوله : توحد فان الله ربك واحد * ولا ترغبن فى عشرة الرؤساء

زيادة على ماسيرد من هذا المعنى ضمن الرسالة (٣) الجدث : القبر

الجيم

الجيم

العجب بجاهل مداج . يأسف لبين الاحداج [1] . ويعصى الملك والليل داج وماهو من الحتف بناج .

نظمه (مخلع البسيط)

يا أيها العاقل المداجى * وليله بالسفاه داجى
كأنما عينه اذا ما * تحمل الحى فى زجاج
كم أعمل الناجيات حرصا * وليس من حتفه بناج
رجا أمورا فلم تقدر * وكل من فى الحياة راجى

الحاء

ان ابن آدم لشحيح . سوف يمرض من القوم صحيح . تعصف بعقله ريح . فاذا هو لقى طريح . ثم يحفر له ضريح . ان ذلك هو التبريح

نظمه (مخلع البسيط)

يا أيها الممسك الشحيح * سيمرض السالم الصحيح
مالك لم تنتفع بعقل * هل عصفت بالعقول ريح
ان شيد القصر فى سرور * فبعده يحفر الضريح
يطرح الهم بالمنايا * من جسمه فى الثرى طريح

الخاء

بكى على الميت مواخ . كان أجله فى تراخ . فلتنه الصارخة عن الصراخ .

نظمه (مخلع البسيط)

فى الله آخى فتى لبيب * وأسلم الهالك المواخى
بكى عليه فهل تراه * فى أجل دائم التراخى
اعتقد الحق واعتمده * لا تزرع الحب فى السباخ

الدال

أمابصرك لحديد . وأمانو بك لجديد . وظلالك بقضاء الله مديد . وحولك العدد

---

(١) الاحداج: الاجمال

والعديد ولكنك سواك السديد . طرقك وعد ووعيد . فهل تبدئ وهل تعيد . أم غريك [1] هو السعيد .

نظمه (وافر)

أرى ملكا تحف به موال * له نظر الى الدنيا حديد
ضفا برد الشباب عليه حتى * مضت حقب وملبسه جديد
يزول القيظ [2] فى صيف ومشتى * ويستر شخصه ظل مديد
وفت عدد لديه فمن دروع * وأسياف ينوء بها عديد
وكان السعد صاحبه زمانا * ولكن طالما شقى السعيد
بدا شخص المنون لناظريه * وقيل له أتبدى أم تعيد
تصعد فى المراتب غير وان * واحرزه على الرغم الصعيد [3]
تفرقت الجيود [4] فاجتثه * وأبطلت المواعد والوعيد

الذال

أما العيش الناعم فيلذ . ولكن سببه يجذ [5]

نظمه (متقارب)

يلذ الفتى غفلات الحياة * وليس بمتصل ما يلذ
يمد له الظن آماله * ولكنها عن قليل تجذ

العاجلة سبيل منفوذه . وهى عند أهل الرشد منبوذه . والانفس بحق مأخوذه . لا الدرع تنفع ولا الخوذه [6]

نظمه (سريع)

انفذ من الدنيا ولا تلتفت * فانها بالعنف منفوذه
حازتك فانبذها الى أهلها * فهى لدى الاخيار منبوذه
ولا تمسك بحبال لها * تصبح من كفيك مجذوذه

---

(١) الغرى : الحسن والبناء الجديد (٢) القيظ شدة الحر (٣) الصعيد : القبر (٤) لعل الصواب : الجنود والا فلا معنى للجيود هنا جمع جيد بمعنى العنق (٥) جذه جذا فانجذ أى قطعه أو كسره فانقطع وانكسر (٦) الخوذة وتسمى أيضا المغفر هو ما يجعله المحارب على رأسه ليقيه

ماخوذة

مأخوذة مانعة فى الورى * نفس بحكم الله مأخوذه
لا سقية أغنت ولا رقية * ولا تميمات ولا عـــوذه

الراء

لقد هجرت الخدور . وغدر بها الزمان الغدور . فاذا الخدر عوضه قبر . هل ينفعك جزع أو صبر . من بارئك يجرى المقدور . وتفنى الشهب والبدور .

نظمه (مخلع البسيط)

تظهر أسرارها الخدور * بما قضى الواحد القدير
كم دار فى خاطر ضـــمير * من فلك دائب يدور
وضاق صدر بمشكلات * تضيق عن مثلها الصدور
يثبت فرد بلا قرين (١) * وتهلك الشهب والبـدور

الزاى

لا تبرزى يا غانيه . فانها الدنيا الفانيه . سترك بكلة (٢) والداك . فلتمسك بالنسك يداك . الورع ذهب ابريز . والجدث حرز حريز . قد تهلك فتاة رود . وتلبث مسنة ترود .

نظمه (مخلع البسيط)

يموت قـوم وراء قوم * ويثبت الاول العـــزيز
كم هلكت غادة كعاب * وعمرت أمها العجـــوز
أحرزها الوالدان خوفا * والقــــبر حرزها حريز
يجـوز ان تبطئ المنايا * والخلد فى الدهر لا يجوز (٣)

(١) مصحح بهامشه (نظير) عوض (قرين) — (٢) الكلة: الستر الرقيق
(٣) ذكر العلامة الذهبى ضمن ترجمة المعرى الحكاية الآتية عن القاضى أبى الفتح قال: (دخلت على أبى العلاء التنوخى بالمعرة ذات يوم فى وقت خلوة بغير علم منـه وكنت أتردد اليه وأقرأ عليه فسمعته وهو ينشد من قلبه:

كم غودرت غادة كعاب * وعمـرت أمها العجـــوز
أحرزها الوالدان حرزا * والقــبر حرزها حريز
يجـوز أن تبطئ المنايا * والخلد فى الدهر لا يجوز

ثم تأوه مرات وتلا (ان فى ذلك لآية لمن خاف عـذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس

السين

يا ابن آدم كم تحرس وتحترس . والموت أسد يفترس . ان كنت بجبل او واد . فان الاودية مثل الاطواد . يسمعها من الله داع . جل رب العظمة والابتداع .

نظمه (متقارب)

أيحترس المرء من حتفه * وما حاد عن يومه المحترس
هل الناس الا نظير السوا * م(١) وآجالهم أسد تفترس
يحل الربى ويحل الوهود * ولا بد للربع ان يندرس

الشين

لا تك ذا طيش . واعجب لما وهب(٢) من العيش . ما فعل آدم و بنوه . كم أدرك الثمر مجتنوه . يبدى التوفر أخو المعيشه . والجبل مثل الريشه . المنزل لامر معروش . و بالقدر تثل العروش .

نظمه (مخلع البسيط)

أين مضى آدم وشيث * وأين من بعده أنوش
من أبى تابعا أباه * ومدوقت فكم أعيش(٣)
لا ملك الا لرب عرش * تثل عن أمره العروش
خف من الخوف كل طود * حتى كان الجبال ريش
تطيش نبل الرماة منا * وأسهم الحتف لا تطيش
ولم يزل للمنون جيش * تفل من ذكره الجيوش

وذلك يوم مشهود وما نؤخره الا لاجل معدود يوم يأتى لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقى وسعيد) ثم صاح و بكى بكاء شديدا وطرح وجهه على الارض زمانا ثم رفع رأسه ومسح وجهه فقال : سبحان من تكلم بهذا فى القدم سبحان من هذا كلامه فصبرت ساعة ثم سلمت عليه فرد وقال متى أتيت فقلت : الساعة ثم قلت : ياسيدى أرى فى وجهك اثر غيظ فقال : لا يا أبا الفتح بل أنشدت شيأ من كلام المخلوق وتلوت شيأ من كلام الخالق فلحقنى ما ترى فتحققت صحة دينه وقوة يقينه) .

(١) السوام : الابل الراعية (٢) مخرج بالهامش (ذهب) بدل (وهب) (٣) ويشابه هذا المعنى قوله فى محل آخر : تقضى الناس جيلا بعد جيل وخلفت النجوم كما تراها

يحث

يحث بالنعش حامـلوه * وشـد ماسارت النعوش
لاحبـذا الانس والخطايا * وحبذا النسك والوحوش

الصاد

المرء عما وجب ناكص . والشخص للحدث شاخص . ان ظل الفانية لقالص . فهل خلص الى الله خالص . ان دينك لوديعة فى المحار . انما يدرك بغوص البحار . وعدم دين فى الانام . وكان كالحلم فى المنام .

نظمه (سريع)

من ادعى النسك على غرة * فقل له ماصـدق الخارص
والنسك مثل النجم فى بعده * والخلق ان يبلغـه ناكص
كالدرة العذراء[1] مانالها * الا امرؤ فى بحـرها غائص
فى لجة قامصـــة سفنها * ويصرع المستمسك القامص
تلعب بالالواح أمواجها * كانما مركبها راقص[2]
نحن كنبت عامه مجدب * وماؤه مستنكـر ناقص

الضاد

دينك عناه المرض . ضاعت النافلة والمفترض . وخدعك هذا العرض . وجسمك ضعيف حرض . لقد بعد منك الغرض . وسوف يطلب المقترض .

نظمه (منسرح)

دينـــك مضـنى أصابه سقم * والخسر فى ان يميتـه المرض
وهـــل ترجى لديك نافـلة * من بعـد ماضاع منك مفترض
غرضت من هذه الحياة فهل * غـــرك فيما ترومه غـــرض
تميـل من جوهر الى عرض * والروح فى جوهرها عرض[3]

---

(١) مقحم (الغراء) عوض العـذراء (٢) وقريب من هـذا قوله فى بيت من اللزوميات

يموج بحرك والاهواء غالبة * لراكبيه فهل للسفن ارساء

(٣) للمعرى أقوال كثيرة فى الروح والغالب على آرائه فى هذا الشأن التردد والتشكك فى مآلها فمن ذلك قوله :

حرضك الشيب ان تتوب فما * تبت فهلا نذكر الحرض
أقرضت عمراً فما صنعت به * سوف يرد الانام ما اقترضوا

الطاء

فودك [1] علاه الشمط [2] ● والمرء ينقص ويغمط ● كالطفل كهلك فهلا يقمط ● لقد عرف هذا النمط ● والنفس تظعن ولا تضبط ● واجر من كفر يحبط ● أين موفق لا يغلط ● والموت في العالم مسلط ● وعائد الملك لا يقنط

نظمه (هزج)

الام الحرص [3] والرغـ * ـبة في أشيب كالأشمط
وكالطفل غدا الكهل * فما للكهل لا يقمط
ولا يغضب أخو الريـ * ـبة أن ينقص أو يغمط
فما الخاسر الا كا * فر أعماله تحبط
بني آدم ان تعصوا * فما أخسر من يقنط

مسر قديم وأمر غير متضح * فهل على كشفها للحق اسعاد
سيران ضدان من روح ومن جسد * هذا هبوط وهذا فيه اصعاد

وقوله: والروح شئ لطيف ليس يدركه * عقل ويسكن من جسم الفتى حرجا
سبحان ربك هل يبقى الرشاد له * وهل يحس بما يلقى اذا خرجا
أوذاك نور لاجساد يحسنها * كما تبينت تحت الليلة السرجا
قالت معاشر يبقى عند جثته * وقال ناس اذا لاقى الردى عرجا
وليس في الانس من نفس اذا قبضت * ساف الذين لديها طيبها الارجا
واسعد الناس بالدنيا أخو زهد * نافى بنيها ونادى اذ مضى درجا

وقوله: والنفس أرضية في رأي طائفة * وعند قوم ترقى في السماوات
وكونها في طريح الجسم أحوجها * الى ملابس عنتها وأقوات

وقوله: وأوصال جسم للتراب مآلها * ولم يدر دار أين تذهب روحها

(١) الفود معظم شعر الرأس مما يلي الاذن وناحية الرأس وهو أول ما يشيب في الشعر فيقال بدا الشيب بفوديه (٢) الشمط بياض الرأس يخالط سواده وقيل بياض شعر الرأس في مكان واحد (٣) مخرج بالهامش الجهل بدل الحرص

غبطتم صاحب الثرو * ة والزاهـــد لا يغبط
أما تغلط فى الدهــــر * بان توجـــد لا تغلط

الظاء

أما دينك فتنشط . وأنت على الفانية متلظ . متقرب بالمين متحظ

نظمه (مخلع البسيط)

أصبحت فى غمرة ولهو * تجىء بالمـــين كى تحظى
احذر على الدين من تشظ * فالدر ملقى اذا تشـظى [١]
لو هاب حر اللظى مسىء * ما اهتاج حرصا ولا تلظى
فأبد للسائلـــين لينا * ولا تـكن فى الجواب فظا [٢]

العين

المرء خدعه الطمع . مرأى فى الزمن أو مسمع . يدأب [٣] الرجل ويجمع . خلب وميض يلمع . والعـين للحذر تدمع . والسحب بالاقضـية همـع . وفى الآخرة يكون المجمع . [٤]

نظمه (سريع)

غرك ما يخدع من زخرف الدنـيا فزاد الحرص والطمع
علمت ان الدهر فى صرفه * مفرق عنـك الذى تجمع
سـمعت بالخطب وعاينت * هل كفك ما تبصر أو تسمع
تدمع جفناك عـلى زائل * والعـين للرهبـة لا تدمع
كم أومض البارق فى عارض * فالفى الـكاذب اذ يلمـــع
سحب تجـلى خاليا دجنها * عنكم وسحب بعدها همع

(١) تشظى أى تفرق وتشتت (٢) كأنما اقتبس من قوله جـل من قائل «ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك» (٣) يدأب أى يتعب ويشقى (٤) كثيرا ما اعترف أبو العلاء فى شعره بالبعث والمعاد فمن ذلك قوله :

خلق الناس للمعاد فضلت * أمة يحســبونهم للنفاد
انما ينقلون من دار أعما * ل الى دار شقوة أو رشاد

الغين

انك الى الدنيا مصغ • ووجهها للبشر مطغ • لو انك لشأنها ملغ • أبغاك ماتأمله مبغ

نظمه (خفيف)

صاغك الله للجمال بقلب * معرض عن نصيحة ليس يصغى
تكثر اللغو فى المقال ولو وفقت ماكنت للديانة ملغى
لم تزل تزجر الطغاة فلا تطغ لحب الدنيا لذلك مطغى
لو بغيت الذى أراد بك الله لاعطاك فوق ما أنت تبغى

الفاء

طال الكاف والكاف (١) فأين الخلف والسلف • ان العافية هى التلف • وعند البارىء تكون الزلف • الام تكذب وتحلف • وللاثم لوظهر أكلف •

نظمه (متقارب)

كلفت بدنياك شر الكلف * فجاءتك مما صنعت الكلف
تبعت الغواة وما أسلفوا * فهلا أخذت بقول السلف (٢)
وصدقت نفسك فى ظنها * وكم قائل مان (٣) لما حلف
تخلف مالك للوارثين * وكانوا بعلمك بئس الخلف
ترجى الحياة وأسبابها * وتطلب (٤) عند المليك الزلف
ولوظهر الاثم للناظرين * لراعك فى الوجه منه كلف
نصحتك فاذن (٥) الى من يقول * تلاف أمورك قبل التلف

القاف

قلبك معنى يخفق • يخاف من عاجلتك ويشفق • وبارئك هو الموفق • أصبحت من عمرك تنفق • ترقع العذر وتلفق • وأنت فى مطلبك مخفق • يطول تعبك فهلا ترفق •

---

(١) بالاصل الكاف مكرر بالنصب — (٢) ومن قوله فى اللزوميات مما يشابه هذا :

ولا تقولن اذا ما جئت مخزية * قول الغواة على هذا مضى السلف
لا تحلفن على صدق ولا كذب * فما يفيدك الا المأثم الحلف

(٣) مان الانسان أى كذب (٤) بالاصل تترك وتخرج بالهامش تطلب التى أثبتناها لمناسبتها المعنى (٥) أذن أى أصغى •

نظمه

نظمه (سريع)

ان خفق البارق فى عارض * فالقلب من روعته يخفق

تأسف ان انفقت مالا ولا * تأسف من عمرك اذ تنفق

تظل من فقد الغنا مشفقا * ومن قبيح الاثم لا تشفق

مرتفقا فى وطن حافظا * تسأل ما هان فـلا ترفق

يعود عن غيمك من شامه * وهو شديد ظمؤه مخفق

الـكاف

سبح الهنا الفلك . وقدس البشر والملك . والجسم فى العفر يستهلك . والمرء بالعارفة يملك . والنهج للآخرة يسلك .

نظمه (مجزو الرجز)

سبح مع الشهب كما * سبح من قبل الفلك

قدس انسان على الـارض وفى الجو ملك

لا تبك للميت فكم * مات كريم وهلك

ما خبر الغابر عن * دفينه أين سلك

مالك شئ واذا * أطعت فالرحمة لك

اللام

غرك تفصيل وجمل . والحى خدعه الامل . سعيك فسد والعمل . ما نفعك حج ولا رمل . كانك بين الجهل همل .

نظمه (سريع)

مازلت مشغولا بلا خشية * يغرك التفصيل بعد الجمل

تحملك الارض على ظهرها * وأنت سار فوق ظهر الامل

مالى أرى عينيك لم تهملا * كأنما أنت مخلى همل

ما يشفع الحسن لاصحابه * ان حسن الوجه وساء العمل

زملت فى مكة تبغى الهدى * فهل نهاك السعى بعد الرمل

الميم

افى مسمعك حل الصمم . أم لبك أصاب اللمم . وتحسن للانيس الهمم . وفى التراب

تطوى الرمم • وفى الباطن تخان الذمم • على ذلك تمر الأمم •

نظمه (سريع)

مالك لم تصغ الى عاذل * أحل فى المسمع منك الصمم

اجاهل (١) أنت فتلحى على العصيان أم مس حجاك اللمم

همتك العليا هوت فى الثرى * وشيمة الزاكى علو الهمم

لم تف بالذمة للحر والحر مراع وافيات الذمم

والذكر يبقى للفتى برهة * وان توارت فى التراب الرمم

تيمم الخير ولا ترهب السموت فالموت تصير الامم

النون

لله الكرم والمنن • وعن بارئك تزول الظنن • لا يسترك من الموت الجنن • و بالعاصف يراع الفنن • (٢) لا تعصمك تلك القنن

نظمه (سريع)

ويحك لا تمنن على منعم * عليه فالخالق رب المنن

فظن خيرا بالاخلاء والافاخير يخفو (٣) الظنن (٤)

يجنك القبر فلا تلف كل مجنون يبغى واقيات الجنن

وافتن فى خوفك رب العلا * وأنت فى سرحك مثل الفنن

انك قن (٥) لمليك حوى الملك فلا تعصم منه القنن (٦)

لتقرع السن غدا نادما * ان كنت ضيعت جميل السنن

الهاء

المرء نهى فما انتهى • مازال فى العاجلة يزدهى • ان قيل ما أحسن وما أبهى • فاين صاحبك لما وهى • وطال ما نعم ولها • ونال فى العمر ما اشتهى (٧) • ما بين غزلان ومهى • دهاه الزمن فيمن دها • والله عمر باللهى • مصور القمر والسها •

---

(١) مخرج بالهامش أعاقل بدل أجاهل (٢) الفنن الغصن المستقيم جمعه أفنان وأفانين

(٣) بالاصل يخفو وهذا غلط كثيرا ما يقع فى المخطوطات خصوصا القديمة منها (٤) (كذا)

(٥) القن هو العبد الذى ملك أبوه من قبله (٦) جمع قن بالضم وهو الجبل أو قلة الجبل

(٧) هذه الجملة مخرجة بالهامش ومنبه عليها بعلامة ولذا ألحقناها بالاصل

نظمه

نظمه (سريع)

المرء معتوب على فعله * كم سمع النهى فألا انتهى
زايله اللهو وزار البلا * وطالما عاينته مزدهى
باهى زمانا بالذى ناله * ثم أتى الموت فأين البهى
وهت عقود كان فى عصره * أحكمها الا عاقد ماوهى
ماشهوات الحى الأذى * ان نال من مدته ما اشتهى
كان يرى فى غزل دائما * ما بين غزلان له أومهى
دهاه بالمقدور لم يدفع الخطب عن مهجته اذ دهى
سها عن الواجب فاغتاله * مصور البدر ورب السها

الواو

أما صحبك فقد غووا . عبوا فى المورد فارتووا . أبادتهم الاقضية حتى تووا . خلوا للوارث ما احتووا . طواهم القدر فانطووا . ولاقتهم الآخرة بما نووا .

نظمه (سريع)

لا تغو فى دنياك مستهترا * فان أصحابك فيها غووا
عز لهم فى سربهم (١) مورد * لو كان يروى مثله لارتووا
نادتهم الاقدار يا ساكنى الارض ألا تنوون حتى تووا (٢)
خلوا أحاديثهم (٣) واحتوى * آخذ ميراث على ما حووا
انتشروا فى عيشهم أعصرا * ثم طواهم قدر فانطووا
فلتحسن النية من بعدهم * فالناس يجزون على ما نووا

اللام والالف

كل غدا يخدم أملا . يسىء فى ما بطن عملا . يصبح بسيفه مشتملا . لا يطلب رزقه محتفلا . والرزق لا يترك متوكلا . لم يرد فى العالم حيلا .

نظمه (بسيط)

(١) مقحم باعلاه دهرهم بدل سربهم (٢) هذا البيت مخرج بالطرة ومكتوب بقلم مغاير للاصل وخطه ردىء جدا (٣) بالهامش أباطيلهم عوض أحاديثهم التى بالاصل

مافى البسيطة من عبد ولا ملك ❊ الا حليف عناء يخدم الاملا [1]
يحث نفسا عن الاحسان عاجزة ❊ وقد أساء بعلم الواحد العملا
فهل ترى الدهر أنثى أو ترى ذكرا ❊ يشابه امرأة فى الخلق أو رجلا
يروم بالسيف رزقا جاء فى عنف ❊ ما كان يخطوه فى خفض لو اتكلا
يبغى المعالى فى أوفى مجاهدة ❊ فان تخلف عنها لطف الحيلا
ياساكنى الترب ماعندى لكم خبر ❊ فليت شعرى عن المقبور ما فعلا
لم تأتنا منكم رسل مخبرة ❊ ولا كتاب الينا منكم وصلا

اليـاء

الحى بعد العيشة ردى • وجاءه القدر فافدى • وشخصه بالقاضية ردى • لم يرزق النهل ان صدى • لكنه عن ذلك عدى • أظلته العاجلة فاهدى • وجادته الاسمية فاندى • وقتلته الحادثات فاودى •

نظمه (سريع)

المرء فى أردية لونت ❊ ماش ولكن بعده هذا ردى
فدى الاسارى زمنا ذاهبا ❊ وجاءه الموت فألا فدى
فيا ردى العقل ان الفتى ❊ لم يدفع المقدور حتى ردى
ظل صداه فى الثرى ساكنا ❊ ولم يصادف منهلا اذ صدى [2]
رنت له الاعداء ان عاينت ❊ صاحبها عن كل خير عدى
كان الهدى يهدى الى قلبه ❊ من سمعه لو انه يهتدى
جادت له اسمية برهة ❊ وعاد بسا غصنه ما ندى
لا يطلب الثار لميت ولا ❊ يودى لعمر [3] الله فيمن ودى

نجزت والحمد لله وحده

---

(١) ومعنى هذا البيت يشابه قوله فى اللزوميات :

يحسن مرأى لبنى آدم ❊ وكلهم فى الذوق لا يعذب
ما فيهم بر ولا ناسك ❊ الا الى نفع له يجذب

(٢) بالاصل : موردا ان صدى ومخرج بالهامش : منهلا اذ صدى وهو ما أثبتناه

(٣) بالاصل : لعمر والله

رسائل

رسائل الانتقاد

كلمة الناشر

بينا كنت فى خلال العام الفارط أرسل رائد الطرف فى بعض المخطوطات العربية القديمة عثرت على كتاب صغير الحجم جيل الخط عتيقه فتأملته فوجدته لمؤلف تونسى معدود من البلغاء . واذ كان لى ولوع شديد بالاطلاع على مآثر الادباء من بنى وطنى تعلقت رغبتى بتعريف هذا التصنيف . بيد أنى لما أخذت أتلو رشيق معانيه وأحلل دقائق مبانيه وجدت نقصا فادحا بين أو راقه أفسد عقد جله فخل بى من ذلك قلق عظيم . ثم بعد مدة وقعت فى فهرست القسم العربى من مكتبة الاسكوريال بجزيرة الاندلس على اسم مقامة تحت عدد ٥٣٦ منسوبة الى أبى عبد الله محمد بن شرف القير وانى فانجلى خاطرى وبادرت فى الحال لطلب نسخة منها من بعض زملائى المستشرقين . فلما وافتنى صورتها وطابقتها بما لدى عاودنى سرورى الاول وقوى عزمى اذ كانت القطعة الاندلسية مطابقة للقسم الاول من النسخة التونسية بزيادة ما نقص . فاسرعت حينئذ الى النسخ وأتممت هاته بتلك حتى كمل والحمد لله ما كنا نرغبه وهو ما نقدمه اليوم لطلاب الآداب العربية .

ومن المناسب ان نذكر شيأ عن الاصلين اللذين أخذنا عنهما . فالاول وهى النسخة التونسية تشتمل على ستين صفحة شرقية يلوح من شكل خطها انها من القرن السابع لكنها صعبة القراءة لانطماس الاحرف ودثور كتابتها وتهادع ما لحق الورق من العث الذى أهلك جانبا وافرا منها .

أما القطعة الاندلسية التى أكملنا بها ما ضاع من التأليف فهى تحتوى على ثمانى عشرة صفحة صغيرة الحجم اندلسية الخط قديمة النسخ كما يتبين ذلك من التاريخ الذى وضعه بعض المطالعين فى الصفحة الآخرة حيث قال : « طالعته فى موفى سنة خمس وخمسمائة » وبهذا يستدل على ان هاته القطعة كتبت زمن المؤلف مدة اقامته بالاندلس (حوالى سنة ٤٥٥) أو قريبا من عهده . ومهما كان الحال فهى أقدم من أختها التونسية الا انها أخصر ولا تشتمل الا على المقامة الاولى

ويلوح لى ان مؤلفنا قصد بتدوين هذه الرسائل معارضة (كتاب العمدة) الذى وضعه زميله ومعاصره الحسن بن رشيق القيروانى كما سنبينه فى ترجمته . الا ان الرسائل

المعارض بها كانت أطول وأكثر مما وجدناه وأوردناه هنا . يؤيد ذلك ما جاء فى سياق كلام ابن شرف فى مقدمته للمجلس الاول حيث قال: (فاقت من هذا النحو عشرين حديثا) فالمظنون انه يقصد بالحديث مجالسه مع الاستاذ الموهوم الذى سماه (أبا الريان) كما اختلق الحريرى فى مقاماته شخص الحارث بن همام واخترع الهمذانى عيسى بن هشام . فعسى أن يساعدنى الحظ بالعثور على بقية هذا التأليف المفيس ان كان فى عالم الموجودات .

وقد احترمت فى الاستنساخ الطريقة التى اتى عليها الاصل فى الرسم وضبطه الا ما نبهت عليه أسفل المتن مع التعاليق . ولما كان الاعتراف بالمعروف فريضة وجب علىّ ان أرفع شكرى الخالص للكاتب البليغ والباحث المدقق محمد بدر الدين افندى النعسانى الذى أعاننى بعلومه النيرة لازالة بعض مشكلات النسخة التونسية كما أقدم عبارات ودادى الى العالم المستعرب المتمكن صديقى الاستاذ كارلو نالينو الذى أسعفنى بالحصول على صور القطعة الاندلسية وهو لا يزال يفيدنى باشاراته العلمية وفكره الصائب فجزياعنى خير جزاء والله ولى توفيقى به أهتدى واليه أنيب

تونس حسن حسنى عبد الوهاب

(ترجمة

ترجمة المؤلف (١)

نبغ أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد بن أحمد بن شرف الجذامي القيرواني نحو سنة ٣٩٠ من احدى البيوتات الشريفة القادمة مع الجيش العربي الفاتح والقيروان اذذاك زاهية زاهرة بالعلوم رافلة بالمعارف والفنون فروى المعقول والمنقول عن أفاضل ذلك العصر كأبي الحسن القابسي وأخذ الفنون الادبية من أساتيذتها كأبي اسحق ابراهيم الحصري القيرواني ومحمد بن جعفر القزاز وغيرهما حتى برع فيها وأجاد فالحقه حينئذ المعز بن باديس الصنهاجي أمير افريقية بديوان حاشيته لما رأى فيه من الذكاء والنجابة . وهناك التقى ابن شرف بجماعة من الكتاب البلغاء والشعراء الظرفاء الذين كان يجمعهم ديوان الملك مثل علي بن أبي الرجال الكاتب رئيس قلم الانشاء وأبي علي الحسن بن رشيق صاحب العمدة ومحمد بن حبيب القلانسي وغيرهم

وطبيعي ان وجود ابن شرف في مثل هذا الوسط دعاه الى تتبع الوجهة التي شب عليها وقوى نشاطه اذ كان أولئك الادباء الاجلاء يتسابقون في التقرب بنظمهم ونثرهم الى الامير رغبة في العطايا الهائلة والهبات الطائلة . وحصل عن هذا التنافس والتزاحم حركة فكرية أدبية لم تر افريقية مثلها في عصر من عصور السلطنة الاسلامية وصارت القيروان كعبة العلم التي يحج اليها العلماء من جميع اصقاع المغرب حتى من الاندلس . وقد خصص المعز لصحبته من بين هؤلاء الزعماء المتقدمين ابن شرف هذا وابن رشيق فكان يلتفت تارة الى الاول وأخرى الى الثاني وجرى بسبب ذلك بين هذين الاديبين مناقضات ومهاجاة رسمها كل منهما في رسائل مستقلة ومقامات متنوعة لم يصل الينا منها شيء فيما نعلم

حكى ابن شرف المترجم له في كتابه (أبكار الافكار) قال : استدعاني المعز بن باديس يوما واستدعى أبا علي الحسن بن رشيق الازدي وكنا شاعري حضرته وملازمي ديوانه فقال : أحب ان تصنعا بين يدي قطعتين في صفة الموز على قافية الغين . فصنعنا حالا من غير أن يقف أحدنا على ما صنعه الآخر فكان الذي صنعته

يا حبذا الموز واسعاده * من قبل ان يمضغه الماضغ
قد لان حتى لا مجس له * فالفم مـــلآن به فارغ

---

(١) اقتبسنا هذه الترجمة بتصرف من تأليفنا (الادب والادباء التونسيين)

سيان قلنا مأ كل طيب * فيـــه والامشرب سائغ

والذى صنعه ابن رشيق

موز سريع أكله * من قبل مضغ الماضغ
فمأكل لآكل * ومشرب لسائغ
فالفم من لين به * ملآن مثـل فارغ
يخال وهـو بالغ * للحلق غـير بالغ

فأمرنا الوقت ان نصـنع فيـه على حرف الذال فعملنا ولم يرأحـدنا صاحبه ما عمـل فـكان ما عملته

هل لك فى موزاذا * ذقناه قلنا حبـــذا
فيه شراب وغذا * يريك كالماء القذى
لومات من تلذذا * به لقيـــــل ذا بذا

وما عمله ابن رشيق

لله مـــــوز لذيذ * يعيـــذه المستعيذ
فواكـه وشراب * به يداوى الوقيـــذ
ترى القذى العين فيه * كما يريها النبيذ

قال ابن شرف : فانت ترى هذا الاتفاق لما كانت القافية واحدة والقصد واحدا .
ولقـد قال من حضر ذلك اليوم : ماندرى مم نعجب أمن سرعة البـديهة أم من غرابة القافية أم من حسن الاتفاق

وحكى المؤلف المترجم له أيضا فى كتابه المذكور قال : "استخلانا المعز يوما وقال : أريد أن تصـنعا شعرا تمدحان به الشعر الرقيق الخفيف الذى يكون على سوق بعض النساء فانى أستحسـنه وقد عاب بعض الضرائر بعضا به وكلهن قارئات كاتبات فاحب أن أريهن هذا وادعى انه قديم لاحتج به على من عابه وآسى به من عيب عليـه . فانفرد كل منا وصنع فى الوقت فـكان الذى قلت :

وبلقيسـية زينت بشعر * يسير مثـل ما يهب الشحيح
رقيق فى خـــدلجة رداح * خفيف مثل جسم فيه روح
حكى زغب الخدود وكل خد * به زغب فمعشـــوق مليح

فان

فان يك صرح بلقيس زجاجا * فمن حدق العيون لها صروح

وكان الذى قال ابن رشيق :

يعيبون بلقيسية ان رأوا لها * كما قدرأى من تلك من نصب الصرحا

وقد زادها التزغيب ملحا كمثل ما * يزيد خدود الغيد تزغيبها ملحا

فانتقد المعز على ابن رشيق قوله يعيبون وقال : «أوجدت لخصمها حجة بأن بعض الناس عابه» فانظر ما ألطف هذه المناضلات وما أحلى هذه الحكايات ولولا خوف الاطالة لزدنا من هذه طرفا تروق الخاطر .

واستمر ابن شرف على خدمة المعز الى ان زحف عرب الصعيد من هلاليين ورياح وغيرهم واستولوا على غالب القطر التونسى بعدما خربوه ودمروه واضطر الامير المعز الى ترك القيروان أمام تلك القبائل المتوحشة (سنة ٤٤٩ ﻫ) وفر الى المهدية واتخذها دار ملكه وقد تبعه اليها شعراؤه وحاشيته . وفى خلاء القيروان يقول ابن شرف من قصيدة رنانة

بعد خطوب خطبت مهجتى * وكان وشك البين امهارها

ذا كبد أفلاذها حولها * وقسمت الغربة أعشارها

أطفالها ماسمعت بالفلا * قط فعادت فى الفلا دارها

ولارأت أبصارها شاطئا * ثم جلت باللج أبصارها

وكانت الاستار آفاقها * فعادت الآفاق أستارها

ولم تكن تعلو سريرا علا * الا اذا وافق مقدارها

ثم علت فوق عشور الخطا * ترمى به فى الارض أحجارها

ولم تكن تلحظها مقلة * لو كحلت بالشمس أشفارها

فاصبحت لاتتقى لحظة * الا بان تجمع أطمارها

وأقام ابن شرف مدة بالمهدية مع زمرة شعراء الملك يخدم الامير المعز وابنه تميما الى ان رحل عنها قاصدا جزيرة صقلية لما سمع عن كرم أميرها والبها لحقه رصيفه ابن رشيق وقد قدمنا انه كان وقع بينهما بالقيروان ماوقع بين جرير والفرزدق أو بين الخوارزمى وبديع الزمان . فلما اجتمعا بصقلية تسامحا وأقاما بها زمنا ثم استنهض يوما ابن شرف رفيقه على جواز الاندلس فانشد حينئذ ابن رشيق البيتين المشهورين بين الخاص والعام

مما يزهدنى فى أرض أندلس * سماع مقتدر فيها ومعتضد
القاب سلطنة من غير مملكة * كالهر يحكى انتفاخا صولة الاسد

فاجابه ابن شرف بديهة

ان ترمك الغربة فى معشر * قد جبل الطبع على بغضهم
فدارهم مادمت فى دارهم * وارضهم مادمت فى أرضهم

واجتاز ابن شرف وحده الاندلس وسكن المرية وغيرها وتردد على ملوك طوائفها كآل عباد باشبيلية وغيرهم وبهذه المدينة الاخيرة كانت وفاته سنة ٤٦٠ هـ (١٠٦٧ م) وخلف ابنا يدعى أبا الفضل جعفرا كان أديبا مجيدا أيضا أورد له العماد فى خريدته والفتح فى قلائده قصائد وفصولا تشهد له بطول الباع .

أما تآليف محمد بن شرف فكثيرة على ما نقله الينا المؤرخون فمنها كتاب ‹أبكار الافكار› جمع فيه ما اختاره من نظمه ونثره وهو أنفس مصنفاته (مفقود وقد يوجد منه شئ فى بعض كتب الادب) . ومنها كتاب ‹اعلام الكلام› به نخب وملح (مفقود أيضا) . ثم ‹رسائل الانتقاد› والمظنون انه ألفها بعد هجرته القطر التونسى كما يستفاد من سياق كلامه فى مقدمتها . وغيرها من هذه المصنفات الادبية النفيسة

وها نحن نأتى هنا على منتخبات نثر وشعر من كلام محمد بن شرف ليرى القارئ براعة هذا المؤلف الجليل ومكانته من الادب

فمن نظمه فى الشوق الى بلاده القيروان مدة اقامته بالاندلس

ياقيروان وددت انى طائر * فاراك رؤية باحث متأمل
بالوشهدتك اذ رأيتك فى الكرى * كيف ارتجاع صباى بعد تكهل
واذا تجدد لى أخ ومنادم * جددت ذكر أخ خليل أول
لا كثرة الاحسان تنسى حسرتى * هيهات تذهب علتى بتعلل
لو كنت أعلم ان آخر عهدهم * يوم الرحيل فعلت مالم أفعل

وله فى شكوى الزمان

انى وان عزنى نيل المنى لارى * حرص الفتى خلة زيدت على العدم
تقلدتنى الليالى وهى مدبرة * كاننى صارم فى كف منهزم

وأنشد فى المغنى

عتابا عسى ان الزمان له عتبى * وشكوى فكم شكوى ألانت له القلبا
اذا لم يكن الا الى الدمع راحة * فلا زال دمع العين منهملا سكبا

وقال أيضا

وما بلوغ الامانى فى مواعدها * الا كأشعب يرجو وعد عرقوب
وقد تخالف مكتوب القضاء به * فكيف لى بقضاء غير مكتوب

ومن شعره فى الحكم قوله

احذر محاسن أوجه فقدت محا * سن أنفس ولوانها أقمار
سرج تلوح اذا نظرت فانها * نور يضىء وان مسست فنار

وقوله

لا تسأل الناس والايام عن خبر * هما يبثانك الاخبار تطفيلا
ولا تعاتب على نقص الطباع أخا * فان بدر السما لم يعط تكميلا
لا يؤيسنك من أمر تصعبه * فالله قد يعقب التصعيب تسهيلا
بع من جفاك ولا تبخل بسلعته * واطلب به بدلا ان رام تبديلا
وصير الارض دارا والورى رجلا * حتى ترى مقبلا فى الناس مقبولا

وله

اذا صحب الفتى سعد وجد * تحامته المكاره والخطوب
ووافاه الحبيب بغير وعد * طفيليا وناد له الرقيب

وله أيضا

ياثاويا فى معشر * قد اصطلى بنارهم
ان تبك من شرارهم * على يدى شرارهم
أوترم من أحجارهم * وأنت فى أحجارهم
فما بقيت جارهم * ففى هواهم جارهم
وارضهم فى أرضهم * ودارهم فى دارهم

ومن كلامه فى التغزل قوله فى ليلة أنس

ولقد نعمت بليلة جد الحيا * بالارض فيها والسماء تذوب
جمع العشاءين المصلى وانزوى * فيها الرقيب كأنه مرقوب
والكاس كاسية القميص كأنها * لوناو قدرا معصم مخضوب

هى وردة فى خـــده وبكاسها * تحت القنانى عسجد مصبوب
منى اليـــه ومن يديه الى يدى * فالشـــمس تطلع بيننا وتغيب

وقوله أيضا

قامت تجر ذيول العصب والحـــبر * ضعيفة الخطو والميثاق والنظـــر
تخطو فتولى الحصا من حليها نبذا * وتخلط العنـــبر الوردى بالعـــفر
تلفتت عن طلا وسنان وابتسمت * عن واضح مثل نور الروضة العطر
مالذ للعـــين نوم بعـــد ماذكرت * ليلا ســـمرناه بين الضال والسمر
تساقط الطل من فوق النحور به * تساقط الدر فى اللبات والثغـــر

وله من خمرية سمية

خليـــل النفس لاتخلى الزجاجا * اذا بحر الدجى فى الجـــو ماجا
وجاهر فى المدامـــة من يرائى * فمافوق البسيطة من يداجى
أمط عنك الـــكرى والليل ساج * ودعنا نلبس الظلماء ساجا
وهات على اهتمام الروح راحا * يعـــدهم النفوس لها افتراجا
اذا مر بخها اتقـــد احمـــرارا * صببنا المشـــترى فيها مزاجا

وله بكيت دما والقاصرات سوافر * فلاحت خدود كلهن مورد
وقد وقف الواشون فى كل وجنة * على محضر فيـــه المدامع تشهد

وله يقـــول لى العاذل فى لومـــه * وقـــوله زور وبهتان
ماوجه من أحببته قبـــلة * قلت ولا قـــولك قـــرآن

وقال قل للعذول لو اطلعت على الذى * عاينتـــــه أعناك مايعنينى
أتصـــدنى أم للغـــرام تردنى * وتلومنى فى الحب أم تغـــرينى
دعنى فلست معاقبا بجنايتى * اذليس دينك لى ولا لك دينى

وقال فيمن اسمه عمر

ياأعدل الناس أسما كم تجور على * فؤاد مضناك بالهجران والبين
أظنهـــم سرقوك القـــاف من قمر * فابدلوها بعـــين خيفة العـــين

وله أيضا

غيرى جنى وأنا المعاقب فيـــكم * فـــكأننى سبابة المتندم

وقال

وقال يمدح استاذه الكاتب أبا الحسن على بن أبى الرجال :

جاور عليا ولا تحفل بحادثة * اذا ادرعت فلا تسأل عن الاسل

اسم حكاه المسمى فى الفعال فقد * حاز العليين من قول ومن عمل

فالماجد السيد الحر الكريم له * كالنعت والعطف والتوكيد والبدل

زان العلا وسواه شانها وكذا * تميز الشمس فى الميزان والجمل

ور بما عابه ما يفخرون به * يشنا من الخصر ما يهوى من الكفل

سل عنه وانطق به وانظر اليه تجد * ملء المسامع والافواه والمقل

ومن نظمه فى أنواع شتى : قال فى العود

سقى الله أرضا أنبتت عودك الذى * زكت منه أغصان وطابت مغارس

تغنى عليها الطير والعود أخضر * وغنت عليه الغيد والعود يابس

وقال فى الدرهم والدينار

ألا رب شىء فيه من أحرف اسمه * نواه لنا عنه وزجر وانذار

فتنا بدينار وهمنا بدرهم * وآخر ذا هم وآخر ذا نار

وقال من قصيدة فى وصف سيف

ان قلت نارا أتندى النار ملهبة * أو قلت ماء أيرمى الماء بالشرر

وله من أخرى

وقد وخطت أرماحهم مفرق الدجى * فبان باطراف الاسنة شائبا

ومن نثره ما كتبه مستعطفا على محبوس فى دين :

قد حكمت بسجن الاشباح . وهى سجون الارواح . فامنن على ماشئت منهما بالسراح . فالحبس نزاع الارواح . والعقلة أخت القتلة . وكلاهما فقد . ومهر للخطوب ونقد . وانما بينهما نفس متصاعد . وأجل متباعد . فالحق منهما ما أجلت بما عجلت . وقد أخرنا الدين . الى يوم الدين .

ومن منثور كلامه فى (أبكار الافكار) :

لما فنى عمر الامس . وطفئ سراج الشمس . لاحت بروق الثغور اللوامع . وجلجلت رعود الاوتار فى المسامع . وبعث مخارق وابن جامع . فلم يزل ذلك دأبنا . ما أقلع سحابنا . حتى مسأناه هجعة . وكلنا نقول بالرجعة

وله في القرابة : الوجيه بين أقاربه . كالوادي بين مذانبه . تجذبن ماءه وتطلبن ظماءه

وفي العداوة : كم قاطعك من راضعك . وقابحك من مالحك . ونافقك من وافقك .
وناصبك من صاحبك . وحادك من وادك .

في أنواع شتى : الجود أنصر من الجنود ـ من بخل بماله . سمح بعرض آله ـ الباذل
كثير العاذل ـ الكريم كثير الغريم ـ احذر الكريم اذا افتقر . واللئيم اذا اقتدر ـ
احذر التقي اذا أنكر . والذكي اذا فكر ـ المطل أحد المنعين واليأس أحد الصنعين .
العشق أحد الرقين . والسلو أحد العتقين ـ رفث الكلام أحد السفاحين . وموالاة القبل
أحد النكاحين ـ جميل الرد أحد الجودين . وبقاء الذكر أحد الخلودين ـ طول الجود
أحد القبرين . وبقاء الثناء أحد العمرين ـ بئس النصير التقصير ـ المتحاسر خاسر ـ
من كثر فجره . وجب هجره ـ من كرمت خصاله . وجب وصاله ـ سحابة صيف .
وزيارة طيف ـ الوسيلة جناح النجاح ـ رب عين اذا رأت زنت ـ لا كرم عن حرم ـ
المستلم أحزم من المتسلم .

هذا اقصدنا ايراده هنا على ان ما جمعناه من كلام هذا الاديب البارع هو أطول من
ذلك وقد لاقينا صعوبات جمة في نظم ما تشتت اذ لا يوجد تأليف يحوي تراجم فضلاء القطر
التونسي والله المسؤل الاعانة

ح . ح . ع

(بسم

بسم الله الرحمن الرحيم

رب أعن برحمتك

قال أبو عبد الله محمد بن شرف القيراوانى هذه أحاديث صنعتها مختلفة الانواع . مؤتلفة في الاسماع . عربيات المواشم . غريبات التراجم . واختلقت فيها اخبارا فصيحات الكلام . بديعات النظام . لها مقاصد ظراف . وأسانيد طراف . يروق الصغير معناها . والكبير مغزاها . وعزوتها الى أبى الريان الصلت بن السكن من سلامان (١) . وكان شيخا هما فى اللسان . و بدرا تما فى البيان . قد بقى أحقابا . ولقى اعقابا . ثم ألقته الينا من باديته الازمات . وأوردته علينا العزمات . فامتحنا من علمه بحرا جاريا . وقدحنا من فهمه زندا واريا . وأدرنا من بره طرفا . واجتنينا من ثمره طرفا . ونحن اذ ذاك والشباب مقتبل . وغفلة الزمان تهتبل . واحتذيت فيما ذهبت اليه . ووقع تعريضى عليه . من ت هذه الاحاديث ما رأيت الاوائل قد وضعته فى كتاب كليلة ودمنة فاضافوا حكمه الى الطير الحوائم . ونطقوا به على ألسنة الوحش والبهائم . لتتعلق به شهوات الاحداث . وتستعذب بسمره ألفاظ الحداث . وقد نحا بذا النحو سهل بن هرون (٢) الكاتب فى تأليفه كتاب

---

(١) سلامان (بفتح أوله) ماء لبنى شيبان على طريق مكة الى العراق و به مات نوفل ابن عبد مناف . قال حاتم :

اذا حال دونى من سلامان رملة * وجدت توالى الوصل عندى أبترا

(من معجم ما استعجم) لابى عبد الله البكرى ج ٣ ص ٧٧٦ طبعة غوتنغن سنة ١٨٧٦) . وفيما يظهر لنا ان ابن شرف اختار سلامان الذى هو اسم منزل لبنى شيبان تذكارا للقبيلة التى ينسب اليها أحد أساتذته ومحسنيه أبو الحسن على بن أبى الرجال الشيبانى رئيس قلم الانشاء فى دولة المعز بن باديس الصنهاجى كما ذكرناه فى ترجمة المؤلف

(٢) أبو عمرو سهل بن هرون بن راهبون الدستميسانى أصله فارسى وانتقل الى البصرة واتصل بخدمة المأمون فتولى رئاسة خزانة الحكمة ببغداد وكان حكيما فصيحا شاعرا شعوبى المذهب شديد التعصب على العرب . وله مصنفات كثيرة تدل على بلاغته وحكمته منها كتاب (ثعلة وعفره) وكتاب (نصمه وعصره) عارض بهما كليلة ودمنة فى ابوابه وأمثاله وزاد عليه بحسن النظم . أما كتاب (النمر والثعلب) الذى نسبه اليه ابن شرف هنا فلم تقف على ذكره فى تآليفه .

النمر والثعلب وهو مشهور الحكايات • بديع المراسلات • مليح المكاتبات • وزور أيضا بديع الزمان الحافظ الهمذانى وهو الاستاذ أبو الفضل أحمد بن الحسين [١] مقامات كان ينشئها بديها فى أواخر مجالسه وينسبها الى راوية رواها له يسميه عيسى بن هشام وزعم انه حدثه بها عن بليغ يسميه أبا الفتح الاسكندرى وعددها فيما يزعم رواتها عشرون مقامة الا انها لم تصل هذه العدة الينا وهى متضمنة معانى مختلفة • ومبنية على معانى شتى غير مؤتلفة • لينتفع بها من الكتاب والمحاضرين من صرفها من هزل الى جد • ومن ند الى ضد • فاقت من هذا النحو عشرين حديثا أرجو [٢] ان يتبين فضلها • ولا تقصر عما قبلها • ولعمرى ما أشكر من نفسى • ولا أثنى على شئ من حسى • الا ظفرى بالاقل مما حاولته على ما أضرمته نيران الغربة من قلبى • وثلمته صعقات الفتنة من لبى • وقطعت أهوال البر والبحر من خواطرى • وأضعفت الوحشة والوحدة من غرائزى وبصائرى • لكن نية القاصد وسعة المقصود • أعانا ذا الود على اتحاف المودود • والله أسأل توفيقا • ينهج لنا الى الرشد طريقا •

فنها

قال محمد [٣] وجاريت أبا الريان فى الشعر والشعراء ومنازلهم فى جاهليتهم واسلامهم [٤] واستكشفته عن مذهبه فيهم ومذاهب طبقته فى قديمهم وحديثهم [٥] فقال الشعراء [٦] أكثر من الاحصاء وأشعارهم أبعد من شقة الاستقصاء • فقلت

---

(١) بديع الزمان توفى سنة ٣٩٨ ومقاماته تبلغ أربعمائة كما ذكره ابراهيم الحصرى القيروانى فى كتابه (زهر الآداب) حيث قال (ان الذى سبب للبديع تأليف مقاماته هو انه رأى أبا بكر بن الحسين بن دريد قد أغرب بار بعين حديثا ذكر انه استنبطها من ينابيع صدره وأنتجها من معادن فكره على طبع العرب الجاهلية بالفاظ بعيدة وحشية فعارضه البديع باربعمائة مقامة •••) الا ان المتداول الآن بين الناس خمسون مقامة فقط والمظنون ان فى عصر ابن شرف لم يصل الى افريقية سوى عشرين منها (٢) بالاصل • أرجوا (٣) من هنا فقط تبتدئ النسخة الاندلسية (٤) و بالنسخة الاندلسية : فى ذكر أهل النظام • ومنازلهم فى الجاهلية والاسلام (٥) هذه الجملة مفقودة من النسخة الاندلسية (٦) بالنسخة الاندلسية : عدد الشعراء

لا

لأعتبك [1] با كثر من المشهورين . ولا أذا كرك الا في المذكورين [2] مثل الضليل والقتيل . ولبيد وعبيد . والنوابغ والعشوء [3] والاسود بن يعفر . وصخر الغي [4] وابن الصمة دريد . والراعي عبيد . وزيد الخيل . وعامر بن الطفيل . والفرزدق وجرير . وجميل بن معمر وكثير . وابن جندل . وابن مقبل . وجرول . والاخطل . وحسان في هجائه [5] ومدحه . وغيلان في ميته وصيدحه . والهذلي أبي ذؤيب [6] وسحيم ونصيب . وابن حلزة الوائلي . وابن الرقاع العاملي . وعنترة العبسي . وزهير المري [7] وشعراء فزارة . ومفلقي بني زرارة . وشعراء تغلب . ويثرب . وأمثال هذا النمط الاوسط كارماح . والطرماح . والطثري والدميني . والكميت الاسدي . وحميد الهلالي . وبشار العقيلي . وابن أبي حفصة الاموي . ووالبة الاسدي . وابن جبلة الحامي . وأبي نواس الحكمي . وصريع الانصاري . ودعبل الخزاعي . وابن الجهم القرشي . وحبيب الطائي والوليد البحتري . وابن المعتز العباسي . وعلي بن العباس الرومي . وابن رغبان الحمصي . ومن الطبقة المتأخرة في الزمان . المتقدمة في الاحسان . كابي فراس ابن حمدان . والمتنبي بن عبدان . وابن جدار المصري . وابن الاحنف الحنفي . وكشاجم الفارسي . والصنوبري الحلبي . ونصر الخبزرزي [8] وابن عبد ربه القرطبي . وابن هاني الاندلسي . وعلي بن العباس الايادي [9] التونسي . والقسطلي قال أبو الريان : لقد سميت مشاهير . وأبقيت الكثير . قلت بلى : ولكن ماعندك فيمن ذكرت . قال : اما الضليل [10] مؤسس الاساس . وبنيانه [11] عليه الناس . كانوا يقولون اسيلة الخد حتى قال أسيلة مجرى الدمع . وكانوا يقولون تامة القامة وطويلة القامة وجيداء وتامة

---

(١) وبالنسخة التونسية : أعنتك وهو الاولى (٢) من ولا اذاكرا لى المذكورين مفقود من النسخة الاندلسية (٣) بالنسخة الاندلسية : العشى (٤) بالنسخة الاندلسية : ومن سواه من العمى (٥) بالنسخة الاندلسية : في أهاجيه (٦) بالنسخة التونسية : وأبو ذؤيب الهذلي (٧) بالنسخة التونسية : المزني وهو أيضا صحيح (٨) بالنسخة التونسية : الخبزري (٩) بالنسخة الاندلسية : الاياذي وعلي بن العباس الايادي هذا من فحول الشعراء التونسيين خدم بشعره الامراء العبيديين أواسط القرن الرابع وكان معاصر الابي القاسم محمد بن هاني الاندلسي (١٠) الضليل هو امرؤ القيس بن حجر الكندي حامل لواء شعراء الجاهلية (١١) بالنسخة التونسية : بنيانه

العنق وأشباه هذا حتى قال بعيدة مهوى القرط (١) وكانوا يقولون فى الفرس السابق يلحق الغزال والظليم وشبهه حتى قال قيد الاوابد (٢) ومثل هذا له كثير . ولم يكن قبله من فطن لهذه الاشارات والاستعارات غيره فامتثلوه بعده . وكانت الاشعار قبل سواذج . فبقيت هذه جددا وتلك نواهج . وكل شعر بعد ما خلاها فغير رائق النسج . وان كان النهج وأما طرفة فلو طال عمره . لطال شعره . وعلا ذكره . ولقد خص باوفر نصيب من الشعر . على أيسر نصيب من العمر . فلا أرجاء ذلك النصيب بصنوف من الحكمة . وأوصاف (٣) من علو الهمة والطبع معلم حاذق . وجواد سابق

وأما الشيخ أبو عقيل فشعره ينطق بلسان الجزالة . عن جنان الاصالة . فلا تسمع له الا كلاما فصيحا . ومعنى مبينا صريحا . وان كان شيخ الوقار . والشرف والفخار . لبادثات فى شعره وهى دلائله . قبل ان يعلم قائله . وأما العبسى (٤) فجيد فى أشعاره . ولا كمعلقته فقد انفرد بها انفراد سهيل . وغبر فى وجوه الخيل . وجمع فيها بين الحلاوة والجزالة . ورقة الغزل وغلظة البسالة . وأطال واستطال . وأمن السآمة والكلال

وأما زهير فاى زهير . بين لهوات زهير . حكم فارس . ومقامات الفوارس . ومواعظ الزهاد . ومعتبرات العباد . ومدح يكسب الفخار . ويبقى بقاء الاعصار . ومعاتبات مرة تحسن . ومرة تخشن . وتارة تكون هجواء . وطورا تكاد تعود شكرا .

---

(١) لم نعثر فى شعر امرئ القيس على هذه الجملة ولا التى قبلها . وأول من استعمل لفظ القرط فى نظمه هو عمر بن أبى ربيعة حيث يقول:

بعيدة مهوى القرط اما لنوفل * أبوها واما عبد شمس وهاشم

كما ان الاخطل هو أول من وصف الخد بالسهولة وذلك فى قوله :

أسيلة مجرى الدمع اما وشاحها * فجار واما الحجل منها فما يجرى

(٢) اشارة الى قول امرئ القيس :

وقد اغتدى والطير فى وكناتها * بمنجرد قيد الاوابد هيكل

وهذا البيت يعد من ابتداعات امرئ القيس ومخترعاته

(٣) من هنا يبتدئ النقص بالنسخة التونسية فاتممنا ما ضاع من النسخة الاندلسية

(٤) العبسى هو عنترة بن شداد

وأما ابن حلزة (١) فسهل الحزون ، قام خطيبا بالموزون ، والعادة ان يسهل شرح الشعر بالنثر ، وهذا أسهل السهل بالوعر ، وذلك مثل قوله :

أبرموا أمرهم عشاء فلما ❊ أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء (٢)

من مناد ومن مجيب ومن تصـ ❊ ـهال خيل خلال ذاك رغاء

فلو اجتمع كل خطيب ناثر ، من أول وآخر ، يصفون سفرا نهضوا بالاسحار ، وعسكرا تنادى بالنهوض الى طلب الثار : مازادوا على هذا ان لم ينقصوا منه ولم يقصروا عنه وسائر قصيدته فى هذا السلك شكاية وطلاب نصفة : وعتاب فى عزة وأنفة : وهو من شعراء وائل واحد أسنة هاتيك القبائل ❊ وأما ابن كلثوم فصاحب واحدة بلا زيادة أنطقه بها عز الظفر : وهزه فيها جن الاشر فقعقعت رعوده فى ارجائها : وجمجمت رحاه فى أثنائها وجعلتها تغلب قبلتها التى تصلى اليها : وملتها التى تعتمد عليها فلم يتركوا اعادتها ولا خلعوا عبادتها الا بعد قول القائل :

ألهى بنى تغلب عن كل مكرمة ❊ قصيدة قالها عمرو بن كلثوم (٣)

على انها من القصائد المحققات واحدى المعلقات : وأما النابغة زياد فاشعاره الجياد لم تخرج عن نار جوانحه حتى تناهى نضجها ولا قطعت من منوال خواطره حتى تكاثف نسجها : لم تهلهلها ميعة الشباب ولا وهاء الاسباب ولا لوم الاكتساب فشعره وسائط سلوك وتيجان ملوك

وأما النابغة الجعدى فنقى الكلام شاعر الجاهلية والاسلام واستحسن شعره أفصح

---

(١) هو الحارث بن حلزة بن مكروه بن يزيد اليشكرى البكرى أحد شعراء الجاهلية المجيدين (٢) البيتان من معلقته المشهورة التى مطلعها :

آذنتنا ببينها أسماء ❊ رب ثاو يمل منه الثواء

يقال انه ارتجلها بين يدى عمرو بن هند فى شئ كان بين بكر وتغلب بعد الصلح وكان ينشده من وراء سبعة ستور فامر عمرو برفع الستور عنه استحسانا لها ، وتروى أجمعوا بدل أبرموا .

(٣) قائل البيت مجهول واتبعه ابن قتيبة ببيت آخر وهو :

يفاخرون بها مذ كان أولهم ❊ ياللرجال لشعر غير مسئوم

الناطقين ودعاله أصدق الصادقين وكان شاعرا فى الافتخار والثناء قصير الباع لشرفه عن تناول الهجاء وكان مغلوا بافيه فى الجاهلية وطريدليلى الاخيلية

وأما العشى باجمعهم فكلهم شاعر ولا كميمون بن قيس شاعر المدح والهجاء واليأس والرخاء والتصرف فى الفنون والسعى فى السهول والحزون نفق مدحه بنات المحلق وكان فى فقرابن المدلق وأبكى هجوه علقمة (١) كما تبكى الامة

وأما الاسود بن يعفر فاشعر الناس اذاندب دولة زالت أو بكى حالة حالت أو وصف ربعا خلا بعد عمران أو دارا درست بعد سكان فاذا سلك هذا السبيل فهو من حشو هذا القبيل كعمرو وزيد وسعد وسعيد

وأما حسان فقد اجتث بوا كرغسان ثم جاء الاسلام وانكشف الاظلام فجاحش عن الدين وناضل عن خاتم النبيين فشعر وزاد وحسن وأجاد الا ان الفضل فى ذلك لرب العالمين وتسديد الروح الامين

وأما دريد بن الصمة فصمة صمم وشاعر جشم وغزل هرم وأول من تغزل فى رثاء وهزل فى حزن وبكاء فقال فى معبد أخيه قصيدته المشهورة يرثيه :

أرث جديد الحبل من أم معبد (٢) وهى من شاجيات النوائح وباقيات المدائح

وأما الراعى عبيد فجبل على وصف الابل فصار بالراعى يعرف ونسى ماله من الشرف

وأما زيد الخيل فخطيب سجاعة وفارس شجاعة مشغول بذلك عما سواه من المسالك

وأما عامر بن الطفيل فشاعرهم فى الفخار وفى حماية الجار وأوصفهم لكريمة وابعثهم لجيد شيمة

وأما ابن مقبل فقديم شعره وصليب نجره ومغلى مدحه ومعلى قدحه

وأما جرول فخبيث هجاؤه شريف ثناؤه صحيح بناؤه رفع شعره من الثرى وحط من الثريا وأعاد بلطافة فكره ومتانة شعره قبيح الالقاب فخرا يبقى على الاحقاب ويتوارث فى الاعقاب

---

(١) هو علقمة بن علاثة هجاه أعشى ميمون دفاعا عن عامر بن الطفيل بابيات طالعها :

علقم ما أنت الى عامر النا * قض الاوتار والواتر

(٢) قال ابن الكلبى : لاأعلم مرثية أولها نسيب الاقصيدة دريد بن الصمة (عمدة : باب الرثاء) ارث جديد الحبل من أم معبد * بعافية فقد أخلفت كل موعد

واما

وأما أبو ذؤيب فشديد أمير الشعر حكيمه : شغله فيه التجريب حديثه وقديمه وله المرثية النقية السبك المتينة الحبك بكى فيها بنيه السبعة ووصف الحمار فطول وهى التى أولها

أمن المنون وريبه تتوجع (١)

وأما الاخطل فسعد من سعود بنى مروان . صفت لهم مرآة فكره . وظفروا بالبديع من شعره . وكان باقعة من حاجاه . وصاعقة من هاجاه

وأما الدارمى همام (٢) فجوهر كلامه . وأغراض سهامه . اذا افتخر بملك ابن حنظلة . وبدارم فى شرف المنزلة . وأطول ما يكون مدى اذا تطاول اختيار جرير عليه بقليله على كثيره . وبصغيره على كبيره . فانه يصادمه حينئذ ببحر ماد . ويقاومه بسيف حاد

وأما ابن الخطفى (٣) فزهد فى غزل . وحجر فى جدل . يسبح أولا فى ماء عذب . ويطمح آخرا فى صخر صلب . كاب منابحة . وكبش مناطحة . لا تفل غرب لسانه مطاولة الكفاح . ولا تدمى هامته مداومة النطاح . جارى السوابق بمطية . وفاخر غالب بعطية . وبلغته بلاغته الى المساواة . وحملته جرأته على المجاراة . والناس فيهما فريقان . وبينهما عند قوم فرقان

وأما القيسان (٤) وطبقتهما فطبقة عشقة . توقة . استحوذت الصبابة على أفكارهم واستفرغت دواعى الحب معانى أشعارهم فكلهم مشغول بهواه لا يتعداه الى سواه

وأما كثير فحسن النسيب فصيحه لطيف العتاب مليحه شجى الاغتراب قريحه جامع الى ذلك رقائق الظرفاء وجزالة مدح الخلفاء

وأما الكميت والرماح ونصيب والطرماح فشعراء معاصرة ومناقضات ومفاخرة

---

(١) وبقية البيت : والدهر ليس بمعتب من يجزع (٢) الدارمى همام هو الفرزدق الشاعر المشهور (٣) ابن الخطفى هو جرير بن عطية بن الخطفى التميمى الشاعر المشهور المتوفى سنة ١١٠ وكانت بين جرير هذا والفرزدق مهاجاة ونقائص مثبتة بتأليف خاص (٤) أولهما : قيس بن الملوح مزاحم بن قيس العامرى المشهور بمجنون ليلى وأشعاره فيهما متداولة بين الناس . وثانى القيسين هو قيس بن ذريح الكنانى رضيع الحسن بن على بن أبى طالب توفى فى حدود السبعين للهجرة . وغالب أشعاره فى معشوقته لبنى بنت الحباب

فنصيب أمدح القوم والطرماح أهجاهم والرماح أنسبهم نسيبا والكميت أشبههم تشبيبا

وأما بشار بن برد فاول المحدثين وآخر المخضرمين وممن لحق الدولتين عاشق سمع وشاعر جمع . شعره ينفق عند ربات الحجال . وعند فحول الرجال فهو يلين حتى يستعطف . و يقوى حتى يستنكف وقد طال عمره وكثر شعره وطما بحره ونقب فى البلاد ذكره

وأما ابن أبى حفصة (١) فمن شعراء الدولتين وممن حظى بالنعمتين ووصل الى الغنى بالصلتين وكان درب المقول والدشعراء ومنجب فصحاء .

وأما أبو نواس . فاول الناس فى خرم القياس وذلك انه ترك السيرة الاولى . ونكب عن الطريقة المثلى وجعل الجد هزلا والصعب سهلا فهلهل المسرد و بلبل المنضد وخلخل المنجد وترك الدعائم و بنى على الطامى والعائم وصادف الافهام قد نكلت وأسباب العربية قد تخلخلت وانحلت والفصاحات الصحيحة قد سئمت وملت . فمال الناس الى ما عرفوه وعلقت نفوسهم بما ألفوه فتهادوا شعره وأغلوا سعره . وشغفوا باسخفه وكلفوا باضعفه وكان ساعده أقوى وسراجه أضوا لكنه عرض الانفق وأهدى الاوفق وخالف فشهر وعرف وأغرب فذكر واستظرف والعوام تختار هذه الاعلاق وأسواقهم أوسع الاسواق فشعر أبى نواس نافق عند هذه الاجناس كاسد عند أنقد الناس وقد فطن الى استضعافه وخاف من استخفافه . فاستدرك بفصيح طرده طرفا حد اللسان وحدوده وهو محدود فى كثرة التظاهر على من غض منه بالحق الظاهر ليس الا لخفة روح المجون وسهولة الكلام الضعيف الملحون على جمهور العوام لا على خواص الانام

وأما صريع (٢) فكلامه مرصع و نظامه مصنع وجلة شعره صحيحة الاصول مصنعة الفصول قليلة الفضول

(١) هو أبو السمط مروان بن أبى حفصة سليمان بن يحيى بن أبى حفصة يزيد من الشعراء المجيدين والفحول المتقدمين ولد سنة ١٠٥ وتوفى عام ١٨١ ببغداد وله نوادر كثيرة (٢) صريع الغوانى لقب لشاعرين الاول القطامى واسمه عمير بن شيئم ابن أخت الاخطل سمى بذلك لقوله :

صريع غوان راقهن و رقنه * لدن شب حتى شاب سود الذوائب

والثانى وهو الذى قصده ابن شرف هنا هو مسلم بن الوليد الانصارى من شعراء الدولة العباسية لقبه الرشيد بصريع لقوله :

واما

وأما العباس بن الاحنف فمعتزل بهواه و بمعزل عما سواه دفع نفسه عن المدح والهجاء و وضعها بين يدى هواه من النساء قد رق الشغف كلامه وثقفت قوة الطبع نظامه فله رقة العشاق وجودة الحذاق

وأما دعبل فديدمقبل اليوم مدح وغدا قدح يجيد فى الطريقتين و يسيء فى الخليقتين وله أشعار فى العصبية وكان شاعر علماء وعالم شعراء

وأما على بن الجهم فرشيق الفهم راشق السهم استوصل شعره الشرفاء ونادم الخلفاء وله فى الغزل الرصافية وفى العتاب الدالية ولو لم يكن له سواهما لكان أشعر الناس بهما

وأما الطائى حبيب فمتكلف الا انه يصيب ومتعب لكن له من الراحة نصيب وشغله المطابقة والتجنيس حبذ ذلك أو بيس جزل المعانى مرصوص المغانى مدحه ورثاؤه لا غزله وهجاؤه طرفا نقيض وخطبا سماء وحضيض وفى شعره علم جم من النسب وجملة وافرة من أيام العرب وطارت له أمثال وحفظت له أقوال وديوانه مقرو وشعره متلو قال ابن بسام أما صفته هذه لابى تمام فنصفة لم يثن عطفها حمية ولا تعلقت بذيلها عصبية حتى لو سمعها حبيب لاتخذها قبلة واعتمدها ملة فما لام من أدب وان أوجع ولا سب من صدق وان أقذع

وأما البحترى فلفظه ماء ثجاج ودرر جراج ومعناه سراج وهاج على أهدا منهاج يسبقه شعره الى ما يجيش به صدره يسمر مراد: ولين قياد ان شربته أرواك وان قدحته أوراك طبع لا تكلف يعميه ولا العناد يثنيه لا يمل كثيره ولا يستكلف غزيره لم يهف أيام الحلم ولم يصف زمن الهرم

وأما ابن المعتز فملك النظام كما هو ملك الانام له التشبيهات المثلية والاستعارات الشكلية والاشارات السحرية والعبارات المجرية والتصاريف الصنوفية والطرائق الفنونية والافتخارات الملوكية والهمات العلوية والغزل الرائق والعتاب الشائق ووصف الحسن الفائق

وخير الشعر أكرمه رجالا * وشر الشعر ما قال العبيد [1]

وأما ابن الرومى [2] فشجرة الاختراع وثمرة الابتداع وله فى الهجاء ما ليس له فى الاطراء

هل العيش الا أن تروح مع الصبا * وتغدو صريع الكاس والاعين النجل

ومولد مسلم بالكوفة ووفاته سنة ٢٠٨ هجرية وهو فيما زعموا أول من قال الشعر المعروف بالبديع (١) البيت للفرزدق هجا به نصيبا وقد يروى : أشرفه رجالا عوض أكرمه رجالا

(٢) هنا ينتهى النقص الذى بالنسخة التونسية

فتح فيه أبوابا ووصل منه أسبابا وخلع منه أثوابا وطوق فيه رقابا يبقين أعمارا وأحقابا يطول عليها حسابه و يحق بها ثوابه ولقد كان واسع العطن لطيف الفطن الا ان الغالب عليه ضعف المرير ة وقوة المرة

وأما كشاجم فحكيم شاعر وكاتب ماهر له فى التشبيهات غرائب وفى التأليفات عجائب يجيد الوصف و يحققه و يسبك المعنى فيرققه و يروقه

وأما الصنوبرى ففصيح الكلام غريبه مليح التشبيه عجيبه مستعمل لشواذ القوافى يغسل كدرتها بمياه فهمه الصوافى فتجلو وتدق وتعذب وترق [1] وهو وحيد [2] جنسه فى صفة الازهار وأنواع الانوار وكان فى بعض أشعاره يتخالع وفى بعضها يتشاجع وقد مدح وهجا ونثر [3] وشجا وأعجب شعره وأطرب وشرق وغرب ومدح من أهل افريقية أمير الزاب جعفر بن على [4] منفق سوق [5] الآداب فوصله بالف دينار بعثها اليه مع ثقات التجار [6]

وأما الخبزرزى [7] فخليع الشعر ماجنه رائق اللفظ بائنه كثيرة محاسنه صحيحة أصوله ومعادنه رائقة البزة مائلة الى العزة تسليه عن الحب الخيانة و يروقه الوفاء والصيانة وله على خشونة خلقه وصعوبة خلقه اختراعات لطيفة وابتداعات طريفة [8] فى ألفاظ كثيفة وفصول قليلة الفضول نظيفة حتى ان بعض كبراء الشعراء اهتدم أشياء من مبانيه واهتضم طرفا [9] من معانيه وهو من معاصريه فقل من فطن لمراميه

وأما أبو فراس بن حمدان ففارس هذا الميدان ان شئت ضربا وطعنا أو لفظا ومعنى

---

(١) بالنسخة التونسية فيجل و يدق و يعذب و يرق (٢) و بالنسخة التونسية : جيد جنسه (٣) بالنسخة الاندلسية : سر بدل نثر (٤) هو أبو على جعفر بن على بن أحمد ابن حمدان أمير الزاب من أعمال افريقية ومؤسس مدينة المسيلة بالمغرب وقد حار به الامير بلكين الصنهاجى صاحب القيروان واستظهر عليه ففر جعفر الى الاندلس و بها قتل سنة ٣٦٤ ﻫ ولابى القاسم محمد بن هانى الشاعر الاندلسى فى جعفر المذكور مدائح فائقة تراجع فى ديوانه (٥) بالنسخة التونسية : سلع عوض سوق (٦) من بعثها الى التجار مفقود بالنسخة الاندلسية (٧) الخبز رزى و يروى أيضا الخبزأرزى هو أبو القاسم نصر بن أحمد بن نصر بن ميمون الشاعر البصرى المتوفى سنة ٣١٠ (٨) بالنسخة الاندلسية : طريفة (٩) بالنسخة الاندلسية : تطرفا عوض طرفا

ملك زمانا وملك أوانا وكان أشعر الناس فى المملكة وأشعرهم فى ذل الملكة [1] وله الفخريات التى لا تعارض والاسريات التى لا تناقض [2]

وأما المتنبي فقد شغلت به الالسن وسهرت فى أشعاره العيون الاعين وكثر الناسخ لشعره والآخذ لذكره والغائص فى بحره والمفتش فى قعره عن جمانه [3] ودره وقد طال فيه الخلف وكثر عنه الكشف وله شيعة تغلو [4] فى مدحه وعليه خوارج تتعايا فى جرحه والذى أقول ان له حسنات وسيئات وحسناته أكثر عددا وأقوى مددا وغرائبه طائرة وأمثاله ثائرة وعلمه فسيح وميزه صحيح يروم فيقدر ويدرى ما يورد ويصدر

قال أبو الريان [5] هذا ماعندى فى شعراء المشرق وقد سميت لى من متأخرى شعراء المغرب من اعمرى لا يبعد عن معاصرهم ولا يقصر عن سابقهم

فاما ابن عبدر به القرطبي وان بعدت عنك دياره [6] فقد صاقبتنا أشعاره ووقفنا على أشعار صبوته الانيقة وتكفيرات توبته الصدوقة ومدائحه المروانية ومطاعنه فى العباسية وهو فى كل ذلك فارس ممارس وطاعن مداعس واطلعنا فى شعره على علم واسع ومادة فهم مضىء ناصع ومن تلك الجواهر نظم عقده وتركه لمن يتجمل به بعده

وأما ابن هانى محمد الاندلسى ولادة القيروانى وفادة وافادة فرعدى الكلام سردى النظام متين [7] المبانى غير مكين المعانى يجفو بعطنها عن الاوهام حتى تكون كنقطة النظام الا انه اذا ظهرت معانيه فى جزالة مبانيه رمى عن منجنيق يؤثر فى النيق وله غزل قفرى لا عذرى لا يقنع فيه بالطيف ولا يشفع فيه [8] بغير السيف وقد نوه به ملك الزاب وعظم شأنه باجزل الثواب وكان سيف دولته فى اعلاء منزلته من رجل يستعين على صلاح دنياه بفساد أخراه لرداءة عقله ورقة دينه وضعف يقينه ولو عقل لم تضق عليه [9] معانى الشعر حتى يستعين عليها بالكفر

---

(١) بالنسخة الاندلسية : الملك عوض الملكة (٢) بالنسخة الاندلسية تناهض
(٣) بالنسخة الاندلسية : جماته (؟) بدل جمانه (٤) بالنسختين تغلو (٥) من قال أبو الريان الى فاما ابن عبدر به مفقود من النسخة الاندلسية (٦) بالنسخة التونسية : وان بعدت عناذ كره (٧) من متين الى كنقطة النظام مفقود من النسخة الاندلسية
(٨) بالنسخة الاندلسية : يشبع بدل يشفع (٩) بالنسخة التونسية : عنه بدل عليه

وأما القسطلى (١) فشاعر ماهر عالم بما يقول تشهد له العقول بانه المؤخر بالعصر المقدم فى الشعر حاذق (٢) بوضع الكلام فى مواضعه لاسيما اذا ذكر ما أصابه فى الفتنة وشكا مادهاه فى أيام المحنة وبالجملة فهو أشعر أهل مغربه فى أبعد الزمان وأقربه

وأما على التونسى فشعره المورد العذب ولفظه اللؤلؤ الرطب وهو بحترى الغرب يصف الحمام فيروق الانام ويشبب فيعشق ويحبب ويمدح فيمنح أكثر مايمنح

هذا ماعندى فى المتقدمين والمتأخرين على احتقار المعاصر واستصغار المجاور .

لحاش لله من الاوصاف بقلة الانصاف للبعيد والقريب والعدو والحبيب قلت : ياأبا الريان (٣) أكثر الله مثلك فى الاخوان ووقاك محذور الزمان ومرور الحدثان فلقد سبكت فهما وحشيت علما (٤)

قال محمد : قلت لابى الريان فى مجلس عقيب هذا المجلس : ياأبا الريان لقد رأيت لك نقدا مصيبا ومرمى عجيبا ولقد أرغب فى ان أنال منه نصيبا قال : النقد هبة الموالد . وفيه زيادة طارف الى تالد ولقد رأيت علماء بالشعر ورواة له ليس لهم نفاد فى نقده ولا جودة فهم فى رديه وجيده وكثير ممن لا علم له يفطن الى غوامضه والى مستقيمه ومتناقضه قلت أناشديد لرغبة الى فضلك فى ان تسهمنى من ميزء وعقلك مااستهدى بسراجه على مستقيم منهاجه فاقف من سرائره على بعض ماوقفت واعرف من مفاخره ومعانيه جزأ مما عرفت قال : نعم أول ماعليه تعتمد واياه تعتقد أن لا تستعجل باستحسان ولاباستقباح ولاباستبراد ولاباستملاح حتى تنعم (٥) النظر وتستخدم الفكر واعلم ان العجلة فى كل شئ موطئ زلوق ومركب زهوق فان من الشعر مايملأ لفظه المسامع ويرد على السامع منه قعاقع فلا يرعك

(١) القسطلى هو أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج القسطلى الاديب المطبوع المتوفى سنة ٤٢١ هجرى والقسطلى نسبة الى قسطيلية احدى الولايات بجزيرة الاندلس
(٢) بالنسخة الاندلسية : بوقع بدل بوضع (٣) من قوله أكثر الله الى محذور الزمان مفقود من النسخة الاندلسية (٤) أهنا تنتهى النسخه الاندلسية وفى آخرها مانصه : (تجزت المقامة باسرها والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد خاتم النبيين وعلى اخوانه من الانبياء والمرسلين وسلامه اهـ) ثم عقب ذلك بخط غير منقوط (طالعته فى موفى سنة خمس وخمسمائة) وعليه فتكون النسخة الموجودة الآن باسبانيا كتبت قريبا من عهد المؤلف (٥) تنعم مثل تمعن

شماخة مبناه وانظر الى ما فى سكناه من معناه فان كان فى البيت ساكن فتلك المحاسن وان كان خاليا فاعدده جسما باليا وكذلك اذا سمعت ألفاظا مستعملة وكلمات مبتذلة فلا تعجل باستضعافها حتى ترى ما فى أضعافها فكم من معنى عجيب فى لفظ غير غريب والمعانى هى الارواح والالفاظ هى الاشباح فان حسنا فذلك الحظ الممدوح وان قبح أحدهما فلا يكن الروح

قال : وتحفظ عن شيئين أحدهما أن يحملك اجلال القديم المذكور على العجلة باستحسان ماتستمع له والثانى أن يحملك اصغارك المعاصر المشهود على التهاون بما أنشدت له . فان ذلك جور فى الاحكام وظلم من الحكام حتى تمحص قولهما فحينئذ تحكم لهما أو عليهما وهذا باب فى اغتلاقه استصعاب وفى صرف العامة و بعض الخاصة عنه اتعاب وقد وصف تعالى فى كتابه الصادق تشبث القلوب بسيرة القديم ونفارها من المحدث الجديد فقال حاكيا القولهم : انا وجدنا آباءنا على أمة . وقال : لن نعبد الا ما وجدنا عليه آباءنا وقد قلت أنت :

أغرى الناس بامتداح القديم * و بذم الجديد غير ذميم [1]

ليس الا انهم حسدوا الحى * ورقوا على العظام الرميم

وقلت فى هذا المعنى :

قل لمن لا يرى المعاصر شيأ * و يرى للاوائل التقديما

ان ذاك القديم كان جديدا * وسيغدو [2] هذا الجديد قديما

فلا يرعك أن تجرى على منهاج الحق فى جميع الخلق فبه قامت السموات والارض و به أحكم الا برام والنقض وسأمثل لك فى ذلك مثالا واملأ اسماعك مقالا وفهمك عدلا واعتدالا

---

(١) أورد البيتين العلامة الشريشى فى شرحه الكبير لمقامات الحريرى وروى : أولع بدل أغرى والحديث بدل الجديد ومالوا عوض رقوا وقوله (ذميم) أصلها (غير الذميم) كأنه أورد لفظ (ورقوا) فى البيت الثانى والاحسن عندى ان تقرى (فرقوا)

(٢) بالاصل : سيغدوا

هـذا امرؤ القيس أقدم الشعراء عصرا . ومقـدمهم شعرا وذكرا . وقد اتسعت الاقوال فى فضـله اتساعا لم يفز غيره بمثـله حتى ان العامة تظن بل توقن ان جواد شـعره لا يكبو [1] وحسام نظمه لا ينبو [2] . وهيهات من البشر الكمال . ومن الآدميـين الاستواء والاستدلال . يقول فى قصيدته المقدمة . ومعلقته المفخمة

و يوم دخلت الخدر خـدر عنيزة * فقالت لك الويلات انك مرجلى

فما كان أغناه عن الاقرار بهذا وما أشك [3] غفلته عما أدركه من الوصمة به وذلك ان فيـه أعدادا كثيرة النقص والبخس منها دخوله متطفلا على من كره دخوله عليـه . ومنها قول عنيزة له لك الويلات وهى قولة لا تقال الا لخسيس . ولا يقابل بها رئيس . فان احتج محتج بانها كانت أرأس منه قيـل له لم يكن ذلك لان الرئيسة لا تركب بعـيرا يدرج أو (يمو) ت [4] اذا ازداد عليه ركوب راكب بل هو بعير فقير حقير فان احتج له بانه صبر على القول من أجل انها معشوقة قيل له وكيف يكون عاشقا لها من يقول لها

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضعا * فالهيتها عن ذى تمائم محول

وانما المعروف للعاشق الانفراد بمعشوقتـه واطراح سواها كالقيسين فى ليلى ولبنى وغيلان بمية وجميل ببثينة وسواهم كثير . فلم يكن لها عاشقا بل كان فاسقا [5] . ثم أهجن هجنة عليـه . وأسخن سخنة لعينيه . اقراره باتيان الحبلى والمرضع . فاما الحبلى فقـد جبل الله النفوس على الزهد فى اتيانها . والاعراض عن شانها . منها ان الحبل علة وأشبه العلل بالاستسقاء . ومع الحبل كمود اللون . وسوء الغذا . وفساد النكهة . وسوء الخلق وغير ذلك ولا يميـل الى هـذا من له نفس سوقى . دع نفس ملوكى . وأعجب من هـذا ان البهائم كلها لا تنظر الى ذوات الحمل من أجناسها . ولا تقرب منها حتى تضع أحمالها . أو تفارق فصلانها . ثم لم يكفه أن يذكر الحبـلى حتى افتخر بالمرضع وفيها من التلويث بأوضار رضيعها . ومن اهتزالها واشتغالها عن احكام اغتسالها . وقد أخبر ان ذا التمائم المحول

(١) بالاصل : يكبوا (٢) بالاصل : ينبوا (٣) كذا بالاصل ولعله يجب قراءتها أشد (٤) هنا أثر كل أرضة أفسد اللفظ (٥) قال أبو فرج قدامة بن جعفر فى نقد الشعر انى رأيت من يعيب امرأ القيس فى قوله فمثلك حبلى (البيت) ويذكر ان هذا معنى فاحش وليس فحاشة المعنى فى نفسه مما يزيل جودة الشعر فيـه كما لا يعيب جودة النجارة فى الخشب مثلا رداءته فى ذاته . وهذا يعارض انتقاد ابن شرف على البيت المتقدم

متعلق

متعلق بها بقوله فالهيتها عن ذى تمائم محول وأخبرا نهاظئر ولدها الاظئرله ولامرضع سواها فدل بذلك على انها حقيرة وقيرة . ومثل هذه لا يصبو (١) اليها من له همة وهذه الصفات كلها تستقذرها نفس الصعلوك والمملوك . وقد قال أيضا فى موضع آخر من هذا الباب من قصيدة أخرى

سموت اليها بعد ما نام أهلها * سمو حباب الماء حالا على حال
فقالت لحاك (٢) الله انك فاضحى * ألست ترى السمار والناس أحوالى (٣)
حلفت لها بالله حلفة فاجر * لناموا فما ان من حديث ولا صالى (٤)

فاخبرههنا انه هين القدر عند النساء وعند نفسه برضاه قولها لحاك الله فحصل على لحاك الله من هذه ولك الويلات من تلك فشهد على نفسه انه مكروه مطرود غير مرغوب فى مواصلته . ولا محروص على معاشرته . ولا مرضى بمشاكلته . ثم أخبر عن نفسه انه رضى بالحنث والفجور . وهذه أخلاق لا خلاق لها . ثم أقر فى مكان آخر من شعره بما يكتمه الاحرار . ولا ينم بفتحه الا الاوضاع الاشرار فقال :

ولما دنوت تسديتها * فثوبا نسيت وثوبا أجر

وأى فخر فى الاقرار بالفضيحة على نفسه وعلى حبه وأين هذا من قول يعقوب الخزيمى

ولا أسأل الولدان عن وجه جارتى * بعيدا ولا أرعاه وهو قريب

وانما سهل عليه كل هذا حرصه على ما كان ممنوعا منه وذلك انه كان مبغضا الى النساء جدا . مفركا من ملك عصبتها لاسباب كثيرة ذكرت . وكل من حرص على نيل شئ فمنع منه فعلا . ادعاه قولا . وله أشباه فيما أتاه . يدعون ما ادعاه . افكا وزورا . وكذبا وفجورا . منهم الفرزدق وهو القائل

هما دليانى من ثمانين قامة * كما انقض باز أقتم الريش كاسره

فهذا أول كذبة ولو قال من ثلاثين قامة لكان كاذبا لتقاصر الارشية عن ذلك وقد قرعه جرير بهذا فى قوله :

تدليت تزنى من ثمانين قامة * وقصرت عن باع العلى والمكارم

وكان مغرما بالزنا مدعيا فيه . وقد بلى بموانع تصدفه عنه . منها ما شهر به من النميمة

---

(١) بالاصل يصبوا (٢) فى بعض نسخ ديوان امرئ القيس : سباك عوض لحاك
(٣) بالاصل أحوال (٤) بالاصل : صال

بمن ساعده . والادعاء على من باعده . منها دمامته ومنها اشتهاره . والمشهور يصل الى شهوة يتبعها ريبة . فكان يكثر فى شعره من ادعاء الزنا . واستدعاء النساء وهن أغلظ عليه من كبد بعير . وأبغض فيه وأهجى له من جرير . وخذ أطرف هؤلاء الاجناس . وهو سحيم عبد بنى الحسحاس . أسيود فى شملة . دنسة قلة . لا يوا كله الغرثان . ولا يصاليه الصرد العريان . وهو مع ذلك يقول (١)

واقبلن من أقصى البيوت يعدننى * نواهد لا يعرفن خلقا سوائيا

يعدن امرءا يضاهين أهيجن مابه * الا انما بعض العوائد دائيا

توسدنى كفا وتحنو بمعصم * على وترمى رجلها من ورائيا

فانت تسمع هذا الاسود الشن وادعاءه . وتعلم ان الله لو أخلى الارض . فلم يبق رجلا فى الطول ولا فى العرض . لم يكن هذا الزنمة الزلمة عند ادراك السودان الا كبعرة بعير . فى معرعير . والممنوع من الشئ حريص عليه . مدع فيه . والمعدم بما يهواه . كانم له مستغن ببلوغ مناه . ودليل على ذلك ان المرقش الا كبر (٢) كان من أجمل الرجال

(١) هو سحيم عبد بنى الحسحاس بن هند شاعر مخضرم من الطبقة الاولى توفى فى نصف القرن الاول للهجرة وكان اسود وكلامه فصيح الا انه قليل وغير مدون . وأحسن شعره قصيدته التى أولها :

عميرة ودع ان ترحلت غاديا * كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

وهى التى اقتبس منها ابن شرف الابيات المارة . وقد وردمنها فى كتاب الاغانى (طبعة مصر ج ٢٠ ص ٥) القطعة الآتية لا غير :

تجمعن من شتى ثلاثا وأربعا * وواحدة حتى كملن ثمانيا

واقبلن من أقصى الخيام يعدننى * بقيت ماأبقين نصلا يمانيا

يعدن مريضا هن هيجن داءه * الا انما بعض العوائد دائيا

(٢) المرقش الا كبر واسمه عمرو وقيل عوف بن سعد بن مالك ينتهى نسبه لبكر بن وائل شاعر جاهلى لقب بذلك لقوله :

الدار قفر والرسوم كما * رقش فى ظهر الاديم قلم

وهو أحد عشاق العرب المشهورين وصاحبته ابنة عمه أسماء . وكان المرقش يحسن الكتابة الحيرية كما ورد فى كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة

وكانت

وكانت للنساء فيه رغبة . وشدة محبة . وكان كثير الاجتماع بهن . والوصول اليهن وله فى ذلك أخبار مروية ولم يكن فى أشعاره صفة شئ من ذلك . فحسبك بذلك صحة على ما قلناه . فان قال قائل : انما وصفت عن امرئ القيس عيوبا من خلقه لا فى شعره قلنا : هل أراد بما وصف فى شعره الا الفخر . فان قال : لم يرد ذلك وانما أراد اظهار عيبه قلنا فاحمق الناس اذا هو . ولم يكن كذلك . وان قال : نعم الفخر قلنا : فقد نطق شعره بقدر ما أراد وتزجم وترجم (١) عنه قريضه باقبح الاوصاف فاى خلل من خلال الشعر أشد من الانعكاس والتناقض . وكل ما يخزى من الشعر فهو من أشد عيوبه قال : ومن كلام امرئ القيس المخلخل الاركان . الضعيف الاستمكان . المتزلزل البنيان . قوله :

أمرخ خيامهم أم عشر * أم القلب فى أثرهم منحدر

وشاقد بين الخليط الشطر * وممن أقام من الحى هر (٢)

وهر تصيد قلوب الرجال * وأفلت منها ابن عمرو وحجر

فانت تسمع هذا الكلام الذى لا يتناسب . ولا يتواصل ولا يتقارب ولا يحصل منه معنى ولا فائدة سوى ان السامع يدرى انه يذكر فرقة من أحباب لكن ذلك عن ترجمة مجمجمة . مضطربة منقلبة . سأل عن الخيام أمرخ (٣) هى أم عشر (٤) وليست الخيام مرخا ولا عشرا وانما هما عودان (٥) . فان أراد فى مكان هذين الخيام فقد نقض عمدة الكلام

(١) كذا بالاصل - (٢) ورد هذا البيت فى بعض نسخ ديوان امرئ القيس بتقديم عجز البيت على الصدر وفى بعضها بتغيير (شاقد بين الخليط الشطر) بالمصراع الاتى : (أم الظاعنون بها فى الشطر) (٣) المرخ بالفتح شجر سريع الورى يقتدح به والمرخ بالكسر الشجر اللين الرقيق (٤) العشر : شجر فيه حراق لم يقتدح الناس فى أجود منه ويحشى فى المخاد ويخرج من زهره وشعبه سكر وفيه مرارة . قال أبو حنيفة (والعشر من العضاه وهو من كبار الشجر وله صمغ حلو وهو عريض الورق صعدا فى السماء . وفى الصحاح (وثمرته نفاخة كنفاخة القتاد الاصفر) (أقرب الموارد) (٥) قال ابن رشيق (كتاب العمدة باب التتبيع) . . ومن أعجب التتبيع قول امرئ القيس . أمرخ خيامهم (البيت) يقول انزلوا نجدا الذى من نباته المرخ أم الغور الذى من نباته العشر وان الاعراب يعملون خيامهم من نبات الارض التى ينزلونها فاذا رحلوا تركوه واستأنفوا غيره من شجر البلد الذى ينزلون به . . . ولا أرى الاعراب تذكر ذلك كثيرا فى أشعارها

لان مرخه وعشره أتى بهما نكرتين فاشكل بذلك . وانما يجوز لو جعلهما معرفة بالالف واللام والوزن لا يساعده على ذلك . ثم قال :

أم القلب فى أثرهم منحدر

وليس هذا السؤال من السؤال الاول فى شئ الامن بعد بعيد . واحتيال شديد . وقال بعد هذا :

وشاقك بين الخليط والشطر * وممن أقام من الحى هرّ

فأتى بكثير كلام لا يفيد الا قليل معنى . وذلك القليل لا غريب ولا عجيب . وهو كله ذكر فراق . ثم رجع الى ان هر فقيمة تصيد قلبه وقلب غيره فابطل باقامتها كل ما قال من اخبار الفراق ونقضه وجعل بكاءه المتقدم لغير شئ . ثم قال :

وأفلت منها ابن عمرو حجر

فحسن عنده أن يخبر الناس قد صادت هر قلوب جيعهم الا قلب حجر أبيه . وهذا من الاحاديث الركيكة والاخبار التى ما باحد حاجة اليها [1] . ومع هذا فقد أورد أصحاب الاخبار ان هر هذه كانت زوجة أبيه حجر فانظر ما فى جملة هذه الابيات من الركاكات . وقلة الافادات . فانها لا تفيد قلامة . ولا تهز ثمامة . ولسنا ننكر بهذا العيوب ونزارتها . ما أقررناله به من الفضائل وندارتها . وستجد من لا يصدق معاصرا . ولا يصدق على متقادم متأخرا . يبنى على ضعف أسه . ويفديه من الجهل والعيب بنفسه . فاذا اعترضك من هذا النمط متعرض فاعرض عنه ودعه على أخلاقه . مستمتعا بخلاقه . واتبع المسلك الذى أوضحته لك

قال أبو الريان وفضلاء الشعراء كثير جدا ولكل سقطات . وسأقفك على بعضها لعظيم المؤنة فى الاحاطة بها ليس الا لاوضح بذكرها منهجا من مناهج النقد لا حرصا على بغض الفصحاء . ولا قصدا الى تهجين الصرحاء . وأية رغبة لنا فى ذلك وهم جرثومة فروعنا . وبهم افتخار جيعنا .

---

(١) جاء فى عمدة ابن رشيق (باب الاستعارة) : فمنها قول امرئ القيس وهر تصيد قلوب البيت . . . فكأن لفظة هر واستعارة الصيد معها مضحكة هجينة ولو ان أباه حجرا من فارات بيته ما أسف على افلاته منها هذا الاسف . . . لا على ان امرأ القيس أتى بالخطا على جهته ولكن للكلام قرائن تحسنه وقرائن تقبحه كذكر الصيد فى هذين البيتين

قال

قال زهير بن أبي سلمى على ما وصفناه به ووصفه غيرنا من العلو والرفعة . في هذه الصنعة . من مذهبته الحكمية . ومعلقته العلمية :

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب * تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم

وقد غلط في وصفها بخبط العشواء على اننا لا نطالبه بحكم ديننا . لانه لم يكن على شرعنا . بل نطالبه بحكم العقل فنقول انما يصح قوله لو كان بعض الناس يموت و بعضهم ينجو[1] وقد علم هو وعلم العالم . حتى البهائم . ان سهام المنايا لا تخطئ شيأ من الحيوان حتى يعمها رشقها فكيف يوصف بخبط العشواء رام لا يقصد غرضا من الحيوان الا أقصده حتى يستكمل رمياته . في جميع رمياته . وانما دخل الوهم على زهير موت قوم غبطة وموت قوم هرما وظنوا اطول العمر انما سببه اخطاء المنية وسبب قصره اصابتها وهيهات الصواب من ظنه لم يؤخر الهرم الا انها قصدته لحين قصدته اصابته . ولو ان الرماة تهتدى كاهتدائها . لالأت أيديها باقصى رجائها

وقال زهير أيضا في مذهبته :

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه * يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

وقد تجاوز هذا الحق الباطل و بنى قولا ينقضه جريان العادة . وشهادة المشاهدة . وذلك ان الظلم وعرة مراكبه . مذمومة عواقبه . في جاهليته واسلامنا . فحرض في شعره عليه وان كان انما أشار في شعره الى ان الظالم يرهب فلا يظلم فهذا قياس ينفسد وأصل ليس يطرد لكن يرهبه من هو أضعف منه وربما انتقم منه بالحيلة والمكيدة وقد يظلم الظالم من يغلبه فيكون ذلك سبب هلاكه مع قباحة السمة بالظلم والمثل انما يضرب بما لا ينخرم وقد كانت له مندوحة واتساع في ان يقول يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم فهذا أصح وأسلم لمن لا يظلم و يظلم

قال أبو الريان : وقال زهير أيضا وهو من أطيب شعره وأملحه عند العامة وكثير من الخاصة فههنا تحفظ وتأمل ولا يهلك ذلك منهم الحق أبلج قال :

تراه اذا ما جئته متهللا * كانك تعطيه الذى أنت سائله[2]

---

(١) بالاصل ينجوا (٢) البيت من قصيدة طويلة مدح بها حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى وأولها

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله * وعرى افراس الصبا ورواحله

مدح بها شريفا أي شريف فجعل سروره بقاصده كسروره بمن يدفع شيأ من عرض الدنيا اليه وليس من صفات النفوس العارفة السامية والهمم الشريفة العالية اظهار السرور الى ان تهلل وجوههم وتسر نفوسهم بهبة الواهب ولا شدة الابتهاج بعطية المعطى بل ذلك عندهم سقوط همة وصغر نفس وكثير من ذوى النفوس النفيسة والاخلاق الرئيسة لا يظهر السرور متى رزق مالا اعفوا بلا امنة منيل ولا يدمعط مستطيل لانه عند نفسه أكبر منه ولان قدر المال يقصر عنه فكيف يمدح ملك كبير كثير القدر عظيم الفخر بانه يتهلل وجهه و يمتلئ سرورا قلبه اذا أعطى سائله مالا هذا نقض البناء ومحض الهجاء والفضلاء يفخرون بضد هذا قال بعضهم :

واست بفراح اذا الدهر سرني * ولا جزع من صرفه المتقلب

وانما غر زهيرا وغر المستحسن بيته هذا ما جبلوا عليه من حب العطاء وما جرت به عاداتهم من الرغبة فى الهبات والاستجداء وليس كل الهمم تستحسن ذلك ولا كل الطباع تسلك هذه المسالك * قال أبو الريان وقال زهير أيضا يمدح سادة من الناس فذمهم بانواع الذم وأكثر الناس على استحسان ما قال بل أظن كلهم على ذلك وهو قوله :

على مكثريهم حق من يعتريهم * وعند المقلين السماحة والبذل (١)

فاول ماذمهم به اخباره ان فيهم مكثرين ومقلين فلو كان مكثروهم كرماء لبذلوا المقليهم الاموال حتى يستووا فى الحال و يشبهوا فى الكرم والحال الذين قال فيهم حسان

الملحقين فقيرهم بغنيهم * والمشفقين على اليتيم المرمل (٢)

المرمل القليل المال وارمل الرجل اذ قل زاده وكما قال غيره

الخالطين فقيرهم بغنيهم * حتى يعود فقيرهم كالكافى

وكما قالت الخرنق (٣)

---

(١) البيت من القصيدة التى مدح بها سنان بن أبى حارثة المرى ومطلعها :

صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلو * واقفر من سلمى التعانيق فالثقل

(٢) جاء هذا البيت فى ديوان حسان بن ثابت (طبعة تونس سنة ١٢٨١ ص ٧٢) على الصورة التالية: والخالطون فقيرهم بغنيهم * والمنعمون على الضعيف المرمل

(٣) هى الخرنق بنت بدر بن هفان أخت طرفة بن العبد لامه وكانت شاعرة جاهلية جليلة توفيت قبل الاسلام بنحو سبعين سنة

الخالطين

الخالطين لجينهم بنضارهم * وذوى الغنى منهم بذى الفقر

فهذا كله وابيك غاية المدح النقى من القدح ثم استمع ما فى هذا البيت سوى هذا من الخلل والزلل قال :

على مكثريهم حق [1] من يعتريهم * وعند المقلين السماحة والبذل

ففى هذا القسم الاول عيوب على المكثرين منها نهاضيعوا القريب كما قدمنا ورعوا حق الغريب وصلة الرحم أولى ما بدئ به ومن مكارم العرب حميتها لذوى أنسابها وذبها عن أحسابها والاقرب فالاقرب وما فضل عن ذلك فللابعد ثم أخبر ان المكثرين ليس يسمحون باكثر من الاستحقاق فى قوله

على مكثريهم حق من يعتريهم

ومن أعطى الحق فانما أنصف ولم يتفضل بما وراء الانصاف والزيادة على الانصاف أمدح ثم أخبر فى البيت ان المقلين على قدر قصور أيديهم أكرم طباعا من مكثريهم على قدرهم فى قوله :

وعند المقلين السماحة والبذل

والبذل مع الاقلال مدح عظيم وايثار والسماحة اعطاء غير اللازم فمدح بشعره هذا من لا يحظى منه بطائل . وذم الذين يرجو [2] منهم جزيل النائل وهذا غاية الغلط فى الاختيار وفى ترتيب الاشعار ولزهير غير هذا من السقطات لولا كافة الاستقصاء هذا على اشتهاره بانه أمدح الشعراء وأجزل الوافدين على الاشراف والامراء وسيتعامى المتعصب له عن وضوح هذا البيان وسينكر جميع هذا البرهان ويجعل التفتيش عن غوامض الخطأ والصواب استقصاء وظلما ومطالبة وهضما وزعم ان جميع الشعر لو طاب هذه المطالبة لبطل صحيحه وانجم فصيحه والباطل الذى زعم والمحال الذى به تكلم فالسليم سليم والكليم كليم وانما سمع المسكين أن أملح الشعر ما فاقت عباراته . وفهمت اشاراته ولحت لمحه وملحت ملحه ورقت حقائقه وحققت رقائقه واستغنى فيه بلمحه الدالة عن الدلائل المتطاولة وأمثال هذا الكلام فى استعمال النظام فتوهم ان خلل الشعر وزلله وضعف أركانه وتناقض بنيانه وانقلاب لفظه لغو وانعكاس مدحه هجوا داخل فيما قدمنا من الاوصاف المستحسنة من لمح اشاراته وملح عباراته فعامل هذا الصنف بعطفك عنهم

(١) فى عدة نسخ من ديوان زهير ورد لفظ رزق بدل حق (٢) بالاصل يرجوا

للعطف ورفعك عليهم الانف واعرض عنهم بالفكر والذكر كبرا وان لم تكن من أهل الكبر وفيما اطلعتك عليه من شعر هذين الفحلين والمتقدمين القديمين ما يغني عن التفتيش على سقطات سواهما فقس على مالم تره بعد ترى واعلم ان كل الصيد فى جنب الفرا . قال أبو الريان : ومن عيوب الشعر اللحن الذى لا تسعه فصحة العربية كقول الفرزدق

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع * من المال الا مسحتا أو مجلف

فرفع مجلفا وحقه النصب وقد تحيل له بعض النحويين بكلام كالضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع وكقول جرير الخطفى

ولو ولدت فقيرة جرو كلب * لسب بذلك الجرو الكلابا

فنصب الكلاب بغير ناصب وقد تحيل أيضا بعض النحويين على وجه الاقفاء أحسن منه فاحذر هذا ومثله واياك وما يعتذر منه فسيح من العذر فكيف بضيق ضنك . قال : ومما يعاب به الشعر و يستهجنه النقد خشونة حروف الكلمة كقول جرير

وتقول بوزع قد دببت على العصا * هلا هزئت بغيرنا يا بوزع (١)

وهذا البيت فى قصيدة من أحلى قصائد جرير وأملحها وأجزلها وأفصحها . فثقلت القصيدة كلها بهذه اللفظة وللفرزدق أيضا لفظات خشنة الحروف كهذه تجدها فى شعره قال : و يكره النقاد تعقيد الكلام فى الشعر وتقديم آخره وتأخير أوله كقول الفرزدق

وما مثله فى الناس الا مملكا * أبو أمه حى أبوه يقاربه (٢)

يمدح به ابراهيم بن هشام المخزومى وهو خال هشام بن عبد الملك فمعنى هذا الكلام ان ابراهيم بن هشام ما مثله فى الناس حى الا مملك يعنى هشاما أبو أمه أى جد هشام لامه أبو ابراهيم هذا الممدوح فهو خاله أخو أمه فهو يشبهه فى الناس لا غير وهذا غاية التعقيد والتنكيد وليس تحته شئ سوى انه شريف كابن أخته شريف

قال أبو الريان : ومن شر عيوب الشعر كلها الكسر لانه يخرجه عن نعته شعرا وليس

---

(١) البيت من قصيدة فى مدح بعض بنى أمية قيل لما وصل جرير فى انشاده الى هذا البيت قال له الامير الممدوح — أفسدتها ببوزع (٢) فى رواية يقاربه بدل يناسبه وقال صاحب كتاب الصناعتين البيت فى مدح هشام بن اسماعيل

مما يقع لمن نعت بشاعر . فاما الاقواء . والايطاء . والسناد . والا كفاء [1] . والزحاف . وصرف مالا ينصرف فكل ذلك يستعمل الا ان السالم من جميع ذلك أجل وأفضل قال : ومن عيوبه المذمومة مجاورة الكلمة مالا يناسبها ولا يقاربها مثل قول الكميت :

حتى تكامل فيها الدل والشنب [2]

وكما قال بعض المتأخرين فى رثاء :

فانك غيبت فى حفرة * تراكم فيها نعيم وحور

وان كان النعيم والحور من مواهب أهل الجنة فليس بينهما فى النفوس تقارب . ولا لفظة تراكم مما يجمع بين الحور ولا النعيم . ومثله قول بعضهم :

والله لولا ان يقال تغيرا * وصبا وان كان التصابى اجدرا
لأعاد تفاح الخدود بنفسجا * لثمى وكافور الترائب عنبرا

فالتفاح ليس من جنس البنفسج لان التفاح ثمرة والبنفسج زهرة . وقد أجاد فى جمعه بين الكافور والعنبر لانهما من قبيل واحد . ولو قال :

لأعاد ورد الوجنتين بنفسجا * لثمى وكافور الترائب عنبرا

لأجاد الوصف . وأحسن الرصف . لكون الورد من قبيل البنفسج . فهذا النوع فافتقد . وهذا الشرع فاعتمد

قال أبو الريان : ولفضلاء المولدين سقطات مختلفات فى أشعارهم أذا كرك منها فى أشياء لتستدل بها على أغراضك لا لطلب الزلات . ولا لاقتفاء العثرات . كان بشار تتباين طبقات شعره فيصعد كبيرها . ويهبط قليلها كثيرها . وكذلك كان حبيب بن أوس الطائى فاذا سمعت جيدهما كذبت ان رديهما لهما . واذا صح عندك ان ذلك الردى لهما أقسمت ان جيدهما لغيرهما . قال : ومما يعاب من الشعر الافتتاحات الثقيلة مثل قول حبيب اول قصيدة :

---

(١) قال الخليل : الاقواء ان يكون بعض القوافى مرفوعا وبعضها منصوبا وبعضها مخفوضا . والاكفاء ان يكون بعض القوافى على حرف وبعضها على حرف آخر . والايطاء اعادة القافية من غير اختلاف المعنى (كتاب خاص الخاص طبعة تونس ص ٥٩) .

(٢) وبكتاب الصناعتين : خود تكامل فيها الدل والشنب

هن عوادي يوسف وصواحبه * فعزما فقدما أدرك الشأو طالبه (١)

ومثل قول ديك الجن أول قصيدة:

كأنها يا كأنه (٢) خلال الخ * لة وقف الهلوك اذ بغما

فابتدأ هو وحبيب بمضمرات على غير مظهرات قبلها وهو ردىء قال: ويعاب أيضا الافتتاحات المتطير بها. والكلام المضاد للغرض كابتداء قصيدة أبي نواس التي أنشدها الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي يهنيه ببنيانه الدار الجديدة فدخل اليه عند كمالها وقد جلس للهناء والدعاء وعنده وجوه الناس فأنشده

أربع البلى ان الخشوع لبادي (٣) * عليك واني لم أخنك ودادي

فتطير الفضل من ذلك ونكس رأسه وتناظر الناس بعضهم الى بعض ثم تمادى نخم الشعر بقوله سلام على الدنيا اذا ما فقدتم * بني برمك من رائحين وغادي

فكمل جهله وتم خطؤه وزاد القلوب المتوقعة للخطوب سرعة توقع. وأضاف للنفوس المتوجعة بذكر الموت شدة توجع. وأراد أن يمدح فهجا. ودخل ليسر فشجا. قال: وقريب من هذا ما وقع للمتنبي في أول شعر أنشده كافورا

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا * وحسب المنايا أن يكن أمانيا

فهذا خطاب بالكاف بقبح ولا سيما في أول لقية. وفي ابتداء واستعطاف ورقية. وفي هذا البيت غير هذا من العيوب سنذكره بعد

ووقع مثل هذا من قبح الاستفتاح في عصرنا وذلك ان بعض الشعراء أنشد بعض الامراء في يوم المهرجان فقال:

لا تقل بشرى ولكن بشريان * وجه من أهوى ووجه المهرجان (٤)

---

(١) قال أبو هلال العسكري (كتاب الصناعتين) (المناظر أبو العميثل في قصيدة أبي تمام هن عوادي يوسف وصواحبه * فعزما فقدما أدرك الثار طالبه

استرذل ابتداءها فاسقط القصيدة كلها حتى صار اليه أبو تمام ووقفه على موضع الاحسان منها فراجع عبد الله بن طاهر فأجازه) (٢) روى ابن رشيق في العمدة — ما كأنه بدل يا كأنه — (٣) جاء في ديوان ابي نواس: البلاعوض البلى. ولباد بدل لبادي — (٤) ورد عجز البيت في كتاب الصناعتين هكذا: غرة الداعي ووجه المهرجان وقائل البيت أبو مقاتل أنشده الداعي فاوجعه الداعي ضربا ثم قال: هلا قلت:

ان تقل بشرى فعندي بشريان

فأمر

فأمر باخراجه واستطار بافتتاحه وحرمه احسانه : قال أبو الربان : ولو كان هذا الشاعر حاذقا لكان اصلاح هذا الفساد أيسر الاشياء عليه وذلك بان يعكس البيت فيقول :

وجه من أهوى ووجه المهرجان * أى بشرى هى لا بل بشريان

قال : ويقبح جدا الاتيان بكلمة القافية مجمجمة لا ترتبط بما قبلها من الكلام وانما هى مفردة لحشو القافية كقول بعضهم :

فبلغت المنى برغم أعاديك * وأبقاك سالما رب هود (١)

فأنت ترى غثاثة هذه القافية والله تعالى رب جميع الخلق وكل شئ فخص هودا عليه السلام وحده لضعف نقده وعجزه عن الاتيان بقافية تليق وتحسن

قال : ويقبح أيضا الجفاء فى النسيب على الحبيب والتضجر ببعده . وغلظة العتاب على صده . كقول أبى نواس

أجارة بيتينا أبوك غيور * وميسور ما يرجى لديك عسير (٢)

فان كنت لا خلا ولا أنت زوجة * فلا برحت منا عليك ستور

وجاورت قوما لا تزاور بينهم * ولا قرب الا ان يكون نشور

فلم أسمع باوحش من هذا النسيب . ولا أخشن من هذا التشبيب . وذلك قوله ان لم تكونى لى زوجة ولا صديقة فلا برحت منا ستور للتراب عليك ولا كان جارك ما عشنا نحن الا الموتى الذين لا يتزاورون ولا يتواصلون الى يوم النشور على ان كلامه يشهد عليه بانه شاك وانما المعروف فى أهل الرقة والظرف . والمعهود من اهل الوفاء والعطف . أن يفدوا أحبابهم بالنفوس . من كل مكروه وبوس . فأين ذهبت ولادته البصرية وآدابه البغدادية . حتى اختار الغدر على الوفاء . وبلغت به طباعه الى اجفاء الجفاء . فاعلم هذا واياك أن تعمل به

---

(١) قائل البيت أبو عدى القرشى ورواه قدامة (نقد الشعر ص ٨٩) :

ووقيت الحتوف من وارث وا * ل وابقاك صالحا رب هود

(٢) هذه الابيات من قصيدة فريدة مدح بها أبو نواس الخصيب بن عبد الحميد العجمى ثم المرادى أمير مصر . وقد يوجد بعض اختلافات فى روايتها منها فى البيت الثانى : خلما وهو الصديق أو الصاحب بدل خلا . وروحة بدل زوجة . ودونى عوض منا وفى البيت الثالث : وصل بدل قرب

قال : ومن عيوب الشعر السرق وهو كثير الاجناس . فى شعر الناس . فمنها سرقة ألفاظ . ومنها سرقة معان . وسرقة المعانى أكثر لانها أخفى من الالفاظ . ومنها سرقة المعنى كله . ومنها سرقة البعض . ومنها مسروق باختصار فى اللفظ وزيادة فى المعنى وهو أحسن المسروقات . ومنها مسروق بزيادة ألفاظ وقصور عن المعنى وهو أقبحها . ومنها سرقة محضة بلا زيادة ولا نقص والفضل فى ذلك للمسروق منه ولا شئ للسارق كسرقة أبى نواس فى هذه القصيدة التى ذكر معنى أبى الشيص بكماله . قال أبو الشيص :

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى * متأخر عنه ولا متقدم (١)

فسرقه الحسن بكماله فقال :

فما جازه جود ولا حل دونه * ولكن يصير الجود حيث يصير (٢)

فهذا هذا على ان بيت أبى الشيص احلى وأطبع ومع حلاوته جزالة . وقد ذكر عن الحسن انه قال مازلت أحسد أبا الشيص على هذا البيت حتى أخذته منه وسرقة المعاصر سقوط همة . وبهذه القصيدة يناضل أصحاب الحسن عنه ويخاصمون خصماءه مقرين بان ليس له أفضل منها . ولا لهم الى سوى هذه القصيدة معدل عنها . فقس بفهمك واعمل فكرك على ما وصفناه من أبواب السرق ما وجدته فى أشعار لم أذكرها يظهر لك جميع ما وصفناه . ويبدو لك جميع ما رسمناه قال : ومما يقع فى عيوب الشعر ويغفل الشاعر عنه ويجوزه الامر فيه اصغر جرم العيب وسلامة اللفظ الذى احتبى فيه ثم يكون ذلك سبب غفلة النقاد أيضا عنه مثل قول المتنبى : كفى بك داء أن ترى الموت شافيا

فضع هذا الكلام على انه اعاش كاداءه ووصفه بالعظم فعادشا كيا نفسه وجعلها أعظم الداء لانه أراد كفى بدائك داء فغلط وقال : كفى بك داء فصار كفى بالسلامة داء فالسلامة هى الداء يريد طول البقاء سبب للفناء . وقال الله تعالى : وكفى بنا حاسبين فالله هو أعظم شهيد فجعل المتنبى نفسه أعظم الداء ولم يرد الا استعظام دائه واصلاح هذا الفساد . وبلوغه الى المراد . ان يقول :

كفى بالمنايا ان تكن أمانيا * وحسبك داء ان ترى الموت شافيا

---

(١) قصيدة أبى الشيص التى طالعها هذا البيت تعد من أبلغ ما قيل فى التشبيب

(٢) ورد عجز البيت فى نسخة خطية من ديوان أبى نواس على هذه الصورة :
ولكن يسير المجد حيث يسير

فيعود

فيعود الداء المستعظم كما أراد وتزول خشونة ابتدائه . وشدة جفائه . اذ خاطب الممدوح بالكاف فجعله داء عظيما فى أول كلمة سمعها منه . وقد تأدب خواص الناس وكثير من عوامهم فى مثال هذا المكان فهم يقولون عند مخاطبات بعضهم بعضا بما يخشن ذكره قلت للا بعد ويا كذا أو كذا للا بعد

ومن عيوب هذا القسم أيضا ان قائله قصد الى سلطان جديد والى مكان يحتاج فيه الى التعظيم والتفخيم وقد صدر عن ملك نوه به أعنى سيف الدولة وأغناه بعد فقره وشرفه ورفعه . وأدنى موضعه . فورد على كافور هذا فى مرتبة شريفة . وخطة منيفة فجعل بجهله يصفه فى أول بيت لقيه به انه فى حالة لا يرى منها المنية . أو يرى المنية أعظم أمنية . وعلم كافور بذكائه و وصول أخبار الناس اليه انه فى حالة خلاف ماقال وانه كفر النعمة من المنعم عليه وأراه ان جميع ما عامله به من الجاه الواسع . والغنى القاطع حقير لديه . صغير فى عينيه . فعلم كافور فى هذا الوقت انه ممن لا تزكو لديه الصنيعة وان عظمت . ولا تكبر فى عينيه المواهب وان جسمت . ولم يكن فى خلق كافور من الصبر على اتساع البذل . ولا من الرغبة فى أهل الآداب والفضل ماعند سيف الدولة من ذلك فزهد فيه بعد رغبة وعلله بالقليل . وشاوقه بالجزيل . ورأى المتنبى ان الاسود ليس له فى قلبه من الحب والقرب ماله عند سيف الدولة فلم يدل عليه ولا كثر من التعتب والعتاب مايعطفه عليه فاضاع وضاع . وكان يتوقع الايقاع . ولكفران النعم نقم . ثم نجاه ركوب ظهر الهرب وأقبل يعترف لسيف الدولة بالذنوب . وكان لحنه وشعره شريفين . وعقله ودينه ضعيفين . ومع ذلك فسقطاته كثيرة الا ان محاسنه أكثر وأوفر . والمرء يعجز لا محالة وكان يميل الى تعقيد الكلام ويعتمد على علمه بقبحه فيقول من ذلك مايصف به ناقته :

فتبيت تسئد مسئدا فى نيها * أسادها فى المهمه الانضاء

ويقول فى المدح :

أنى يكون أبا البرية آدم * وأبوك والثقلان انت محمد

ويقول فى بيت آخر من قصيدة أخرى يمدح بها والبيت لا يتعلق بشئ مما قبله فيما ظهر ولا فيما بعده بشئ

كانك ماجاودت من بان جوده * عليك ولا قاومت من لم تقاوم

ومثل هذا كثير وهذه الاجناس من أبيات وان ظهرت معانيها بعد استقصاء .

وأطاعت غوامضها بعد استعصاء . فهي مذمومة السلاك وان اطلعت منها على أجزل الافادة فكيف اذا حصلت منها على السلامة بلا زيادة . وكان أيضا يغفل عن اصلاح أشياء من كلامه على قرب ذلك الاصلاح من الفهم . مثل قوله يرثى أخت سيف الدولة :

يا أخت خير أخ يا بنت خير أب * كناية بهما عن أشرف النسب

فجعل يا أخت خير و بنت خير كناية عن أشرف النسب والكناية لا تكون الا لعلل تتسع فيها التهم لان الكناية ستر وتعمية فما بال شرف النسب يورى عنه تورية المعايب . ويكنى عنه والتصريح به من المفاخر والمناقب . وقد غفل عن اصلاح هذا بلفظ فصيح . ومعنى صحيح . قد كاد يبرز من الجنان . الى طرف اللسان . وهو لو فطن اليه

يا أخت خير أخ يا بنت خير أب * غنى بهذا وذا عن أشرف النسب

قال أبو الريان : وهذه الجملة التى أثبت لك فيها ما دخل على الشعراء المجيدين من التقصير والغفلة والغلط وغير ذلك كافية ومغنية عن ايراد سوى ذلك وان لقيتها بجودة بحث وصحة قياس . لم تحتج الى كشف عيوب اشعار الناس . ولعل قائلا يقول مال على هؤلاء وترك سواهم لميله على من بكت . ولتفضيله من عنه سكت . فقل لمن قال ذلك الامر ، على خلاف ما ظننت لم أذكر الا الافضل فالافضل . والاشهر فالاشهر . اذ كانت أشعارهم هى المروية . فالحجة بهم وعليهم هى القوية . فقد نقلته على من ميلى عليهم . الى ميلى بالحق اليهم قال أبو الريان : فاما نقد المستحسن فتمثيله لك يعظم ويتسع لكثرته فلا يسعنا ايراده ولكن ما سلم من جميع ما أوردناه فهو فى حيز السالم . ثم تتسع طبقات الجودة فيه . وأحسن منه ما اعتدل مبناه . وأغرب معناه . وزاد فى محمودات الشعر على سواه . ثم يمدح الادون فالادون بمقدار انحطاطه الى حيز السلامة . ثم لا مدح ولا كرامة

قال محمد فقلت : لله درك يا أبا الريان فما ألين جانبك . وما أقرب غائبك . وما أنجح طالبك . وما أسعد صاحبك . فقال : أنجح الله مطالبك . وقضى مآربك . وصفى من القذى مشاربك . وبث فى الحواضر والبوادى مناقبك

تمت المقامة المعروفة بمسائل الانتقاد

بلطف الفهم والاقتصاد

والحمد لله أولا وآخرا وصلاته على نبيه سيدنا محمد وآله وسلامه

كتاب العرب

أو الرد على الشعوبية

لابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة من أهل القرن الخامس [1]

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: جعلنا الله واياك على النعم شاكرين . وعند المحن والبلوى صابرين . وبالقسم من عطائه راضين . وأعاذنا من فتنة العصبية وحمية الجاهلية وتحامل الشعوبية فانها بفرط الحسد ونغل الصدر تدفع العرب عن كل فضيلة ، وتلحق بها كل رذيلة ، وتغلو في القول ، وتسرف في الذم ، وتبهت بالكذب وتكابر العيان ، وتكاد تكفر ثم يمنعها خوف السيف وتغص من النبي صلى الله عليه وسلم اذا ذكر بالشجا . وتطرف منه على القذى . وتبعد من الله بقدر بعدها ممن قرب واصطفى . وفي الافراط الهلكة ، وفي الغلو البوار . والحسد هو الداء العياء . أول ذنب عصي الله به في الارض والسماء . ومن تبين أمر الحسد بعدل النظر أوجب سخطه على واهب النعمة وعداوته لمؤتي الفضيلة لان الله تعالى يقول (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) فهو تبارك وتعالى باسط الرزق وقاسم الحظوظ والمبتدي بالعطا والمحسود آخذ ما أعطى وجار الى غاية ما أجرى .

وقال ابن مسعود : لا تعادوا نعم الله قيل ومن يعادي نعم الله قال: حاسد الناس وفي بعض الكتب يقول الله : الحاسد عدو لنعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمي .

---

(١) وجده الشيخ جمال الدين القاسمي من علماء دمشق في مكتبة المرحوم شاكر افندي الجزاوي الدمشقي في مجموعة كانت موقوفة ونجز وقفها معنونا عليه بكتاب ذم الحسد تأليف العلامة أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة رحمه الله تعالى بخط مسند الشام في عصره الشيخ ابراهيم الجينيني الحنفي جامع الفتاوى الخيرية — من رجال القرن الثاني عشر — وقد نسخها رحمه الله على أصل مخروم الآخر حتى كتب في آخر نسخته ما مثاله : هذا آخر ما وجدته الخ .

وقال ابن المقفع . الحاسد لا يبرح زاريا على نعمة الله لا يجد لها مزالا ويكدر على نفسه مابه فلا يجد لها طعما ولا يزال ساخطا على من لا يترضاه ومتسخطا لما لا ينال فوقه فهو مكظوم هلع جزوع ظالم أشبه شيء بمظلوم محروم الطلبة منغص المعيشة دائم السخطة لا بما قسم له يقنع ولا على مالم يقسم له يغلب والمحسود يتقلب فى فضل الله مباشرا للسرور ممهلا فيه الى مدة لا يقدر الناس لها على قطع وانتقاض ولو صبر الحسود على ما به وضمر لجرنه كان خيرا له لانه كلما هرخ أه الله وكلما نبح قذف بحجره وكلما أراد أن يطفئ نور الله أعلاه الله ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . ولله در القائل :

وإذا أراد الله نشر فضيلة * يوما أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يعرف طيب عرف العود

ولم أر فى هذه الشعوبية أرسخ عداوة ولا أشد نصبا للعرب من السفلة والحشوة وأوباش النبط وابناء اكرة القرى فاما أشراف العجم وذوو الاخطار منهم وأهل الديانة فيعرفون مالهم وما عليهم ويرون الشرف نسبا ثابتا .

وقال رجل منهم لرجل من العرب : ان الشرف نسب والشريف من كل قوم نسيب الشريف من كل قوم : وانما هجت السفلة منهم بذم العرب لان منهم قوما تحلوا بحلية الادب فجالسوا الاشراف وقوم اتسموا بميسم الكتابة فقربوا من السلطان فدخلتهم الأنفة لآدابهم والغضاضة لاقدارهم من لؤم مغارسهم وخبث عناصرهم فمنهم من الحق نفسه باشراف العجم واعتزى الى ملوكهم وأساورتهم ودخل فى باب فسيح لا حجاب عليه ونسب واسع لا مدافع عنه ومنهم من أقام على خساسة ينافح عن لؤمه ويدعى الشرف للعجم كلها ليكون من ذوى الشرف ويظهر بغض العرب يتنقصها ويستفرغ مجهوده فى مشاتمها واظهار مثالبها وتحريف الكلم فى مناقبها وبلسانها نطق وبهممها أنف وبآدابها تسلح عليها فان هو عرف خيرا ستره وان ظهر حقره وان احتمل التأويلات صرفه الى أقبحها وان سمع سوأ نشره وان لم يسمعه نفر عنه وان لم يجده تخرصه فهو كما قال القائل :

ان يعلموا الخير يخفوه وان علموا * شرا أذيع وان لم يعلموا بهتوا

ومن زار حك الله صفا فلم يكن له عيب وخلص فلم يكن فيه شوب .

وقيل لبعض الحكماء : هل من أحد ليس فيه عيب فقال : لا لان الذى ليس فيه عيب

هو

هو الذى لا يموت وعائب الناس يعيبهم بفضل عيبه ويتنقصهم بحسب نقصه ويذيع عوراتهم ليكونوا شركاءه فى عورته ولا شىء أحب للفاسق من زلة العالم ولا الى الخامل من عثرة الشريف قال الشاعر :

ويأخذ عيب الناس من عيب نفسه ٭ مراد لعمرى ان أردت قريب

وقال آخر : واجرأ من رأيت بظهر غيب ٭ على عيب الرجال ذوو العيوب

وقد كان زياد بن أبى سفيان حين كثر طعن الناس عليه وعلى معاوية فى استلحاقه عمل كتابا فى المثالب لولده وقال : من عيركم فقرعوه بمنقصته . ومن ندد عليكم فابدهوه بمثلبته . فان الشر بالشر يتقى ، والحديد بالحديد يفلح •

وكان أبو عبيدة معمر بن المثنى أغرى الناس بشتائم الناس وألهجهم بمثالب العرب وحاله فى نسبه وأبيه الاقرب اليه حال نكره أن نذكرها فنكون كمن أمر ولم يأتمر ، وزجر عن القبيح ولم يزدجر . وهى مشهورة ولكن كرهنا ان تدون فى الكتب وتخلد على الدهر ، ولاسيما وهو رجل يحمل عنه العلم ويحتج بقوله فى القرآن • ومن أتعب قلبا وأنصب فكرا ممن أراد أن يجعل الحسنة سيئة ، والمنقبة مثلبة . ويحتاج لاخراج الباطل فى صورة الحق فيقصد من المناقب لمثل قوس حاجب يضحك منها ويزرى بها ويذهب فى ذلك الى خساسة العود وقلة ثمنه وهذا لو كان على مذاهب التجار والسوق فى الرهون والمعاملات لرجع بالعيب على الآخذ لا على الدافع لان الدافع لا يألو أن يدفع أحقر ما يجد فى أكثر ما يأخذ والمغبون من غر بالصغير عن الكبير وانما رهن عن العرب بما ضمنه عنها من كف الاذى عن مملكته حتى يحيوا وتنكشف عنهم السنة ولو كان مكان القوس مائة ألف رأس من الغنم عن هذا السبب ما كان القوس الا أحسن بالدافع والقابل لان سلاح الرجل هى عزه وشرفه واسلام المال أحسن من اسلام العز والشرف • وقد يدفع الرجل خاتمه وبرده أو رداءه عن الامر العظيم فلا يسلمه خوفا من السبة وأنفة من العار •

قال أبو عبيدة لما قتل وكيع بن أبى سود التميمى قتيبة بن مسلم الباهلى بخراسان : بلغ ذلك سليمان وهو بمكة وهو حاج خطب الناس بمسجد عرفات وذكر غدر بنى تميم واسراعهم فى الفتن وتوثبهم على السلطان وخلافهم له فقام الفرزدق ففتح رداءه وقال : يا أمير المؤمنين هذا ردائى رهنا بوفاء تميم ومقامها على طاعتك فلما جاءت بيعة وكيع قال الفرزدق :

فدى لسيوف من تميم وفى بها * رداى وجلت عن وجوه الاهاتم

يريد الاهتم بن سمى التميمى ورهطه وهذا سيار بن عمرو بن جابر الفزارى ضمن لبعض الملوك ألف بعير دية أبيه ورهنه قوسه فقبلها منه على ذلك وساقها اليه وفيه يقول القائل :

ونحن رهنا القوس ثم تخلصت * بالف على ظهر الفزارى أقرعا

وسيار هذا هو جد هرم الذى تنافر اليه عامر وعلقمة . ومن هذا الباب قول جران وذكر اجتماعه مع نساء كان يألفهن :

ذهبن بمسواكى وقد قلت انه * سيوجد هذا عندكن فيعرف

يظن من لا يعرف هذا الخبر انهن سلبنه المسواك فاعتد عليهن وأخبرهن انه سيوجد عندهن ويعرف لقدر المسواك عندهن وعنده ولان الاعراب أنظر قوم فى التافه الحقير الذى لا خطر له وكيف يظن به وبهن هذا وبلد نجد مستحلس بضروب من شجر المساويك لا تحصى فكيف يبخل على نساء يهواهن بعود هو يصطلى به ويختبز ويطبخ بشجره ومتى احتاج الى مسواك منه لم يتكلفه بثمن ولم يبعد فى طلبه والمعنى ان نجدا اختلاف منابته فمنه ماينبت الاسحل ومنه ماينبت الاراك ومنه ماينبت البشام فاهل كل ناحية منهم يستاكون بشجر بلدهم وكان جران العود معروفا بهؤلاء النساء يزورهن على حذر من مزار بعيد وهو يستن من الشجر ماينبت فى بلده ولا ينبت فى بلدهن فلما أخذن سواكه ليتذكرنه ويسترحن اليه كما يفعل المتحابون قال : ان هذا سيوجد عندكن واذا وجد علم انه مما ينبته البلد الذى أسكنه فاستدل به على زيارتى اياكن ويقصد لقول القائل :

أيا ابنة عبد الله وابنة مالك * ويا ابنة ذى البردين والفرس الوردا

فيتضاحك بالشعر ويستهزئ بالبردين والفرس الورد ويعارض ذلك بملوك فارس وأسرتها وتيجانها وبان ابرويز ارتبط تسعمائة وخمسين فيلا على مرابطه وبلغت مخدته (؟) التى كان يشرف بها على الداخل عليه ألف اناء من الذهب وخدمته ألف جارية وقد جهل هذا معنى الشعر وأخطأ فى المعارضة ونخر بما ليس له فيه حظ ولا نصيب .

اما معنى الشعر فان أبا عبيدة ذكر ان وفود العرب اجتمعت عند النعمان بن المنذر فاخرج بردى محرق وهو عمرو بن هند وقال : ليقم أعز العرب قبيلة فيأخذهما فقام عامر ابن احيمر بن بهدلة فاخذهما فاتزر بواحد وارتدى بآخر فقال له : بم أنت أعز العرب

فقال

فقال : العز والعدد من العرب فى معد ثم نزار ثم فى مضر فى خندف ثم فى تميم ثم فى سعد ثم فى كعب ثم فى عوف ثم فى بهدلة فمن أنكر هذا من العرب فلينافرنى فسكت الناس فقال النعمان : هذه عشيرتك كما تزعم فكيف أنت فى اهل بيتك وفى بدنك فقال : أنا ابو عشرة وعم عشرة وخال عشرة يغنينى الاكابر عن الاصاغر والاصاغر عن الاكابر فاما انا فى بدنى فهذا شاهدى ثم وضع قدمه على الارض وقال : من أزالها من مكانها فله مائة من الابل فلم يقم اليه أحد من الناس فذهب بالبردين فسمى ذا البردين قال الفرزدق :

فما تم فى سعد ولا آل مالك * غلام اذا ما قيل لم يتبهدل

لهم وهب النعمان ثوبى محرق * بمجد معد العديد والمحصل (؟)

وأما الفرس الورد فان الخيل حصون العرب ومنبت العز وسلم المجد وثمال العيال وبها تدرك الثأر وعليها تصيد الوحش وكانوا يؤثرونها على الاولاد باللبن ويشدونها بالافنية للطلب والهرب وقد كنى الله عنها فى كتابه بالخير لما فيها من الخير فقال حكاية عن نبيه سليمان صلى الله عليه وسلم (انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب) يعنى الخيل وبها كان شغل سليمان عن الصلاة حتى غربت الشمس وقال طفيل :

وللخيل أيام فمن يصطبر لها * ويعرف لها أيامها الخير يعقب

وقال آخر :

ولقد علمت على توقى الردى * ان الحصون الخيل لا مدر القرى

انى وجدت الخيل عزا ظاهرا * تنجى من الغمى ويكشفن الدجى

ويبتن بالثغر المخوف طلائعا * وتبين للصعلوك جمة ذى الغنا

باتوا بصائرهم على أكتافهم * وبصيرتى يعدو بها عتد وأى

والبصيرة الدم يريد انهم لم يدركوا الثأر فثقل الدماء على أكتافهم وانه قد أدرك ثأره على فرسه وحدثنى محمد بن عبيد قال : حدثنى سفيان بن عيينة عن شبيب بن غرقدة عن عروة البارقى قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : (الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة)

قال أبو محمد : وليس لاحد مثل عتاق العرب ولا عند أحد من الناس من العلم بها ما عندهم وسأذكر من ذلك شيأ فيما بعد ان شاء الله . واذا كان للرجل منها جواد مبرز كريم شهر به وعرف فقيل العسجدى ولاحق وداحس والورد . وليس أعجب من سرير كسرى

ونخر العجم به وتصويرهم اياه فى الصخور الصم وفى رعان الجبال . واذا رأيت العرب تنسب الى شئ خسيس فى نفسه فليس ذلك الا لمعنى شريف فيه كقولهم لهنيدة بنت صعصعة عمة الفرزدق ذات الخمار فمن لم يعرف سبب الخمار ههنا يظن انها كانت تختمر دون نساء قومها فنسبت الى الخمار لذلك قال أبو عبيدة : كانت هنيدة بنت صعصعة تقول من جاء من نساء العرب بأربعة مثل أربعتى يحل لها أن تضع عندهم خمارها فصرمتى لها أبى صعصعة وأخى غالب وخالى الاقرع بن حابس وزوجى الزبرقان بن بدر فسميت ذات الخمار لذلك .

وقال : كان هند بن أبى هالة ربيب النبى صلى الله عليه وسلم يقول : انا أكرم الناس أربعة أبى رسول الله وأمى خديجة وأختى فاطمة وأخى القاسم فهؤلاء الاربعة لا أربعتها وأما خطؤه فى المعارضة فان صاحب البردين لم يكن ملك العرب فيعارضنا عنه بملك العجم ولم يدع أحد انه كان للعرب فى دولة العجم مثل ملكها وأموالها وعددها وسلاحها وحريرها وديباجها فيحتاج ان يذكر فيلة ابرويز وجواريه وفرشه وقد كان هذا الاولئك كما ذكر ثم جعله الله لهؤلاء فابتزوه واستلبوه والتحوهم كما يلتحى القضيب والناسخ أفضل من المنسوخ . وأما فخره بما ليس له فيه حظ ولا نصيب فانما يفخر بملك فارس أبناء ملوكها وأبناء عمالهم وكتابهم وحجابهم وأساورتهم . فأما رجل من عرض العجم وعوامهم لا يعرف له نسب ولا يشهر له أب فما حظه فى سرير كسرى وتاجه وحريره وديباجه وليس هو من ذلك فى مراح ولا مغدى ولا مظل ولا مأوى . فان قال : لانى من العجم وكسرى من العجم فرحبا بالمثل المبتذل ابن جار النجار ولو قال أيضا : لانى من الناس وكسرى من الناس كان وهذا سواء وما هو باولى بهذا السبب من العرب لان العرب أيضا من الناس .

قال أبو عبيدة : أجريت الخيل فطلع منها فرس سابق فجعل رجل من النظارة يكبر ويثب من الفرح فقال له رجل الى جانبه : يا فتى أهذا السابق فرسك فقال : لا ولكن اللجام لى .

وقال المسعودى : قدم علينا اعراب وكانوا يأتون ببضائعهم فأبيعها وأقوم بحوائجهم وكانوا يقولون : رحم الله أباك دينارا فكنت لا آلوهم عناية فقلت لهم : أخبرونى عن السبب بينكم وبين أبى قالوا : كان يساومنا مرة باتان فقلت لهم : هل كان اشتراها منكم قالوا : لا قلت : الله أكبر قالوا : وماذاك قلت : لو اشتراها صارت رحما ونسبا .

وقد كانت العجم رحمك الله فى ذلك الزمان طبق الارض شرقا وغربا وبرا وبحرا الا

الاحال معدّ واليمن أفكل هؤلاء أشراف فاين الوضعاء والادنياء والكساحون والحجامون والدباغون والحمارون والرعاع والمهان وهل كان ذووا الشرف فى جملة الناس الا كاللمعة فى جلد البعير وأين ذراريهم وأعقابهم أدرجوا جميعا فلم يبق منهم أحد وبقى أبناء الملوك والاشراف .

وأعجب من هذا ادعاؤهم الى اسحق بن ابراهيم صلى الله عليهما وسلم ونخرهم على العرب بانه لسارة الحرة وان اسمعيل أبا العرب لهاجر وهى أمة وقال شاعرهم :

فى بلدة لم تصل عكل بها طنبا * ولا خباء ولا عك وهمدان
ولا الجرم ولا بهراء من وطن * لكنها لبنى الاحرار أوطان
أرض تبنى بها كسرى مناسكه * فما بها من بنى اللخناء انسان

فبنو الاحرار عندهم العجم من ولد اسحق واسحق لسارة وهى حرة وبنو اللخناء عندهم العرب لانهم من ولد اسماعيل واسماعيل لهاجر وهى أمة قالوا : واللخناء عند العرب الامة فالويل الطويل لهؤلاء والبعد والثبور من هذه العداوة لاولياء الله والانباز القبيحة لصفوة الله وقد غلطوا فى التأويل على اللغة وليس كل أمة عند العرب لخناء انما اللخناء من الاماء الممتهنة فى رعى الابل وسقيها وجمع الحطب وحمله واستقاء الماء والحلب وأشباه ذلك من الخدمة كما يقال الامة الوكعاء وليس كل أمة وكعاء وانما قيل لخناء لنتن ريحها ويقال لخن السقاء يلخن لخنا اذا تغير ريحه وأنتن .

وأما مثل هاجر التى طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل دفر وارتضاها للخليل فراشا وللطيبين اسمعيل ومحمد عليهما الصلاة والسلام أما وجعلهما لها سلالة فهل يجوز للمحد فضلا عن مسلم ان يطلق عليها اللخن ولو لم يكن الا ان ملك القبط متع بها سارة وكانت أنفس امائه عندهم واحظاهن لديه لقد كان فى ذلك دليل على انها لم تكن من الاماء اللخن ولو جاز ان يطلق على كل أمة لخناء لجاز أن يقال لكل شريف ولدته أمة هذا ابن اللخناء كما يقال هذا ابن الامة وقد ولدت الاماء الخلفاء والخيار والابرار ومثل على بن الحسين بن على ابن أبى طالب والقاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب .

حدثنى سهل بن محمد قال : حدثنا الاصمعى قال : كان أهل المدينة يكرهون اتخاذ أمهات الاولاد حتى نشأ فيهم هؤلاء الثلاثة ففاتوا أهل المدينة فقها وورعا فرغب الناس فى السرارى : والنساب لا يعرفون لاهل فارس ولا للنبيط فى اسحق بن ابراهيم حظا الا ان اسحق

تزوج رفقا بنت ناحور بن تارح وتارح هو آزر ورفقا بنت عمه فولدت له عيصو ويعقوب توأمين فى بطن واحد فيعقوب هو اسرائيل الذى ولد الاسباط كلهم وكانوا اثنى عشر رجلا وأولادهم جميعا يدعون بنى اسرائيل وهم أهل الكتاب ليس لهؤلاء فيهم سبب ولا نسب وعيصو هو أبو الروم وكان الروم رجلا أصفر شديد الصفرة فى بياض ومن أجل ذلك سميت الروم بنى الاصفر . قالوا : وكانت أم الروم بنت اسمعيل بن ابراهيم وولد من الروم خمسة نفر فكل من بارض الروم من نسل هؤلاء الرهط قالوا : ولما سبقه يعقوب الى دعوة اسحق فصارت النبوة فى ولده دعا لعيصو بالنماء والكثرة فالروم كلها من ولده وبعض الناس يزعم أيضا ان الاشبان من ولده وقالوا : النبط بن سابوح بن ارغو بن فالغ بن عابر بن شالح بن ارفخشد بن سام بن نوح ويقال انه ابن ماش بن سام بن نوح قالوا : وأهل فارس من ولد لاوذ بن ارم بن سام بن نوح وكان كثير الولد فنزل أرض فارس فاجناس الفرس كلهم من ولده فليس بين هؤلاء وبين اسحق بن ابراهيم على ماذكر النسابون نسب يجمعهم الا سام ابن نوح والناس يجتمعون فى ولادة شيث بن آدم ثم فى ولادة نوح ثم يتشعبون وولد نوح أربعة نفر سام وحام ويافث ويام فاما يام فهلك بالطوفان فلا عقب له وهو الذى قال له أبوه : (يابنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين) وأما حام فان أباه لعنه ودعا عليه بان يكون عبدا لاخويه فحملت ذريته وسقطت فيه فهم النوبة وفزان والزغاوة وأجناس السودان والسند والقبط وأما يافث فان أباه دعا له بالنماء والكثرة فولد الصقالب والترك ويأجوج ومأجوج وأمما عدد الرمل والحصا فى مشارق الارض . فاما سام فبارك عليه فاشراف الناس من ولده منهم العماليق ومنهم الجبابرة وفراعنة مصر وملوك فارس ومن ولد سام الانبياء جميعا بعد نوح وهود وصالح وشعيب وابراهيم ومن بعده الى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام . فالعرب وفارس يتساوون فى هذه الجملة وتفضلها العرب بعدها بانها من ولد اسماعيل بن ابراهيم فهى أدنى من خليل الله دناوة وأمس به رحما .

ثم تتساوى العرب وفارس فى ان الفريقين ملكوا وتفضلها العرب بان قواعد ملكها نبوة وقواعد ملك فارس استلاب وغلبة . وتفضلها العرب بان ملكها ناسخ وملك فارس منسوخ وتفضلها بان ملكها متصل بالساعة وملك فارس محدود وتفضلها العرب بان ملكها واغل فى أقاصى البلاد داخل فى آفاق الارض وملك فارس شظية منه ليس فيه الشام ولا الجزيرة ولا خراسان فى أكثر مددهم ولا اليمن الا فى أيام وهزر وسيف بن ذى يزن .

ومن

ومن عجب أمرهم أيضا فخرهم على العرب بآدم بقول النبي صلى الله عليه وسلم : لا تفضلوني عليه فإنما أنا حسنة من حسناته ثم بالانبياء وانهم من العجم الا أربعة نفر هود وصالح وشعيب ومحمد صلى الله عليه وعليهم وسلم وفي هذا القول وضع الفخر على غير أساس ومن أسس بنيانه على الباطل والغرور أوشك ان يتداعى وان يخر وظلم للعرب فاحش ومنه ادعاؤهم آدم كأن العرب ليسوا من ولده ومنه انتحالهم موسى وعيسى وزكريا ويحي وأشباههم من بني اسرائيل وليس بين فارس وبين بني اسرائيل نسب على ما بينت لك ومنه دفعهم العرب عن قربهم بهؤلاء الانبياء وهم بنو عمومهم وعصبتهم لان العرب بنو اسمعيل ابن ابراهيم باجماع الناس فهم بنو أخي اسحق بن ابراهيم وأولى به وأحق بشرفه وأولى بموسى وعيسى وداود وسليمان وجميع الانبياء من ولده وقال الله تعالى : (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين) فآل ابراهيم هم ولد اسحق وولد اسماعيل ثم قال : (ذرية بعضها من بعض) فاعلمنا ان العرب وبني اسرائيل شئ واحد في النسب وفيما أوحى الله الى موسى : اني ساقيم لبني اسرائيل من اخوتهم مثلك أجعل كلامي على فيه : يريد انه يقيم لهم من العرب نبيا مثل موسى يعني نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وهذا علم من اعلامه وحجة من حججنا على أهل الكتاب من كتبهم فان قالوا في ذلك انه يقيم لهم من بني اسرائيل نبيا مثل موسى وقالوا : ان بني اسرائيل بعضهم اخوة بعض أكذبهم النظر لانه لو أراد ذلك لقال لهم : من أنفسهم ومنهم كما أن رجلا لو أراد أن يبعث رسولا من خندف لم يقل سأبعث رسولا من اخوة خندف فان كان دفعهم ولد اسمعيل عن تشابك نسبهم بولد اسحق لنزول اسمعيل الحرم ونكاحه في جرهم فان الديار قد تتناءى والمحال قد تتباين والرجل قد ينكح في البعيد وقد يولد له من الاماء ولا ننقطع الارحام والانساب وان كان اسمعيل نطق بالعربية فليس اختلاف الناس في الالسنة يخرجهم عن نسب آبائهم واخوانهم وعشائرهم فهؤلاء أهل السريانية قد خالفوا في اللسان أهل العبرانية وهذه الروم كفرت بالله ولا شئ أقطع للعصمة من الكفر وتكلمت بالرومية ورغبت عن لسان آبائها وليس ذلك بمخرجها عن ولادة اسحق بن ابراهيم على ان اسمعيل لم يكن أول من نطق بالعربية وانما تعلمها وانما أصل العربية لليمن لانهم من ولد يعرب بن قحطان وكان يعرب أول من تكلم بالعربية حين تبلبلت الالسن ببابل وسار حتى نزل اليمن في ولده ومن تبعه من أهل بيته ثم نطق بعده ثمود بلسانه وشخص حتى نزل الحجر .

حدثني أبو حاتم قال : حدثني الاصمعي قال : أخبرنا أبو عمرو بن العلاء قال : تسع قبائل قديمة طسم وجديس وعهينة وضجم (بالجيم وبالحاء) وجعم والعماليق وقحطان وجرهم وثمود .

وحدثني أبو حاتم قال : حدثنا الاصمعي قال : حدثنا ابن أبي الزناد عن رجل من جرهم قال : نحن بدء من الخلق لا يشاركنا أحد في أنسابنا يقول من قدمنا فهؤلاء قدماء العرب الذين فتق الله ألسنتهم بهذا اللسان وكانت أنبياؤهم عربا هود وصالح وشعيب .

حدثني عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه انه سئل عن هود أكان أبا اليمن الذي ولدهم قال : لا ولكنه أخو اليمن في التوراة فلما وقعت العصبيه بين العرب وفخرت مضر بأبيها اسمعيل ادعت اليمن هودا ليكون لهم والد من الانبياء . (قال) وأما شعيب من ولد رهط من المؤمنين تبعوا ابراهيم لما هاجر الى الشام ولم يكن يثبت لهم نسب في بني اسرائيل ولم تكن مدين قبيلة ولكنها أمة بعث اليها فلما بوأ الله اسمعيل الحرم وهو طفل وانبط له زمزم مرت به من جرهم رفقة فرأوا مالم يكونوا يعهدونه وأخبرتهم هاجر بنسب الصبي وحاله وما أمر الله أباه فيه وفيها فتبركوا بالمكان ونزلوه وضموا اليهم اسمعيل فنشأ معهم ومع ولدانهم ثم أنكحوه فتكلم بلسانهم فقيل نطق بالعربية الا ان الياء زيدت في الاسم فحذفت في النسب كما تحذف أشياء من الزوائد وغير كما تغير أشياء عن أصولها والدليل على ان أصل اللسان لليمن انهم يقال لهم (العرب العاربة) ويقال لغيرهم (العرب المتعربة) يراد الداخلة في العرب المتعلمة منهم وكذلك معنى التفعل في اللغة يقال تنزر الرجل اذا دخل في نزار وتمضر اذا دخل في مضر وتقيس اذا دخل في قيس وقال الشاعر :

وقيس عيلان ومن تقيسا

ولو كان كل من تعلم لسانا غير لسان قومه ونطق به خارجا من نسبهم لوجب ان يكون كل من نطق بالعربية من العجم عربيا (وسأقول في الشرف باعدل القول وأبين أسبابه ولا أبخس أحدا حقه ولا أتجاوز به حده) فلا يمنعني نسبي في العجم ان أدفعها عما تدعيه لها جهلتها وأثني أعنتها عما تقدم اليها سفلتها وأختصر القول وأقتصر على العيون والنكت ولا أعرض للاحاديث الطوال في خطب العرب وتعداد أيامها وفدات أشرافها على ملوك العجم ومقاماتها فان هذا وما أشبهه قد كثر في كتب الناس حتى أخلق ودرس حتى مل لاسيما وأكثر هذه الاخبار لا طريق لها ولا نقلات من الثقاة والمعروفين أيضا تخبر عن

التكلف

التكلف وتدل على الصنعة وأرجو أن لا يطلع ذو و العقول وأهل النظر منى على ايثار هوى ولا تعمد لتمويه وما أتبرأ بعده من العثرة والزلة الا ان يوفقنى الله وما التوفيق الا به .

وعدل القول فى الشرف ان الناس لأب وأم خلقوا من تراب وأعيدوا الى التراب وجروا فى مجرى البول وطووا على الاقذار فهذا نسبهم الاعلى الذى يردع أهل العقول عن التعظيم والكبرياء ثم الى الله مرجعهم فتنقطع الانساب وتبطل الاحساب الا من كان حسبه تقوى الله وكانت ماتته طاعة الله .

وأما النسب الادنى الذى يقع فيه التفاضل بين الناس فى حكم الدنيا فان الله خلق آدم من قبضة جميع الارض وفى الارض السهل والحزن والاحمر والاسود والخبيث والطيب يقول الله عز وجل : (والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا) فجرت طبائع الارض فى ولده فكان ذلك سببا لاختلاف غرائزهم فمنهم الشجاع والجبان والبخيل والجواد والحيى والوقاح والحليم والعجول والدمث والعبوس والشكور والكفور وسببا لاختلاف ألوانهم وهيا آتهم فمنهم الابيض والاسود والاسمر والاحمر والاقشر والوسيم والخفيف على القلوب والثقيل والمحبب الى الناس من غير احسان والمبغض اليهم من غير ذنوب وسببا لاختلاف الشهوات والارادات فمنهم من يميل به الطبع الى العلم ومن يميل به الى المال ومن يميل به الى اللهو ومن يميل به الى النساء ومن يميل به الى الفروسية .
ثم يختلفون أيضا فى ذلك فمنهم من يسرع الى فهمه الفقه ويبطئ عنه الحساب ومنهم من يعلق بفهمه الطب وينبو عنه النجوم ومنهم من يتيسر له الدقيق الخفى ويعتاص عليه الواضح الجلى ومنهم من يتعلم فنا من العلم فيرسخ فى قلبه رسوخ النقر فى الحجر ويتعلم ما هو أخف منه فيدرس دروس الرقم على الماء ومن طلبة المال من يطلبه بالتجارة ومن يطلبه بالجراية ومن يطلبه بالسلطان ومن يطلبه بالكيمياء فيتلف با طمع الكاذب والتماس المحال أثلة المال ومن طلبة النساء من يريد المهفهفة ومن يريد الضناك ومن يريد الغرة الصغيرة ومن يريد النصف الوثيرة وأعجب من هذا من ربما حبب اليه العجوز قال الشاعر :

عجوز عليها كبرة وملاحة * أقاتلتى يا للرجال عجوز
عجوز لو ان الماء ملك يمينها * لما تركتنا بالمياه نجوز

ومن لؤم الغرائز ان من الناس من يحب الذم كما يحب غيره المدح ويرتاح للهجاء

كما يرتاح غيره للثناء ومنهم من يغرى بذم قومه وسب نفسه وآبائه وشتم عشيرته منهم عميرة ابن جعيل التغلبى وهو القائل :

كسا الله حى تغلب ابنة وائل ☼ من اللؤم اصغارا بطيأ نصولها

ومنهم الحرمازى (١) وهو القائل :

ان بنى الحرماز قوم فيهم ☼ عجز وتسليط على أخيهم

فابعث عليهم شاعرا يخزيهم ☼ يعلم منهم مثل علمى فيهم

ومنهم الفحيف وهو القائل فى امه :

ياليتما أمنا شالت نعامتها ☼ ايما الى جنة ايما الى نار

ليست بشبعى ولو أسكنتها هجرا ☼ ولا بريا ولو حلت بذى قار

تلهم الوسق مشدودا أشظته ☼ كأنما وجهها قد طلى بالقار

خرقاء فى الخير لاتهدى لوجهته ☼ وهى صناع الاذى فى الاهل والجار

ومنهم الحطيئة هجا أباه وأمه ونفسه فقال فى أمه :

تنحى فاقعدى منى بعيدا ☼ أراح الله منك العالمينا

ألم أوضح لك البغضاء منى ☼ ولكن لا أخالك تعقلينا

أغربالا اذا استودعت سرا ☼ وكانونا على المتحدثينا

وقال لابيه :

لحاك الله ثم لحاك حقا ☼ أبا ولحاك من عم وخال

فبئس الشيخ أنت على المخازى ☼ وبئس الشيخ أنت لدى المعالى

جمعت اللؤم لاحياك ربى ☼ وأبواب السفاهة والضلال

وقال لنفسه :

أبت شفتاى اليوم الا تكلما ☼ بشر فما أدرى لمن أنا قائله

أرى لى وجها شوه الله خلقه ☼ فقبح من وجه وقبح حامله

وأتى عيينة بن النهاس العجلى مادحا فقال عيينة لوكيله : اذهب معه الى السوق فلا يشيرن الى شئ ولا يساومن به الا اشتريته له فلما انصرف عنه قال :

---

(١) يقال له الكذاب الحرمازى واسمه عبد الله بن الاعور وقيل له الكذاب لكذبه اهـ من طبقات الشعراء للمؤلف

سئلت

سئلت فلم تبخل ولم تعط طائلا * فسيان لا ذم عليك ولا حمد

ومن لؤم الغرائز أيضا فى الناس ان منهم من يؤثر ريح الكرابيس على ريح اليلنجوج وريح الحشوش على نفحات الورد ، ويهتاج من النساء لذات القبح والدفر ، ويكسل عن الحسناء ذات العطر ، ومنها ان الرجل يكون فى رخاء بعد بؤس وسعة بعد ضيق فيسأم ماهو فيه ويرغب عنه الى ما كان عليه ، وقال اعرابى قدم المصر فحسنت حاله :

أقول بالمصر لما ساءنى شبعى * الا سبيل الى أرض بها جوع

الا سبيل الى أرض بها غرث * جوع يصدع منه الراس برقوع

وهذا وأشباهه من لئيم الغرائز كثير فى الامم وهذه الطبائع هى أسباب الشرف وأسباب الخمول فذو الهمة تسمو به نفسه الى معالى الامور وترغب به عن الشائنات فيخاطر فى طلب العظيم بعظيمته ، ويستخف فى ابتغاء المكارم بكريمته ، ويركب الهول ويدرع الليل ، ويحط الى الحضيض ، وتأبى نفسه الاعلوا حتى يسعد بهمته ، ويظفر ببغيته ، ويحوز الشرف لنفسه وذريته ، ومن لا همة له جثامة لبد يغتنم الا كلة ويرضى بالدون ويستطيب الدعة وان أعدم لم يأنف من ذل السؤال والجبان يفر عن أمه وأبيه وصاحبته وبنيه والشجاع يحمى من لا يناسبه بسيفه ويقى الجار والرفيق بمحبته والبخيل يبخل على نفسه بالقليل والجواد يجود لمن لا يعرفه بالجزيل وقال الله عز وجل (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) يريد قد أفلح من أعلى نفسه بالمعروف وأعلاها وقد خاب من أسقطها بلئيم الاخلاق وأخفاها وقد يكون الرجل مخالفا لابيه فى الاخلاق وفى الشمائل أو فى الهمم أو فى جميع ذلك لعرق نزعه من قبل أجداده لابيه وأمه وقال الشاعر :

وأشبهت جدك شر الجدود * والعرق يسرى الى النائم

ومن الناس الشريف الحسيب وذلك الذى جمع الى محاسن آبائه محاسن نفسه ومنهم الشريف ولا حسب له وذلك اذا كان لئيم النفس ومنهم من لا شرف له ولا حسب وذلك اذا كان لئيم النفس لئيم السلف

وقال قيس بن ساعدة : لاقضين بين العرب قضية ماقضى بها أحد قبلى ولا يردها أحد بعدى (أيما رجل رمى رجلا بملأمة دونها كرم فلا لوم عليه وأيما رجل ادعى كرما دونه لؤم فلا كرم له) يعنى ان أولى الامور بالمرء خصاله فى نفسه فان كان شريفا فى نفسه وآباؤه لئام لم يضره ذلك وكان الشرف أولى به وان كان لئيما فى نفسه وآباؤه كرام لم ينفعه ذلك

ومثله قول عائشة : كل شرف دونه لؤم فاللؤم أولى به وكل لؤم دونه شرف فالشرف أولى به : وقال الشاعر فى مثله :

ومن يك ذا لؤم ومجد يعده ✽ فاولى به من ذاك ما كان أقربا
فلا لؤم عودا بعد مجد يهده ✽ ولا مجد معدودا اذا اللؤم عقبا

والحسب مأخوذ من قولك حسبت الشئ أحسبه حسبا اذا عددته وكان الرجل الشريف يحسب ما ثر آبائه ويعدهم رجلا رجلا فيقال لفلان حسب أى آباء يعدون وفضائل تحسب فالمصدر مسكن والاسم مفتوح كما تقول هدمت الحائط هدما فتسكن المصدر وتقول لما سقط الى الارض هدم فتفتح الدال من الاسم وكذلك الامم فيها أمة كرم بلبانها كالعرب فانها لم تزل فى الجاهلية تتواصى بالحلم والحياء والتذمم وتتعاير بالبخل والغدر والسفه وتتنزه من الدناءة والمذمة وتتدرب بالنجدة والصبر والبسالة وتوجب للجار من حفظ الجوار ورعاية الحق فوق ماتوجبه للحميم والشفيق فربما بذل أحدهم نفسه دون جاره ووقى ماله بماله وقتل حميمه . منهم كعب بن مامة وكان اذا جاوره جار فمات بعض لحمته وداه واذا مات له بعير أو شاة أعطاه مكان ذلك مثله . ومنهم عمير بن سلمى الحنفى أحد أوفياء العرب وكان له جار فخالفه أخوه قرين الى امرأته فاشتد الرجل فى حفظ امرأته فقتله وكان عمير غائبا فلما قدم وخبر بذلك دفع قرينا الى ولى المقتول فقتله واعتذر الى أمه وعظم جرمه فقالت :

تعد معاذر الاعذر فيها ✽ ومن يقتل أخاه فقد الاما

ومن أعجب أمر فى الجوار قصة أبى حنبل حارثة بن مر وكان الجراد سقط بقرب بيته فقصد الحى اصيده فلما رآهم قال : أين تريدون قالوا : نريد جارك هذا فقال : أى جيرانى قالوا : الجراد فقال : أما اذ جعلتموه لى جارا فوالله لا تصلون اليه ثم منع منه حتى انصرفوا ففخر بعضهم فقال :

لنا هضبة ولا معقل ✽ صعدنا اليه بصم الصعاد
ملكناه فى أوليات الزمان ✽ من بعد نوح ومن بعد عاد
ومنا ابن مر أبو حنبل ✽ أجار من الناس رجل الجراد
وزيد لنا ولنا حاتم ✽ غياث الورى فى السنين الشداد

وقال قيس بن عاصم يذكر قومه :

لا

لا يفطنون لعيب جارهم * وهم لحفظ جواره فطن

وقال مسكين الدارمى :

نارى ونار الجار واحدة * واليه قبلى تنزل القدر

ماضر جاراً لى يجاورنى * أن لا يكون لبابه ستر

وقال الحطيئة يعدد محاسن قومه :

أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنا * وان عاهدوا أوفوا وان عقدوا اشدوا

وان كانت النعماء فيهم جزوابها * وان أنعموا لا كدروها ولا كدوا

يسوسون أحلاما بعيدا أناتها * وان غضبوا جاء الحفيظة والجد

أقلوا عليهم لا أبا لابيكم * من اللوم أوسدوا المكان الذى سدوا

ولهم الضيافة عامة شاملة فى جميع البادين منهم والايثار على النفس والجود بالموجود وأفضل العطاء جهد المقل

وقال عثمان بن أبى العاص : لدرهم يخرجه أحدكم من جهد فيضعه فى حق خير من عشرة آلاف درهم يخرجها أحدنا غيضا من فيض : ولولا ماتواصوا به من الضيافة وتحاضوا عليه من الايثار لمات الخير وأبدع به دون غايته وقال ارطاة بن سهية :

ومادون ضيفى من تلاد تحوزه * الى النفس الا ان تصان الحلائل

وقال ابن أبى الزناد : قال عبد الملك بن مروان : مايسرنى ان أحدا من العرب ولدنى الا عروة بن الورد لقوله :

وانى امرؤ عافى انائى شركة * وأنت امرؤ عافى اناؤك واحد

أتهزأ منى ان سمنت وان ترى * بجسمى مس الحق والحق جاهد

أقسم جسمى فى جسوم كثيرة * وأحسو قراح الماء والماء بارد

يريد انه يقسم قوته على أضيافه فكانه قسم جسمه لان اللحم الذى ينبت ذلك الطعام يصير لغيره و يحسو قراح الماء فى الشتاء ووقت الجدب والضيق لانه يؤثر باللبن فتوقف على هذا الشعر وعلى مافيه من شريف المعانى

وقال آخر :

اذا ماعملت الزاد فالتمس له * أكيلا فانى غير آكله وحدى

بعيدا اقصيا أو قريبا فاننى * أخاف مذمات الاحاديث من بعدى

فكيف يسيغ المرء زادا وجاره * خفيف المعى بادى الخصاصة والجهد

ولعل الطاعن أن يقول فى هذا الموضوع: فاين هو من ذكر مزرد وحميد الارقط وهجائهما للاضياف وأين هو من مطاعمهما الخبيثة من الحيات والضباب واليرابيع والعلهز وشربهم الفظ والمجدوح وأكل مياسرهم لحوم الابل حنيذا غير نضيج ونيا والعروق والعلابى وسقط المائدة لا يعافون شيأ ولا يتقذرون أكل السباع ونهش الكلاب ويفخر عليهم باطعمة العجم وحلوائها وآدابها على الطعام وكلها باليارحين والسكين فاما هذان الشاعران اللذان يهجوان الاضياف ويصفانهم بكثرة الاكل وجودة اللقم فان أحدهما كان فقيرا ضعيف الحال فاذا نزل به الضيف لم يجد بدا من ايثاره بقليل ما عنده أو مشاركته فيه فيبيت طاويا ويصبح جائعا ويجيش صدره بما حل به والشاعر بمنزلة المصدور لا بد له من أن ينفث فيستريح الى ذكر لقم الضيف ووصف أكله وحديثه قال هو أو غيره يذكر الضيف :

تجهز كفاه ويحدر حلقه * الى الزور ما ضمت اليه الانامل

يقول وقد ألقى المراسى للقرى * ابن لى ما الحجاج بالناس فاعل

فقلت له ما ان لهذا طرقتنا * فكل ودع الاخبار ما أنت آكل

أتانا ولم يعدله سحبان وائل * بيانا وعلما بالذى هو قائل

وقال أيضا يذكر الاضياف :

باتوا وجلتنا الشهريز بينهم * كأن أظفارهم فيها السكاكين

فاصبحوا والنوى عالى معرسهم * وليس كل النوى يلقى المساكين

أراد من الاضياف من يأكل التمر بالنوى وهذا يدل على شدة فقره • وأما مزرد فكان شرها منهوما والشره رفيق البخل وهو القائل :

لبكت بصاعتى صاع عجوة * الى صاع سمن فوقه يتريع

فقلت لبطنى ابشر اليوم انه * حوى أمنا مما تحوز وترفع

فان يك مصبورا فهذا دواؤه * وان يك غرثانا فذا يوم يشبع

وقال الحطيئة :

أعددت للضيفان كلبا ضاريا * عندى وفضل هراوة من ارزن

ومعاذرا كذبا ووجها باسرا * وتشكيا عض الزمان الالزن

وهذا

وهـذا شر القوم وليس من الناس صنف الا وفيه الخير والشر على ذلك أسست الدنيا وعليه درج الناس ولولا أحدهما ماعرف الآخر وانما يقضى باغلب الامور ويحكمون باشهر الاخلاق . وليس فى ثلاثة من الشعراء أو أربعة ماهدر مكارم أخلاق آلاف من الناس وبدد صنائعهم . فهذا كعب بن مامة آثر بنصيبه من الماء رفيقه النمرى حتى مات عطشا . وهـذا حاتم الطائى قسم ماله بضع عشرة مرة ومر فى سفره على عنزة وفيهم أسير فاستغاث به ولم يحضره شئ فاشتراه من العنز بين خلاه وأقام مكانه فى القد حتى أدى فداءه . وكل فخر فى طى فهو راجع الى نزار وهم الجبلان وهما بنجد وأخذهم بآدابهم وتخلقهم باخلاقهم . وهـذا عدى شاطر ابن دارة الشاعر ماله . وهذا معن فى الاسلام كان يقال فيه حدث عن البحر ولا حرج وعن معن ولا حرج . وأتاه رجل يستحمله فقال : ياغلام أعطه فرسا وبرذونا وبغلا وعيرا وبعيرا وجارية ولو عرفت مركوبا غير هـذا لاعطيتكه . وهـذا نهيك بن مالك بن معاوية باع ابله وانطلق باثمانها الى منى فانهبها والناس يقولون مجنون فقال :

لست بمجنون ولكنى سمح ✻ أنهبكم مالى اذا عز القمح

وهـذا شئ يكثر جدا ويتسع القول فيـه ويخرج الكتاب من فنـه باستقصائه وكان غرضنا فى هـذا الكتاب أن ننبه بالقليل من كل شئ فى عيون الاخبار . وأما تعييرهم اياهم بخبيث المطعم كالعلهز والحيات وخبيث المشرب كالفظ والمجدوح فان هـذا وأشباهه طعام المجاوع والضرورات وطعام نازلة الفقر والفلوات وقال الشاعر :

اذا السنة الشهباء حل حرامها

يريد انهم يأكلون فيها الميتة وقال الراعى :

الى ضوء نار يشتوى القد أهلها ✻ وقد يكرم الاضياف والقد يشتوى

وانما كان يكون هذا عيبا لو كانت العرب مختارة له فى حالة اليسر كما تختار بعض العجم الذباب وبهم عنه غنى والسراطين والدجاج لهم معرضـة فاما حال الضرورة فالناس كلهم يعسرون فمن لم يجد اللحم أكل اليربوع والضب ومن لم يجد الماء شرب المجدوح والفظ قال الاصمعى : أغـير على ابل حريثة فذهب فركب بحيرة فقيل أتركب الحرام فقال : يركب الحرام من لا حلال له وقال الشاعر :

ياليت لى نعلين من جلد الضبع ✻ كل الحذاء يحتذى الحافى الوقع

ومما يدلك على ان أهل الثروة منهم على خلاف ماعليه الصعاليك والغثر قول الشاعر :

فما لحم الغراب لنا بزاد * ولا سرطان انهار البريض

فانتفى من أكل لحوم الغربان وعير بها قوما

وقال آخر لامرأته :

أكات دما ان لم أرعك بضرة * بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

فلو كان شرب المجدوح عنده محمودا لم يجعل يمينه شرب الدم كما يقول القائل شركت بالله ان لم أفعل كذا وكذا

وقال آخر :

نعاف وان كانت خماصا بطوننا * لباب النقي والعجاب المجردا

يريد انه يرغب وان كان جائعا عن أكل الخبز بالتمر الى أكله بالشحم ونزل رجل من العرب فقدم اليه جراد فعافها وأنشأ يقول :

لحى الله بيتا ضمني بعد هجعة * اليه دجوجي من الليل مظلم

فابصرت شيخا قاعدا بفنائه * هو العير الا انه يتكلم

أتاني ببيرقان الدبا في انائه * ولم يك في برق الدبا لي مطعم

فقلت له غيب اناءك واعتزل * فهل ذاق هذا الا أبالك مسلم

وأما أكلهم العلابي والعروق واللحم النيء وتركهم طيبة الاطعمة والاطبخة وحسن الادب عند الاكل فهذا العمري هو الاغلب على من الاغلب عليه الفقر فاما ذوو النعمة واليسار والاقدار فقد كانوا يعرفون أطايب الطعام ويأكلونها ويأخذون باحسن الادب عليها

فالمضيرة لهم واسمها يدلك على ذلك تطبخ باللبن الماضر وهو الحامض فاشتق اسمها منه

والهريسة لهم سميت بذلك لانها تهرس أي تدق ويقال للمدق المهراس

والوشيقة لهم والعامة تسميها العشيقة سميت بذلك لانها توشق أي تقطع صغارا

والعصيدة لهم سميت بذلك لانها تعصد اذا عملت أي تلوى وكل شيء ألويته فقد عصدته ومنه قيل للمائل عنقه عاصد وقال مزرد :

لبكت بصاعي حنطة صاع عجوة * الى صاع سمن فوقه يتريع

وهذا هو العصيدة وقال أمية بن أبي الصلت في عبد الله بن جدعان :

له داع بمكة مشعل * وآخر فوق دارته ينادى
الى روح من الشيزى ملاء * لباب البر يلبك بالشهاد

وهذا هو الفالوذ وهم أوصف الناس للطعام وألطفهم فى ذكره . حدثنى أبو حاتم قال : حدثنى الاصمعى قال : حدثنا أبو طفيلة قال : حدثنا شيخ من أهل البادية قال : ضفنا فلانا بحنطة كأنها مناقير النغران وتمر كأنها أعناق الورلان يوحل فيها الضرس

وحدثنا الاصمعى أيضا عن اعرابى انه قال : تمرنا خرس فطس يغيب فيه الضرس كأن نواهن ألسن الطير تضع التمرة فى فيك فتجد حلاوتها فى كعبك

وحدثنى عبد الرحمن عن عمه قال : قال شيخ من أهل المدينة : فأتانى بمرقة كان فيها مشقا فلم أر الا كبدا طافية فغمست يدى فوجدت مضغة فمددتها فامتدت حتى كأنى أزمر فى ناى . ولهم أطبخة كثيرة ومن أطبختهم الغسانية وهى لا تعرفها عامتنا كالحيسة والربيكة والخزيرة واللفيتة تركت ذكرها واقتصرت على ما تعرف وكانوا يقولون : أطيب اللحم عوذه : يريدون أطيبه ماولى العظم كأنه عاذ به . وكانوا يقولون اذا أكلتم فسموا وادنوا يريدون بادنوا كلوا مما بين أيديكم وكانوا يكرهون أكل الدماغ ويرون استخراجه رغبا وحرصا وقال قائلهم :

ولا يتقى المخ الذى فى الجماجم

ومن قبائل العرب من يعاف ألية الشاة ويقولون هى طبق الاست وقال قائلهم :

وللموت خير من زيارة باخل * يلاحظ أطراف الاكيل على عمد

وكانوا يمدحون بقلة الاكل وقال أعشى باهلة :

تكفيه حزة فلذ ان ألم بها * من الشواء ويروى شربة الغمر

ويعيبون بالشره والنهم والكسل ويقول للبخيل الاكول ابرما قرونا يريد انه لا يخرج مع أصحابه شيأ ويأكل تمرتين وأهل البرم الذى لا يسير مع القوم وقال بعض الرجاز :

تسألنا عن بعلها أى فتى * خب جبان واذا جاع بكى
لا حطب القوم ولا القوم سقى * ولا ركاب القوم ان ضلت بغى
ويأكل التمر ولا يلقى النوى * ولا يوارى فرجه اذا اصطلى
كأنه غرارة ملأى حثا

وقال الاحنف : جنبوا مجالسنا ذكر النساء والطعام فانى أبغض أن يكون الرجل وصافا لبطنه وفرجه

وان من المروءة أن يترك الرجل الطعام وهو يشتهيه وقال قائلهم : اقلل طعاما تحمد مناما ، وقال أيضا : غلبت بطنتي فطنتي

وقال عمرو بن العاص لمعاوية يوم حكم الحكمان : أكثروا الطعام فوالله ما بطن قوم الا فقدوا بعض عقولهم . وما مضت عزمة رجل بات بطينا

ومثل هذا كثير لمن تتبعه فكيف تكون المعرفة بالطعام والادب عليه الا كما وصفنا

فاما تركهم انضاج اللحم فلا أعلمه الا فى موضع واحد وهو اذا سافروا وغزوا فانهم يتمدحون بترك الانضاج لعجلة الزماع وقال الشماخ :

وأشعث قد قد السفار قميصه * يجز الشواء بالعصا غير منضج

وقال الكميت :

ومرضوفة لم تون فى الطبخ طاهيا * عجلت الى محورها حين غرغرا

ولم يزل الشرب اذا اجتمعوا الاحداث من أولاد الملوك وغيرهم يبادرون بالتشييل قبل النضج

قال اعرابى نحر بعيره وشرب :

عللانى انما الدنيا علل * ودعانى من ملام وعذل

وانشلا ما اغبر من قدريكما * واسقيانى أبعد الله الجمل

وأما أكلهم سقط المائدة فانه اكرام للطعام واعظام للنعمة وجنس من الشكر لواهبها ونبذه فى المزابل استخفاف به وتصغير له وبخس بمؤتيه حق عطيته ، ومن وهب لك شيأ صنته وعظمته سمحت لك نفسه بالزيادة منه ، وان احتقرته وازدريته كان حريا ان يقطعه والطعام أعظم نعم الله على خلقه بعد معرفته لانه مثبت الروح وممسك الرمق فمن صانه فقد عظم نعمة الله واستوجب زيادة الله ومن امتهنه فى غير ما خلق له فقد صغرها واستوجب سخط الله

حدثنا يزيد بن عمرو قال : حدثنا أيوب بن سليمان عن محمد بن زياد عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال : ولا أعلمه الا عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : اكرموا الخبز

الخبز فان الله سخر له السموات والارض وقد أمرنا صلى الله عليه وسلم با كل سقط المائدة ورغبنا فيه

والعجب عندي من قوم نحلتهم الاسلام ونبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ثم تتابعت الاخبار عنه بشيء أمر به أو نهى عنه فيعارضون ذلك بالعيب و بالطعن من غير ان يعرفوا العلة ولا ان يكون لهم في الانكار له نفع أو عليهم في الاقرار به ضرر

وأما أكلهم بالبارحين والسكين فمفسد للطعام ناقص للذته والناس يعلمون الا من عاند منهم وقال بخلاف ما تعرفه نفسه ان أطيب المأكول ما باشرته كف آكله ولذلك خلقت الكف للبطش والتناول والتقذر من اليد المطهرة ضعف وعجب وأولى بالتقذر من اليد الريق والبلغم والنخاع الذي لا يسوغ الطعام الا به وكف الطباخ والخباز تباشره والانسان ربما كان منه أقل تقذرا وأشد أنسا

وأما الشجاعة فان العرب في الجاهلية أعز الامم أنفسا وأعزها حريما وأحماها أنوفا وأخشنها جانبا وكانت تغير في جنبات فارس وتطرقها حتى تحتاج الملوك الى مداراتها وأخذ الرهن منها والعجم تفخر باساورة فارس ومرازبتها وقد كان لعمري لهم البأس والنجدة غير ان بين العرب و بينها في ذلك فرقا منه ان العجم كانت أكثر أموالا وأجود سلاحا وأحصن بيتا وأشد اجتماعا وكانت تحارب برياسة ملك وسياسة سلطان وهذه أمور تقوى المنة وتشد الاركان وتؤيد القلوب وتثبت الاقدام والعرب يومئذ منقطعة ليس لها نظام ومتفرقة ليس لها التئام وأكثرها يحارب راجلا بالسيف الكليل والرمح الذليل والفارس منها يحارب على الفرس العربي الذي لا سرج له وعلى السرج الرث الذي لا ركاب له والاغلب على قتال العجم الرمي والاغلب على قتال العرب السيف والرمح وهما أدخل في الجد وأبعد من الفرار وأدل على الصبر

وشجعاؤهم في الجاهلية مثل عتيبة بن الحارث بن شهاب صياد الفوارس و بسطام بن قيس و بجير وعفاف ابني أبي مليل وعامر بن الطفيل وعمرو بن ود وأشباههم وفي الاسلام مثل الزبير وعلي وطلحة ورجال من الانصار وعبد الله بن حازم السلمي وعباد بن الحصين وقال : ماظننت ان أحدا يعدل بالف فارس حتى رأيت عباد الليلة كابل وقطري بن الفجاءة وشبيب الحروري وأمثال هؤلاء عدد الرمل والحصى ليس منهم أحد اذا أنت توقفت على

أخباره وحاله فى شجاعته الا وجدته فوق كل أسوار والرجليون للعرب خاصة

قال ابو عبيدة : رجليو العرب المشهورون المنتشر بن وهب الباهلى وسليك بن عمير السعدى وأوفى بن مطر المازنى وكان الرجل منهم يلحق بالظبى حتى يأخذ بقرنيه واذا كان زمان الربيع جعلوا الماء فى بيض نعام مثقوب ثم دفنوه فاذا كان الصيف وانقطع الغزو غزوا وهم أهدى من القطا فيأتون على ذلك البيض ويستثيرونه ويشربونه

وحدثنى أبو حاتم قال : حدثنى الاصمعى ان السليك كان يعدو فتقع سهامه من كنانته بالارض فترتز وكان يقول فى دعائه اللهم : انى أعوذ بك من الخيبة وأما الهيبة فلا هيبة

وقرأت فى كتب العجم ان بهرام جور كان فى حجر ملك العرب بالبادية فلما بلغه هلاك أبيه وان الفرس عزموا على ان يملكوا غيره سار بالعرب حتى نزل السواد وطالبهم بالملك وجادلهم عنه حتى اعترفوا له بالحق وملكوه

وقد كان كسرى أغزى بنى شيبان جيشا فاقتتلوا بذى قار فهزمت بنو شيبان أساورة كسرى فهو يوم ذى قار ثم كان من أمر العرب وأمر فارس حين جمعهم الله لقتالهم بالامام وساسهم بالتدبير ما لا حاجة بنا الى الاطالة بذكره لشهرته

ومما يدلك على تعزز القوم فى جاهليتهم وأنفتهم وشدة حميتهم ان ابرويز ملك فارس وأشدها سطوة وانخانا فى البلاد خطب الى النعمان بن المنذر احدى بناته فرده رغبة بها عنه ولم يزل هاربا منه حتى ظفر به فقتله

وكان لقريش بيت الله الحرام العتيق من الجبابرة المنصور بالطير الابابيل لم يزالوا ولاته وسدنته والقائمين لاموره والمعظمين لشعاره وكان يقال لهم أهل الله وجيران الله لنزولهم الحرم وجوارهم البيت وكان فيهم بقايا من الحنيفية يتوارثونها عن اسمعيل صلى الله عليه وسلم منها حج البيت الحرام وزيارته والختان والغسل والطلاق والعتق وتحريم ذوات المحارم بالقرابة والرضاع والصهر

وقد كان حاجب بن زرارة وفد على كسرى فرأى العجم ينكحون الاخوات والبنات فسولت له نفسه التأسى بهم والدخول فى ملتهم فنكح ابنته ثم ندم على ذلك فقال :

لحا الله دينك من أغلف * يحل الخوات لنا والبنات

أجشت على أسرتى سوءة * وطوقت جيدى بالمخزيات

وابقيت

وأبقيت فى عنق سبة * مشاتم يحيين بعد الممات
فتاة تجللها شيخها * فبئس الشيخ ونعم الفتاة

ومما كان بقى فيهم من الحنيفية إيمانهم بالملكين الكاتبين حدثنى بعض أصحابنا عن عبد الرحمن بن خالد الناقد قال : كان الحسن بن جهور مولى المنصور خرّج الى بعض ولد سليمان بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب كتابا كان لعبد المطلب بن هاشم كتبه بخطه فاذا هو مثل خط النساء واذا هو باسمك اللهم ذكر حق عبد المطلب بن هاشم من أهل مكة على فلان بن فلان الحيرى من أهل زول صنعاء عليه ألف درهم فضة طيبة كيلا بالحديدة ومتى دعاه بها أجابه شهد الله بذلك والملكان : وقال الأعشى :

ولا تحسبنى كافر الك نعمة * على شاهدى ياشاهد الله فاشهد

قوله على شاهدى أى على لسانى شاهد الله يعنى الملك

ومن ذلك أحكام كانت فى الجاهلية أقرها الله فى الاسلام لا يبعد أن تكون من بقايا دين اسمعيل صلى الله عليه وسلم منها دية النفس مائة من الابل ومنها اتباع حكم المبال فى الخنثى ومنها البينونة بطلاق الثلاثة وللزوج على المرأة فى الواحدة والاثنتين فهذه حالها فى الجاهلية مع أحوال كثيرة فى العلم والمعرفة سنذكرها بتمامها بعد ان شاء الله ثم أتى الله بالاسلام فابتعث منها النبى صلى الله عليه وسلم سيد الانبياء وخاتم الرسل وناسخ كل شرعة وحائز كل فضيلة ونشر عددها وجمع كلمتها وأمدها بملائكته وأيدها بقوته ومكن لها فى البلاد وأوطأها رقاب الامم وجعل فيها خلافة النبوة ثم الامامة خالدة تالدة حتى يأتى المسيح صلى الله عليه وسلم فيصلى خلف الامام منها فاردة لا يستطيع أحد أن يأتى بمثلها وخاطبها وهى يومئذ لا عجم فيها فقال (كنتم خير أمة أخرجت للناس) فلها فضل هذا الخطاب والامم طرّا داخلة عليها فيه وأما قوله لبنى اسرائيل : (وفضلتكم على العالمين) فانه من باب العام الذى أريد به الخاص كقوله حكاية عن ابراهيم (وأنا أول المسلمين) وحكاية عن موسى (وأنا أول المؤمنين) وقد كانت الانبياء قبلهما مؤمنين ومسلمين فانما أراد موسى زمانه وكذلك قوله (وفضلتكم على العالمين) يريد عالمى زمانهم وقوله لقريش : (أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم) ليس فيه دليل على ان أهل اليمن خير من قريش فى الحسب ولا انهم مثلهم وهم من ولد ابراهيم صلى الله عليه وسلم ومن الذرية التى اصطفى الله على العالمين

وليس لليمن والد من الانبياء دون نوح وانما خاطب الله بها مشركى قريش و وعظهم بمن قبلهم من الامم الهالكة لمعصيته وحذرهم أن ينزل بهم مثل ما أصابهم فقال (أهم خير) من أولئك الذين كانت فيهم التبابعة والملوك ذوى الجنود والعدد فاهلكناهم بالذنوب والخير قد يقع فى أسباب كثيرة يقال هذا خير الفارسين يريد أجلدهما وهذا خير العودين يريد أصلبهما وكانت قريش كما قال الله قليلا فكثرهم ومستضعفين فأيدهم بنصره وخائفين ان تتخطفهم الملوك فآمنهم بحرمه بمارهمه لهم وأراد من تمكينهم واعلاء كلمتهم واظهار نورهم وتغييرهم ممالك الامم لهم ومن ذا من المسلمين يصح اسلامه و يصح عقده يقدم على قريش أو يعادل بها وقد قضى الله لها بالفضل على جميع الخليقة اذ جعل الائمة منها والامامة فيها مقصورة عليها أن لا تكون لغيرها والامامة هى التقدم وهذا نص ليس فيه حيلة لمتأول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الائمة من قريش) وروى وكيع عن الاعمش عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الناس تبع لقريش فى الخير والشر وروى وكيع عن سفيان عن ابن خثيم عن اسمعيل عن عبد الله عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان قريشا أهل صبر وأمانة ومن بغاهم الغوائل كبه الله لوجهه يوم القيامة وروى عن عبد الاعلى عن معمر عن الزهرى عن سهل بن أبى حثمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : تعلموا من قريش ولا تعلموها وقدموا قريشا ولا تؤخروها وروى يزيد بن هرون عن ابن أبى ذئب عن الزهرى عن طلحة بن عبد الله بن عوف عن عبد الرحمن عن جبير بن مطعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان للقرشى قوة رجلين من غير قريش قيل للزهرى ما عنى بذلك قال : فضل الرأى قال : و كان يقال قريش الكتيبة الحسبة ملح هذه الامة علم عالمها طباق الارض

وحدثنى يزيد بن عمرو عن محمد بن يوسف عن أبيه عن ابراهيم عن مكحول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يقومن أحد الا هاشمى

وحدثنى يزيد بن عمرو قال : حدثنا نصر بن خلف الضبى قال : حدثنا على بن عبد الله بن وثاب المدنى عن مطرف بن خويلد الهذلى قال : سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا وهو يقول :

انى

اني امرؤ حميري حين تنسبني * لا من ربيعة آبائي ولا مضر

فقال : ذاك أصرع لخدك وأبعد لك من الله ورسوله

وحدثنا محمد بن عبيد قال : حدثنا أبو زيد شجاع بن الوليد قال : حدثنا أبو قابوس ابن أبي ظبيان عن أبيه عن سلمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياسلمان لا تبغضني فتفارق دينك قال : قلت يارسول الله كيف أبغضك وبك هداني الله قال : لا تبغض العرب فتبغضني

وروى محمد بن بشر العبدي قال : حدثنا أبو عبد الرحمن عن حصن بن عمير عن مخارق ابن عبد الله بن جابر عن طارق بن شهاب عن عثمان بن عفان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تنله مودتي

وروى حميد بن عبد الرحمن عن عبد الله بن المؤمل عن عطاء عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا اختلف الناس فالحق في مضر

وروى أبو نعيم عن الثوري عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحرث عن المطلب ابن أبي وداعة والمطلب بن ربيعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه وجعلهم فرقا فجعلني في خيرهم فرقة وخلق قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة وجعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا

ثم يتلو العرب في شرف الطرفين أهل خراسان أهل الدعوة وأنصار الدولة فانهم لم يزالوا في أكثر ملك العجم لقاحا لا يؤدون الى أحد أتاوة ولا خراجا وكانت ملوك العجم قبل ملوك الطوائف تنزل بلخ . ثم نزلوا بابل ثم نزل ازدشير بابك فارس فصارت دار ملكهم وصار بخراسان ملوك الهياطلة وهم الذين قتلوا فيروز بن يزدجرد بن بهرام ملك فارس وكان غزاهم فكادوه في طريقه بمكيدة حتى سلك سبيلا معطشة مهلكة ثم خرجوا اليه فاسروه وأكثر أصحابه فسألهم أن يمنوا عليه وعلى من أسر معه وأعطاهم موثقا من الله أن لا يغزوهم ولا يجوز حدودهم ونصب حجرا بينه وبين بلادهم جعله الحد الذي حلف عليه وأطلقوه فلما عاد الى مملكته أخذته الانفة والحمية بما أصابه فعاد لغزوهم ناكثا لأيمانه غادرا بذمته وحمل الحجر الذي كان نصب أمامه في مسيره يتأول انه ما تقدم الحجر فانه لم يجزه فلما سار اليهم ناشدوه الله واذكروه ما جعل على نفسه من عهده وذمته فابى الا لجاجا ونكثا فواقعوه فقتلوه

وقتلوا حماته وكماته واستباحوا عسكره وأسروا ضعفته ولبثوا فى أيديهم أسرى ثم أعتقوهم وأطلقوهم وغبروا بعد ذلك زمانا طويلا وقتلوا كسرى ابن فيروز وهذا شئ يخبر به عن فارس فيما دونوا فى سيرملوكهم من أخبارهم ومن أقر بهذا على نفسه لعدوه وأباحه لخصمه فما ظنك بما استر وزين من أمره

وكان فيما حكوا من الكلام الدائر بين ملك الهياطلة وبين فيروز كلام أحببت أن أذكره فى هذا الموضع لأدل به على حكمة القوم وحزمهم فى الامور وعلمهم بمكايد الحروب قالوا : لما التقى الفريقان ثم تصافوا للقتال أرسل اخشنوار ملك الهياطلة الى فيروز ان يسأله ان يبرز فيما بين الصفين ليكلمه فخرج اليه فقال اخشنوار : قد ظننت أنه لم يدعك الى مقامك هذا الا الانف مما أصابك ولعمرى لئن كنا احتلنا لك بما رأيت لقد كنت التمست منا أعظم منه وما ابتدأناك ببغى ولا ظلم ولا أردنا الا دفعك عن أنفسنا وحريمنا ولقد كنت جديرا ان تكون من سوء مكافأتنا على منك وعلى من معك ونقض العهد والميثاق الذى أكدت على نفسك أعظم أنفا وأشد امتعاضا مما نالك منا فانا أطلقناكم وأنتم أسارى ومننا عليكم وأنتم مشرفون على الهلكة وحقنا دماءكم وبنا على سفكها قدرة وانا لم نجبرك على ما شرطت لنا بل كنت الراغب الينا فيه والمريد لنا عليه ففكر فى ذلك ومثل بين هذين الامرين فانظر أيهما أشد عارا وأقبح سماعا ان طلب رجل أمرا فلم يتح له وسلك سبيلا فلم يظفر فيها ببغية واستمكن منه عدوه على حال جهد منه وضيقة ممن معه فمن عليهم وأطلقهم على شرط شرطوه وأمر اصطلحوا عليه فاصطبر لمكروه القضاء واستحيا من الغدر والنكث أم ان يقال نقض العهد وختر بالميثاق مع انى قد ظننت انه يزيدك لجاجة ما تثق به من كثرة جنودك وما تراه من حسن عدتهم وما أجدنى أشك فى انهم أو أكثرهم كارهون لما كان من شخوصك بهم عارفون بانك قد حملتهم على غير الحق ودعوتهم الى ما يسخط الله فهم فى حربنا غير مستبصرين ونياتهم اليوم فى مناصحتك مدخولة فانظر ما غناء من يقاتل على هذه الحالة وما عسى أن تبلغ نكايته فى عدوه اذا كان عارفا انه ان ظفر فمع عار وان قتل فالى النار

فأنا أذكرك الله الذى جعلته على نفسك كفيلا ونعمتى عليك وعلى من معك

بعد يأسكم من الحياة واشرافكم على الممات وادعوا الى ما فيه حظك ورشدك من الوفاء بالعهد والاقتداء بآبائك الذين مضوا على ذلك فى كل ما أحبوا أوكرهوا فاحمدوا عواقبه وحسن عليهم أثره ومع ذلك انك لست على ثقة من الظفر بنا والبلوغ لبغيتك فينا وانما تلتمس منا أمرا نلتمس منك مثله ونبادئ عدوا العله يمنح النصر عليك فدونك هذه النصيحة فبالله ما كان أحد من أصحابك ببالغ لك أكثر منها ولا زائد لك عليها ولا يحرمنك منفعتها مخرجها منى فانه لا يزرى بالمنافع عند ذوى الرأى أن تكون من الاعداء كما لا يحبب المضار اليهم أن تكون على أيدى الاولياء ونحن نستظهر بالله الذى اعتذرنا اليه وثقنا بما جعلت لنا من عهده اذا استظهرت بكثرة جنودك وازدهتك عدة أصحابك واعلم انه ليس يدعونى الى ما تسمع من مقالتى ضعف أحسه من نفسى ولا قلة من جنود ولكنى أحببت أن ازداد بك حجة واستظهارا وازداد به للنصر اهـ

رسالة رشيد الدين الوطواط

فيما جرى بينه و بين الامام الزمخشري من المحاورات
عني بنشرها أحمد بك تيمور

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب العلامة رشيد الدين محمد بن محمد بن عبد الجليل العمري المشهور بالوطواط الى الامام سديد الدين بن نصر الحاتمي :

طلبت مني زينك الله تعالى بأنوار المزايا . وحماك من كل حادثة ملمة ، وكل طارقة مهمة ، ولا أخلاك من فخر تجتلبه ، وجميل ذكر تكتسبه ، وجزيل أجر تحتسبه ، وأثر جهل تجتنبه . أن أهدي اليك ، وأملي عليك ، ما قال جار الله سقى الله ثراه في كتاب الكشاف في وجه انتصاب شهر رمضان وما قلته من الاعتراض على كلامه واستبعاد مدعاه عن مرامه مما جرى بيني و بين أعز أصحابه أفضل القضاة يعقوب الجندي من السؤال والجواب وها أنا مطبق فيما أقوله مفصل السداد والصواب وقد ذهب من عندي الى جار الله وأخبره بما قلت فانصف وانصت وأبدى خضوع الاستماع الصدق واتباع الحق وقال له :

ذكرني هذا الامر بعض أيام فراغي حتى أصلح من كتابي هذا الفصل وأغير هذا القول فانه غلط شنيع وخطأ فظيع الا أنه مرض في تلك المدة ونزلت به المنية ، وما حصلت تلك الامنية

وقد علم كل من شاهد أحوالي مع جار الله اني كنت عنده معظم القدر مفخم الامر مقبول الكلمات ، متبوع الاشارات ، لم يرمني كلمة في أي علم الا قيدها ببنانه ، وضبطها في جنانه ، وأثبتها في دفاتره ، وأحكمها في خواطره ، وعدها غنيمة من غنائم عمره ، وتميمة من تمائم نحره : وقد جرى بيني و بينه في حياته ، وأوقات راحاته ، مما يتعلق بفنون الادب ، وأقسام علوم العرب ، مسائل أكثر من أن يحصى عددها أو يستقصى أمدها رجع فيها الى كلامي ، ونزل على قضيتي وأحكامي ، فالسعيد من اذا سمع الحق سكنت شقاشق لجاجه ، وسكنت صواعق حجاجه

فنها مسئلة الظبي التي هي جمع ظبة فانه كتب بخطه انها من ذوات الياء وأصلها ظبية فقلت

فقلت انا : انهامن ذوات الواو وأصلهاظبوة فلماامتدت المناظرة ، واشتدت المذاكرة ، بعثت اليه كتاب الصحاح يصدق قولي فهجن الكتاب وقال انه محشو بالتحريفات ، مشحون بالتصحيفات . فبعثت اليه سر الصناعة لابن جنى فقال : هو رجل وأنا رجل فبعثت اليه كتاب العين فوضع للحق عنقه ، وسلك مناهج الانصاف وطرقه ، واسترد خطه ومزقه تمزيقا ، وخرقه تخريقا ، بمرأى ومسمع من صدر الأئمة ضياء الدين أدام الله اجلاله ، وزاد اقباله

ومنها مسألة كلا الرجلين اذ كتب فى حالة الجر والاضافة للمظهر بالالف فقلت الصواب ان يكتب بالياء وأيدت قولي بنص ابن درستويه فى كتابه الموسوم بكتاب الكتاب وجرى هذا بحضرة الامام الاجل زين المشايخ البقالى أدام الله سعادته . وحرس سيادته

ومنها مسألة نسر وفرقد فى تثنيتهما بغير ألف ولام فى شعرى فأنكره وقال : لا يجوز هذا فى الشعر ولا فى غيره فأريته ذلك فى شعر المعرى وأبى تمام فقال : أخطآ حتى أراه سلمان بيته ، وصدى صوته ، الامام فخر الاسلام المؤذنى ذلك فى شعر الاعشى فعند ذلك لانت خشونته ، وسهلت حزونته

ومنها مسألة الجمع بين الضرب المحذوف والضرب الصحيح فى شعر واحد من الطويل وقع له فى ديوانه فى قوله ،

جوار فريد العصر خير جوار * ودار فريد الدهر أكرم دار

ثم قال :

فلله من جار جد ناجواره * ولله من فرد ولله من دار

فضرب الاول محذوف وضرب الثانى صحيح ولا يجوز اجتماعهما فى هذا البحر باتفاق العروضيين فلما نبهته هذا على لسان تلميذه المحسن الطالقانى طاب ديوانه وغيره هكذا (ولله من نار وموقد نار) فاستقام وزنه

ومنها مسألة الحادى عشرة والثانية عشرة

ومنها مسألة التحية ومنها مسألة تجريد الامالة ومنها مسألة ادخال الوليد بن الوليد فى جملة الكفرة من أولاد الوليد بن المغيرة وسيأتى ذكره فى رسالته الى الحاتمى

ولو نقلت ما فى كنانتى من المكنونات ، ونثرت ما ادخرته فى خزائن المخزونات ، طال الكلام ، وكلت الاقلام ، وانما ذكرت هذا القدر اليسير ليعلم فتيان هذه الخطة

ان هذا الامام كان صبورا على مرارة الحق ، وحرارة الصدق ، مع انه رب هذه البضائع ، وصاحب هذه الوقائع .

فصل قوله قرأ أبي شهر رمضان بالنصب على تقدير صوموا أو على الابدال من أياما معدودات أو على انه مفعول أن تصوموا وأقول قولاه الاولان صحيحان لا مطعن فيهما وأما الثالث فموضع بحث اذ لا يجوز مثله البتة لانه لو كان كما زعم كان شهر رمضان تتمة لان تصوموا ولكان مجموعها في حكم مبتدأ واحد وصار تقديره صوم رمضان خير لكم وليس بجائز أن تجعل المبتدأ نصفين وتفصل بينهما وتدخل الخبر في وسطهما اما أن يكون خبرا لمبتدأ متأخرا عن المبتدأ وهو الاصل أو مقدما عليه بشرط التعريف وغيره من الشروط وهذا هو الفرع واما أن يكون واقعا بين شرط من المبتدأ فليس من كلام العرب كقول القائل لمن ينفعه اللحم : أن تأ كل اللحم خير لك صحيح وقوله : خير لك ان تأ كل اللحم صحيح فاما قوله أن تأ كل خير لك اللحم فغير صحيح وهذا قولي الذي استحسنه جار الله والله أعلم بكتابه ، واعرف باسرار خطابه

وقد كتبت هذه الرسالة فعليك بحفظها عن هؤلاء الذين لا يفهمون الدقائق ، ولا يعلمون الحقائق ، فاني حررتها لامثالك من ذوي الفهم والهداية ، وأشكالك من أولي العلم والدراية ، لا لهؤلاء الذين عميت أبصارهم و بصائرهم ، وصدئت أفكارهم وخواطرهم . فان رياض العلم لا تفتق للمجانين ، وحياض الرحمة لا تدفق للشياطين ، والسلام

منتخب من عهد ازدشير بن بابك الملك

في السياسة

عني بنشره أحمد بك تيمور منقولا عن نسخة كتبت سنة ٧١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

من ملك الملوك ازدشير بن بابك، الى من يخاف من الملوك

السلام عليكم ان من أخلاق الملوك الانفة والجراءة والبطر والعبث وكلما دامت سلامة الملك في ملكه قويت هذه الاخلاق عليه حتى يغلب عليه سكر الملك الذي هو أشد من سكر الخمر فيظن انه قد أمن من النكبات والعثرات فيبسط يده ولسانه بالقبيح فيفسد باعتماده جميع ما أصلحه الملوك قبله فتعود المملكة خرابا .

وأفضل الملوك الذي يتذكر في عزه الذل وفي أمنه الخوف وفي قدرته العجز فيجمع بين بهجة الملوك وحذر الرعية ولا خير الا في جمعهما فان رشاد الملك خير من خصب الزمان

الدين أساس الملك . والملك حارس الدين . فلا يقوم أحدهما الا بالآخر

اياكم أن تتهاونوا بمن يطلب الرئاسة باظهار الزهد والغضب للدين فما اجتمع الناس على رئيس في الدين الا انتزع ما في يد الملك من ملكه فان الناس الى رئيس الدين أميل .

فتعهدوا طبقات الناس وتفقدوا اجاعاتهم فان فيهم من قد حقرتم وجفوتم

واذا أذن الملك للعقلاء من مناصحي دولته في انهاء ما يتجدد عندهم من النصائح التي لا يعلمها خواصه أو يعلمونها ويكتمونها انفتحت له أبواب من الاخبار المحجوبة عنه فيحذر وزراؤه وخواصه من الاتفاق على ما يسترونه عنه ولا يقدمون على أمر يكرهه خوفا من أن يطالع به فيأمن مكايدهم وتسلم الرعية من ظلمهم

ومن غلبت عليه خواصه حتى منعوا عنه الناس فلا يصل اليه الا من يحبون أطبقت ظلم الجهالة عليه

ولا ينبغي للملك أن يعتقد ان تعظيم الناس له هو بترك كلامه ولا ان اجلالهم له هو

بالتباعد عنه ولان محبتهم هي بموافقته على جميع مايحبه وانما تعظيمهم له بتعظيم عقله وصواب سياسته واجلالهم له اجلال منزلته من الله بما يجريه على يده ولسانه من العدل ومحبتهم له بما يتألفهم بكريم خلقه وصادق المحبة هو الذي يعينه على العدل وحسن التدبير بمحض النصيحة

ان في الرعية وحملة السلاح من الاهواء الغالبة والفجور مالا بد للملك معه من أن يقرن بباب الرأفة باب الغلظة وباب الانعام بباب الانتقام فان القصاص من المفسدين حياة لبقية الامة . ومن لم يقم حدود الله تعالى فيمن له فيه هوى لم تثبت هيبته في قلوب الخاصة والعامة ولن يستطيع الملك أن يقوم العامة حتى يقوم الخاصة

وان من كان من الملوك قبلنا قد رتبوا الناس أربع طبقات فالامراء والجند صنف والعباد والفقهاء صنف والكتاب والحكماء صنف والتجار والفلاحون صنف فلم يمكنوا صنفا منها أن يدخل في الصنف الآخر لتتفرغ كل طبقة للقيام بما يلزمها

وليس أضر على الملك من رأس صار ذنبا أو يد مشغولة وجدت فراغا من شغلها

وخير الملوك من بعث العيون على نفسه ليعلم عيوبها فيكون أعلم بعيوب نفسه من غيره ثم يجتهد في مداواة عيب بعد عيب حتى لا يجد أحد فيه مطعنا فهذا الذي تمت سيادته

وان ابتهاج الملك المسدد الرأي القاهر لهواه بوفور عقله وشرف نفسه بارتفاعها من النقائص أعظم من سروره بملكه

ومن الرعية من يقارب الملك في مأكله وملبسه وشهوته وليس فيهم من يقدر كقدرته على اجتناء المحامد واصلاح الرعية بالعدل عليها وتأمين السبل وصيانة الحريم وكف أيدي الظالمين فاجتهدوا معشر الملوك في بسط العدل الذي لا تقدر عليه الرعية وتنافسوا في اقتناء الذكر الجميل

وليس للملك أن يبخل فانه لا يخاف الفقر واذا عرف بالبخل انقطع الرجاء من خيره فانسلت الايدي من طاعته ولا يجتهد أحد في خدمته وانحلت النيات عن مناصحته

ولا ينبغي له أن يغضب لان الغضب مع القدرة يوجب السرف في العقوبة ثم يعقب الندامة مع ما فيه من الطيش والخفة وقبح السمعة

ولا ينبغي له أن يلعب لان اللعب والعبث من أعمال الفراغ والفراغ من عمل السوقة وفي ذلك من ذهاب الوقار واسقاط الهيبة ما ينافي جلال السيادة

وليس

وليس له أن يحسد الاملوك الامم على حسن التدبير واصابة السياسة ومكارم الاخلاق ولا ينبغي له أن يجبن عند وجوب الاقدام فان الشجاعة عز وهي من أهم شروط الملك

زين الملك أن يحفظ نظام أوقاته المقدرة لاشغاله وركوبه وراحة بدنه فتكون معينة لاتختلف فان في اختلافها خفة وليس للملك أن يخف

وينبغي أن يكون حذره لمن بعد عنه أكثر من حذره لمن قرب منه وان يتقي بطانة السوء أشد من اتقائه لعامة السوء

ومن الناس صنف أظهروا الزهد في الجاه ولم يتقربوا بالخدمة وادعوا التواضع وهم قد أسروا التكبر واستدعوا الى أنفسهم الجاه بوعظ الملوك وقد ينفعهم ذلك عند المغفلين فيقربون منهم من حسن ظاهره وتلطف حتى اعتقد خواصهم تعظيمه وان كان ناقصا في عقله عبد الشهوات متهافتا على الرئاسة فان أسكته الملك قيل قد استقل الموعظة وان أطلق لسانه قال بوعظه بين الملأ ما أفسد حال الدولة فالرأي أن لا يهمل الملك أمر هذه الطائفة فانهم أعداء الدول وآفات قوية على الملوك

اعلموا انه لا بد لكم من سخطة على بعض أنصاركم ونصاحكم وأعوانكم ولا بد من رضى يحدث لكم عن بعض أعدائكم المعروفين بالغش لكم فاذا فعلتم ذلك فلا تنقبضوا عن المعروف بالنصيحة ولا تسترسلوا الى المعروف بالغش وقد خلفت عليكم رأيي اذ لم أقدر على تخليف بدني فاقضوا حقي بالتمسك بعهدي والسلام على أهل الموافقة ممن يأتي عليه هذا العهد من الامم .

كتاب الادب والمروءة

﷽

وبه نستعين قال صالح بن جناح * اعلم ان العرب قد تجعل للشئ الواحد اسماء وتسمى بالشئ الواحد أشياء فاذا سنح لك ذكر شئ فاذكره باحسن أسمائه فان ذلك من المروءة وانما المرء بمروءته فالمروءة اجتناب الرجل ما يشينه واجتناؤه ما يزينه وانه لامروءة لمن لا أدب له ولا أدب لمن لا عقل له ولا عقل لمن ظن ان فى عقله ما يغنيه ويكفيه عن غيره وشتان ما بين عقل وافر معه خمسون عقلا كلها وافر مثله وأوفر منه ومن عقل وافر لا قادة معه وفى ذلك أقول شعرا

وما أدب الانسان شئ كعقله * ولا زينة الا بحسن التأدب

وقال ان الافئدة مزارع الالسن فنها ما ينبت ما زرع فيه من حسن ولا ينبت ما سمج ومنها ما ينبت ما سمج ولا ينبت ما حسن ومنها ما ينبت جميع ذلك ومنها ما لا ينبت شيأ وان من المنطق لما هو أشد من الحجر وأنفذ من الابر وأمر من الصبر وأحر من الأسنة وأنكد من زحل ولربما احتقرت كثيرا منه على حرارته ومرارته ونكده مخافة ما هو أحر منه وأمر وأفظع وأنكد وفى ذلك أقول شعرا

لقد أسمع القول الذى كاد كلما * يذكرنيه الدهر قلبى يصدع
فابدى لمن أبداه منى بشاشة * كانى مسرور بما منه أسمع
وماذاك من عجب به غير اننى * أرى ان ترك الشر للشر أقطع

وقال فى ذى الوجهين من أظهر ما تحب أو تكره فانما يقاس ما أضمر بما أظهر لانك لا تقدر أن تعرف ما أسر وقال

ليس المسيء اذا تغيب سوءه * عندى بمنزلة المسىء المعلن
من كان يظهر ما أحب فانه * عندى بمنزله الامير المحسن
والله أعلم بالقلوب وانما * لك ما بدا لك منهم بالألسن

ولقد

ولقد يقال خلاف ذلك انما * لك ما بدا لك منهم بالاعين

وقال فى الصدود أما بعد فقد أحضرتنى من صدك ما آيسنى من ودك ولم يزل يجرى فى لحظك ما يدخلنى فى رفضك ويدلنى على غل صدرك وفى ذلك أقول شعرا

تظل فى قلبه البغضاء كامنة * فالقلب يكتمها والعين تبديها

والعين تعرف فى عينى محدثها * من كان من حزبها أو من يعاديها

عيناك قد دلتا عينى منك على * أشياء لولاهما ما كنت أدريها

ان الامور التى تخشى عواقبها * ان السلامة منها ترك ما فيها

وقال فى كثرة المال وقلته لا تستكثر مال أحد ولا تستقله حتى تعلم ما عياله فان من كثر ماله وعياله فهو مقل ومن قل ماله وعياله فهو مكثر

وقال فى ذكر الاحمق ودخوله فيما لا يعنيه : وأكثرهم دخولا فيما لا يدخل فيه وأرضاهم بما لا يكفيه — عدوه أعلم بسره من صديقه وصديقه قد غص منه بريقه ولا يثق بمن نصحه ولا يتهم من خدعه ولا يأمن الامين يخونه ولا يحفظ الامين يحفظه ولا يكرم الامين يهينه أشبه شئ خلقا باللئيم ان أحسنت اليه لم يشكر وان أسأت اليه لم يشعر لا ينفعك من وجه الا ضرك من وجوه: ان أقبل عليك لم يسرك وان أدبر عنك لم يضرك ان أفسد شيأ لم يحسن ان يصلحه وان أصلح شيأ أفسده ان أحببته فرأى منك حسنا لم يحسن ان ينشره وهو مع ذلك بخطئه أشد اعجابا من العاقل بصوابه ان جلس الى العلماء لم يزدد الا جهلا وان جلس الى الحكماء لم يزدد الا طيشا وانما جعل نفسه المحدث لهم يكلفهم أن يكونوا المنصتين له أعيا الناس اذا تكلم وأبلدهم اذا تعلم وأصحبهم لمن يشينه وأرفضهم لمن يزينه وأشدهم فى موضع اللين وألينهم فى موضع الشدة وأجبنهم فى موضع الشجاعة ان افتقر عجب من الناس كيف يستغنون وان استغنى عجب من الناس كيف يفتقرون لا يفهم ان حدثته ولا يفقه ان أفهمته ولا يقبل ان وعظته ولا يذكر ان ذكرته وفى ذلك أقول شعرا

المرء يصرع ثم يشفى داؤه * والحمق داء ليس منه شفاء

والحمق طبع لا يحول مركب * ما ان لاحمق فاعلمن دواء

وقال فى ذكر الهوى : ان من الناس من اذا هوى عمى ومنهم من اذا هوى أبصر مرة وعمى أخرى ومنهم من اذا هوى لم يكد يخفى عليه شئ وهو اللبيب العاقل الحليم الكامل

الذى ان أعجبه أمر نظر الى هواه وعقله فان اتفقا اتبعهما وان اختلفا اتبع عقله وترك هواه وكان أمره معتدلا يشبه بعضه بعضا وقليل ماهم وفى ذلك أقول شعرا ٠

املك هواك اذا دعاك فربما * قاد الحليم الى الهلاك هواه

الله يسعد من يشاء بفضله * واذا أراد شقاءه أشقاه

وقال أيضا فى اناس تحسن وجوههم عند حاجاتهم وتغير وجوههم عند غناهم شعرا

أرى قوما وجوههم حسان * اذا كانت حوائجهم الينا

وان كانت حوائجنا اليهم * تغير حسن اوجههم علينا

ومنهم من سيمنع ماللديه * ويغضب حين يمنع ماللدينا

فان يك فعلهم شحا وفعلى * قبيحا مثله فقد استوينا

وقال فيمن فعل أمر الايحسن ان يحتال له : اعلم ان من قاتل بغير عدة أو خاصم بغير حجة أو صارع بغير قوة فهو الذى صرع نفسه وخصم نفسه وقتل نفسه فان ابتليت بقتال أحد أو مخاصمته أو مصارعته فاحسن الاعداد له واعرف مع ذلك عدته وأبصر حجته واخبر قوته كما يخبر قوتك وحجتك وعدتك فان رأيت تقدما والا كان التأخر قبل التقدم خيرا من التندم بعد التقدم وفى ذلك أقول شعرا

اذا ما أردت الامر فاعرفه كله * وقسه قياس الثوب قبل التقدم

لعلك تنجو سالما من ندامة * فلا خير فى أمر أتى بالتندم

وان من الناس من يرزق حجة أو عدة أو قوة فتكون عدته هى التى تقتله وقوته التى تصرعه وحجته التى تخصمه وذلك انه ربما أدل فقاتل قبل ان يعلم أهو أعدّ أم الذى يقاتله وكذلك فى الذى يخاصمه ويصارعه فاذا هو قد قتل أو صرع أو خصم فلم ينفعه جودة عدته ولا قوة حجته حين أتى الامر من غير جهته وفى ذلك أقول

اذا ما أتيت الامر من غير وجهه * تصعب حتى لا ترى منه مرتقا

فان الذى يصطاد بالفخ ان عتا * على الفخ كان الفخ أعنى وأضيقا

وقال فى الذى يعاتب الناس بغير مودّتهم ويوجب حق نفسه عليهم : لا تدع الناس الى برك واجلال أمرك وتعظيم قدرك بالمعاتبة ولكن ادعهم الى ذلك بما تستوجبه منهم وانظر الامر الذى أكرم به من هو أبعد منك وقرب به من أنت أقرب منه فالزمه فانك ان تلزمه لم تحتج معه الى معاتبة ولا استبطاء حق لانك ان دعوتهم الى تكرمتك بغير

ما

ماتستوجب التكرمة به فانما دعوتهم الى اهانتك اما بكلام يجرحك واما بفعال تفدحك وان دعاهم الى ذلك فضلك أجابوا اما بثناء يرفعك أو بجزاء ينفعك

وقال فى معرفة الاخوان انك لن تعرف أخاك حق المعرفة ولن تخبره حق المخبرة ولن تجر به حق التجر به وان كنتما فى دار واحدة حتى تسافر معه أو تعامله بالدينار والدرهم أو تقع فى شدة أو تحتاج اليه فى مهمة فاذا بلوته فى هذه الاشياء فرضيته فانظر فان كان أكبر منك فاتخذه أبا وان كان أصغر منك فاتخذه ابنا وان كان مثلك فاتخذه أخا وكن به أوثق منك بنفسك فى بعض المواطن وقال كن من الكريم على حذر ان أهنته ومن اللئيم ان أكرمته ومن العاقل ان أحرجته ومن الاحمق ان مازحته ومن الفاجر ان عاشرته ولا تدل على من لا يحتمل ادلالك ولا تقبل على من لا يحب اقبالك وكن حذرا كأنك غر وكن ذا كرا كأنك ناس والزم الصمت الى أن يلزمك التكلم فما أكثر من يندم اذا نطق وأقل من يندم اذا لم ينطق واذا ابتليت فعند ذلك تعرف جودة منطقك وقلة زللك وسعة عفوك وقلة حيلتك ومنفعة قوتك وحسن تخلصك واعلم أن بعض القول أغمض من بعض و بعضه أبين من بعض و بعضه أخشن من بعض و بعضه ألين من بعض وان كان واحدا فان الكلمة اللينة لتلين من القلوب ماهو أخشن من الحديد وان الكلمة الخشنة لتخشن من القلوب ماهو ألين من الحرير وان أعظم الناس بلاء وأدومهم عناء وأطولهم شقاء من ابتلى بلسان مطلق وفؤاد مطبق فهو لا يحسن ان ينطق ولا يقدر أن يسكت واعلم ان ليس يحسن أن تجيب من لا يسألك ولا تسأل من لا يجيبك وفى ذلك أقول شعرا (١)

ولا خير فى حلم اذا لم يكن له * بوادر تحمى صفوه ان يكدرا

ولا خير فى جهل اذا لم يكن له * حليم اذا ما أورد الامر أصدرا

وقال فى الرفق بالدواب ان رفق الرجل بدوابه وحسن تعاهده لها وقيامه عليها عمل من أعمال البر وسبب من أسباب الغنى ووجه من وجوه المروءة وقال التدبير مع المال القليل خير من المال الكثير مع سوء التدبير وانما المنفقون ثلاثة جواد مبذر وكريم مقدّر ولئيم مقتر وفى ذلك أقول شعرا

رب مال سينعم الناس فيه * وهو عن ربه قليل الغناء

كان يشقى به و ينصب حينا * ثم أمسى لمعشر غرباء

---

(١) نسبة هذين البيتين الى نفسه من قبيل الوهم فانها من قصيدة النابغة الجعدى

ماله عندهم جزاء اذا ما ✽ أنعموا فيه غير سوء الثناء
رب مال يكون غما وذما ✽ وغنى يعد فى الفقراء

وقال فى تصنيف الطعام اذا كنت ممن يؤكل طعامه وتحضر ما تدته و يؤكل معه فليكن الذى يتولى صنعة طعامك من ألب الناس فى عمله وأنظفهم فى يديه ولا تدع اعلامه إن أحسن ولا انذاره ان أساء فان تعتبك عليه خير من تعتب الناس عليك واعلم ان لكل شئ غاية وان غاية الاستنقاء التنظيف فى الاستنجاء والاكثار من الماء حتى يستوى اليدان والريح والمنظر فانه لا طيب أطيب من الماء ولو انه المسك وما أشبهه من الاشياء وانما يستدل على نظافة الرجل بنقاء أثوابه وانما يكون التقذر فى الحق من الرجال والنساء و به يستدل على بلادتهم وفى ذلك أقول شعرا

ولا خير قبل الماء فى الطيب كله ✽ وما الطيب الا الماء قبل التطيب
وما أنظف الاحرار فى كل مطعم ✽ وما أنظف الاحرار فى كل مشرب

✽ وقال فى صفة العدو والصديق : احرص أن لا يراك صديقك الا أنظف ما تكون ولا يراك عدوك الا أحصن ما تكون فاما الصديق فان كان الذى أعجبه منك خلقك أو خلقك وهما كان يحبك فكلما ازددت حسنا كان حبه لك أكثر ورغبته فيك أوفر [وأكثرك عنده وأكبرك فى صدره] (٢) وأدوم له على عهدك وأما العدو فليس شئ أعجب اليه من دمامتك وخساستك فاحترس منه وأظهر الجميل فليس شئ أعجب اليه من التمكن منك فانظر أن لا يكون شئ أعجب اليك من التحصن منه

وقال فى العقل والادب : اعلم ان العقل أمير وان الادب وزير فان لم يكن وزير ضعف الامير وان لم يكن أمير بطل الوزير وانما مثل العقل والادب كمثل الصيقل والسيف فان الصيقل اذا أعطى السيف أخذه فصقله فعاد جمالا ومالا وعضدا يعتمد عليه و يلتجأ اليه فالصيقل الادب والسيف العقل فاذا وجد الادب عقلا نفقه ووفقه وقواه وسدده كما يصنع الصيقل بالسيف واذا لم يجد عقلا لم يعمل شيأ لانه لا يصلح الا ما وجد وان من السيوف لما يصقل و يسقى و يخدم ثم يباع بادنى الثمن ومنها ما يباع بزنته دراوز برجدا وذلك على نحو الحديد وجودته أو رداءته وكذلك الرجلان يتأدبان بادب واحد ثم يكون أحدهما أنفذ من الآخر اضعافا مضاعفة وانما ذلك على قدر العقل وقوته فى الاصل وفى ذلك قلت شعرا

---

(٢) وجدت هذه الجملة بالاصل من غير نقط فليعلم

وقد

وقد يصلح التأديب من كان عاقلا * وان لم يكن عقل فلن ينفع الادب

*وقال فى المراء : اذا اجتمع أهل نوع فتذاكروا على نوعهم ذلك فلم يكن أصل كل واحد منهم أن ينفع بما أسمع وينتفع بما سمع فاعلم ان تذاكرهم ذلك من أول المراء يصدع العلم ويوهن الود ويورث الجود وينشئ الشحناء ويغل القلب وفى ذلك أقول شعرا

تجنب صديق السوء واصرم حباله * فان لم تجد عنه محيصا فداره
وأحبب صديق الخير واحذر مراءه * تنل منه صفو الود مالم تماره

وقال فى الحكمة : أما ما يسمع من كثير من الحكمة فان أوله شئ يخطر على الافئدة اذا خطر وهو أصغر من الخردلة وأدق من الشعرة وأوهن من البعوضة ثم تحركه الالسنة وتنبذه الافئدة كما يحاك البرد وكما يمد النهر فيعود أكثر من الكثير وأوثق من الحديد وأثمن من الجوهر وأحسن من الذهب وأنفع من كليهما لانه يزيد فى المنطق ويذكى الذهن ويعين على الابلاغ ويتجمل به القائل ويتقلب فيه كيف يشاء ويختار منه ما يشاء فينتفع به اللطيف وينبل به السخيف ويتزيد به الكثيف ويتأيد به الضعيف ويزداد به الأيد قوة فى منطقه وبلاغة فى كتبه فيكون فى حفظه منفعة للخطباء فى خطبهم وللبلغاء فى بلاغتهم وكتبهم وللكرماء فى بشاشتهم وللشعراء فى قصائدهم فاذا كنت ممن يؤلف حكمة أو يضع رسالة أو يذكر فى مهمة فلا تكرهه قلبك ولا تكره ذهنك فانه اذا أكره كل ووقف ولكن ان كنت فى شئ من ذلك فاستعن بالتفرغ منه على التفرغ له والتأخر عنه على التقدم فيه فان الذهن يجم كما يجم البئر ويصفو كما يصفو الماء

وقال فى الكلام واخراجه : اعلم ان مثل الكلام كمثل الحجارة فنها ما هو أعز من الذهب والفضة ومنها ما لا يعطى فى الصخرة العظيمة منه درهم وفى ذلك أقول شعرا

وما الحجر الكبير أعز فيما * ظفرت به من الحجر الصغير
وكم أبصرت من حجر خفيف * صغير بيع بالثمن الكثير

وقال فى طلاقة الوجه وحسن الخلق : كن أسهل ما تكون وجها وأظهر ما تكون بشرا وأقصر ما تكون أمدا وأحسن ما تكون خلقا وألين ما تكون كنفا وأوسع ما تكون أخلاقا فان الايام والاشياء عقب ودول فان أنكرت منها شيأ يوما ما كان [ما] أنكرت منها شيأ خفيفا على أهل الشماتة وعلى أهل الصفاء واحذر أن تحزن من

يحبك وتفرح من يحسدك فلم أر فى مصاب الدهر مصيبة أوحش من تغيير النعمة وان أنت لم تنكر منها شيأ ودامت لك بما تريد فما من الدنيا شئ تناله بدعة ورفق الا وهو أهنأ مما نيل بتعب ونصب فامامن كفى وعوفى فما يصنع بالغضب والتضايق وانهما هم العمر ونكد الدهر وفى ذلك أقول شعرا

ما ثم شئ من الدنيا علمت به * الا استحق عليه النقص والغير
ولا تغير من قوم نعيمهم * الا تكدر منه الورد والصدر
فعاد غما ولن تلقى امرأ أبدا * [اغم] من ملك أيام يفتقر

وقال فى الكذب

كذبت ومن يكذب فان جزاءه * اذا ما أتى بالصدق أن لا يصدقا

وقال فيه أيضا

اذا ما رأيت المرء حلوا لسانه * كذوبا فايقن انه لا حياله
ولا خير فى الانسان ان لم يكن له * حياء ولا فى كل من لا وفاله

وقال فى الاخوان

ليس من كان فى الرخاء صديقا * وعدو الصديق بعد الرخاء
عدة فى اخائه لصديق * انما ذاك عدة الاعداء
لو ظفرنا بذى اخاء أمين * لاشترينا اخاءه بالغلاء
لو وجدنا أخا متينا أمينا * لاتخذنا اخاءه للشفاء

أما الرفقاء فى السفر والجلساء فى الحضر والخلطاء فى النعم والشركاء فى العدم فاحفظ مصاحبتهم وواظب على اخائهم وفى ذلك أقول شعرا

وكنت اذا صحبت رجال قوم * صحبتهم وشيمتى الوفاء
فاحسن حين يحسن محسنوهم * واجتنب الاساءة ان أساؤا
وابصر ما يعيبهم بعين * عليها من عيوبهم غطاء
اريد رضاهم أبدا وآتى * مشيئتهم وأترك ما أشاء

لا تبتدئن أحدا بصغير مما يكره ولا بكبيره ولا بقليل مما يسخط ولا بكثيره فان ابتدأك أحد بشئ من ذلك فقدرت على الانتصار منه فعفوت أو انتصرت فما أحسن جميع ذلك الا ان العفو أكرم والانتصار أعز وكلاهما حظ وفى ذلك أقول شعرا

فما

(فماذات باب بحمده فيما علمت عليه من طرق الصواب .. ؟
وأى الناس ألأم من سفيه * يقول ولا يخاف من الجواب

وقال فى الجهل: اياك والجهل فانما تجهل على ثلاثة رجل أنت أعز منه ورجل هو أعز منك ورجل أنت وهو فى العز سواء فاما جهلك على من أنت أعز منه فلؤم وأما جهلك على من هو أعز منك فخيف وأما جهلك على من هو مثلك فهراش مثل هراش الكلبين ولن يفترقا الا مفضوحين أو مجروحين وليس هذا من فعال الحكماء والعلماء الحليم أرزن والجهول أنقص وفى ذلك أقول شعرا

ماتم علم ولا حلم بلا أدب * ولا تجاهل فى قوم حليمان
ولا التجاهل الا ثوب ذى دنس * وليس يلبسه الا سفيهان

وقال فى رؤية الرجل وخبره ان من الناس من يعجبك حين تراه وتزداد عند الخبرة اعجابا [به] ومنهم من تبغضه حين تراه وعند الخبر تكون له أكثر بغضا ومنهم من يعجبك مخبره ولا يعجبك منظره ومنهم من يعجبك منظره ولا يعجبك مخبره وفى ذلك أقول شعرا

ترى بين الرجال العين فضلا * وفيما أضمروا الغبن الغبين
ولون الماء مشتبه وليست * تخبر عن مذاقته العيون
فلا تعجل بنطق قبل خبر * فعند الخبر تنصرم الظنون

وقال أيضا فى ذلك

وماصور الرجال بها امتحان * وما فيها لمعتبر بيان
ولكن فعلهم ينبيك عنهم * به تجب الكرامة والهوان
وما الانسان لولا أصغراه * سوى صور يصورها البنان

وقال أيضا

لم أزل أبغض كل امرئ * وجهه أحسن من خبره
فهو كالغصن يرى ناضرا * ناعما يعجب من زهره
ثم يبدو بعده ثمر * فيكون السم فى ثمره

وقال فى النهى عن القبيح * واذا رأيت من أحد أمرا فنهيته عنه فلم يحمدك ولم يذم نفسه على مكانه أو يحدث حدثا تعلم انه قد انتفع بمقالتك فان ذلك عيب

آخر قد بدا لك منه لعله أقبح من الذى نهيته عنه وفى ذلك أقول شعرا

ولا نهيت غويا من غوايته * الا استزاد كأنى كنت أغريه
ولا نصحت له الا تبين لى * منه الجفاء كأنى كنت أغويه

وقال فى المؤاخاة * لا تؤاخ أحدا الا على اختيار منك له وارتضاء منك به واتفاق منه لك فاذا اتفق أمر كما كذلك فاعلم ان كلا كما يحسن ويسىء ويصيب ويخطئ ويحفظ ويضيع فوطن نفسك على الشكر اذا حفظ وعلى الصبر اذا أضاع وعلى المكافأة اذا أحسن وعلى الاحتمال والمعاتبة اذا أساء فان معاتبة الصديق اذا أساء أحب الى الحليم من القطيعة فى معاشرة من تؤاخيه وفى ذلك أقول شعرا

واذا عتبت على امرئ أحببته * فتوق ضائر عتبه وسبابه
والن جناحك ما استلان لوده * وأجب أخاك اذا دعا لجوابه

واحرص أن تعرف موقعك من كل أحد حتى من أبيك وأمك فان من السخافة أن تكون لاخيك فيما يحب ويكون لك فيما تكره وما أقبح أن تكون له فيما يكره ويكون لك فيما تحب واعلم ان من تنفعك صداقته ولا تضرك عداوته الكريم الذى ان أحسنت اليه كافاك وان أسأت اليه عاتبك واما من تضرك عداوته ولا تنفعك صحبته فهو الجاهل السفيه اللئيم وفى ذلك أقول شعرا

من الناس من ان يرض لا تنتفع به * ولكن متى يسخط فما شئت من ضرر
ضعيف على الاعداء لكن قلبه * أشد اذا لاقى الصديق من الحجر

وقال فى تقلب الدنيا شعرا

انما الدنيا سراج * ضوءه ضوء معار
بينما غصنك غصن * ناعم فيه اخضرار
اذ رماه الدهر يوما * فاذا فيه اصفرار
وكذاك الليل يأتى * ثم يمحوه النهار

وقال فى المداراة * اذا هبطت بلدا أهلها على غير ما تعرف وأنت على غير ما يعرفون فالزم كثيرا من المداراة فما أكثر من دارى ولم يسلم فكيف من لم يكن منه مداراة وفى ذلك أقول شعرا

ياذا الذى أصبح لا والدا * له على الارض ولا والده

قد

قد مات من قبلهما آدم * فاى نفس بعده خالده
ان جئت أرضاً أهلها كلهم * عور فغمض عينك الواحده

وقال لا تقاتلن أحدا تجد من قتاله بدا فانما الحق لمن غلب ولا غالب الا الله وان آخر الدواء الكى فلا تجعله أولا وفى ذلك أقول شعرا

وكم رأينا من أخى غبطة * أصبح مسرورا وأمسى حزينا
وكم فتى يركب طاحونة * للحرب قد أصبح فيها طحينا

وقال فى الاعسار والايسار

كم من صديق لنا أيام دولتنا * وكان يمدحنا قد صار يهجونا
انى لأعجب ممن كان يصحبنا * ما كان أكثرهم الا يراؤونا
لم ندر حتى انقضت عنا امارتنا * من كان ينصحنا أو كان يغوينا
من كان ينصفنا ما كان يصحبنا * الا ليخدعنا عما بأيدينا

وقال فى الصلة والتفضل * لا يكن من وصلك أحق بصلتك منك بصلته ولا من تفضل عليك أولى بالتفضل منك عليه فانما أنت وهو كرجلين ابتدرا أكرومة فقصر احدهما و بلغ الآخر فانما القاصر قصر عن حظ نفسه وأما البالغ فبلغ بجميل أمره وعظيم قدره

* وقال فى القدر اذا كان الرجل لبيبا فاعلم انه كامل ولكن لن يقدمه ذلك الى ما كان يطالب ولن يؤخره عما كان يحاذر الا بقدر يلحق به ماطلب ويسبق به مايحذر وان من الناس من يؤتى منطقا وعقلا ولا يؤتى مالا ومنهم من يؤتى مالا ولا يؤتى غيره فيحتاج مع ماله الى عقل ذى العقل ومنطقه ويحتاج ذو العقل الى مال ذى المال ورفده و ينهض هذا بهذا وهذا بهذا (١) [فليس لاحدهما اذا غنى عن الآخر] فاحوج الملك الى السوقة وأحوجت السوقة الى الملك

* وقال فى التفاضل لا تقل فلان أغنى منى وأنا أحزم منه فانه لو جمع العقل والشدة والشجاعة والمال واشباه ذلك لقوم و بقى قوم لا شئ لهم لهلكوا ولكن الله عز وجل قال أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات فاوتى بعضهم عقلا و بعضهم قوة و بعضهم مالا مع أشياء مما يكون فيه

(١) فى الاصل فليس لأيهما اذا

صلاحهم وبه معايشهم ثم أحوج بعضهم الى بعض فعاشوا وانما مثل الرجل ورزقه ومثل عقله وأدبه ومروءته وحكمه كمثل الرامى ورميته فلابد للرامى من سهم ولابد لسهمه من قوس ولابد لقوسه من وتر ولابد لجميع ذلك من قدر يبلغ به مارشق ويصيب به ما يبلغ ويحوز به ما أصاب والا فلا شئ فالرامى الرجل والرمية الرزق ولا يجمع بينهما عقل ولا عز ولا شئ من ذلك الا بقدر وفى ذلك أقول شعرا

ما القوس الا عصا فى كف صاحبها * يرعى بها الضان أو يرعى بها البقر
أو عود بان وان كانت معقفة * حتى يضم اليها السهم والوتر
وان جمعت لها هذين فهى عصا * حتى يساعد من يرمى بها القدر

وقال : ان حسن السمت وطول الصمت ومشى القصد من أخلاق الاتقياء وان سوء السمت وترك الصمت ومشى الخيلاء من أخلاق الاشقياء فاذا مشيت فوق الارض فاذكر من تحتها وكيف كانوا فوقها وكيف حلوا باطنها وكيف كانوا أمما واعلم ان ابن آدم أعز من الاسد وأشد من العمد مالم تصبه أدنى شوكة وأدنى مرض وأدنى مصيبة فاذا أصابه شئ من ذلك وجدته أهون من الذرة وأمهن من البعوضة فلا يغررك تجبره وتكبره وتفرعنه واستطالته وفى ذلك أقول شعرا

ولا تمش فوق الارض الا تواضعا * فكم تحتها قوم هم منك أرفع
فان كنت فى عز وحرز ومنعة * فكم طاح من قوم هم منك أمنع

* وقال فى الغنى والقنوع : ان الغنى فى القلب فمن غنيت نفسه وقلبه غنيت يداه ومن افتقر قلبه لم ينفعه غناه وفى ذلك أقول شعرا

اذا المرء لم يقنع بشئ فانه * وان كان ذا مال من الفقر موقر
اذا كان فضل الله يغنيك عنهم * فانت بفضل الله أغنى وأيسر

* وقال فى الرأى والمشاورة : اذا استشير نفر أنت أحدهم فكن آخر من يشير فانه أسلم لك من الصلف [1] وأبعد لك من الخطأ وأمكن لك من الفكر وأقرب لك من الحزم وفى ذلك أقول شعرا

ومن الرجال اذا زكت أحلامهم * من يستشار اذا استشير فيطرق
حتى يجول بكل واد قلبه * فيرى ويعرف ما يقول فينطق

(١) فى الاصل الصدق

فبذاك

فبذاك يطلق كل أمر موثق * وبذاك يوثق كل أمر يطلق
ان الحليم اذا تفكر لم يكد * يخفى عليه من الامور الاوفق

*وقال فى النهى عن مجالسة أهل الاهواء والبدع ومحادثتهم: أما هذه الاهواء فانى لم أر أحداً ازداد فيها بصيرة الا ازداد فيها عمى لان أمر الله أعز من ان تلحقه العقول ولم أر اثنين تكلما فيها الا رأيت لكل واحد منهما حجة لا يقدر صاحبه على دفعها الا بالشبهة والمغالطة واما بالنصيحة فلا ومن غالط فى هذا أو مثله فانما يغالط نفسه وعليها يخلط واياها يخدع أو أراد أن يخادع ربه والله أعز من أن يخدع لقد نبئت ان الله تبارك وتعالى أوحى الى نبيه موسى صلى الله عليه وسلم لا تجادل أهل الاهواء فيوقعوا فى قلبك شيأ يوردك به الى النار فهذا أمر نهى عنه موسى عليه السلام وقد أعطى التوراة فيها هدى الله وقد كلم الله موسى تكليما فكيف بغيره من أهل الاهواء ولم يزل الصالحون يتناهون عن الهوى والمراء فيه والجدل به ولم أر فيها ساقط تم ولا كلاما صح الا وفيه كلام بعد كثير فالسنة أن لا يتكلم فى شئ من الاهواء بالهوى و بغير الاتباع للكتب المنزلة والسنن للرسل الصادقة وفى ذلك أقول شعرا

اذا أعطى الانسان شيأ من الجدل * فلم يعطه الا لكى يمنع العمل
وما هذه الاهواء الا مصائب * يخص بها أهل التعمق والعلل

*وقال فى النميمة: اياك والنميمة فانها لا تترك مودة الا أفسدتها ولا عداوة الا جددتها ولا جماعة الا بددتها ولا ضغينة الا أوقدتها ثم لا بد من عرف بها أو نسب اليها أن يتحفظ من مجالسته ولا يؤتى بناحيته وأن يزهد فى مناقشته وأن يرغب عن مواصلته وفى ذلك أقول شعرا

تمشيت فينا بالنميم وانما * يفرق بين الاصفياء النمائم
فلازلت منسوبا الى كل آفة * ولا زال منسوبا اليك اللوائم

وفى مثله أقول

كالسيل فى الليل لا يدرى به أحد * من أين جاء ولا من أين يأتيه
فالويل للعبد منه كيف ينقصه * والويل للود منه كيف يبليه

وقال اذا قيل لك أى شئ أطول فقل الكلام واذا قيل لك أى شئ أقصر فقل الكلام لان الكلمة الواحدة قد تكون جوابا لالف كلمة وقد يكون جوابها ألف كلمة وأكثر ولن تدرك الكلام حتى تذره ولن تذره حتى تحذره وفى القول خطأ كثير و بعضه صواب

وان الصمت منه لأصوب فاترك منـه مالاتنتفع بأخذه وخذمنه مالاتقـدر على تركه
واسجن لسانك كما تسجن عدوك واحذره كما تحذر غائلته

وقال فى تأديب النفس اذا أبصرت بعض ماتكره من غيرك فأسرع الرجعة منه قبل
أن يبصره منك من يستريبه واحمد الله الذى أحسن اليك وبصرك عيوب نفسك ونبهك
للرجوع من غيك واذا أخبرك بعيبك صديق قبل أن يخبرك به عدو فاحسن شكره
واعرف حقه فان خبر العدو تعييب وخبر الصديق تأديب وفى ذلك أقول شعرا

ولن يهلك الانسان الا اذا أتى * من الامر مالم يرضه نصحاؤه

وقال فى الحاسدين * اعلم انك لن تلقى من الخير درجة ولن تبلغ منه مرتبة ولن تنزل
منه منزلا الا وجدت فيه من يحسدك وانما الحاسد خصم فلا تجعله حكما فانه ان حكم لم يحكم
الا عليك وان قصد لم يقصد الا اليك وان دفع لم يدفع الا حقك وفى ذلك أقول شعرا

ولو كنت مثل القدح ألفيت قائلا * ألا ما لهذا القدح ليس بقائم

ولو كنت مثل النصل ألفيت قائلا * ألا ما لهذا النصل ليس بصارم

(١) تم أدب صالح بن جناح بفضل منشئ الروح ومجرى الرياح الملك الوهاب الفتاح
وذلك فى سلخ شهر ذى القعدة سنة ١٠٨٦ والحمد لله أولا وآخرا وباطنا وظاهرا وصلى الله
على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

تنبيه

لم نقف على ترجمة صاحب هذا الكتاب فيما بين أيدينا من الكتب وانما رأينا له ذكرا
فى كتاب العلم للحافظ ابن عبد البر . حيث قال أحسن ما قيل فى الصمت ما ينسب لعبد الله
ابن طاهر وهو

اقلل كلامك واستعذ من شره * ان البلاء ببعضه مقرون

واحفظ لسانك واحتفظ من عيه * حتى يكون كانه مسجون

وكل فؤادك باللسان وقل له * ان الكلام عليكما موزون

فزناه وليك محكما فى قلة * ان البلاغة فى القليل تكون

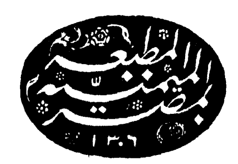
وقد قيل ان هذا الشعر لصالح بن جناح والله أعلم وهو أشبه بمذهب صالح وطبعه

---

(١) هكذا وجد فى الاصل المنقول عنه

﴿يقول راجي غفران المساوي رئيس لجنة التصحيح بمطبعة
(دار الكتب العربية الكبرى) محمد الزهري الغمراوي﴾

الحمد لله الذي خلق الانسان وعلمه البيان عما في الجنان وألهمه رشده لمصالح الحياة وأفاض عليه نور المعارف حتى أتقن كل شيء أتاه والصلاة والسلام على سيدنا محمد أكمل الخلق علما وفضلا وأهداهم لسبل الخير دلالة وعملا وعلى آله المطهرين وأصحابه ذوي القدر المكين (أما بعد) فقد تم بحمده تعالى طبع كتاب رسائل البلغاء وهو كتاب جمع من رسائل فضلاء الكتاب الفصحاء ما هو البغية المنشودة لنبغاء العصريين والمنحة المهداة لذوي الفضلاء الكاملين فكل رسالة منه فيها من جواهر الآيات ما يتحلى بها جيد من غاص في لجج معانيها ومن شوارق الانوار ما تسطع أشعته على من يسرح النظر في محاسن مبانيها تعطي الاديب منيته بلطيف عباراتها وتقوم عوج الاريب بكريم اشاراتها وتسدد آراء ذوي الحل والعقد بقويم سياستها وتطهر النفوس من أدران الهوى بعظيم نصيحتها فكل الطبقات لهم فيها مرتوى كريم وبفضلها مشتفى من كل خلق ذميم فانعم به من كتاب لم ينسج له على منوال وأكرم بها من فكرة جمعت شوارد الفضل في أحسن عقال. وقد بذل حضرة الناشر جهد المستطيع في تصحيح هذه الرسائل وأفرغنا العناية في جعله طبق الاصل في الدقائق والجلائل غير شرح لبعض الرسائل وزيادة كتاب الادب والمروءة الذي له من اسمه أوفى نصيب ومن المحاسن ما يعجز عنه الاريب فجاء الكتاب ليس له مثيل ويعجز عن حصر محاسنه كل قيل وذلك بمطبعة (دار الكتب العربية الكبرى) في شهر جمادى الثانية من سنة ١٣٣١ هجريه على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحية آمين



فهرست رسائل البلغاء

صحيفة